مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفًا لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الأول

المقدمة وتفسير سورة الفاتحة - حتى الآية ٧١ من سورة البقرة

مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيّم الحقباني وجعَلَهُ وَقْفًا لوالدَيْهِ

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية ، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من
القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن
عبدالله بن عبد الرحمن بن باز ؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض ، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٧-٩-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم

معالي الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ

أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل

المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه

صلاح الدين بن عثمان أحمد

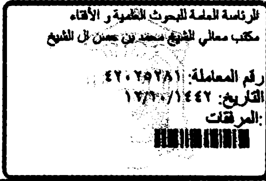
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الأول

المقدمة وتفسير سورة الفاتحة - حتى الآية ٧١ من سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم





محمد بن حسن بن عبد اللطيف آل الشيخ

الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فمِن نعمة الله على المرء أن يوفّق إلى الاشتغال بتفسير القرآن الكريم والبحث في معانيه ومعرفة أحكامه؛ فإن علم التّفسير أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أعظم ولا أجل ولا أشرف من كلام الله تعالى، فهو خير ما تُصرف فيه الأعمار، وعلى ذلك سار السّلف الصالح، فقد كان الرّجل من الصحابة إذا تعلّم عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن.

ولمّا كان علم التّفسير بهذه الأهمية اعتنى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله تعالى، وسلك في ذلك كعادته أسلوبا سهلاً ينتفع به عموم الناس وطلبة العلم.

وقد سخّر الله تعالى لجمع هذا التّفسير المبارك الشّيخ / صلاح الدّين عثمان أحمد أمين مكتبة سماحته، فقام بالتقاطه من كتب الشّيخ، ودروسه، ومحاضراته، وكلماته، وقام بتوثيق نقولاته، وتخريج أحاديثه، وبذل جهداً كبيراً لجمع هذا التّفسير، فجزاه الله خيراً على هذا العمل المبارك، ونفع به عموم المسلمين.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، وأشهدُ أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، وصلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فمِن نعمة الله على المرء أن يوفَّق إلى الاشتغال بتفسير القرآن الكريم والبحث في معانيه ومعرفة أحكامه؛ فإن علم التّفسير أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أعظم ولا أجل ولا أشرف من كلام الله تعالى، فهو خير ما تُصرف فيه الأعمار، وعلى ذلك سار السّلف الصالح، فقد كان الرّجل من الصحابة إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يجاوزْهنَّ حتى يعرفَ معانيهن والعملَ بهن.

ولمّا كان علم التّفسير بهذه الأهمية اعتنى به سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله تعالى، وسلك في ذلك كعادته أسلوبًا سهلًا ينتفع به عموم الناس وطلبة العلم.

وقد سخّر الله تعالى لجمع هذا التّفسير المبارك الشّيخ صلاح الدّين عثمان أحمد أمين مكتبة سماحته، فقام بالتقاطه من كتب الشّيخ، ودروسه، ومحاضراته، وكلماته، وقام بتوثيق نقولاته، وتخريج أحاديثه، وبذل جهدًا كبيرًا لجمع هذا التّفسير، فجزاه الله خيرًا على هذا العمل المبارك، ونفع به عموم المسلمين.

والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

محمد بن حسن بن عبد الرحمٰن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد كملت تجديدًا هذه الدرة العلمية المباركة لسماحة شيخنا العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن باز (١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ) رحمه الله وجزاه خير الجزاء وأوفره في تعليقاته وتقريراته على تفسير القرآن الكريم.. والذي كان به حفيًا، وفي مجالسه مقدمًا، وفي دروسه معلمًا...

فجاء هذا الجمع من جمع وعناية الأخ الشيخ/ صلاح عثمان أحمد، أمين مكتبة شيخنا وفريقه معه.. هذا وقد منّ الله عليّ بعيش مع هذه الدرة مراجعة وتصحيحًا، وإفادة وتدقيقًا، ومتابعة واهتمامًا.. حتى خرجت بهذه الحلة.

فاللهم لك الحمد كثيرًا.. وشكر الله لسماحة شيخنا، ورفع درجته، وزكى عقبه.. وجمعنا به في فردوسه الأعلى.. ووالدينا ومشايخنا ووالدينا، ولجميع المسلمين إنه سبحانه جواد كريم.. وصلى الله وسلم على محمد وآله أجمعين.

وكتبه حامدًا ومصليًا / علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

عشية ١٧/٩/١٤٤٦هـ

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فقد كملت بحمد ربنا هذه الدُّرة العلمية المباركة لسماحة شيخنا العلَّامة عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز (١٣٣٠ - ١٤٢٠هـ) رَحِمَهُ اللهُ وجزاه خير الجزاء وأوفره في تعليقاته على تفسير القرآن الكريم، والذي كان به حفيًّا، وفي مجالسه مقدَّمًا، وفي دروسه مَعْلَمًا.

فجاء هذا الجمع من جمع وعناية الأخ الشيخ صلاح عثمان أحمد، أمين مكتبة شيخنا، وفريقه معه، هذا وقد منَّ الله عليَّ عيشًا مع هذه الدّرة مراجعةً وتصحيحًا، وإفادةً وتدقيقًا، ومتابعةً واهتمامًا، حتى غدت بهذه الحلَّة.

فاللهم لك الحمد كثيرًا، وشكر الله لسماحة شيخنا، ورفع درجته، وزكى عقبه، وجمعنا به في فردوسه الأعلى، ووالدينا ومشايخنا وولاتنا، ولجميع المسلمين، إنه سبحانه جواد كريم.

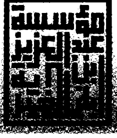
وصلَّى الله وسلَّم على محمد وآله أجمعين.

وكتبه حامدًا ومصلِّيًا

علي بن عبد العزيز بن علي الشبل

عشية ١٤٤٦/٩/١٧هـ

الرياض



المملكة العربية السعودية
مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية
Ibn Baz Charitable Foundation
مسجلة بوزارة الموارد البشرية والتنمية الاجتماعية برقم (١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم: .... التاريخ: .... الموضوع: .... المرفقات: ....

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

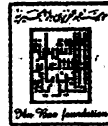
فيطيب ((المؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية)) أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع الموسوم بـ(مجموع تفسير سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز -رحمه الله- لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير) من كتب ودروس ومحاضرات وكلمات وفتاوى سماحته، كتعليقه على تفسير الحافظ ابن كثير، وتفسير البغوي، ومواضع من شرح صحيح البخاري -رحمهم الله تعالى- ومواضع من بعض تفاسير السور التي طُبعت ضمن (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) و(فتاوى نور على الدرب).

وقد قام بجمعه والاعتناء به وتخريج أحاديثه الأخ الشيخ/ صلاح الدين عثمان أحمد -أمين مكتبة سماحته في بيته- وتولى مراجعة المادة وتحكيمها معالي الشيخ/ محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ -عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى- وصاحب الفضيلة الشيخ/ أ.د. علي بن عبدالعزيز الشبل -المدرس بالمسجد الحرام-.

جعله الله من العلم النافع الذي يجري أجره على مُعده ومراجعه وقارئه وطابعه وعلى سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى- إلى يوم القيامة، وأن يجمعنا والقارئ الكريم وسماحة شيخنا والمسلمين في مستقر رحمته ودار كرامته مع الأحبة محمد وصحبه إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

قاله وكتبه
د. أحمد بن عبدالعزيز بن باز
مدير عام
مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية



المملكة العربية السعودية - ص.ب ٢٤١٩١٩ - الرياض ١١٣٢٣
هاتف: ٤٤٤٤ ٤٣٥ ١١ ٩٦٦+ ٩٦٦٥٥٠٢٠٤٤٥٥+
موقع مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية WWW.binbazfoundation.sa
الإمام ابن باز www.binbaz.org.sa
VISION رؤية 2030

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **وبعد**:

فيطيب لـ «**مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم هذا الجمع الموسوم بـ(**مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ **لسور وآيات من القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير**) من كتب ودروس ومحاضرات وكلمات وفتاوى سماحته، كتعليقه على تفسير الحافظ ابن كثير، وتفسير البغوي، ومواضع من شرح صحيح البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ، ومواضع من بعض تفاسير السور التي طُبعت ضمن (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة) و(فتاوى نور على الدرب).

وقد قام بجمعه والاعتناء به وتخريج أحاديثه الأخ الشيخ/ صلاح الدين عثمان أحمد ـ أمين مكتبة سماحته في بيته ـ، وتولى مراجعة المادة وتحكيمها معالي الشيخ/ محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ ـ عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى ـ، وصاحب الفضيلة الشيخ/ أ. د. علي بن عبد العزيز الشبل ـ المدرس بالمسجد الحرام ـ.

جعله الله من العلم النافع الذي يجري أجره على مُعده ومراجعه وقارئه وطابعه وعلى سماحة والدنا وشيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ إلى يوم القيامة، وأن يجمعنا والقارئ الكريم وسماحة شيخنا والمسلمين في مستقر رحمته ودار كرامته مع الأحبة محمد وصحبه إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

قاله وكتبه

د. أحمد بن عبد العزيز بن باز

مدير عام

مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المُقَدِّمة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار[1]. **وبعد:**

فإن القرآن الكريم هو الميزان الواضح لحال الأمة الإسلامية، فكلَّما

(١) هذه إحدى صيغ خطبة الحاجة، أخرجه أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح برقم (٢١١٨)، والنسائي في كتاب الجمعة، باب كيفية الخطبة برقم (١٤٠٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

اهتدت بهداه وعملت به في جميع شؤونها سعدت وعز جانبها، وكلَّما ابتعدت عنه وضعف استمساكها به ابتُليت بالذلة والتفرق وتداعى الأمم عليها، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (في الرسالة): «فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصًّا واستدلالًا، ووفَّقه الله للقول والعمل بما علم منه فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الرِّيَب، ونوَّرت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة»(١).

وقد تكفَّل الله عَزَّ وَجَلَّ بحفظه، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فلم يزل محفوظًا في الصدور مكتوبًا في السطور ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فالقرآن العظيم منجاة لكلِّ مسلم يستبصر بآياته، ويتعظ بمواعظه وأمثاله، ويقف عند حلاله وحرامه، ويستجلي العبرة من أخباره وقصصه مما يذكي بذلك نفسه ويثبت التوحيد في قلبه، ويغرس فيه خشية الله، ويزيل أسباب الكفر والفسوق والعصيان، ويجعل المجتمع كله كالصف الواحد.

وقد يسَّر الله تعالى ألفاظه للتلاوة والحفظ، ومعانيه للفهم والتدبر فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

وبيّن النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه معانيه كما بيّن لهم ألفاظه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «أصول التفسير»: يجب أن يُعلَم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا»(٢). وظل الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في فهم ما يُشكِل عليهم من معاني الآيات.

---

(١) انظر: أحكام القرآن للشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ٥)، والرسالة (١/ ١٩).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٢٨٥).

وبعد أن انقضى عهد الصحب الكرام، برز عدد من أعلام التابعين تتلمذوا عليهم، وأخذوا عنهم تفسير كتاب الله، وزادوا عليه ما استنبطوه وفهموه بأنفسهم مما كان غامضًا على الناس في عصرهم.

وما زال علم التفسير في توسُّع حتى تجمَّع منه الشيء الكثير، وبدأت تتضح معالم مدارسه باتجاهاتها المختلفة، وبدا بروزها مواكبة لمرحلة التدوين.

وقد قام جماعة من علماء الإسلام بتنقية التفسير وتحرير ما دخله من تحريف وزيادات، وردِّه إلى الوضع الصحيح، والفهم السليم على ضوء مدرسة التفسير بالمأثور؛ مما يُعين التالي لكتاب الله على فهم الآيات الكريمات وِفْق معناها الصحيح، والوصول إلى المقصد الأساس من التفسير.

وإن من العلماء الربانيِّين في هذا الزمان، وأشهر فقهاء عصره بقية السلف الصالح سماحة الشيخ الوالد العلَّامة الأثري عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله رحمة واسعة، فقد تلقى الناس علمه وفتاواه ورسائله بالقبول، وتتلمذ على يديه المئات من الطلاب، وقد بذل حياته للعلم، ونفع الله بعلمه الناس في مشارق الأرض ومغاربها.

وكان من ضمن ما يتناوله سماحته في دروسه ومحاضراته وكلماته عمومًا تفسير ما يمر به من الآيات الكريمات والسور، وقد بذلتُ جهدي في استقراء مؤلفات سماحته المطبوعة في هذا الجمع المبارك بإذن الله.

وقد تميز هذا التفسير بما عُرف من طريقة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ في التدريس من إيصال المعلومة بأسلوب سهل وعبارات دقيقة موجزة.

ولقد مَنَّ الله عليَّ بالعمل في منزله أمينًا لمكتبته ومرافقًا له في سفره وإقامته وذلك من تاريخ (١/ ٣/ ١٤٠٦هـ) إلى وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢٧/ ١/ ١٤٢٠هـ)، وفي خلال هذه الفترة قمت بتسجيل بعض دروسه في بيته

وبعض حلقات برنامجه المشهور «نور على الدرب»، وكذلك درسه في شرح كتاب «رياض الصالحين» في الجامع الكبير وفي مسجد اليحيَ بالرياض، وفي مسجده بالطائف، وفي مسجد التوعية بمكة المكرمة، وأخيرًا بمسجده في مكة المكرمة بجوار منزله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد طبع بحمد الله.

ولأهمية هذا الجمع لتفسيره وتعليقاته وما له من فوائد عظيمة، ولحاجة عامة المسلمين وطلبة العلم خاصة، رغبت في جمعه، وقد بذلت قدر المستطاع أن أجمع ما فسَّره سماحته في أثناء دروسه ومحاضراته وكلماته من الآيات، وكامل بعض السور كتعليقه على تفسير الحافظ ابن كثير والإمام البغوي رحمهم الله، وفي ثنايا شرحه لكتاب رياض الصالحين، وكتاب التفسير من صحيح البخاري وغيرها، واستغرق هذا الجمع تسعة سنوات بداية من تاريخ ١/٢/١٤٣٨هـ. وانتهاءً في ١٩/٩/١٤٤٦هـ جمعًا وتفريغًا وتخريجًا وصفًا حتى خرجت بتوفيق الله بهذه الحلة القشيبة نفع الله به من يشاء عباده.

وسمِّيت هذا الجمع: «**مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **لسور وآيات من القرآن الكريم**» وتعليقاته على بعض كتب التفسير.

وقد قمت بتخريج الأحاديث والآثار الواردة. في هذا الجمع مما يذكره الشيخ أثناء التفسير أو التعليق، وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، كذلك قمت بتوثيق بعض نقولات سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأرجو أن أكون قد وضعت بين يدي طلاب العلم بعضًا من علم شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليستفيدوا من منهجه وطريقته، وينهلوا من علمه ويتعلموا من مدرسته في التدريس والتعليم والتربية.

والإنسانُ مهما يبذل من جهد لإخراج أي عمل على الوجه المطلوب إلا أن الخطأ يكون واردًا، وقد بذلتُ وُسعي، وأملي أن أصل فيه إلى ما رجوت لخدمة علم عالمٍ جليل له فضل علينا جميعًا؛ فإن أصبت فمن الله وبتوفيقه، وإن أخطأتُ فمنْ نفسي والشيطان، وأستغفر الله من ذلك وأتوب إليه.

وعملي هذا جهد بشر والمرء يستحضر قول القائل: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يوم إلا قال في غده: لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر»(١).

فأرجو ممن يطلع على خلل أو نقص، أو له مقترح أو توجيه أو نصيحة أن لا يبخل عليَّ بها، ولا يتردد في مراسلتي على بريدي الشبكي أو عن طريق المراسلة على صندوق البريد، وسأتقبل ذلك بصدر رحب وأُذن صاغية وأكون شاكرًا له ومثنيًا عليه وداعيًا له سلفًا بالأجر والمثوبة.

وأسأل الله ﷻ أن يبارك في هذا العمل ويتقبله مني، وأن يجعله عملًا صالحًا، ولوجهه خالصًا، وأن ينفع به قارئيه، وينفع به الإسلام والمسلمين وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسنات شيخنا رَحِمَهُ اللهُ وفي ميزان حسنات من سجَّل هذا ومن راجعه وأخرجه ومن نشره آمين.

ويطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل والعرفان لسماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء؛ لإشرافه المباشر على إخراج علم سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.

وأشكر معالي الشيخ محمد بن حسن آل الشيخ عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء والذي تفضَّل بمراجعة هذه المادة

---

(١) من كلمات القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني وهو يعتذر إلى العماد الأصفهاني عن كلام استدركه عليه.
انظر: كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة (١/ ١٤)، وأبجد العلوم للعلامة صديق حسن خان (١/ ٧٠)، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي (١/ ٤).

رغم كثرة مشاغله وكتابة مقدمة لهذا الكتاب، فجزاه الله عني خيرًا وضاعف مثوبته. كما أشكر صاحب الفضيلة الدكتور علي بن عبد العزيز الشبل لمراجعته لهذا الجمع ابتداءً من ١ ـ ١٢ ـ ١٤٤٣هـ، وانتهاءً في صبيحة يوم الجمعة ١٩/ ٩/ ١٤٤٦هـ وتقريظه له.

وأتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية ممثلة في أمينها العام ومديرها العام فضيلة الشيخ الدكتور أحمد بن عبد العزيز بن باز على إتاحته لي لإخراج هذا الجمع النفيس، فله مني الدعاء ومن الله الأجر والمثوبة.

كما أشكر العاملين بالمؤسسة لتعاونهم معي وتزويدهم لي بالصوتيات وغيرها، والشكر موصول لكافة العاملين في مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، وأشكر الأخ الكريم الشيخ محمد بن أبكر القرعاني، الذي تكرم عليَّ جزاه الله خيرًا بتزويدي بتعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على كتاب التفسير من صحيح البخاري.

ولمؤسسة السنابل للصف الإلكتروني كل الشكر والتقدير لصفهم هذا الجمع والكتب الأخرى، وأخص بالشكر الأخ العزيز غسان أحمد البابا الذي تولى صف وإخراج هذا الجمع، فله مني خالص الشكر والتقدير.

وفي البدء والختام؛ الشكر كله لله، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

✍ **صلاح الدين عثمان أحمد**
ص.ب ٣٨٠٢٤٥
الرياض ١١٣٤٥
salah50511@gmail.com
٠٥٠٥٢٢٦٧٠٧

نبذة عن حياة سماحة الشيخ(١)

تفضَّل الشيخ فعرَّف بنفسه قائلًا:

أنا عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله آل باز.

وُلِدت بمدينة الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ. وكنت بصيرًا في أول الدراسة، ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ. فضعف بصري بسبب ذلك.. ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ والحمد لله على ذلك، وأسأل الله ﷻ أن يعوّضني عنه بالبصيرة في الدنيا والجزاء الحسن في الآخرة، كما وعد بذلك سبحانه على لسان نبيِّه محمد ﷺ، كما أسأله سبحانه أن يجعل العاقبة حميدة في الدنيا والآخرة.

وقد بدأت الدراسة منذ الصغر وحفظت القرآن الكريم قبل البلوغ، ثم بدأت في تلقي العلوم الشرعية والعربية على أيدي كثير من علماء الرياض، **من أعلامهم:**

١ ـ الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله.

---

(١) تفضل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإملاء نبذة عن حياته وقُرئت عليه بعد كتابتها فأقرها. انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع وإعداد: معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر حفظه الله (١/ ٩ ـ ١٢).

٢ ـ الشيخ صالح بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (قاضي الرياض) رحمهم الله.

٣ ـ الشيخ سعد بن حمد بن عتيق (قاضي الرياض) رحمه الله.

٤ ـ الشيخ حمد بن فارس (وكيل بيت المال بالرياض) رحمه الله.

٥ ـ الشيخ سعد وقاص البخاري (من علماء مكة المكرمة) رحمه الله، أخذت عنه علم التجويد في عام ١٣٥٥هـ في مكة المكرمة.

٦ ـ سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ. وقد لازمت حلقاته نحوًا من عشر سنوات، وتلقيت عنه جميع العلوم الشرعية ابتداء من سنة ١٣٤٧هـ إلى سنة ١٣٥٧هـ حيث رُشِّحت للقضاء من قبل سماحته.

جزى الله الجميع أفضل الجزاء وأحسنه، وتغمدهم جميعًا برحمته ورضوانه.

وقد توليت عدة أعمال هي:

١ ـ القضاء في منطقة الخرج مدة طويلة استمرت أربعة عشر عامًا وأشهرًا، وامتدت بين سنتي ١٣٥٧هـ إلى عام ١٣٧١هـ، وقد كان التعيين في جمادى الآخرة من عام ١٣٥٧هـ وبقيت إلى نهاية عام ١٣٧١هـ.

٢ ـ التدريس في المعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ، وكلية الشريعة بالرياض بعد إنشائها سنة ١٣٧٣هـ، في علوم الفقه والتوحيد والحديث، واستمر عملي على ذلك تسع سنوات انتهت في عام ١٣٨٠هـ.

٣ ـ عيِّنت في عام ١٣٨١هـ نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبقيت في هذا المنصب إلى عام ١٣٩٠هـ.

٤ ـ توليت رئاسة الجامعة الإسلامية في سنة ١٣٩٠هـ، بعد وفاة رئيسها شيخنا الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رمضان عام ١٣٨٩هـ، وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٣٩٥هـ.

٥ ـ وفي ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وبقيت في هذا المنصب إلى سنة ١٤١٤هـ.

٦ ـ وفي ٢٠/ ١/ ١٤١٤هـ صدر الأمر الملكي بتعييني في منصب المفتي العام للمملكة، ورئيس هيئة كبار العلماء، ورئيس إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ولا أزال إلى هذا الوقت في العمل أسأل الله العون والتوفيق والسداد.

ولي إلى جانب هذا العمل في الوقت الحاضر عضوية في كثير من المجالس العلمية والإسلامية، **من ذلك**:

١ ـ رئاسة هيئة كبار العلماء بالمملكة.

٢ ـ رئاسة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في الهيئة المذكورة.

٣ ـ عضوية ورئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

٤ ـ رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد.

٥ ـ رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة التابع لرابطة العالم الإسلامي.

٦ ـ عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

٧ ـ عضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية في المملكة.

أما مؤلَّفاتي؛ فمنها:

١ ـ «الفوائد الجلية في المباحث الفرضية».

٢ ـ التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة «توضيح المناسك».

٣ ـ «التحذير من البدع»، ويشتمل على أربع مقالات مفيدة «حكم

الاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وتكذيب الرؤيا المزعومة من خادم الحجرة النبوية المسمى الشيخ أحمد».

٤ ـ رسالتان موجزتان في «الزكاة والصيام».

٥ ـ «العقيدة الصحيحة» وما يضادها.

٦ ـ «وجوب العمل بسُنَّة الرسول ﷺ وكفر من أنكرها».

٧ ـ «الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة».

٨ ـ «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه».

٩ ـ «حكم السفور والحجاب ونكاح الشغار».

١٠ ـ «نقد القومية العربية».

١١ ـ «الجواب المفيد في حكم التصوير».

١٢ ـ الشيخ محمد بن عبد الوهاب «دعوته وسيرته».

١٣ ـ ثلاث رسائل في الصلاة:

١ ـ «كيفية صلاة النبي ﷺ».

٢ ـ «وجوب أداء الصلاة في جماعة».

٣ ـ «أين يضع المصلي يديه حين الرفع من الركوع؟».

١٤ ـ «حكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله ﷺ».

١٥ ـ «حاشية مفيدة على فتح الباري وصلت فيها إلى كتاب الحج».

١٦ ـ «رسالة الأدلة النقلية والحسية على جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلى الكواكب».

١٧ ـ «إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صَدَّق الكهنة والعرافين».

١٨ ـ «الجهاد في سبيل الله».

١٩ ـ «الدروس المهمة لعامة الأمة».

٢٠ ـ «فتاوى تتعلق بأحكام الحج والعمرة والزيارة».

٢١ ـ «وجوب لزوم السُّنَّة والحذر من البدعة».

هذه مؤلفاته التي ذكرها بنفسه وله مؤلفات أخرى.

وكان لسماحة الشيخ العديد من المخطوطات، **حُقِّق منها**:

١ ـ «التحفة الكريمة في بيان كثير من الأحاديث الموضوعة والسقيمة».

٢ ـ «تحفة أهل العلم والإيمان في الأحاديث الصِّحاح والحسان».

٣ ـ «تحفة الإخوان بتراجم بعض الأعيان».

٤ ـ «الفوائد المتنوعة في العقائد، والتفسير، والحديث، والتاريخ» وغير ذلك، قام بتحقيقها صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم.

٥ ـ «النكت على تقريب التهذيب» بتحقيق: الدكتور عبد الله بن فوزان الفوزان.

٦ ـ تعليقات سماحته كلها مجموعة من الكتب في فنون مختلفة اعتنى بها فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم القاسم في ثلاث مجلدات طبعة دار الدرر ١٤٣٥هـ. وله مؤلفات أخرى صدرت له بعد هذه الترجمة أحصى منها (٢٧) كتابًا فضيلة الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم في مقدمة تحقيقه لكتاب «التحفة الكريمة»[١]، كما أصدرت المؤسسة بعض تعليقات وشروحات سماحته كـ«العقيدة الواسطية[٢] والحموية» لشيخ

(١) ينظر: التحفة الكريمة (٢٠ ـ ٢٤) طبعة دار أصالة الحاضر ط١ ـ ١٤٣٠هـ.

(٢) ينظر: مقدمة شرح سماحة الشيخ رحمه الله لكتاب العقيدة الواسطية (ص٦) طبعة المؤسسة، الطبعة الأولى عام ١٤٣٢هـ.

الإسلام ابن تيمية، وثلاثة الأصول، وكشف الشبهات، والقواعد الأربعة، وفضل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرها من المؤلفات».

وحديث المساء وحديث الصباح، ودروس وفتاوى في المسجد الحرام، وكتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وشرح رياض الصالحين، وشرح كتاب التوحيد، وأحكام المولود، وفضائل القرآن الكريم.

أوصافه الخَلْقية:

إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يمتاز باعتدال في بنيته، مع المهابة، وهو ليس بالطويل البائن، ولا القصير جدًّا، بل هو عوان بين ذلك، مستدير الوجه، حنطي اللون، أقنى الأنف، ومن دون ذلك فم متوسط الحجم، ولحية قليلة على العارضين، كثة تحت الذقن، كانت سوداء يغلبها بعض البياض فلما كثر بياضها صبغها بالحناء، وهو ذو بسمة رائعة تراها على أسارير وجهه إن ابتسم؛ وهو عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ويمتاز بالتوسط في جسمه فهو ليس بضخم الكفين ولا القدمين؛ وأوصافه فيها شبه من أوصاف العلماء السابقين رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

صفاته الخُلُقية:

إنه لمن المعلوم المتواتر عند جميع الناس أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ممَّن تميز بالخلال الحميدة والخصال الرشيدة وجميل الأخلاق وطيب الفعال، وعظيم التواضع، وهو ممن يقتدى به في الأدب والعلم والأخلاق، بل هو أسوة حسنة في تصرفاته وسمته وهديه المبني على كتاب الله العظيم، وسُنَّة رسوله الكريم ﷺ، وخاصة في زهده وعبادته وأمانته وصدقه، وكثرة التجائه وتضرعه إلى الله، وعظيم

خشيته لله، وذكاء فؤاده وسخاء يده، وطيب معشره، مع اتباعٍ للسُّنَّة الغرَّاء، وكثرة عبادة ـ زاده الله رحمةً وغفرانًا ـ.

وقصارى القول أن للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ صفات حسنة، وخصال جميلة، وشيم كريمة، ومناقب فذّة عظيمة، جدير بمن تتلمذ على يده أو جالسه وعاشره أن يحذوَ حذوه.

زوجات سماحة الشيخ:

تزوَّج سماحة الشيخ أربع زوجات:

قال سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أول زوجة كانت في حياة الوالدة رحمها الله، وقد اخترتُها بواسطتها والعارفين بها، وذلك في عام ١٣٥٤هـ وكان عمري ٢٤ سنة، وهي ابنة عبد الله بن سليمان بن سحمان رَحِمَهُ اللَّهُ، وبقيت حتى عام ١٣٥٧هـ بعد وفاة الوالدة بسنة طلَّقتها» ولم تلد له.

ثم تزوَّج هيا بنت عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عتيق ـ من آل عتيق؛ من أهل الدِّلَم وكان قد خطبها قبل قدومه الدلم سنة ١٣٥٧هـ، ودخل بها هناك، وولدت منه: عبد الله، وعبد الرحمٰن، وسارة، والجوهرة، ومضاوي.

وتوفيت أم عبد الله في الثاني من رمضان سنة ١٤٢٥هـ رحمها الله تعالى.

ثم تزوَّج ابنة عمِّه طرفة بنت محمد بن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن باز ـ المشهور بالصويتي ـ ومكثت عنده ستة أشهر، ثم طلَّقها ولم تلد له.

ثم تزوج منيرة بنت عبد الرحمٰن بن حمد الخضير، وولدت منه: أحمد، وخالد، وهيا، وهند، ونوف. وكان الزواج في بريدة، أوائل سنة ١٣٨٦هـ لما كان سماحته نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية في المدينة،

ولا تزال على قيد الحياة حتى الآن، حفِظها الله تعالى[١].

عَقِبه:

للشيخ رحمه الله أربعة أبناء من الذكور وستة من الإناث، مجموعهم عشرة أسبغ الله عليهم النعم ومَنَعَهم من شرور النقم، وأكبرهم: عبد الله وبه كان يكنى، ثم يليه في الترتيب عبد الرحمٰن، وثالثهم: أحمد وهو من طلبة العلم وقد تخرج من كلية الشريعة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وعمل معيدًا بها ونال درجة الماجستير في الفقه من الجامعة، وكان مرافقًا لوالده رحمه الله في السفر والحضر، وكان يقرأ عليه في الجامع الكبير كتاب «عمدة الأحكام» بعد العصر، وكتاب «الدرر السَّنيَّة في الأجوبة النجدية» للشيخ العلَّامة عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم رحمه الله، وكان هذا في صباح يوم الخميس، وانتهى من الجزء الأول وشرع في الثاني ولم يُكمل، ورابعهم: خالد، وهذا أصغرهم تخرَّج من جامعة الملك سعود، حفظهم الله جميعًا ووفَّقهم للبر بوالدهم.

وفاته:

وكان وفاة سماحة الشيخ رحمه الله قُبيل فجر يوم الخميس السابع والعشرين من محرَّم عام عشرين وأربع مئة وألف من الهجرة في منزله بمدينة الطائف، ثم نُقل جثمانه إلى مستشفى الملك فيصل بالطائف، ومنه نقل إلى ثلاجة المستشفى العسكري بالهدا؛ بأمر من صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رحمه الله.

وفي صباح يوم الجمعة تم نقل جثمانه إلى منزله في مكة المكرمة لتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه في المسجد الحرام. وبعد تجهيزه تقدّم

---

(١) ترجمة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن قاسم حفظه الله (ص٢٣) طبعة دار أصالة التراث الحاضر بالرياض عام (١٤٣٠هـ).

سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، أَمَدَّ الله في عمره، وصلَّى بأفراد أسرة الشيخ قبل نقله للمسجد الحرام.

وتقدم المصلِّين خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، طيّب الله ثراه، ورحمه الله رحمة واسعة، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، أمدَّ الله في عمره ووفقه وأعانه، وأصحاب السمو الأمراء والمعالي الوزراء، وجموع المسلمين الذين توافدوا إلى مكة المكرمة من جميع أنحاء المملكة، بل ومن خارجها.

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ختم حياته وعمله بالتسبيح والذكر وقيام الليل، والنوم على طهارة، وصلة الرحم، والوصية بالكتاب والسُّنَّة، وتقوى الله، وفتيا الناس، فسبحان من جمع له كلَّ ذلك في الساعات الأخيرة من عمره، كما أنه حديث عهد بعُمرة، ثم كان ما كان من جنازته العظيمة.

وتولى تغسيله وتجهيزه صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن حمود أمد الله في عمره على طاعته، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمٰن الغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وصاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقام فضيلة الشيخ الوهيبي بربط جثة الشيخ بالنعش حتى لا تسقط عند حملها مع تدافع الناس.

وتولى تجهيز القبر الأخ المكرم الشيخ محمد صادق السيلاني.

وتولى دفن الشيخ وإنزاله في قبره الشيخ خالد الشريمي والشيخ عبد العزيز الشعلان وشخص آخر لا أعرفه، وذكر لي الشيخ خالد الشريمي أنه عند فك الأربطة من النعش وإذا بصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، يأخذ برأس سماحة الشيخ ويقبله وهو يبكي، مع العلم بأن سموه كان آخر من زار سماحة الشيخ بالمستشفى العسكري بالطائف.

❑ ❑ ❑

مقدِّمة التفسير(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشّيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقن، عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل ابن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشّافعيّ، رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الحمد للّه الّذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكَهْفِ: ١ ـ ٥].

وافتتح خلقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١]، واختتمه بالحمد فقال بعدما ذكر مآل أهل الجنّة وأهل

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير، فجر الأربعاء (٤/١/١٤٠٦هـ) بقراءة فضيلة الشيخ عبد العزيز بن شبيب حفظه الله.

النـار: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: ١]، فله الحمد في الأولى والآخرة؛ أي: في جميع ما خلق وما هو خالقٌ، هو المحمود في ذلك كلّه كما يقول المصلّي: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحمد، ملء السمٰوات وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»[(١)]، ولهذا يلهم أهل الجنّة تسبيحه وتحميده كما يلهمون النّفس؛ أي: يسبّحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أن هذا يكون لذة ونعيم مثل ما أن الإنسان يتلذذ بالتنفس ويرتاح له، فهكذا أهل الجنة من نعيمهم أنهم يحمدون الله ويثنون عليه سبحانه ويسبحونه ويمجدونه، فقد أعطاهم النعمة التي لا حد لها، نِعَم لا تنتهي ودار لا تبيد ولا تهلك ولا تزول، ولهذا يلهمون التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير كما يلهمون النفس، ويتلذذون بذلك ويرتاحون لذلك لما فيه من ثناء على المنعم والمتفضل بنِعَمٍ لا تحصى ولا تنتهي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحمدونه عدد أنفاسهم؛ لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه وتوالي مننه ودوام إحسانه إليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٧١)، وقد ورد هذا الحديث عن ثمانية من الصحابة رضوان الله عليهم.

ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩ ـ ١٠].

والحمد للّه الّذي أرسل ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ﴾ [النساء: ١٦٥]، وختمهم بالنّبيّ الأمّيّ العربيّ المكّيّ الهادي لأوضح السّبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجنّ من لدن بعثته إلى قيام السّاعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنه رسول الأمة إلى يوم القيامة، فليس بعده نبي فهو خاتم الأنبياء، وخاتم الرسل بإجماع أهل العلم قاطبة، ولهذا أجمع الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم من أهل العلم على أن كل من ادعى النبوة أو الرسالة بعده فهو كافر حلال الدم والمال، لا نزاع في ذلك... فهو رسول الله إلى الأمة من حين بعث إلى أن تقوم الساعة مهما كانت حضارتها، ومهما كان ملكها، ومهما كانت كثرتها، عليها اتباع هذا النبي الكريم في أي مكان كانت في المشرق أو المغرب أو الجنوب أو الشمال أو بين السماء والأرض أو في أي مكان، على الجن والإنس جميعًا أن ينقادوا لهذا الشرع الذي جاء به وأن يصدقوه عليه الصلاة والسلام، وأن يعبدوا الله وحده بما جاء به من الشرع ليس لهم العدول عن ذلك أينما كانوا وعلى أي صفة كانوا ما دامت عقولهم موجودة ما داموا مكلفين، وإن كانوا في غاية من الثروة أو في غاية من الحضارة، وإن وصلوا إلى أي اختراع من الاختراعات وإن طاروا في السماء وإن غاصوا في البحار يجب عليهم أن يكونوا عبيدًا لله متبعين لشريعته ليس لهم الخروج عن ذلك ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[الأعراف: ١٥٨]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وهو رسول الله الأخير لا رسول غيره من حين بعث إلى أن تنتهي هذه الدنيا عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فمن بلغه هذا القرآن من عربٍ وعجم وأسود وأحْمر وإنْسٍ وجانٍّ فهو نذيرٌ له، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هودٍ: ١٧]؛ فمن كفر بالقرآن ممّن ذكرنا فالنّار موعده بنص الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وقال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ**»(١).

قال مجاهدٌ: يعني: الإنس والجنّ. فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثّقلين الإنس والجن مبلّغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الّذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصّلت: ٤٢].

مداخلة: ما المقصود بالأحمر والأسود على قول مجاهد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: الأصناف في الخلق، كأن مجاهدًا يشير إلى أن السواد قد يغلب على الجن، لأن خلقتهم غير خلقة الإنس هم أقبح، كما قال في الوصف: كأنها ﴿رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ كأنه يشير لهذا.

---

(١) متفق عليه من حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب وقول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾ [المائدة: ٦] برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١) واللفظ له.

ولكن كلام الله أبلغ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فهو مبعوث إليهم جميعًا سواء كانوا حُمرًا أو سودًا أو بيضًا؛ فالمقصود والله أعلم، من كلام مجاهد، يعني أن الجنس الأسود، حتى في بني آدم السود كثير في إفريقيا وفي جهات أخرى، هو مبعوث إلى جميع ألوان الناس أسود أو أحمر، جميل أو دميم، إنس أو جن، أي لون كان فكلام الله أعم من كلام مجاهد، والمقصود: جنس الأسود، وجنس الأحمر، جن وإنس، ونحن ما عندنا بصيرة بألوان الجن، فهو رسول الله أُرسل إليهم جميعًا سواء كان سودًا أو بيضًا، أو ملوَّنين على أي حالة كانوا، كما أنه رسول الله إلى الإنس على أي شكل كانوا من جمالة أو دمامة أو سواد وبياض وحمرة وغير ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنّه ندبهم إلى فهمه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمّد: ٢٤].

فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانّه وتعلّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٧]؛ فذمّ الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المُنزل عليهم وإقبالهم على الدّنيا وجمعها واشتغالهم بغير ما أُمروا به من اتّباع كتاب الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا حول ولا قوة إلا بالله، أقول: وما أشبه الليلة بالبارحة! وما أكثر إعراض الأمة عن هذا الكتاب العظيم، وما أخطره، وقد أعرض الناس ـ إلا من شاء ربك ـ عن كتاب الله وتعلُّمه وتعليمه والحكم به والتحاكم إليه وتنفيذ أوامره وترك نواهيه، حتى ولو وُجِد حَفَظة، ولو وُجِد جمع من الناس حافظين لكتاب الله، لكن المهم أن يُعمل به وأن يدعو إليه وأن يُنكَر على من خالفه وأن يُحكَّم في الناس، ولو حفظ الناس كلهم كتاب الله ولم يعملوا به لم ينفعهم ذلك، فالمقصود من الحفظ، والمقصود من القراءة، والمقصود من التفسير، والمقصود من العلم كله: العمل.

فاليهود والشيطان إبليس من أعلم الناس ومع ذلك هم من أكفر الناس، وأبعد الناس عن الهدى؛ وهكذا علماء السوء من هذه الأمة عندهم علوم ولكنهم ضيَّعوها بعدم العمل، والإلحاد والفساد، وإيثار الدنيا على الآخرة، فلا ينفع علم بلا عمل، ولا حِفظ بلا عمل، لا بدّ من علم يتبعه العمل وحفظ يتبعه العمل.

فواجب الأمة علماء ومتعلِّمين وعامة أن يعملوا ويتفقهوا ويتعلموا وأن ينفِّذوا أوامر الله ويقفوا عند حدود الله ويبتعدوا عن محارم الله، وأن ينشروا كتاب الله وسُنَّة رسوله وأن يلزموا بالناس بالعمل، على الولاة أن يُلزموا، وعلى العامة أن يلتزموا، هذا هو الطريق وهذا هو الذي سلكه خير الخلق محمد ﷺ، ثم أصحابه خير الخلق بعده.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فعلينا أيّها المسلمون أن ننتهي عمّا ذمّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلّم كتاب الله المنزّل إلينا وتعليمه، وتفهُّمه، وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ

مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٦، ١٧]؛ ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد الّتي قبلها تنبيهٌ على أنّه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذّنوب والمعاصي. والله المؤمّل المسؤول أن يفعل بنا هذا إنّه جوادٌ كريمٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: لا تيأسوا؛ فكما أن الأرض تكون ميتة خامدة هامدة لا شيء فيها من النبات ثم ينزل الله المطر فتحيا وتظهر فيها ألوان النبات والخيرات، فهكذا الإنسان قد يقسو قلبه بسبب الأخلاط أو بسبب الاشتغال بالعاجلة أو بأسباب أخرى، ثم يتدبر كتاب الله ثم يقبل على كتاب الله، ثم يعتني بالشرع المطهر فيحيا قلبه وينتبه لغفلته ويزول الران الذي على قلبه، ويمن الله عليه بالتوبة وتعود إليه الحياة من جديد ويعود إليه النشاط من جديد، وتعظيم أوامر الله وخشيته، يعود إليه ذلك من جديد لمّا منَّ الله عليه بالتوبة والعناية بعبادة الله والإقبال عليه فتزول القسوة ويحل محلها اللين ويزول السواد والران ويحل بعده البياض والخشوع والطمأنينة، وتزول الغفلة ويحل معها الانكفاف واليقظة والذكر، ويزول الكسل ويحل محله النشاط والعمل هكذا فلا ييأس الإنسان؛ بل متى أحس بالقسوة بسبب المعاصي فليبادر بالتوبة وليبادر بالرجوع إلى الله والانطراح بين يديه والانكسار له والذل وسؤاله التوفيق والهداية، وأن يقبل على القرآن تدبرًا وتعقلًا وعملًا؛ فبهذا تزول القسوة وتزول الظلمة وتزول الغفلة ويزول السواد، ويحل محل ذلك اليقظة والانتباه والخشوع واللين والمبادرة إلى أمر الله تبارك وتعالى، كما تزول عن الأرض ما فيها من موت وهمود وتكسر الأشجار وضياع الأوراق إلى غير ذلك، فتنبت من جديد فيها الأشجار وينبت فيها العشب ويحصل فيها الخير الكثير بعدما أنزل الله المطر الذي هو سبب الحياة.

• **س: أحسن الله إليك حديث: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ، كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، اسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ إِيمَانَكُمْ» صحيح؟**(١)

• **الجواب**: لا أتذكر... أقول: ما أتذكر صحته؛ لكن معناه موجود في حديث علي الذي روي مرفوعًا عنه وموقوفًا، في الفتن، ما المخرج منها؟ قال: «كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُم...»، وفيه: «لَا يَخْلُقُ مِن كَثْرَةِ الرَّدِّ» يعني: القرآن، والإيمان كذلك، ومن هذا قول معاذ لأصحابه: «اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً» وهذا له شواهد.

والمقصود: أنَّ الإنسان يغفل ويضعف، ويضعف إيمانه، ويقسو قلبه، ويكون مثل الثوب الخلق الذي لا يفيد شيئًا، ثمَّ بعد الانتباه واليقظة، والمراجعة والتوبة، والإقبال على كتاب الله، يستيقظ هذا الإيمان، وينشط هذا الإيمان لما يقع في القلب من ذكر الله وتعظيمه، وتذكر عظمته وحقه على عباده، فينشط هذا الإيمان الذي قد ضعف في القلب، واخلولق في القلب.

• **س: هل الآية تحتمل المعنيين، «أنَّ الله يحيي الموتى» و«أنَّهُ يحيي الأرض بعد موتها»؟**

• **الجواب**: كذلك فيه كلا الأمرين، يضرب اللهُ الأمثال لهذا ﷻ وهذا، فكما تموت القلوب، ثمَّ تحيى، كما تموت الأرض، ثمَّ تحيى، هكذا القلوب تموت وتحيى، وهكذا النَّاس يبعثون من قبورهم، كما يبعث الله في الأرض الحياة بعد المطر.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، كما في مجمع الزوائد (١/ ٧٢، برقم ١٥٨)، وقال: إسناده حسن، وصححه الحاكم في المستدرك، في كتاب الإيمان، برقم (٥) ووافقه الذهبي في التلخيص (١/ ٤٥) ولفظه عندهما: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلِقُ، فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُم».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على قوله: «في أحسن الطرق» أي شيء أحسن! استفهام وسؤال؟ يعني: أن أحسن ما يفسر به كتاب الله، هو كتاب الله، الآيات تفسر بالآيات؛ لأنَّ القصة أو الحكم قد يذكر في بعض السُّور مختصرًا، ثم يذكر في مكان آخر مبسوطًا مطولًا، وعلى قارئ القرآن التدبر والتعقل حتى يستفيد من الآيات المبسوطة ما يزيل عنه الإشكال في الآيات المختصرة.

وهكذا فيما يتعلَّق بقصص الرُّسل والأنبياء، وأهل الجنَّة والنَّار، فإذا راجع طالب العلم مواضع تلك القصص، ومواضع تلك الأحكام المكررة اتضح له منها ما يفسِّر ما قد يُشكل عليه، فإذا بقي عليه شيء فعنده السنة، تفسِّر القرآن وتبيِّن معناه وما قد يخفى والحمد لله.

والذين قالوا بصحَّة الإسناد أجلُّ وأكبر من الذين قالوا: بضعف الإسناد، وهم رووا عن جماعة من أصحاب مُعاذ يعتمد عليهم؛ ولهذا وثق من وثقه من الأئمة كأبي العباس ابن تيمية، وابن كثير، وابن القيم، وهو كلام محكم، كلام عظيم، أحكم بالقرآن، ثم بالسنة، ثم أجتهد رأيي، فيما يتعلق بالنُّصوص والقواعد، هذا الاجتهاد، نعم على كل حال هذا فيما يتعلق فيما قاله الشيخ مُقبِل فيه نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإن قال قائلٌ: فما أحسن طرق التّفسير؟

فالجواب: إنّ أصحّ الطّرق في ذلك أن يفسَّر القرآنَ بالقرآن، فما أُجمِل في مكان فإنه قد بُسِط في موضعٍ آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسّنّة فإنّها شارحةٌ للقرآن وموضّحةٌ له.

بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمّد بن إدريس الشّافعيّ رحمه الله

تعالى: كلّ ما حكم به رسول الله ﷺ فهو ممّا فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النّساء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: ٤٤].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١)

يعني السّنّة. والسّنّة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن إلّا أنّها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدلّ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره من الأئمّة على ذلك بأدلّةٍ كثيرةٍ ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنّك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السّنّة كما قال رسول الله ﷺ لمعاذٍ حين بعثه إلى اليمن: «**كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ**». قال: أقضي بكتاب الله. قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللهِ**». قال: فبسُنّة رسول الله ﷺ. قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ وَلَا فِي كِتَابِ اللهِ**». قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله ﷺ صدره وقال: «**الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤)، والإمام أحمد (٤/ ١٣٠)، وأخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث معاذ رضي الله عنه في كتاب القضاء، باب اجتهاد الرأي في القضاء، برقم (٣٥٩٢)، والترمذي في كتاب الأحكام عن رسول ﷺ، باب ما جاء في القاضي كيف يقضي، برقم (١٣٢٧)، والإمام أحمد (٥/ ٢٣٠ و٢٣٦ و٢٤٢).

وهذا الحديث في المسانِد والسّنن بإسنادٍ جيّدٍ كما هو مقرّرٌ في موضعه(١).

وحينئذٍ إذا لم نجد التّفسير في القرآن ولا في السّنّة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصّحابة فإنّهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال الّتي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التّامّ والعلم الصّحيح والعمل الصّالح. لا سيّما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الرّاشدين، والأئمّة المهديّين، وعبد الله بن مسعودٍ ﷺ.

قال الإمام أبو جعفرٍ محمّد بن جريرٍ: حدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا جابر بن نوحٍ، حدّثنا الأعمش عن أبي الضّحى عن مسروقٍ قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعودٍ ـ: والّذي لا إلٰه غيره ما نزلت آيةٌ من كتاب الله إلّا وأنا أعلم فيمن نزلت، وأين نزلت. ولو أعلم مكان أحدٍ أعلم بكتاب الله منّي تناله المطايا لأتيته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الأعمش أيضًا عن أبي وائلٍ عن ابن مسعودٍ قال: كان الرّجل منّا إذا تعلّم عشر آياتٍ لم يجاوزهنّ حتّى يعرف معانيهنّ والعمل بهنّ. وقال أبو عبد الرّحمٰن السُّلميّ: حدّثنا الّذين كانوا يُقرئوننا أنّهم كانوا يستقرئون من النّبيّ ﷺ فكانوا إذا تعلّموا عشر آياتٍ لم يخلفوها حتّى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعًا.

---

(١) قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا الذي قاله المؤلف في أثر معاذ قال به ابن القيم في حكم التوفيق على... موضع النقاط كلام غير واضح، ولعله تمام كلام ابن القيم: «فسدَّده الله في إصابة الحق». ينظر: إعلام الموقعين في فصل حديث معاذ في القياس وقد حكم ابن القيم بصحة الخبر وشهرته، فوافقه سماحة الشيخ، ينظر: مجموع فتاوى ومقالات (٦/ ٢٥٢، ٢٤/ ٢٢٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «لم يخلفوها»، يعني: لم يتركوها، قوله: «حتى يعلموا بما فيها من العمل» يعني يأخذوا العلم والعمل جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومنهم: الحبر البحر عبد الله بن عبّاسٍ ابن عمّ رسول الله ﷺ وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(١).

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدثنا وكيعٌ، حدّثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم قال: قال عبد الله يعني: ابن مسعودٍ ـ: نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عبّاسٍ. ثمّ رواه عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبي الضّحى عن مسروقٍ، عن ابن مسعودٍ أنّه قال: نِعْمَ التّرجمان للقرآن ابن عبّاسٍ. ثمّ رواه عن بندارٍ، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به كذلك. فهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن مسعودٍ أنّه قال عن ابن عبّاسٍ هذه العبارة. وقد مات ابن مسعودٍ في سنة اثنتين وثلاثين على الصّحيح وعمّر بعده عبد الله بن عبّاسٍ ستًّا وثلاثين سنةً، فما ظنّك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعودٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مسلم بن صُبيح هو: أبو الضحى، وعندهم الربيع بن صَبيح بفتح الصاد غيرَ مسلمٍ هذا، ذاك بفتح الصاد وهذا بضم الصاد، مسلم بن صبيح أبو الضحى يروي عن مسروق وعن أصحاب ابن مسعود، ويروي عن ابن مسعود. ينظر: التقريب(٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم باب قول النبي ﷺ: اللهم علِّمه الكتاب برقم (٧٥)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل عبد الله بن عباس برقم (٢٤٧٧)، وأخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٦٦ و٣١٤ و٣٣٥).

(٢) ينظر: التقريب للحافظ ابن حجر (ص٥٣٠، ترجمة رقم ٦٦٣٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا عندكم؟ ـ يعني: حدثنا محمَّد بن بشار، وحدثنا وكيع..

القارئ: لا..؟

الشَّيخ: وماذا عندكم؟

القارئ: حدثنا محمَّد بن بشار، حدثنا وكيع.

الشيخ: مشتبه، يعني: وكيع شيخ المؤلف أيضًا، وشيخ محمَّد بن بشار، قد يكون روى عنه بواسطة محمَّد بن بشار، فابن جرير ما أدرك وكيع، أو تكون الواو خطأ، الواو بين محمَّد بن بشار، ووكيع خطأ؛ لأن ابن جرير لم يدرك زمن وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ، والواو تمحى.

وقال في قوله: «عن الأعمش، عن مسلم» كذا قال: قال عبد الله، يعني: ابن مسعود».

الشَّيخ: عن مسلم وفقط؟

القارئ: كذا قال:

الشَّيخ: يعني: مسند البقية...

الشَّيخ: ما علق عليه عندك؟

القارئ: إلَّا؟!...

الشَّيخ: اقرأ.

القارئ: قال مسلم بن صبيح عن أبي الضحى، رواه مسلم بن صبيح أبي الضحى، أبو الضحى كنية مسلم.

الشَّيخ: فقط.

القارئ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الأعمش عن أبي وائلٍ: استخلف عليٌّ عبد الله بن عبّاسٍ على الموسم فخطب النّاس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي روايةٍ:

سورة النّور ففسّرها تفسيرًا لو سمعته الرّوم والتّرك والدّيلم لأسلموا.

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرّحمٰن السّدّيّ الكبير في تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب الّتي أباحها رسول الله ﷺ، حيْث قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» رواه البخاريّ[١] عن عبد الله بن عمرٍو، لهذا كان عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدّث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكِنّ هذِهِ الأحادِيث الإسرائِيلِيّة تذكر لِلاستِشهادِ لا لِلاعتِضادِ فإنّها على **ثلاثةِ أقسامٍ**:

أحدها: ما علِمنا صِحّته مِمّا بِأيدِينا مِمّا يشهد له بِالصِّدقِ فذاك صحِيحٌ.

والثّانِي: ما علِمنا كذِبه بِما عِندنا مِمّا يخالِفه.

والثّالِث: ما هو مسكوتٌ عنه لا مِن هذا القبِيلِ، ولا مِن هذا القبِيلِ فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حِكايته لِما تقدّم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلافٌ بسبب ذلك. كما يذكرون في مثل أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم وعِدّتهم، وعصا موسى من أيِّ شجر كانت؟ وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرِب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلّم الله منها موسى إلى غير ذلك مما

---

(١) أخرجه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم (٣٤٦١).

أبهمه الله تعالى في القرآن، مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم. ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ إلى آخر الآية [الكهف: ٢٢].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعّف القولين الأولين وسكت عن الثالث، فدل على صحته إذ لو كان باطلًا لرده كما ردهما، ثم أرشد على أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢] فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم. فأما من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصواب في الذي تركه. أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضًا. فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمد الكذب، أو جاهلًا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالًا متعددة لفظًا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى، فقد ضيّع الزمان، وتكثّر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب.

قال سفيان بن عيينة، عن عبد الله بن أبي يزيد: كان ابن عباس إذا سئل عن الآية في القرآن قال به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فإن لم يكن اجتهد برأيه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كلام جيد صحيح قاله أهل العلم، فإن أخبار بني إسرائيل تنقسم إلى هذه **الأقسام الثلاثة**:

قسم يعلم من كتاب الله ومن سُنَّة رسول الله صحته فيقبل؛ لأنه دلَّ كتاب الله على صحته والسُّنَّة.

وقسم يعلم من السُّنَّة أو الكتاب أنه باطل فيحكم ببطلانه.

وقسم لا نجد في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله ما يدل على صحته أو بطلان، فهذا يبقى موقوفًا لا يصدق ولا يكذب، وعليهم جاء هذا الحديث: «**لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»(١) في هذا القسم؛ يعني: فإنه قد يكون حقًّا فتكذبونه وقد يكون باطلًا فتصدقونه، فهذا يتعلق بالقسم هذا.

وأما ما شهد له الكتاب أو السُّنَّة بالصدق أو بالكذب فهذا مفروغ منه.

وعلى هذا النمط أخبار الحسابين، وأخبار الفلكيين، وأخبار الفلاسفة، وأشباههم من الطوائف، هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء غائبة عن الناس يتكلمون عن الأفلاك ويتكلمون عما مضى في الزمن الماضي، وما أشبه ذلك هو من جنس بني إسرائيل، ما دل على صدقهم فيه أخذناه لأنه دل كتاب الله على صدقه، لا لأجل قولهم هم؛ بل لما قامت عليه الأدلة وما دلت الكتاب والسُّنَّة... لأنه دل الكتاب والسُّنَّة على بطلانه، وما لم يرد فيه شيء ولم نعلم فيه شيئًا يوقف حتى يوجد دليل على تكذيبه أو تصديقه.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٣ برقم ٢٦٤٢٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/ ١١١ برقم ١٠١٦١).

الطالب[١]:

تعليق الشيخ مقبل الوادعي على حديث معاذ، يقول: حديث معاذ رواه أبو داود من طريق الحارث بن عمرو بن المغيرة، قال البخاري في «التاريخ الكبير» عن أصحاب معاذ عن معاذ، روى عنه أبو عوف ولا يصح ولا يعرف إلا من هذا مرسلًا انتهى.

ورواه ابن ماجه وفي سنده محمد بن سعيد المصلوب.. وهو من رؤوس الكذابين، وقد اختلف الناس في هذا الحديث فمنهم من يقول: إن سنده جيد كالحافظ ابن كثير.. ابن تيمية ويؤيد ذلك ابن القيم في «إعلام الموقعين»[٢]، والشوكاني في «إرشاد الفحول»، ومنهم من حكم عليه بالوضع كالجوزقاني كما في «عون المعبود»، وابن حزم في «أحكام الأحكام» فالحق أنه لا يثبت سندًا ومتنًا؛ فإن متنه يفيد أننا لا نرجع إلى السُّنَّة إلَّا إذا لم نجد في كتاب الله، مع أن السُّنَّة قد تكون مقيدة لمطلق القرآن ومبينة لمجمله ومخصصة لعامِّه؛ فالواجب الرجوع في القضية إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسوله ﷺ جميعًا، ومن هذا تعلم الرد على من يقول: إن الأحكام التي حكم بها النبي ﷺ مأخوذة من القرآن؛ بل منها ما هو من القرآن ومنها ما هو من السنة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلام مقبل له بعض الوجاهة ولكن لا يلزم ما قاله مقبل؛ لأن الأخذ من القرآن إذا كان الحُكم واضحًا في القرآن ولا تعلق له بالسُّنَّة صار مأخوذًا من القرآن، وإذا احتيج إلى السُّنَّة أخذ من السُّنَّة فلا منافاة، فإذا قال أحكم بالقرآن فإذا لم أجد فبالسُّنَّة معناه إذا ما وجدت الحكم

(١) يقرأ الطالب تعليقًا على الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ من الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) انظر: إعلام الموقعين (٤/ ٤١٠).

واضحًا أو مبينًا فأخذتُ بيانه من السُّنَّة فلا يتنافى هذا مع هذا، والذين قالوا بصحة الإسناد أجل وأكبر من الذين قالوا بضعف الإسناد، فقد روي عن جماعة من أصحاب معاذ وثبتوا عليه، ولهذا وثقه من وثقه من الأئمة كأبي العباس ابن تيمية وابن كثير وابن القيم، وهو كلام محكم: كلام عظيم، أحكم بالقرآن ثم بالسُّنَّة ثم أجتهد رأيي، فيه ما يتعلق بالنصوص والقواعد محل الاجتهاد.

على كل حال الذي علق به مقبل فيه نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدثنا وكيعٌ، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم قال: قال عبد الله ـ يعني: ابن مسعودٍ ـ: «نعم ترجمان القرآن ابن عبّاسٍ». ثمّ رواه عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيحٍ أبي الضّحى، عن مسروقٍ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن مسلم بن صبيحٍ أبي الضّحى، عن مسروقٍ، عن ابن مسعودٍ أنّه قال: نعم التّرجمان للقرآن ابن عبّاسٍ. ثمّ رواه عن بندارٍ، عن جعفر بن عون، عن الأعمش به كذلك. فهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابن مسعودٍ أنّه قال عن ابن عبّاسٍ هذه العبارة. وقد مات ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سنة اثنتين وثلاثين على الصّحيح وعمّر بعده عبد الله بن عبّاسٍ ستًّا وثلاثين سنةً، فما ظنّك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعودٍ.

وقال الأعمش عن أبي وائلٍ: استخلف عليٌّ عبد الله بن عبّاسٍ على الموسم فخطب النّاس فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي روايةٍ: سورة النّور ففسّرها تفسيرًا لو سمعته الرّوم والتّرك والدّيلم لأسلموا.

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرّحمٰن السّدّيّ الكبير في

تفسيره عن هذين الرجلين ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب الّتي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» رواه البخاريّ عن عبد الله بن عمرٍو[1].

الأسئلة لسماحة الشيخ ابن باز:

● **س: المراد من قول النبي ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»؟**

ج: أي: أخبارهم، مثل أخبار عبد الله بن سلام وأخبار كعب الأحبار، وأخبار وهب بن منبه وأشباههم ممن ينقل عن بني إسرائيل؛ لأن فيها عبر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا الشجرة التي أكل منها آدم لا حاجة إلى معرفتها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ولكنّ نقل الخلاف عنهم في ذلك جائزٌ، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنّه تعالى حكى عنهم ثلاثة أقوالٍ ضعّف القولين الأوّلين وسكت عن الثّالث، فدلّ على صحّته إذ لو كان باطلًا لردّه كما ردّهما.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

رد الأولين بقوله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] فدل على أنهما باطلان، ثم ذكر ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وسكت ولم يقل رجمًا بالغيب. لكنه بيَّن أنهم سبعة وثامنهم ليس أمرًا مجزومًا به؛ لأنه أتبعه بقوله: ﴿رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢] فهذا يبيِّن أن سبعة وثامنهم كلبهم فيه شيء من الشك، لكن المؤلف لما قال الله: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] وسكت عن الثالث أن هذا هو المقصود وهو محل نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثمّ أرشد على أن الاطلاع على عدّتهم لا طائل تحته فقال في مثل هذا ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢] فإنّه ما يعلم ذلك إلّا قليلٌ من النّاس ممّن أطلعه الله عليْه فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢]؛ أي: لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ولا تسألهم عن ذلك فإنّهم لا يعلمون من ذلك إلّا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام وأن تنبّه على الصّحيح منها وتبطل الباطل وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلّا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهمّ فالأهمّ.

فأمّا من حكى خلافًا في مسألةٍ ولم يستوعب أقوال النّاس فيها فهو ناقصٌ إذ قد يكون الصّواب في الّذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبّه على الصّحيح من الأقوال فهو ناقصٌ أيضًا، فإن صحّح غير الصّحيح عامدًا فقد تعمّد الكذب، أو جاهلًا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته أو حكى أقوالًا متعدّدةً لفظًا ويرجع حاصلها إلى قولٍ أو قولين معنًى فقد ضيّع الزّمان وتكثّر بما ليس بصحيحٍ فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب.

[فصل]

إذا لم تجد التّفسير في القرآن ولا في السّنّة ولا وجدته عن الصّحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمّة في ذلك إلى أقوال التّابعين كمجاهد بن جبرٍ؛ فإنّه كان آيةً في التّفسير، كما قال محمّد بن إسحاق: حدّثنا أبان بن صالحٍ عن مجاهدٍ قال: عرضت المصحف على ابن عبّاسٍ ثلاث عرضاتٍ من فاتحته إلى خاتمته أوقفه عند كلّ آيةٍ منه وأسأله عنها[١].

وقال ابن جريرٍ: أنبأنا أبو كريبٍ، أنبأنا طلق بن غنّامٍ، عن عثمان المكّيّ، عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عبّاسٍ عن تفسير القرآن ومعه ألواحه قال: فيقول له ابن عبّاسٍ: اكتب، حتّى سأله عن التّفسير كلّه. ولهذا كان سفيان الثّوريّ يقول: إذا جاءك التّفسير عن مجاهدٍ فحسبك به[٢]، وكسعيد بن جبيرٍ وعكرمة مولى ابن عبّاسٍ وعطاء بن أبي رباحٍ والحسن البصريّ ومسروق بن الأجدع وسعيد بن المسيّب وأبي العالية والرّبيع بن أنسٍ وقتادة والضّحّاك بن مزاحمٍ وغيرهم من التّابعين وتابعيهم ومن بعدهم فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عبارتهم تباينٌ في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك فإنّ منهم من يعبّر عن الشّيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينصّ على الشّيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن فليتفطّن اللّبيب لذلك والله الهادي.

وقال شعبة بن الحجّاج وغيره: أقوال التّابعين في الفروع ليست حجّةً فكيف تكون حجّةً في التّفسير؟ يعني: أنّها لا تكون حجّةً على غيرهم ممّن خالفهم وهذا صحيحٌ. أمّا إذا أجمعوا على الشّيء فلا يرتاب

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٩٠، ٩١).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٩٠، ٩١).

في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعضٍ ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السّنّة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصّحابة في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعنى: أنه إذا اجتمع أئمة السلف على شيء فإن ذلك دلالة على أنه حجة؛ لأنهم أعلم الناس بتفسير كتاب الله وأصدقهم وأوثقهم فإن تنازعوا رجع في الترجيح إلى شيء آخر، إذا تنازع المفسرون من التابعين أو من الصحابة روجع إلى الأدلة الأخرى للترجيح إما الكتاب العزيز أو السُّنَّة المطهرة أو لغة العرب في ذلك؛ حتى يجد طالب العلم ما يرجّح به أحد القولين أو لأحد الأقوال على الآخر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأمّا تفسير القرآن بمجرّد الرّأي فحرامٌ؛ لما رواه محمّد بن جريرٍ رحمه الله تعالى حيث قال: حدثنا محمد بن بشار، ثنا يحيى بن سعيد، ثنا سفيان، حدثني عبد الأعلى ـ وهو: ابن عامرٍ الثّعلبيّ ـ عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[1].

وهكذا أخرجه التّرمذيّ والنّسائيّ من طرقٍ عن سفيان الثّوريّ، به. ورواه أبو داود عن مسدّدٍ، عن أبي عوانة، عن عبد الأعلى به مرفوعًا[2]. وقال التّرمذيّ: هذا حديثٌ حسنٌ.

وهكذا رواه ابن جريرٍ أيضًا عن يحيى بن طلحة اليربوعيّ، عن شريكٍ، عن عبد الأعلى به مرفوعًا، ولكن رواه عن محمّد بن حميدٍ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩)، انظر: تفسير ابن جرير (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب الذي تفسير القرآن برأيه برقم (٢٩٥١)، والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٣١، برقم ٨٠٨٥).

عن الحكم بن بشيرٍ، عن عمرو بن قيسٍ الملائيّ، عن عبد الأعلى، عن سعيدٍ عن ابن عبّاسٍ فوقفه.

وعن محمّد بن حميدٍ، عن جريرٍ، عن ليثٍ، عن بكرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ من قوله فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمراد بالرأي الذي يذم هو الرأي الذي لا أساس له لا من كلام الله ولا من كلام رسوله ولا من كلام العرب؛ بل مجرد رأي له فقط هذا هو الذي ينكر، وإن كان الحديث مرفوعًا أو موقوفًا والموقوف يشهد له المرفوع.

أما إذا كان يتكلم عن لغة العرب ويستنبط من لغة العرب وكلام العرب فهذا ليس من الرأي. ليس من رأيه.

فالرأي رأيان: رأي يؤخذ من الأدلة الشرعية من كلام العرب المعروف، فهذا لا ذم فيه، وهكذا كان السلف يفسِّرون القرآن بما تقتضيه اللغة العربية عند عدم وجود النص.

المعنى الثاني: الرأي المجرد الذي ليس له مستند وليس له أساس فهذا هو المذموم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: أنبأنا العبّاس بن عبد العظيم العنبري، ثنا حبان بن هلال، ثنا سهل أخو حزم، ثنا أبو عمران الجونيّ، عن جندبٍ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ** ﷻ **بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث جندب رضي الله عنه، في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بلا علم، برقم (٣٦٥٢)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، برقم (٢٩٥٢)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣١، برقم ٨٠٨٦).

وقد روى هذا الحديث أبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ من حديث سهيل بن أبي حزمٍ القطعيّ.

وقال التّرمذيّ: غريبٌ، وقد تكلّم بعض أهل العلم في سهيلٍ(١).

وفي لفظٍ لهم: «**مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»؛

---

(١) قال فيه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢/ ١٠٧) ليس بالقوي، ونقل ابن أبي حاتم عن أبيه أنه قال فيه: ليس بالقوي يُكتب حديثه ولا يحتج به وحزم أخوه أتقى منه. ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٢٤٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ؛ والأول سهل عندكم مكبر الأول؟ قال القارئ: الأول والثاني سهيل.

قال سماحة الشيخ: سهل بن حزم؟

القارئ: سهل أخو حزم؟

الشيخ: والثاني.

القارئ: سُهيل بن أبي حزم القطيعي.

الشيخ: أي أبي حزم؟ وذالك سهل أخو حزم.

أجاب القارئ: نعم.

ترجمة سُهيل: هو سُهيل بالتَّصغير، ابن أبي حزم، مهران أو عبد الله القُطيعي يضم القاف وفتح الطا أبو بكر البصري ضعيف من السابقة، الأربعة.

الشيخ: فقط.

الطالب: نعم.

قال الشيخ: ويقال سهل.

القارئ: نعم.

قال الشيخ: هل بحث عن سهل المكبر.

قال الطالب: سهل أخو حزم ما هو فيه.

قال الشيخ: أحمد بن شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ: في تعليقه على تفسير ابن جرير: سهل أخو حزم، هو نفسه سُهيل ابن أبي حزم، وإنما قيل: سهيل أخو حزم تعريفًا له بأخيه حزم بن أبي حزم القطعي: إذ كان أوثق منه وأشهر (١/ ٧٩).

قال الشيخ: ما ذكره.

الطالب: لا.

أي: لأنّه قد تكلّف ما لا علم له به وسلك غير ما أمر به فلو أنّه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنّه لم يأت الأمر من بابه كمن حكم بين النّاس على جهلٍ فهو في النّار، وإن وافق حكمه الصّواب في نفس الأمر، لكن يكون أخفّ جرمًا ممّن أخطأ، والله أعلم.

وهكذا سمّى الله القَذَفة كاذبين فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النّور: ١٣]؛ فالقاذف كاذبٌ ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنّه أخبر بما لا يحلّ له الإخبار به ولو كان أخبر بما يعلم؛ لأنّه تكلّف ما لا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تحرّج جماعةٌ من السّلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرّة، عن أبي معمرٍ قال: قال أبو بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنه: «أيّ أرضٍ تقلّني، وأيّ سماءٍ تظلّني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[١].

وقال أبو عبيدٍ القاسم بن سلام: حدثنا محمّد بن يزيد، عن العوّام بن حوشبٍ، عن إبراهيم التّيميّ: أنّ أبا بكرٍ الصّديق سئل عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]؟ فقال: «أيّ سماءٍ تظلّني وأيّ أرضٍ تقلّني إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم»[٢]. منقطعٌ.

وقال أبو عبيد أيضًا: حدثنا يزيد عن حميدٍ عن أنسٍ: أنّ عمر بن الخطّاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: «إنّ هذا لهو التّكلّف يا عمر»[٣].

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن (ص٣٧٥).

(٣) فضائل القرآن (ص٣٧٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٨٩٧) وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٥٥٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

كأنه بهذه، لأن الأب معروف وهو: نبات الأرض وما تأكله الدواب، فأراد أن يسأل عن عينه من النبات، ثم قال: إنه التكلف، فلا حاجة إلى ذلك يكفي أن يُعرف أنه نبات الأرض وعشبها، سواء كان نوع كذا أو نوع كذا، فالله جلَّ وعلا أخرج للعباد بالأمطار التي ينزلها أنواعًا من الخيرات والحبوب والثمار الفواكه.

وهكذا أنواع النبات في الأرض الذي تأكله الدواب ويسمى: الأب؛ فتأكله الإبل والبقر والغنم وهو أنواع منوعة من النبات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال محمد بن سعد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حمّاد بن زيدٍ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ قال: كنّا عند عمر بن الخطّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وفي ظهر قميصه أربع رقاعٍ فقرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: فما الأب؟ ثم قال: هو التكلف فما عليكً أن لا تدْريه؟

وهذا كلّه محمولٌ على أنّهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إنّما أرادا استكشاف علم كيفيّة الأبّ وإلّا فكونه نبتًا من الأرض ظاهرٌ لا يجهل لقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا﴾ [عبس: ٢٧، ٢٨].

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا يعقوب بن إبراهيم، حدّثنا ابن عليّة، عن أيّوب، عن ابن أبي مليكة: أنّ ابن عبّاسٍ سئل عن آيةٍ لو سئل عنها بعضكم لقال فيها فأبى أن يقول فيها، إسناده صحيحٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أكبر هكذا أهل العلم ولو كان عندهم من العلم ما عندهم

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مقدمة تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (١٠/ ١٤٠٦).

واجبهم التوقف إذا أشكل عليهم الأمر فإن من العلم أن يقول طالب العلم لما لا يعلم: لا أدري أو يقف، هكذا ما من شخص إلا وقد يخفى عليه أشياء؛ فواجبه عند ذلك أن يقف ويقول: لا أدري ولا يتكلف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيّوب، عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجلٌ ابن عبّاسٍ عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]؟ فقال له ابن عبّاسٍ: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟ فقال له الرّجل: إنّما سألتك لتحدّثني، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما يوم مقداره خمسون ألف سنة فهذا فسرته الآية وأنه يوم القيامة، ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٤ ـ ٨]، وضحت في الآيات أنه يوم القيامة، وصح عن النبي ﷺ أنه قال في مانع الزكاة: «**أنه يعذب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»(٢)، وهو يوم واضح المعنى ففي هذه الرواية نظر وإن كان الإسناد ظاهره الصحة، لكن إما أن يكون غاب عن ابن عباس في تلك الساعة معنى الآية الكريمة

---

(١) فضائل القرآن (ص٣٧٦)، وتفسير ابن جرير (٢٣/ ٦٠٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (٩٨٧).

فقال بما قال، وأما الألف في اليوم الثاني فقد قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، وهو يوم من أيام الله فسَّره جماعة من أهل العلم بأنه ما بين السماء والأرض نزولًا وصعودًا؛ يعني: مقداره يوم عند ربك فإن ما بينهما؛ أي: بين الأرض والسماء خمسمائة عام والنزول خمسمائة والصعود خمسمائة وقيل غير ذلك.

المقصود: أن يومًا عند ربك هذا هو محل الإشكال أما اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة فهو يوم القيامة بلا ريب، والآية صريحة في ذلك، وهكذا الأحاديث.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السند صحيح، ظاهره الصحة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير أيضًا: حدّثني يعقوب ـ يعني: ابن إبراهيم ـ، حدّثنا ابن عليّة، عن مهديّ بن ميمونٍ، عن الوليد بن مسلم قال: جاء طلق بن حبيبٍ إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آيةٍ من القرآن؟ فقال: «أحرّج عليك إن كنت مسلمًا لمّا ما قمت عنّي» ـ أو قال: «أن تجالسني»[(١)].

وقال مالكٌ، عن يحيى بن سعيدٍ، عن سعيد بن المسيّب؛ إنّه كان إذا سئل عن تفسير آيةٍ من القرآن، قال: إنّا لا نقول في القرآن شيئًا.

وقال اللّيث عن يحيى بن سعيدٍ، عن سعيد بن المسيّب: إنّه كان لا يتكلّم إلّا في المعلوم من القرآن[(٢)].

وقال شعبة، عن عمرو بن مرّة قال: سأل رجلٌ سعيد بن المسيّب عن آيةٍ من القرآن؟ فقال: لا تسألني عن القرآن وسل من يزعم أنّه لا

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).

يخفى عليه منه شيءٌ؛ يعني: عكرمة[(١)].

وقال ابن شوذبٍ: حدّثني يزيد بن أبي يزيد، قال: كنّا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال، وكان أعلم النّاس، فإذا سألناه عن تفسير آيةٍ من القرآن سكت كأن لم يسمع[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من باب الورع العظيم والخوف، أن يقول فيه برأيه، أو بما لا يعلم، فهذا محمول على الورع، وإلا فالحق أن يقول في القرآن بما علِم ويقف عما لا يعلم، كما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وغيرهم من أهل العلم، فالقرآن كلام الله فسَّره سبحانه بما جاء في السُّنَّة، وبما جاء في مواضع أخرى من كتابه العظيم، يفسر بعضه بعضًا، وبما قاله السلف الصالح، وبما علم من اللغة العربية؛ لأنه نزل بلسان عربي مبين، فإذا أشكل على طالب العلم توقف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: حدّثني أحمد بن عبدة الضّبّيّ، حدّثنا حمّاد بن زيدٍ، حدّثنا عبيد الله بن عمر قال: «لقد أدركت فقهاء المدينة وإنّهم ليعظّمون القول في التّفسير منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمّدٍ، وسعيد بن المسيّب، ونافعٌ».

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا عبد الله بن صالحٍ، عن اللّيث، عن هشام بن عروة قال: «ما سمعت أبي يؤوِّل آيةً من كتاب الله قطّ».

وقال أيّوب وابن عونٍ وهشامٌ الدّستوائيّ عن محمد بن سيرين: سألت عَبيدة ـ يعني: السّلمانيّ، عن آيةٍ من القرآن فقال: «ذهب الذين

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٧٩)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن (ص٣٧٧).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).

كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، فاتّق الله وعليك بالسّداد»[١].

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا معاذٌ، عن ابن عونٍ، عن عبد الله بن مسلم بن يسارٍ، عن أبيه قال: «إذا حدثت عن الله حديثًا فقف حتّى تنظر ما قبله وما بعده»[٢].

حدّثنا هشيمٌ، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: كان أصحابنا يتّقون التّفسير ويهابونه[٣].

وقال شعبة، عن عبد الله بن أبي السّفر قال: قال الشّعبيّ: «والله ما من آيةٍ إلّا وقد سألت عنها ولكنّها الرّواية عن الله ﷻ»[٤].

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا هشيمٌ، حدثنا عمرو بن أبي زائدة، عن الشّعبيّ، عن مسروقٍ قال: «اتّقوا التّفسير فإنّما هو الرّواية عن الله»[٥].

فهذه الآثار الصّحيحة وما شاكلها عن أئمّة السّلف محمولةٌ على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه.

فأمّا من تكلّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوالٌ في التّفسير، ولا منافاة؛ لأنّهم تكلّموا فيما علموه وسكتوا عمّا جهلوه، وهذا هو الواجب على كلّ أحدٍ، فإنّه كما يجب السّكوت عمّا لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه ممّا يعلمه لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ولما جاء في الحديث الذي روي من طرقٍ: «**مَنْ سُئل عَنْ عِلمٍ فَكَتَمَهُ أُلجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلجَامٍ مِنْ نَارٍ**»[٦].

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ٧٩).

(٢) فضائل القرآن (ص٣٧٧).

(٣) فضائل القرآن (ص٣٧٨).

(٤) تفسير ابن جرير (١/ ٨٧).

(٥) فضائل القرآن (ص٣٧٧).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب كتمان العلم برقم (٣٦٤٩) وقال: حديث حسن.

فأما الحديث الّذي رواه أبو جعفر بن جريرٍ: حدّثنا عبّاس بن عبد العظيم، حدّثنا محمّد بن خالد بن عثمة، حدثنا أبو جعفر بن محمد الزّبيريّ، حدّثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: «ما كان النّبيّ ﷺ يفسّر شيئًا من القرآن إلّا آيًا بعددٍ علّمهنّ إيّاه جبريل عليه السلام»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وفي نسخة: تعد. بالتاء بدل الباء؛ يعني: معدودة، وفي نسخة بعدد بدالين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثمّ رواه عن أبي بكرٍ محمّد بن يزيد الطرسوسيّ، عن معن بن عيسى، عن جعفر بن خالدٍ، عن هشامٍ به، فإنّه حديثٌ منكرٌ غريبٌ.

وجعفرٌ هذا هو ابن محمّد بن خالد بن الزّبير بن العوّام القرشيّ الزّبيريّ، قال البخاريّ: لا يتابع في حديثه. وقال الحافظ أبو الفتح الأزديّ: منكر الحديث، وتكلّم عليه الإمام أبو جعفرٍ بما حاصله أنّ هذه الآيات ممّا لا يعلم إلّا بالتّوقيف عن الله تعالى ممّا وقفه عليها جبرائيل، وهذا تأويلٌ صحيحٌ لو صحّ الحديث. فإنّ من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحدٌ في جهله كما صرّح بذلك ابن عبّاسٍ فيما قال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا مؤمّلٌ، حدّثنا سفيان عن أبي الزناد قال: قال ابن عبّاسٍ: «التّفسير على أربعة أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلّا الله. ومن ادّعى علمه سوى الله فهو كاذبٌ».

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٤).

والنّظر الّذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمّد بن السّائب الكلبيّ فإنّه متروك الحديث، لكن قد يكون إنّما وهم في رفعه، ولعلّه من كلام ابن عبّاسٍ كما تقدم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لو صح لقيل بآيات جاء فيها الوحي الخاص.



مقدِّمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة

قال أبو بكر ابن الأنباريّ: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همّامٍ عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة وبراءة والرّعد والنّحل والحجّ والنّور والأحزاب ومحمّدٌ والفتح والحجرات والرحمٰن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتّغابن والطّلاق، ويا أيّها النّبيّ لم تحرّم إلى رأس العشر، وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله، هؤلاء السور نزلت بالمدينة وسائر السور بمكة.

فأما عدد آيات القرآن العظيم فستّة آلاف آيةٍ، ثمّ اختلف فيما زاد على ذلك **على أقوالٍ**:

فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتي آيةٍ وأربع آياتٍ، وقيل: وأربع عشرة آيةً. وقيل: ومائتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل: ومائتان وست وثلاثون، حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه «البيان»(١). وأمّا كلماته فقال الفضل بن شاذان عن عطاء بن يسارٍ: سبعٌ وسبعون ألف كلمةٍ وأربعمائةٍ وتسعٌ وثلاثون كلمةً.

---

(١) نقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره (١/ ٦٥).

وأمّا حروفه فقال عبد الله بن كثيرٍ، عن مجاهدٍ: هذا ما أحصيناه من القرآن وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرفٍ ومائةٌ وثمانون حرفًا، وقال الفضل[1] بن عطاء بن يسارٍ: ثلاثمائة ألف حرفٍ وثلاثةٌ وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا.

وقال سلّامُ أبو محمّدٍ الحمّانيّ: إنّ الحجّاج جمع القرّاء والحفّاظ والكتّاب فقال: أخبروني عن القرآن كلّه كم من حرف هو؟ قال: فحَسَبْنا فأجمعوا أنه ثلاثمائة ألف وأربعون ألفًا وسبعمائةٍ وأربعون حرفًا، قال: فأخبروني عن نصفه فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩]، وثلثه الأوّل عند رأس مائة آيةٍ من براءةٌ، والثّاني على رأس مائةٍ أو إحدى ومائةٍ من الشّعراء، والثّالث إلى آخره، وسُبعه الأول إلى الدال من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٥]، والسُّبع الثاني إلى التاء من قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿حَبِطَتْ﴾ [الأعراف: ١٤٧]، والثالث إلى الألف الثاني من قوله تعالى في الرعد: ﴿أُكُلُهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، والرابع إلى الألف في الحج من قوله: ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحج: ٣٤]، والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأَحْزَابِ: ٣٦]، والسّادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: ٦]، والسّابع إلى آخر القرآن.

قال سلّامُ أبو محمد: علمنا ذلك في أربعة أشهرٍ، قالوا: وكان الحجّاج يقرأ في كلّ ليلةٍ ربع القرآن، فالأوّل إلى آخر الأنعام، والثاني إلى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩] من سورة الكهف، والثّالث إلى آخر الزّمر، والرّابع إلى آخر القرآن، وقد حكى الشّيخ أبو عمرٍو الدّانيّ في كتابه «البيان» خلافًا في هذا كله، فالله أعلم.

---

(١) في النسخة التي قُرئت على سماحته رحمه الله: [الفضل بن عطاء] والصواب: [الفضل عن عطاء] كما صوَّب سماحة الشيخ وهو موافق لنسخة دار طيبة المحققة (١/ ٩٩).

وأمّا (التّحزيب والتّجزئة) فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الرُّبعات بالمدارس وغيرها. وقد ذكرنا فيما تقدّم الحديث الوارد في تحزيب الصّحابة للقرآن، والحديث في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرهم عن أوس بن حذيفة: أنّه سأل أصحاب رسول الله ﷺ في حياته: «كيف تحزِّبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة»[1]، وحزب المفصَّل حتى تختم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثلاث؛ يعني: البقرة وآل عمران والنساء.

قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وأحد عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل حتى تختم.

يعني: أنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يقرؤون القرآن في سبعة أيام في الغالب، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال لعبد الله بن عمرو: «**اقرأه في سبع**» ولهذا حزَّبوه سبعًا، فلما ألحَّ عبد الله قال: «**اقرأه في ثلاث**»، وقراءته في سبع فيها تمهل وتدبر وعدم عجلة وتفرغ للحاجات الأخرى، فإذا حزَّبه سبعًا وصار يختمه في كل أسبوع مرة وفي الشهر أربع مرات كان بذلك الخير الكثير، وفي ذلك أيضًا عدم المشقة على النفس وتحرِّي للتدبر والتعقل مع قضاء الحاجات الأخرى، والناس يختلفون في هذا، فمن الناس من له حاجات كثيرة لا يستطيع معها الختم في سبع، ومن الناس من هو قليل الأشغال يستطيع أن يختمه في سبع وفي أقل من ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحزب المفصَّل حتى تختم.

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (١٣٩٣)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم برقم (١٣٤٥)، والإمام أحمد (٤/ ٩، ٣٤٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وأوله «ق» فالحزب الأخير من «ق» إلى آخره.

وهذا من العلوم التي تنفع الإنسان، ففيها إيناس لقلبه والعمل بما قاله أهل العلم، وإلا فالأهم من هذا كله هو العناية بالعمل ورفع... كل يوم وهو مضيع العمل ولا حول ولا قوة إلا بالله، والقرآن حجة لك أو عليك؛ فالمهم في هذا كله أن تعنى به تدبرًا وتعقلًا وعملًا لا مجرد التلاوة ولو ختمته كل يوم إذا كانت القراءة لمجرد قراءة أو للرياء أو لأغراض أخرى ما تجزي على أهلها شيئًا، المطلوب قراءة يكون معها التدبر والتعقل والعلم والفائدة والعمل، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، فإذا انضم إلى هذا العلم بآياته وكلماته فهذا علم ينفع ولا يضر، لكن المهم كله هو العمل وهو بحمد الله محفوظ وإن تنازعوا في بعض الكلمات أو بعض الحروف؛ فالمقصود: هو العناية به علمًا وعملًا، قد تكون الكلمات يظنها بعض الناس كلمتين وهي كلمة، وبعض الحروف قد تسقط لأنها همزة وصل فيحسبها قوم ولا يحسبها آخرون، وبعض الكلمات قد تهمز فيكون فيها همزة وقد لا تهمز فلا تكون فيها همزة فلا تحسب، كذلك الآيات قد يظن بعض القراء أن هذه آية والقراء الآخرون يظنون أنها متصلة بما قبلها وأنهما آية واحدة وأشباه ذلك.

الأسئلة لسماحة الشيخ ابن باز:

• **س: من لا يقرأ القرآن إلا في المكتوبة هل يأثم؟**

○ **الجواب**: لا أعلم أنه يأثم؛ لكن على كل حال فرَّط في خير كثير، والقراءة لا يأثم بتركها؛ ففرضه فرض كفاية والقراءة ليست واجبة لكن سُنَّة ومشروعة وقربة. المهم والواجب العمل. ولهذا أكثر العامة لا يعرفون القرآن ولا يقرؤونه ولا يحفظونه وهم مسلمون.

• س: هو ما يعتبر عدم مبالاة؟

ج: لا يكون معصية، فالواجب العمل، لكنه قربة وطاعة، مثل النوافل.

[فصل]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف في معنى السورة مما هي مشتقّةٌ فقيل: من الإبانة والارتفاع، قال النابغة:

ألـم تـر أنّ الـلّـه أعـطـاك سـورةً   تـرى كـل ملـك دونـهـا يـتـذبـذب

الشيخ؛ يعني: المنزلة الرفيعة، السورة المنزلة الرفيعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلةٍ إلى منزلةٍ. وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان، وقيل: سمّيت سورةً لكونها قطعةً من القرآن وجزءًا منه مأخوذٌ من أسآر الإناء وهو البقيّة. وعلى هذا فيكون أصلها مهموزًا. وإنّما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واوًا لانضمام ما قبلها، وقيل: لتمامها وكمالها؛ لأنّ العرب يسمّون النّاقة التّامّة: سورةً.

(قلت): ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يسمَّى سور البلد لإحاطته بمنازله ودُوره. وجمع السورة سُوَر بفتح الواو، وقد يجمع على سوراتٍ وسوراتٍ، وأمّا الآية فمن العلامة على انقطاع الكلام الّذي قبلها عن الّذي بعدها وانفصالها؛ أي: هي بائنة عن أختها ومنفردة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، وقال النابغة:

تـوهّـمـت آيـاتٍ لـهـا فـعـرفـتـهـا   لـسـتّـة أعـوامٍ وذا الـعـام سـابـع

وقيل؛ لأنّها جماعة حروفٍ من القرآن وطائفةٌ منه كما يقال: خرج القوم بآياتهم؛ أي: بجماعاتهم.

قال الشاعر:

خرجنا من النّقبين لا حيّ مثلنا بآيتنا نزجي اللّقاح المطافلا

وقيل: سمّيت آيةً؛ لأنّها عجبٌ يعجز البشر عن التّكلّم بمثلها، قال سيبويه: وأصلها أييةٌ مثل أكمةٍ وشجرةٍ، تحرّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا فصارت آية بهمزة بعدها مدة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والحق أن بمعنى علامة أنها آيات على قدرة الباري وعظمته وكبريائه وعظيم حقه تَعَالَى، ولهذا تكرر في القرآن ذكر الآيات: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فصلت: ٣٧]، وهذا كله مكرر في القرآن كثيرًا؛ يعني: ومن الدلائل والبراهين على أنه ربّ العالمين وأنه المستحق للعبادة وأن هذا القرآن منزل من عنده فهي بمعنى العلامات والبراهين والدلائل.

الأسئلة:

• س: ما الحكم في القارئ الذي لا يفتح المصحف إلا في رمضان فقط؟

ج: ما نعلم شيئًا في ذلك، لكنه ترك الأفضل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الكسائي: أصلها آييةٌ على وزن آمنةٍ فقلبت ألفًا ثمّ حذفت لالتباسها، وقال الفراء: أصلها أيية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفًا كراهية التّشديد فصارت آيةً وجمعها آيٌ وآيات وآياي.

وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة وقد تكون على حرفين مثل: ما ولا ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل: ليستخلفنّهم، وأنلزمكموها، فأسقيناكموه. وقد تكون الكلمة الواحدة آيةً

مثل: والفجر، والضّحى، والعصر، وكذلك: الم، وطه، ويس، وحم، في قول الكوفيين، وحم عسق عندهم كلمتان وغيرهم لا يسمّي هذه آيات بل يقول هذه فواتح السّور، وقال أبو عمرٍو الدّانيّ: لا أعلم كلمةً هي وحدها آيةٌ إلّا قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٦٤] بسورة الرحمٰن.

[فصل]

قال القرطبي: أجمعوا على أنّه ليس في القرآن شيءٌ من التّراكيب الأعجميّة؛ وأجمعوا أنّ فيه أعلامًا من الأعجميّة كإبراهيم ونوحٍ ولوطٍ، واختلفوا هل فيه شيءٌ من غير ذلك بالأعجميّة فأنكر ذلك الباقلّانيّ والطبري وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجميّة فهو من باب ما توافقت فيه اللغات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يستدلون على هذا بقوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وكله جاء بلغة العرب فما صادف أنه وافق لغات أخرى فهو من باب توافق اللغات أو من باب ما أخذه العرب من غيرهم واستعملوه وصار من لغتهم.



سورة الفاتحة[1]

يقال لها: الفاتحة؛ أي: فاتحة الكتاب خطًّا كتابةً وبها تفتتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضًا: أُمّ الكتاب عند الجمهور، ذكره أنسٌ. والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك، قال الحسن وابن سيرين: إنّما ذلك اللّوح المحفوظ، وقال الحسن: الآيات المحكمات هنّ أمّ الكتاب، ولذا كرها أيضًا أن يقال لها: أم القرآن، وقد ثبت في الصّحيح عند التّرمذيّ وصحّحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحمد لله ربِّ العالمين أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ»**[٢]. ويقال لها: (الحمد)، ويقال لها: (الصّلاة)؛ لقوله ﷺ عن ربّه: **«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي»** الحديث[٣]. فسمّيت الفاتحة صلاةً؛ لأنّها شرطٌ فيها، ويقال لها: (الشّفاء)؛ لما رواه الدّارميّ عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: **«فَاتِحَةُ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ سُمٍّ»**[٤].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب، برقم (١٤٥٧)، والترمذي في كتاب التفسير عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة الحجر برقم (٣١٢٤)، والإمام أحمد (٢/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...، برقم (٣٩٥).

(٤) أخرجه الدارمي في سننه (٢/ ٣٢٠) وليس عند الدارمي «سم» بل «داء».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: سَم وسُم... مثلث... سمِ، وسَم، وسُم.. مثلث.

الطالب:

علَّق عليه يقول: عزاه إلى الدارمي من حديث أبي سعيد وهو في الدارمي من حديث عبد الملك بن عمير مرسلًا، وحديث أبي سعيد عزاه الشيخ ناصر الدين الألباني في «ضعيف الجامع» و«الترغيب» إلى سعيد بن منصور والبيهقي في «الشعب»، رواه عن أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا معًا، وقال أنه موضوع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يمكن تختلف النسخ قد يكون اختلاف النسخ، ينبغي أن يراجع الدارمي في عدة نسخ؛ لو وجدت مخطوطات فأتم.

ويقال لها: (الرّقية)؛ لحديث أبي سعيدٍ في الصّحيح حين رقى بها الرّجل السّليم فقال له رسول الله ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى الشّعبيّ عن ابن عباس أن سمّاها (أساس القرآن) قال: وأساسها بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، وسمّاها سفيان بن عيينة: (بالواقية)، وسمّاها يحيى بن أبي كثيرٍ: (الكافية)؛ لأنّها تكفي عمّا عداها ولا يكفي ما سواها عنها كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة: أم القرآن عوض من غيرها وليس من غيرها عوض منها، ويقال لها: سورة الصّلاة والكنز، ذكرهما الزّمخشريّ في «كشّافه».

وهي مكّيّةٌ، قاله ابن عبّاسٍ وقتادة وأبو العالية، وقيل: مدنيّةٌ، قاله أبو هريرة ومجاهدٌ وعطاء بن يسارٍ والزّهريّ، ويقال: نزلت مرّتين: مرّةً بمكّة ومرّةً بالمدينة، والأوّل أشبه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، والله تعالى أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشهور أنها مكية وسمَّاها الله: ﴿سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] كما جاء في الحديث الصحيح أنها الفاتحة، ولا مانع من كون نزولها مرة أخرى في المدينة من باب التأكيد وتعظيم شأنها فتكون نزلت بمكة والمدينة مرتين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحكى أبو اللّيث السّمرقنديّ أنّ نصفها نزل بمكّة ونصفها الآخر نزل بالمدينة وهو غريبٌ جدًّا، نقله القرطبيّ عنه، وهي سبع آياتٍ بلا خلافٍ، وقال عمرو بن عبيدٍ: ثمان، وقال حسين الجعفي: ستة، وهذان القولان شاذّان وإنّما اختلفوا في البسملة هل هي آيةٌ مستقلّةٌ من أوّلها كما هو عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصّحابة والتّابعين وخلقٌ من الخلف، أو بعض آيةٍ أو لا تعدّ من أوّلها بالكلّيّة كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء على ثلاثة أقوال كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى وبه الثّقة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الصواب: أنها آية مستقلة وأن أول الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وأما ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] فهي آية مستقلة أنزلها الله فصلًا بين السور، فليست من الفاتحة ولا من غيرها، ولكن آية مستقلة للفصل بين السور وهي بعض آية من سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قالوا: وكلماتها خمسٌ وعشرون كلمةً، وحروفها مائةٌ وثلاثة عشر حرفًا. قال البخاريّ في أول كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب؛ لأنه

يُبدأ بكتابتها في المصاحف ويُبدأ بقراءتها في الصلاة، وقيل: إنّما سمّيت بذلك لرجوع معاني القرآن كلّه إلى ما تضمّنته.

قال ابن جريرٍ: والعرب تسمِّي كل جامع أمر أو مقدّم لأمرٍ إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمامٌ جامعٌ: أمًّا، فتقول للجلدة الَّتي تجمع الدّماغ: أمّ الرّأس، ويسمّون لواء الجيش ورايتهم الّتي يجتمعون تحتها: أمًّا، واستشهد بقول ذي الرمة:

على رأسه أمٌّ لنا نقتدي بها   جماع أمور لا نعاصي لها أمرا

يعني: الرّمح، قال: وسمّيت مكّة أمّ القرى لتقدّمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دُحِيت منها. ويقال لها أيضًا: الفاتحة؛ لأنّها تفتتح بها القراءة وافتتحت الصّحابة بها كتابة المصحف الإمام، وصحّ تسميتها بالسّبع المثاني، قالوا: لأنّها تثنّى في الصّلاة فتقرأ في كلّ ركعةٍ، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، كتبها عثمان وكتبها الصديق وعمر أيضًا جعلوها أول الكتاب؛ لأنها أعظم سورة؛ الصحيح: أن الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله، فجعلت فاتحة لكتاب الله.

وافتتحت الصّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بها كتابة المصحف الإمام.

- **س: ... من حيث التأنيث... افتتحت؟**

○ **الجواب:** التأنيث، يعني الصحابة لما جمعوا القرآن...

- **س: ما معنى أن الأرض وهية منها؟**

○ **الجواب:** الله أعلم.

❑ ❑ ❑

ذِكْرُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِ الفاتحة

قال الإمام أحمد بن حنبلٍ رحمه الله تعالى في مسنده: حدّثنا يحيى بن سعيدٍ، عن شعبة، حدّثني خبيب بن عبد الرّحمٰن، عن حفص بن عاصمٍ، عن أبي سعيد بن المعلّى ﵁ قال: كنت أصلّي فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت، قال: فأتيته فقال: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟**» قال: قلت: يا رسول الله إنّي كنت أصلّي، قال: «**ألم يقل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]»، ثمّ قال: «**لأَعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قبل أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**» قال: فأخذ بيدي فلمّا أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنّك قلت لأعلّمنّك أعظم سورةٍ في القرآن، قال: «**نَعَمْ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز ﵀:

وهذا يدل على فضلها العظيم وأنها أعظم سورة في كتاب الله، هذه الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله لما اشتملت عليه من المعاني العظيمة التي يرجع إليها جميع القرآن؛ ولهذا أخبر ﷺ أنها أعظم سورة في كتاب الله وأنها السبع المثاني والقرآن العظيم، وهذا يدل على أنها أنزلت في مكة؛ لأن الحِجر من السور المكية وفيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وهذا يدل على عظم شأنها ومَن تأملها وجد ذلك، فإن فيها الثناء على الله وبيان صفاته العظيمة التي

ترجع إليها جميع الصفات وبيان حقه على عباده وهو العبادة، وإلى هذا ترجع جميع الآيات فإنها ترجع إلى الأوامر والنواهي وبيان حق الله وكله داخل في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ثم إرشاده سبحانه لعباده أن يطلبوه الهداية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وهذا أيضًا شأنه عظيم؛ لأن طلبهم الهداية من ربهم ﷻ سبب لقيامهم بحقه الذي خلقهم من أجله وهو عبادته ﷻ، فهذه السورة هي أم القرآن وهي القرآن العظيم، وهي السبع المثاني؛ وهي الشفاء والرقية فينبغي للمؤمن أن يتدبرها كثيرًا، ومن رحمة الله أن شرعها لنا في اليوم والليلة سبعة عشرة مرة فرضًا في الفرائض الخمس، مع ما يحصل من قراءتها في النوافل وفي غير ذلك، تذكيرًا لمعناها العظيم، وهكذا الالتزام بما دلت عليه من أن العبادة لله والاستعانة بالله وطلبه الهداية مع الثناء عليه والإيمان بأنه الرحمٰن الرحيم، وبأنه الإلٰه الحق، وبأنه رب العالمين، وبأنه مالك يوم الدين، فاجتمع فيها كل شيء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا رواه البخاريّ عن مسدّدٍ وعلي بن المدينيّ، كلاهما عن يحيى بن سعيدٍ القطّان به، ورواه في موضعٍ آخر من التفسير[1]، وأبو داود والنّسائيّ وابن ماجه من طرقٍ عن شعبة به[2]، ورواه الواقديّ عن

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب فضل الفاتحة، برقم (٤٤٧٤) وفي كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، برقم (٥٠٠٦)، والمواضع الأخرى منها في كتاب التفسير في سورة الأنفال، برقم (٤٦٤٧)، وفي تفسير سورة الحجر، برقم (٤٧٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فاتحة الكتاب، برقم (١٤٥٨)، والنسائي في كتاب صفة الصلاة، باب تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] برقم (٩١٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب ثواب القرآن، برقم (٣٧٨٥).

محمّد بن معاذٍ الأنصاريّ، عن خبيب بن عبد الرّحمٰن، عن حفص بن عاصمٍ، عن أبي سعيد بن المعلّى، عن أبيّ بن كعبٍ فذكر نحوه.

وقد وقع في «الموطّأ» للإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللهُ ما ينبغي التّنبيه عليه فإنّه رواه مالكٌ عن العلاء بن عبد الرّحمٰن بن يعقوب الحرقيّ: أنّ أبا سعيدٍ مولى ابن عامر بن كريزٍ أخبرهم أنّ رسول الله ﷺ نادى أبيّ بن كعبٍ وهو يصلّي في المسجد، فلمّا فرغ من صلاته لحقه قال: فوضع النّبيّ ﷺ يده على يدي وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، ثم قال ﷺ: **«إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لا تَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً مَا أُنْزِلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي القرآن مثلها»**، قال أبيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: فجعلت أبطِّئ في المشي رجاء ذلك، ثمّ قلت: يا رسول الله ما السّورة الّتي وعدتني؟ قال: **«كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟»** قال: فقرأت عليه الحمد للّه ربّ العالمين حتّى أتيت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ: **«هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ»**[(١)].

فأبو سعيدٍ هذا ليس بأبي سعيد بن المعلى كما اعتقده ابن الأثير في «جامع الأصول» ومن تبعه، فإنّ ابن المعلّى صحابيٌّ أنصاريٌّ وهذا تابعيٌّ من موالي خزاعة، وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره أنه منقطعٌ إن لم يكن سمعه أبو سعيدٍ هذا من أبيّ بن كعبٍ، فإن كان قد سمعه منه فهو على شرط مسلمٍ، والله أعلم.

على أنّه قد روي عن أبيّ بن كعبٍ من غير وجهٍ كما قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن إبراهيم، حدّثنا العلاء بن

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب ما جاء في أم القرآن (١٩١ ص٨٩) ط١ مؤسسة الرسالة عام ١٤٣٤هـ. انظر: التمهيد لابن عبد البر (٢٠/ ٢١٧).

عبد الرّحمٰن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله ﷺ على أبيّ بن كعبٍ، وهو يصلّي فقال: «يا أبيّ»، فالتفت ثمّ لم يجبه، ثم قال: «أبيّ»، فخفف أبيٌّ ثمّ انصرف إلى رسولِ الله ﷺ فقال: السّلام عليك؛ أي: رسول الله، قال: **«وعليك السلام مَا مَنَعَك أَيْ أُبَيُّ إِذْ دَعَوْتُكَ أَنْ تجيبني؟»**، قال - أي رسول الله - إني كنت في الصّلاة قال: **«أَوَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أوحى الله تعالى إليَّ: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]؟» قال: بلى يا رسول الله لا أعود. قال: **«أتحب أن أعلمك سورة لم ينزل لَا فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْقرآن مِثْلُهَا؟»** قلت: نعم أي رسول الله، قال رسول الله ﷺ: **«إني لأرجو أن لا أَخْرُجَ مِنْ هَذَا الْبَابِ حَتَّى تَعْلَمَهَا»**، قال: فأخذ رسول الله ﷺ بيدي يحدّثني وأنا أتبطّأ مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث، فلما دنونا من الباب قلت: أي رسول الله ما السّورة الّتي وعدتني؟ قال: **«مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟»** قال: فقرأت عليه أمّ القرْآن قال: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلَهَا إِنَّهَا السَّبْعُ الْمَثَانِي»**[١].

ورواه التّرمذيّ عن قتيبة عن الدّراورديّ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه فذكره وعنده: **««إِنَّهَا مِنَ السَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»»**[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الحديث على شرط مسلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤١٢) برقم (٩٣٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب فضل فاتحة الكتاب برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثـمّ قـال: هـذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وفي البـاب عن أنس بن مالك، ورواه عبد الله ابن الإمام أحمد عن إسماعيل بن أبي معمرٍ، عن أبي أسامة، عن عبد الحميد بن جعفرٍ، عن العلاء، عن أبيه عن أبي، هريرة، عن أبيّ بن كعبٍ، فذكره مطوّلًا بنحوه أو قريبًا منه.

وقد رواه التّرمذيّ والنّسائيّ جميعًا عن أبي عمّارٍ حسين بن حريثٍ، عن الفضل بن موسى، عن عبد الحميد بن جعفرٍ، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبيّ بن كعبٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نصفين(١) وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(٢)**. هذا لفظ النسائي، وقال الترمذي: حديث حسنٌ غريبٌ.

وقال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن عبيدٍ، حدّثنا هاشمٌ ـ يعني: ابن البريد ـ، حدّثنا عبد الله بن محمّد بن عقيلٍ، عن ابن جابرٍ قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد اهراق الماء فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فلم يردّ عليّ، قال: فقلت: السّلام عليك يا رسول الله: فلم يردّ عليّ، قال: فقلت: السّلام عليك يا رسول الله، فلم يردّ عليّ، قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي وأنا خلفه حتّى دخل رحله ودخلت أنا المسجد فجلست كئيبًا حزينًا، فخرج عليّ رسول الله ﷺ وقد تطهّر فقال: **«عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاته، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وبركاته،**

---

(١) في لفظ الحديث عندهما: «بيني وبين عبدي، [نصفين] وَلِعَبْدي ما سَأَلَ».

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب أبواب التفسير، باب ومن سورة الحجر برقم (٣١٢٥)، والنسائي في كتاب الافتتاح، تأويل قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر: ٨٧] برقم (٩١٤).

وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ» ثمّ قال: **«أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عبد اللهِ بْنَ جَابِرٍ بِأَخْيَرِ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ»** قال: قُلتُ: بلى يا رسول الله، قال: **«اقْرَأِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى تَخْتِمَهَا»** هذا إسنادٌ جيد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمّة الكبار وعبد الله بن جابرٍ هذا الصّحابيّ ذكر ابن الجوزيّ أنّه هو العبديّ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

عبد الله بن جابر هذا صحابي غريب، وعبد الله بن محمد بن عقيل مُضعَّف في الحديث واختلط في آخر حياته وحصل له بعض التغير وفي هذا المتن نكارة؛ كونه النبي ﷺ ترك السلام عليه حتى دخل في رحله ثم رد عليه السلام ثلاث مرات، ورد السلام يجوز من المؤمن وإن كان على غير طهارة وإن كان على طهارة فأفضل، فالحاصل: أن في صحته نظر من جهة تأخيره السلام ثلاث مرات ولم يقل له شيئًا حتى دخل رحله ثم رجع، ورد السلام عليه ثلاث مرات فيه غرابة ونكارة، لكن له شاهد من حديث آخر.

الطالب: أبو سعيد مولى ابن عامر خزاعي مقبول من الرابعة، مسلم، وأبو داود في المراسيل، والنسائي، وابن ماجه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وعبد الله بن جابرٍ هذا الصّحابيّ ذكر ابن الجوزيّ أنّه هو العبديّ، ويقال: إنّه عبد الله بن جابرٍ الأنصاريّ البياضيّ فيما ذكره الحافظ ابن عساكر.

واستدلّوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسّور على بعضٍ كما هو المحكيّ عن كثيرٍ من العلماء، منهم: إسحاق بن راهويه وأبو بكر بن العربيّ وابن الحفار من المالكيّة، وذهبت طائفةٌ أخرى إلى أنّه لا تفاضل في ذلك؛ لأنّ الجميع كلام الله، ولئلّا يوهم

التّفضيل نقص المفضّل عليه، وإن كان الجميع فاضلًا، نقله القرطبيّ عن الأشعريّ وأبي بكرٍ الباقلّانيّ وأبي حاتم بن حبان البستيّ ويحيى بن يحيى وروايةٌ عن الإمام مالك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا القول ضعيف جدًّا، والصواب: أن القرآن يتفاضل وإن كان كله عظيمًا ولكن الله الذي جعل فيه التفاضل، كما أن الرسل يتفاضلون والأنبياء يتفاضلون فهكذا كلام الله يتفاضل، فالآيات التي في التوحيد والإيمان غير الآيات التي في الأحكام، والفاتحة غير السور الأخرى؛ ولهذا جاء بهذا الحديث الصحيح، وفي الأحاديث الصحيحة حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد بن المعلى وما جاء في معناهما تفضيل الفاتحة وأنها أعظم السور، وجاء في آية الكرسي أنها أعظم آية في الصحيح أعظم آية في كتاب الله، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] أنها تعدل ثلث القرآن، فالحاصل: أنه يتفاضل وإن كان هو كلام الرب عَزَّ وَجَلَّ وكله عظيم وكله فاضل، وكله حجة وكله خير من الله لكن لا مانع من كونه يتفاضل.

قال ابن كثير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديثٌ آخر: قال البخاريّ في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن المثنى، وحدثنا وهب حدثنا هشام، عن محمد، عن معبد، عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: كنّا في مسيرٍ لنا، فنزلنا فجاءت جاريةٌ فقالت: إنّ سيّد الحيّ سليمٌ وإنّ نفرنا غيّبٌ فهل منكم راقٍ؟ فقام معها رجلٌ ما كنا نأبنه برقية فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاةً وسقانا لبنًا. فلمّا رجع قلنا له: أكنت تحسن رقيةً أو كنت ترقي؟ قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب»[١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب، برقم (٥٠٠٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: رقاه يرقيه إذا قرأ عليه، مثل: رماه يرميه؛ يعني: إذا قرأ عليه ونفث عليه، ويقال: رقي يرقى إذا صعد، وزنًا ومعنًى، ورقى من باب فعل، أو تعب، يرقا وزنًا ومعنًى، كصعد يصعد، ورقى يرقى نفث عليه، لمرضه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقال: لا ما رقيت إلّا بأمّ الكتاب، قلنا: لا تحدِثوا شيئًا حتّى نأتي أو نسأل رسول الله ﷺ، فلمّا قدمنا المدينة ذكرناه للنّبيّ ﷺ فقال: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»(١).

وقال أبو معمرٍ: حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا هشامٌ، حدّثنا محمّد بن سيرين، حدّثني معبد بن سيرين، عن أبي سعيدٍ الخدريّ بهذا، وهكذا رواه مسلمٌ وأبو داود من رواية هشامٍ وهو ابن حسّان عن ابن سيرين به، وفي بعض روايات مسلمٍ لهذا الحديث أنّ أبا سعيدٍ الخدري هو الّذي رقى ذلك السّليم؛ يعني: اللّديغ يسمونه بذلك تفاؤلًا.

حديثٌ آخر: روى مسلمٌ في «صحيحه» والنّسائيّ في «سننه» من حديث أبي الأحوص سلّام بن سليمٍ عن عمّار بن رزيقٍ عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبرائيل، إذ سمع نقيضًا فوقه فرفع جبريل بصره إلى السّماء فقال: «**هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ**»، قال: فنزل منه ملك فأتى النّبيّ ﷺ فقال: «**أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما**

---

(١) متفق عليه. واللفظ للبخاري أخرجه في كتاب فضائل القرآن، باب فضل فاتحة الكتاب برقم (٥٠٠٧)، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار برقم (٢٢٠١).

نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُوتِيتُهُ»، وهذا لفظ النّسائيّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مما احتج به على أنها نزلت مرتين، أنزلت في مكة وأنزلت في المدينة مع هذا الملك الخاص، خواتيم سورة البقرة آمن الرسول الآيتين.

ويدل على هذا أيضًا قوله جلَّ وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤] وهو جبرائيل وهذا يعم القرآن كله، ثم هذا الملك غير جبرائيل جاء بالفاتحة وآخر سورة البقرة فهذا نزول ثان تأكيد للنزول الأول مع هذا الملك الجديد، فيكون بعض القرآن يأتي به ملك آخر غير جبرائيل؛ تأكيدًا لما نزل به جبرائيل، وإلا فقد نزل به جبرائيل جميعًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديثٌ آخر، قال مسلمٌ: حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظليّ (هو ابن راهويه)، حدّثنا سفيان بن عيينة عن العلاء، (يعني: ابن عبد الرّحمٰن بن يعقوب الحرقي)، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ** ـ ثَلَاثًا ـ **غَيْرُ تَمَامٍ**». فقيل لأبي هريرة: إنا نكون خلف الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ). قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ). قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ). قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي ـ وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ـ فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ). قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ:**

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[١].

وهكذا رواه النّسائيّ عن إسحاق بن راهويه، وقد روياه أيضًا عن قتيبة، عن مالكٍ، عن العلاء، عن أبي السّائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة به[٢]، وفي هذا السّياق: **«فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**.

وهكذا رواه ابن إسحاق عن العلاء، وقد رواه مسلمٌ من حديث ابن جريجٍ عن العلاء عن أبي السّائب هكذا.

ورواه أيضًا من حديث ابن أبي أويسٍ عن العلاء عن أبيه وأبي السّائب، كلاهما عن أبي هريرة. وقال التّرمذيّ: هذا حديثٌ حسنٌ. وسألت أبا زرعة عنه فقال: كلا الحديثين صحيحٌ، من قال: عن العلاء عن أبيه وعن العلاء عن أبي السائب. وقد روى هذا الحديث عبد الله بن الإمام أحمد من حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة عن أبيّ بن كعبٍ مطولًا[٣].

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا صالح بن مسمارٍ المروزيّ، حدّثنا زيد بن الحباب، حدّثنا عنبسة بن سعيد، عن مطرف بن طريف، عن سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلَهُ مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعبد: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ قَالَ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب الصلاة، وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، برقم (٣٩٥).

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الافتتاح، باب ترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب برقم (٩٠٩).

(٣) رواية عبد الله في المسند (٥/ ١١٤) برقم (١١٣٢).

الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، ثُمَّ قَالَ: هَذَا لِي وَلَهُ مَا بَقِيَ». وهذا غريبٌ من هذا الوجه.

الكلام على ما يتعلّق بهذا الحديث ممّا يختصّ بالفاتحة **من وجوهٍ**:

أحدها: أنّه قد أطلق فيه لفظ الصّلاة، والمراد القراءة كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]؛ أي: بقراءتك كما جاء مصرّحًا به في الصّحيح عن ابن عبّاسٍ، وهكذا قال في هذا الحديث: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، ثمّ بيّن تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة فدلّ على عظم القراءة في الصّلاة، وأنّها من أكبر أركانها إذا أطلقت العبادة وأريد بها جزءٌ واحدٌ منها هو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصّلاة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، والمراد: صلاة الفجر كما جاء مصرّحًا به في الصّحيحين أنّه يشهدها ملائكة اللّيل وملائكة النّهار، فدلّ هذا كلّه على أنّه لا بدّ من القراءة في الصّلاة وهو اتّفاقٌ من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألةٍ نذكرها في الوجه الثّاني، وذلك أنّه هل يتعيّن للقراءة في الصّلاة غير فاتحة الكتاب أم تجزئ هي أو غيرها؟ على قولين مشهورين، فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم، أنّها لا تتعيّن بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصّلاة واحتجّوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ﴾ [المزّمّل: ٢٠]، وبما ثبت في الصّحيحين من حديث أبي هريرة في قصّة المسيء في صلاته أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**إِذا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**» قالوا: فأمره بقراءة ما تيسّر ولم يعيّن له الفاتحة ولا غيرها فدل على ما قلنا.

والقول الثّاني: أنّه تتعيّن قراءة الفاتحة في الصّلاة ولا تجزئ الصّلاة بدونها، وهو قول بقيّة الأئمّة مالكٌ والشّافعيّ وأحمد بن حنبلٍ

وأصحابهم وجمهور العلماء، واحتجّوا على ذلك بهذا الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ**». والخداج: هو النّاقص كما فسّر به في الحديث غير تمامٍ.

واحتجّوا أيضًا بما ثبت في الصّحيحين من حديث الزّهريّ عن محمود بن الرّبيع عن عبادة بن الصّامت قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**»(١).

وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن**»(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، ووجه المناظرة هاهنا يطول ذكره، وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك رحمهم الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا القول الأخير هو الصواب، وهو قول الجمهور؛ فإنه مُفسِّر لقوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [الْمُزَّمِّلِ: ٢٠]، ومفسر لقوله: «**ثم اقرأ بما تيسَّر من القرآن**»(٣)، فالآية والحديث مطلقان، وحديث عبادة وما جاء في معناه حديث مفسَّر واضح، ويحمل المجمل والمطلق على المفسَّر.

---

(١) متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، برقم (٧٥٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وإنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلُّمها قرأ ما تيسر له من غيرها، برقم (٣٩٤).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤٩٠).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان، باب من رد فقال عليك السلام برقم (٦٢٥١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... برقم (٣٩٧).

الآية عامة والحديث عام: «**فاقرأ ما تيسر معك من القرآن**» وكذا ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] هذا عام، وحديث عبادة وما جاء في معناه خاص، والخاص يقضي على العام، والمقيد يقضي على المطلق، ولهذا ذهب الجمهور إلى تعيُّن الفاتحة وأن الواجب أن تكون القراءة بالفاتحة في جميع الصلوات النفل والفرض، على الإمام والمأموم والمنفرد.

أما الإمام والمنفرد فهو محل إجماع أنه لا بدّ من قراءتها، وأما المأموم فهل تجب عليه أو يتحملها عنه الإمام؟ والأظهر أنه لا يتحملها بل تجب عليه لعموم الأدلة ولما جاء في حديث عبادة: «**لعلكم تقرؤون خلف إمامكم؟**» قلنا: نعم، قال: «**لا تفعلوا إلا بفاتحة الكتاب؛ فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**»، وحديث: «**فهي خداج فهي خداج**» رواه مسلم في «الصحيح» واضح في وجوبها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثمّ إنّ مذهب الشّافعيّ وجماعةٍ من أهل العلم: أنّه تجب قراءتها في كلّ ركعةٍ. وقال آخرون: إنّما تجب قراءتها في معظم الرّكعات. وقال الحسن وأكثر البصريّين: إنّما تجب قراءتها في ركعةٍ واحدةٍ من الصّلوات أخذًا بمطلق الحديث: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**». وقال أبو حنيفة وأصحابه والثّوريّ والأوزاعيّ: لا تتعيّن قراءتها بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ﴾ [المزمل: ٢٠] والله أعلم.

وقد روى ابن ماجه من حديث أبي سفيان السّعديّ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ مرفوعًا: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْحَمْدِ وَسُورَةٍ فِي فَرِيضَةٍ أَوْ غَيْرِهَا**»(١). وفي صحّة هذا نظر، وموضع تحرير هذا كله في كتاب الأحكام الكبير، والله أعلم.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه في كتاب مواقيت الصلاة عن =

والوجه الثّالث: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه **ثلاثة أقوالٍ للعلماء**:

[**أحدها**] أنّه تجب عليه قراءتها كما تجب على إمامه لعموم الأحاديث المتقدّمة.

[**والثّاني**] لا تجب على المأموم قراءة بالكلية لا الفاتحة ولا غيرها ولا في الصّلاة الجهريّة ولا السّرّيّة، لما رواه الإمام أحمد بن حنبلٍ في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ**»(١)، ولكن في إسناده ضعفٌ. ورواه مالكٌ عن وهب بن كيسان عن جابرٍ من كلامه، وقد روي هذا الحديث من طرقٍ ولا يصحّ شيءٌ منها عن النّبيّ ﷺ، والله أعلم.

[**والقول الثّالث**] أنّه تجب القراءة على المأموم في السّرّيّة لما تقدّم، ولا يجب ذلك في الجهريّة لما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي موسى الأشعريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»(٢).

وذكر بقيّة الحديث، وهكذا رواه أهل السّنن أبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ وابن ماجه عن أبي هريرة عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**وَإِذَا قَرَأَ**

= رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تحريم الصلاة وتحليلها، برقم (٢٣٨)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب القراءة خلف الإمام، برقم (٨٣٩).

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب إذا قرأ الإمام فأنصتوا برقم (٨٥٠)، والإمام أحمد (٢/ ٢٤٠، ٣/ ٣٣٩).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب برقم (٣٧٨)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ائتمام المأموم بالإمام، برقم (٤١١). وانظر حديث أبي موسى الأشعري في مسلم، برقم (٤٠٤/ ٦٢) (٦٣).

فَأَنْصِتُوا»، وقد صحّحه مسلم بن الحجّاج أيضًا، فدلّ هذان الحديثان على صحّة هذا القول وهو قولٌ قديمٌ للشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وروايةٌ عن الإمام أحمد بن حنبلٍ رحمه الله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأظهر وجوبها حتى في الجهرية؛ لأن العام يقضي عليه الخاص، وأحاديث الفاتحة خاصة فتقضي على جميع العمومات فيقرأها في الجهرية والسرية الإمام والمأموم والمنفرد كلهم يقرؤون الفاتحة في كل ركعة، فالأظهر والصواب: أنها تقرأ في كل ركعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والغرض من ذكر هذه المسائل هاهنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكامٍ لا تتعلّق بغيرها من السّور.

قال الحافظ أبو بكرٍ البزّار: حدّثنا إبراهيم بن سعيدٍ الجوهريّ، حدّثنا غسّان بن عبيدٍ، عن أبي عمران الجونيّ عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هُوَ اللهُ أَحَدٌ، فَقَدْ أَمِنْتَ مِنْ كُلِّ شيء إلا الموت»**[(١)].

الأسئلة:

● **س: هل في هذا الحديث مشروعية قراءة الفاتحة عند النوم؟**

ج: لا أعرف، قد تتبعته وما ورد فيها شيء صحيح، لا أعلم فيها شيء صحيح، المعروف عند النوم قراءة آية الكرسي، وقل هو الله أحد

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار (٤/ ٢٦ برقم ٣١٠٩) قال المنذري (٢٣٥/ ١): رجاله رجال الصحيح إلا غسان بن عبيد، قال الهيثمي (١٠/ ١٢١): فيه غسان بن عبيد وهو ضعيف ووثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح. وقال العجلوني (٢/ ١٠٧): رواه البزار وإسناده ضعيف.

والمعوِّذتين، وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في كل ليلة سواء كان عند النوم أو قبل النوم، أما قراءة الفاتحة عند النوم فما أعرفه إلا من هذا الحديث، وغسان كما يعلم ليس ممن يعتمد عليه.

لكن أعجب من المؤلف عدم التنبيه مع حفظه وجلالته فسبحان الله!.



تَفْسِيرُ الِاسْتِعَاذَةِ وأحكامها

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصّلت: ٣٤ ـ ٣٦].

فهذه ثلاث آياتٍ ليس لهنّ رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدوّ الإنسيّ والإحسان إليه ليردّه عنه طبعه الطّيّب الأصل عما هو فيه من الأذى إلى الموادّة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدوّ الشّيطانيّ لا محالة إذ لا يقبل مصانعةً ولا إحسانًا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم لشدّة العداوة بينه وبين أبيه آدم مِن قبل، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن النّاصحين وكذب فكيف معاملته لنا، وقد قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ

سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النّحل: ٩٨ - ١٠٠].

قالت طائفةٌ من القرّاء وغيرهم: نتعوّذ بعد القراءة، واعتمدوا على ظاهر سياق الآية، ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممّن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله عنه ابن قلوقا، وأبو حاتم السّجستانيّ، حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة الهذليّ المغربيّ في كتابه «الكامل»، وروي عن أبي هريرة أيضًا وهو غريب. ونقله محمّد بن عمر الرّازيّ في تفسيره عن ابن سيرين في روايةٍ عنه قال: وهو قول إبراهيم النّخعيّ وداود بن عليٍّ الأصبهانيّ الظّاهريّ.

وحكى القرطبيّ عن أبي بكر بن العربيّ عن المجموعة عن مالكٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن الاستعاذة إنما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس فيها، ومعنى الآية عندهم ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النّحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت القراءة؛ كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: إذا أردتم القيام، والدّليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بهذا المقال يوضح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذًا من الآيات الكريمات والأحاديث الصحيحة النبوية عداوة هذا الشيطان وحرصه على إغواء بني آدم، وأنه عدو مبين لا حيلة فيه ولا مصانعة معه ولا طريق إلى النجاة منه إلا بالاستعاذة بالله منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي خلقه وأنظره، فلا طريق للنجاة منه إلا بالتعوذ بالله واللجأ إلى الله، والاستقامة على طاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا هو الطريق الذي به النجاة من عدو الله الشيطان ووساوسه وذريته وأعوانه.

أما العدو الإنسي فيمكن أن يصانع بالمال، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ثم قال بعد

ذلك: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]؛ فأمره أن يدفع بالتي هي أحسن السيئة فيما بينه وبين الناس.

وهكذا قوله ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم قال بعدها: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فالشيطان إنما الطريق الوحيد للاستعاذة منه ومن مكائده التعوذ بالله من همزاته ونزغاته، والاستغاثة بالله، والاستقامة على دينه وطاعته سبحانه، والحذر من طاعة الشيطان، فإنك لو فتحت له الباب أعنته على نفسك، متى عصيت ربك فقد فتحت الباب؛ فالمعصية تعينه عليك، أما الطاعات فهي ضده وهي عون لك عليها، ومن أسباب توفيق الله لك وحمايته لك ومن جملة ذلك الاستعاذة تستعيذ به سبحانه في كل مكان وفي كل زمان تلجأ إلى الله دائمًا أن يعيذك من الشيطان ونزغاته.

وعند القراءة يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، قال بعضهم: إنك تستعيذ بعد القراءة حتى لا تعجب بها وحتى لا يوقعك في العجب والكبرياء، وقال بعضهم: تستعيذ بالله في أولها وبعد الفراغ منها.

والصواب الذي عليه جمهور أهل العلم: أن الاستعاذة تكون في أول القراءة حتى تبتغي طرد الشيطان في قراءتك؛ فمعنى قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]؛ معناه: فإذا أردت قراءةً فاستعذ بالله، مثل ما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]؛ أي: إذا أردتم القيام وأنتم على غير طهارة فاغسلوا وجوهكم، ومثل قوله عليه الصلاة

والسلام: «**إذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الخبث والخبائث**»(١)؛ يعني: إذا أراد الدخول، وهكذا قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت القراءة فاستعذ تتقي بذلك شر عدو الله وتتقي مكايده وتلبيسه، وبهذا يعلم طالب العلم بأنه في أشد الحاجة بل في أشد الضرورة لإعانة ربه له على هذا العدو وإعاذته له منه، ودفاعه عنه فهو خير مدافع عن الذين آمنوا.

فالجأ إلى الله في كل حال واستعن به في كل حال من هذا العدو ومن سائر الأعداء لعلك تنجو، لعلك توفق إذا صدقت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الإمام أحمد بن حنبلٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدّثنا محمّد بن الحسن بن أنس، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن عليّ بن عليٍّ الرّفاعيّ اليشكريّ، عن أبي المتوكّل النّاجي، عن أبي سعيدٍ الخدريّ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من اللّيل فاستفتح صلاته وكبّر قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**»، ثمّ يقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ثلاثًا، ثمّ يقول: «**أعوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ**»، ثمّ يقول: «**اللهُ أَكْبَرُ**» ثلاثًا، ثمّ يقول: «**أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(٢).

وقد رواه أهل السّنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي وهو الرفاعي، وقال الترمذي: هو أشهر شيء في هذا الباب، وقد فسّر الهمز بالموتة وهي الخنق، والنّفخ بالكبر، والنّفث بالشّعر.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء برقم (١٤٢)، ومسلم في كتاب الحيض، باب ما يقول إذا أراد الخلاء برقم (٣٧٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٥٠).

كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن عاصم العنزي، عن نافع بن جبير بن المطعم، عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصّلاة قال: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا** ـ ثَلَاثًا ـ، **الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا** ـ ثلاثًا ـ، **سُبْحَانَ اللهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ـ ثلاثًا ـ، **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**».

قال عمرو: همزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشّعر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الموتة؛ يعني: الصرع، صرع الإنسان يشبه الموت يسقط كأنه ميت وهو الخنق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابْن ماجه: حدّثنا عليّ بْن الْمنْذر، حدّثنا ابْن فضيْلٍ، حدّثنا عطاء بْن السّائب، عنْ أبي عبد الرّحْمٰن السّلميّ، عن ابْن مسْعودٍ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَهَمْزِهِ ونفخه ونفثه**»[(١)].

قال: همزه: الموتة، ونفخه: الكبر، ونفثه: الشعر.

وقال الْإمام أحْمد: حدّثنا إسْحاق بْن يوسف، حدّثنا شريكٌ عنْ يعْلى بْن عطاءٍ عن رجلٍ حدّثه: أنّه سمع أبا أمامة الْباهليّ يقول: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصّلاة كبّر ثلاثًا ثمّ قال: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ** ـ ثلاث مرّاتٍ ـ، **وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ** ـ ثلاث مرّاتٍ ـ **ثُمّ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[(٢)].

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى الموصليّ في

---

(١) أخرجه في كتاب إقامة الصلوات والسُّنَّة فيها، باب الاستعاذة في الصلاة، برقم (٨٠٨)، والإمام أحمد (١/ ٤٠٤) و(٤/ ٨٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٣).

مسنده: حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبان الكوفي، حدّثنا عليّ بن هاشم بن البريد، عن يزيد بن زيادٍ، عن عبد الملك بن عميرٍ عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعبٍ ﵁ قال: تلاحى رجلان عند النّبيّ ﷺ فتمزّع أنف أحدهما غضبًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلم شيئًا لو قاله لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، وكذا رواه النّسائيّ في «اليوم واللّيلة» عن يوسف بن عيسى المروزيّ، عن الفضل بن موسى، عن يزيد بن زياد بن أبي الجعدي، به.

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبلٍ عن أبي سعيدٍ عن زائدة، وأبو داود عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد، والتّرمذيّ والنّسائيّ في «اليوم والليلة» عن بندارٍ عن ابن مهديٍّ عن الثّوريّ، والنّسائيّ أيضًا من حديث زائدة بن قدامة ثلاثتهم عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبلٍ ﵁ قال: استبّ رجلان عند النّبيّ ﷺ فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى يخيل إليّ أنّ أحدهما يتمزّع أنفه من شدّة غضبه، فقال النّبيّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ مِنَ الْغَضَبِ**». فقال: ما هي يا رسول الله؟ قال: «**يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»[1].

قال: فجعل معاذ يأمره فأبى وجعل يزداد غضبًا، وهذا لفظ أبي داود، وقال التّرمذيّ: مرسلٌ؛ يعني: أنّ عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبلٍ فإنّه مات قبل سنة عشرين.

قلت:

وقد يكون عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى سمعه من أبيّ بن كعبٍ كما تقدّم وبلّغه عن معاذ بن جبلٍ، فإنّ هذه القصّة شهدها غير واحدٍ من الصّحابة ﵃.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل ﵁ من كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨٠) والإمام أحمد (٥/ ٢٤٠).

قال البخاريّ: حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جريرٌ، عن الأعمش، عن عديّ بن ثابتٍ قال: قال سليمان بن صرد رضي الله عنه: استبّ رجلان عند النّبيّ ﷺ فغضب أحدهما، فاشتدّ غضبه حتّى انتفخ وجهه وتغيّر، فقال النّبيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ**». فانطلق إليه الرّجل فأخبره بقول النّبيّ ﷺ وقال: تعوّذ بالله من الشّيطان. فقال: أترى بي بأسٌ أمجنونٌ أنا اذهب، وقد رواه أيضًا مع مسلمٍ وأبي داود والنّسائيّ من طرقٍ متعدّدةٍ عن الأعمش به[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الذي قال: لست بمجنون! حمله ذلك على شدة الغضب، مع شدة الغضب ما وعى، فلم يرعوي لأن غضبه قد استولى عليه، أو كان لا يؤمن بالله وبرسوله، ولهذا لم يقل ولم يستجب ولم يقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لما سمع كلام الرسول ﷺ.

فهذا إما أن يكون مع شدة غضبه صار كالمجنون لا يعي ما يقول، وإما أنه كان منافقًا لا يرعوي لما يقوله الرسول ﷺ. نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرةٌ يطول ذكرها هاهنا وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال، والله أعلم.

وقد روي أنّ جبريل عليه السلام أوّل ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة كما قال الإمام أبو جعفر بن جريرٍ: حدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا عثمان بن سعيدٍ، حدّثنا بشر بن عمارة، حدّثنا أبو روقٍ عن الضّحّاك عن عبد الله بن عبّاسٍ قال: أوّل ما نزل جبريل على محمّدٍ ﷺ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن، برقم (٦٠٤٨٧)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يمسك نفسه عند الغضب...، برقم (٢٦١٠).

قال: يا محمّد استعذ قال: «**أَسْتَعِيذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»، ثمّ قال: قل بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، ثمّ قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، قال عبد الله: وهي أوّل سورةٍ أنزلها الله على محمّدٍ ﷺ بلسان جبريل.

وهذا الأثر غريبٌ وإنّما ذكرناه ليعرف، فإنّ في إسناده ضعفًا وانقطاعًا.

وجمهور العلماء على أنّ الاستعاذة مستحبّةٌ ليست بمُتحتّمةٍ يأثم تاركها، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباحٍ وجوبها في الصّلاة وخارجها كلّما أراد القراءة قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوّذ مرّةً واحدةً في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب، واحتجّ الرازي لعطاءٍ بظاهر الآية ﴿فَٱسْتَعِذْ﴾ [النحل: ٩٨] وهو أمرٌ ظاهره الوجوب، وبمواظبة النّبيّ ﷺ عليها ولأنّها تدرأ شرّ الشّيطان وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجبٌ، ولأنّ الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب، وقال بعضهم: كانت واجبةٌ على النّبيّ ﷺ دون أمّته، وحكي عن مالكٍ أنّه لا يتعوّذ في المكتوبة ويتعوّذ لقيام رمضان في أول ليلة منه.

قال الشّافعيّ في الإملاء: يجهر بالتّعوّذ وإن أسرّ فلا يضرّ، وقال في «الأمّ» بالتّخيير؛ لأنّه أسرّ ابن عمر وجهر أبو هريرة، واختلف قول الشّافعيّ فيما عدا الرّكعة الأولى هل يستحبّ التّعوّذ فيها على قولين ورجّح عدم الاستحباب، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجمهور على أنها سُنَّة مؤكدة عند بدء القراءة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أما البسملة فهي متأكدة أكثر في أول كل سورة ما عدا براءة، حتى قال بعض أهل العلم: إنها آية من كل سورة فلا بدّ من قراءتها، وقال آخرون: إنها آية من الفاتحة دون غيرها.

والصواب: أنها آية مستقلة ليست من الفاتحة ولا من غيرها لكن مستقلة بدءًا للسور وفتحًا للسور وتبركًا باسمه ﷻ عند بدء كل سورة ما عدا براءة؛ فإن الصحابة لما جمعوا القرآن شكُّوا في الأنفال وبراءة هل هما سورتان أم سورة واحدة؟ ولهذا لم يكتبوا بينهما بسم الله الرحمٰن الرحيم كما قال عثمان.

فينبغي للمؤمن أن يقرأ البسملة في أول كل سورة وينبغي له أن يتعوذ أيضًا قبل ذلك حتى يجمع بين السُّنتين. وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم.

وأما قول عطاء بالوجوب فله قوة لظاهر الأوامر فينبغي للمؤمن ألا يدعها أبدًا؛ لأن الله أمر بذلك والرسول ﷺ فعلها واستمر عليها، فينبغي للمؤمن إذا أراد القراءة أن يبدأ بالتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يضم إليها البسملة إن كان من أول السورة، وإن كان من أثناء السورة فالأمر واسع إن أتى بالبسملة فلا بأس، وإن اكتفى بالاستعاذة كفى، وظاهر الآية الكريمة أنه يكتفى بالاستعاذة إلا إذا أراد أن يبدأ بالسورة بدأها بالاستعاذة ثم التسمية، حتى يجمع بين السُّنتين.

وأما قوله عن مالك أنه كان يستعيذ في النفل أو في رمضان فهذا لا وجه له؛ بل الذي عليه جمهور أهل العلم التسمية والاستعاذة في الليل والنهار وفي الفرض وفي النفل، وفي الصلاة وخارجها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فإذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم كفى ذلك عند الشّافعيّ وأبي حنيفة وزاد بعضهم: أعوذ بالله السّميع العليم، وقال آخرون: بل يقول: أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم إنّ الله هو السميع العليم، قال الثّوريّ والأوزاعيّ، وحكي عن بعضهم أنّه يقول: أستعيذ بالله من الشّيطان الرّجيم، لمطابقة أمر الآية ولحديث الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ المذكور، والأحاديث الصّحيحة كما تقدّم أولى بالاتّباع من هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والإنسان مخيَّر إذا قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، كله حسن، وهكذا من همزه ونفخه ونفثه كل هذه استجارة الله واستعاذة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثمّ الاستعاذة في الصّلاة إنّما هي للتّلاوة وهو قول أبي حنيفة ومحمّدٍ. وقال أبو يوسف: بل للصّلاة، فعلى هذا يتعوّذ المأموم وإن كان لا يقرأ ويتعوّذ في العيد بعد الإحرام وقبل تكبيرات العيد والجمهور بعدها قبل القراءة، ومن لطائف الاستعاذة أنّها طهارةٌ للفم ممّا كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له، وهو لتلاوة كلام الله وهي استعانةٌ بالله واعترافٌ له بالقدرة وللعبد بالضّعف والعجز عن مقاومة هذا العدوّ المبين الباطنيّ الّذي لا يقدر على منعه ودفعه إلّا الله الّذي خلقه، ولا يقبل مصانعةً ولا يدارى بالإحسان بخلاف العدوّ من نوع الإنسان، كما دلّت على ذلك آيات من القرآن في ثلاثٍ من المثاني وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري فمن قتله العدو الظاهري البشريّ كان شهيدًا، ومن قتله العدوّ الباطنيّ كان طريدًا، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطني كان مفتونًا أو موزورًا، ولمّا كان الشّيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالّذي يراه ولا يراه الشّيطان.

الأسئلة لسماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

- **س/ الاستعاذة عند التثاؤب؟**

ج: لا أعرف لها أصلًا، لكن معروف أنه من الشيطان، التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب واستعاذ بالله فلا نعلم فيه بأسًا. لكن لا أعلم أن ورد فيه شيئًا، إنما يفعله الناس؛ لأنهم يعلمون أن التثاؤب من الشيطان.

[فَصْلٌ]

والاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله تعالى والالتصاق بجنابه من شرّ كلّ ذي شرٍّ. والعياذة تكون لدفع الشّرّ، واللّياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمّله ... ومن أعوذ به ممّن أحاذره
لا تجبر النّاس عظمًا أنت كاسره ... ولا يهيضون عظمًا أنت جابره

هو معنى أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم؛ أي: أستجير بجناب الله من الشّيطان الرّجيم أن يضرّني في ديني أو دنياي أو يصدّني عن فعل ما أمرت به، أو يحثّني على فعل ما نهيت عنه فإنّ الشّيطان لا يكفّه عن الإنسان إلّا الله، ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه ليردّه طبعه عمّا هو فيه من الأذى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لهذا قال سبحانه: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]؛ فالإنسي يدفع بأشياء كثيرة من مقابلة السيئة بالإحسان من دفع المال، من الشفاعة إليه بأقاربه وأخصائه إلى غير هذا. أما عدو الله الشيطان وجنوده فلا يدفعهم إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو الذي بيده صدهم ودفعهم، ولهذا شرع سبحانه أن نلجأ إليه بالاستعاذة به من الشيطان الرجيم، عند القراءة وفي مواضع أخرى، فالمؤمن يلوذ بالله ويستعيذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعوذ به من شر الشيطان ويلوذ به في كل ما يرجوه ويؤمِّله، فالعياذة في دفع الشر، واللياذة في طلب الخير.

وعدو الله الشيطان وسائر شياطين الجن لا يصدهم عنك ولا يمنعهم منك إلا مولاك سبحانه فهو القادر عليهم جلَّ وعلا، فجدير بالمؤمن أن يلجأ إلى الله دائمًا وأن يستعين به من الشيطان في جميع الأحوال، وأن يتخذ أسباب ذلك من طاعة الله ورسوله والبعد عما نهى الله عنه ورسوله، فإن الإقدام على المعاصي من أعظم الأسباب التي

تعينه عليك وتمكنه منك، فإن من عصى الله فتح لعدوه الباب، وكلما زادت المعاصي زاد اتساع الباب واتساع الخرق لدنو الشيطان وتمكنه منك، وكلما أغلقت الباب واجتهدت في إغلاقه بأداء الواجبات وترك المحرمات كنت أبعد ما يكون عن عدوك الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأمر بالاسْتعاذة به منْ شيْطان الْجنّ؛ لأنّه لا يقْبل رشْوةً ولا يؤثّر فيه جميلٌ؛ لأنّه شرّيرٌ بالطّبع ولا يكفّه عنك إلّا الّذي خلقه، وهذا المعنى في ثلاث آياتٍ من القرآن لا أعلم لهنّ رابعةً: قوله في الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذا فيما يتعلّق بمعاملة الأعداء من البشر، ثمّ قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى في سورة «قد أفلح المؤمنون»: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦ ـ ٩٨]، وقال تعالى في سورة «حم السّجدة»: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصّلت: ٣٤ ـ ٣٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وتقدم التنبيه على هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والشيطان في لغة العرب مشتقٌّ من شطن إذا بعد، فهو بعيدٌ بطبعه عن طباع البشر وبعيدٌ بفسقه عن كلّ خيرٍ، وقيل: مشتقٌّ من شاط؛ لأنّه مخلوقٌ من نارٍ، ومنهم من يقول: كلاهما صحيحٌ في المعنى ولكنّ

الأوّل أصحّ، وعليه يدلّ كلام العرب، قال أميّة بن أبي الصّلت في ذكر ما أوتي سليمان ﷺ:

أيّما شاطنٍ عصاه عكاه ... ثمّ يلقى في السّجن والأغلال

فقال: أيّما شاطنٍ ولم يقل أيّما شائطٍ.

وقال النّابغة الذّبيانيّ، وهو زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضباب بن يربوع بن مرّة بن سعد بن ذبيان:

نأت بسعاد عنك نوى شطون ... فباتت والفؤاد بها رهين

يقول: بعدت بها طريقٌ بعيدةٌ.

وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلانٌ إذا فعل فعل الشياطين، ولو كان من شاط لقالوا تشيَّط؛ فالشيطان مشتقٌّ من البعد على الصّحيح، ولهذا يسمّون كل من تمرّد من جنّيٍّ وإنسيٍّ وحيوانٍ شيطانًا، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال رَسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**» فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: «**نَعَمْ**»(١).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذرٍّ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ الأَسْوَد**» فقلت: يا رسول الله ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر؟ فقال: «**الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**»(٢).

وقال ابن وهبٍ: أخبرني هشام بن سعدٍ عن زيد بن أسلم، عن أبيه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الصلاة، باب قدر ما يستر المصلي، برقم (٥١١).

أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ركب برذونًا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد إلّا تبخترًا فنزل عنه وقال: ما حملتموني إلّا على شيطانٍ ما نزلت عنه حتّى أنكرت نفسي. إسناده صحيح.

والرجيم فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ؛ أي: أنّه مرجومٌ مطرودٌ عن الخير كلّه، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصّافات: ٦ ـ ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦ ـ ١٨]، إلى غير ذلك من الآيات. وقيل: رجيمٌ بمعنى: راجمٍ؛ لأنّه يرجم النّاس بالوساوس والربائث.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ربائث الشيء الذي يثبط عن الخير والطاعة، الربيث ما يربثك؛ يعني: ما يعوقك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقيل: رجيمٌ بمعنى: راجمٍ؛ لأنّه يرجم النّاس بالوساوس والربائث والأول أشهر وأصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني الأول: أنه بمعنى: مطرود، يعني: يطرد ويبعد عن رحمة الله.

*

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾

افتتح بها الصّحابة كتاب الله، واتّفق العلماء على أنّها بعض آيةٍ من سورة النّمل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهي في قوله جلَّ وعلا: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم اختلفوا: هل هي آيةٌ مستقلّةٌ في أوّل كلّ سورةٍ، أو من أوّل كلّ سورةٍ كتبت في أولها، أو أنها بعض آية من كلّ سورةٍ، أو أنّها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنّها إنّما كتبت للفصل لا أنّها آيةٌ: على أقوالٍ للعلماء سلفًا وخلفًا، وذلك مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

وفي «سنن أبي داود» بإسنادٍ صحيحٍ، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّ رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السّورة حتّى ينزل عليه: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، وأخرجه الحاكم أبو عبد الله النّيسابوريّ في مستدركه أيضًا، وروي مرسلًا عن سعيد بن جبيرٍ[(١)].

وفي «صحيح ابن خزيمة» عن أمّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنّ رسول الله ﷺ قرأ البسملة في أوّل الفاتحة في الصّلاة وعدّها آيةً، لكنّه من رواية عمر بن هارون البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عنها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعمر هذا ليس بشيء، عمر هذا متهم بالكذب. والصواب: أنها آية مستقلة من كتاب الله جلَّ وعلا فصل بين السور، آية مستقلة وليست من الفاتحة ولا من غيرها، فهي آية مستقلة للفصل بين السور، وهذا أحسن ما قاله العلماء فيها وهي بعض آية من سورة النمل، والفاتحة سبع

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب من جهر بها، برقم (٧٨٨)، والحاكم (١/ ٢٣١) وقال صحيح على شرط الشيخين.

آيات من دونها، أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ وآخرها: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي «صحيح ابن خزيمة»، عن أم سلمة: أن رسول الله ﷺ قرأ البسملة في أول الفاتحة في الصلاة وعدّها آية، لَكِنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ بْنِ هَارُونَ البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جريج عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْهَا[1].

وروى له الدّارقطنيّ متابعًا عن أبي هريرة مرفوعًا، وروى مثله عن عليٍّ وابن عبّاسٍ وغيرهما. وممّن حكي عنه أنّها آيةٌ من كلّ سورةٍ إلّا براءةٌ: ابن عبّاسٍ وابن عمر وابن الزّبير وأبو هريرة وعليٌّ، ومن التّابعين: عطاءٌ وطاوسٌ وسعيد بن جبيرٍ ومكحولٌ والزّهريّ، وبه يقول عبد الله بن المبارك والشّافعيّ وأحمد بن حنبلٍ في روايةٍ عنه وإسحاق بن راهويه وأبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ رحمهم الله.

وقال مالكٌ وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آيةٌ من الفاتحة ولا من غيرها من السّور، وقال الشّافعيّ في قولٍ في بعض طرق مذهبه: هي آيةٌ من الفاتحة وليست من غيرها، وعنه: أنّها بعض آيةٍ من أوّل كلّ سورةٍ، وهما غريبان.

وقال داود: هي آيةٌ مستقلّةٌ في أوّل كلّ سورةٍ لا منها، وهذا روايةٌ عن الإمام أحمد بن حنبلٍ وحكاه أبو بكرٍ الرّازيّ عن أبي الحسن الكرخيّ، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله. هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا.

---

(١) أخرجه في كتاب جامع أبواب الأذان والإقامة، باب ذكر الدليل على أن بسم الله الرحمٰن الرحيم آية من فاتحة الكتاب (١/ ٥٤٧) برقم (٤٩٣)، ورواه الدارقطني (١/ ٣٠٧)، والبيهقي (٢/ ٤٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أحسنها: أنها آية مستقلة فليست من الفاتحة ولا من غيرها، ولكنها بعض آية من سورة النمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأما الجهر بها فمفرّعٌ على هذا، فمن رأى أنّها ليست من الفاتحة فلا يجهر بها وكذا من قال إنّها آيةٌ من أوّلها، وأمّا من قال: بأنّها من أوائل السّور فاختلفوا، فذهب الشّافعيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى أنّه يجهر بها مع الفاتحة والسّورة، وهو مذهب طوائفٍ من الصّحابة والتّابعين وأئمّة المسلمين سلفًا وخلفًا، فجهر بها من الصّحابة: أبو هريرة وابن عمر وابن عبّاسٍ ومعاوية، وحكاه ابن عبد البرّ والبيهقيّ عن عمر وعليٍّ، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة وهم: أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعليٌّ وهو غريبٌ، ومن التّابعين: عن سعيد بن جبيرٍ وعكرمة وأبي قلابة والزّهريّ وعليّ بن الحسين وابن محمّدٍ وسعيد بن المسيّب وعطاءٍ وطاوسٍ ومجاهدٍ وسالمٍ ومحمّد بن كعبٍ القرظيّ وعبيد وأبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزمٍ وأبي وائلٍ وابن سيرين ومحمّد بن المنكدر وعليّ بن عبد الله بن عبّاسٍ وابنه محمّدٍ ونافعٍ مولى ابن عمر وزيد بن أسلم وعمر بن عبد العزيز والأزرق بن قيسٍ وحبيب بن أبي ثابتٍ وأبي الشّعثاء ومكحولٍ وعبد الله بن معقل بن مقرّنٍ، زاد البيهقيّ: وعبد الله بن صفوان ومحمد ابن الحنفيّة. زاد ابن عبد البرّ: وعمرو بن دينارٍ.

والحجّة في ذلك: أنّها بعض الفاتحة فيجهر بها كسائر أبعاضها، وأيضًا فقد روى النّسائيّ في «سننه» وابن خزيمة وابن حبّان في «صحيحهما» والحاكم في «مستدركه» عن أبي هريرة أنّه صلّى فجهر في قراءته بالبسملة وقال بعد أن فرغ: إنّي لأشبهكم صلاةً برسول الله ﷺ. وصحّحه الدّارقطنيّ والخطيب والبيهقيّ وغيرهم[1].

---

(١) أخرجه النسائي (٢/ ١٣٤)، وابن خزيمة (١/ ٢٥١)، وابن حبان (٤٥١).

وروى أبو داود والتّرمذيّ عن ابن عبّاسٍ: أنّ رسول الله ﷺ كان يفتتح الصّلاة ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم.

ثمّ قال التّرمذيّ: وليس إسناده بذاك. وقد رواه الحاكم في «مستدركه» عن ابن عبّاسٍ قال: كان رسول الله ﷺ يجهر ببسم الله الرّحمٰن الرحيم، ثمّ قال: صحيحٌ.

وفي «صحيح البخاريّ» عن أنس بن مالكٍ أنّه سئل عن قراءة النّبيّ ﷺ فقال: كانت قراءته مدًّا، ثم قرأ ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم يمدّ بسم الله ويمدّ الرّحمٰن ويمدّ الرّحيم(١).

وفي «مسند الإمام أحمد» و«سنن أبي داود» و«صحيح ابن خزيمة» و«مستدرك الحاكم» عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته: بسم الله الرّحمٰن الرّحيم. الحمد للّه ربّ العالمين. الرّحمٰن الرّحيم. مالك يوم الدّين. وقال الدّارقطنيّ: إسناده صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: يقف على رؤوس الآي لا يسردها، من باب الترتيل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وروى الإمام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في «مستدركه» عن أنسٍ: أنّ معاوية صلّى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلمّا صلّى المرّة الثّانية بسمل(٢).

وفي هذه الأحاديث والآثار الّتي أوردناها كفايةٌ ومقنعٌ في الاحتجاج لهذا القول عمّا عداها.

---

(١) أخرجه في كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، برقم (٥٠٤٦).

(٢) أخرجه الشافعي في الأم (١/ ٣/ ٩٣)، والدارقطني (١/ ٣١١).

فأمّا المعارضات والرّوايات الغريبة وتطريقها وتعليلها وتضعيفها وتقريرها فله موضعٌ آخر.

وذهب آخرون: أنّه لا يجهر بالبسملة في الصّلاة، وهذا هو الثّابت عن الخلفاء الأربعة وعبد الله بن مغفّلٍ وطوائفٍ من سلف التّابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة والثّوريّ وأحمد بن حنبلٍ.

وعند الإمام مالكٍ: أنّه لا يقرأ البسملة بالكلّيّة لا جهرًا ولا سرًّا واحتجّوا بما في «صحيح مسلمٍ» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يفتتح الصّلاة بالتكبير والقراءة بالحمد للّه ربّ العالمين، وبما في «الصّحيحين» عن أنس بن مالكٍ قال: صلّيت خلف النّبيّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمر وعثمان فكانوا يفتتحون بالحمد لله ربّ العالمين. ولمسلم: ولا يذكرون بسم الله الرّحمٰن الرّحيم في أوّل قراءةٍ ولا في آخرها[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا هو الأصح من أقوال العلماء وهو قول أكثر الجمهور: أن السُّنَّة الإسرار بالبسملة لا يُجهر بها، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الراشدين وجمهور أهل العلم، ومذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد حتى أن مالكًا رحمه الله لا يرى قراءتها بالكلية، ولكنه قول ضعيف، والصواب: أنها تقرأ لكن سرًّا.

يعني: علّق هذا الاسم بفلان أو عيَّنه به، فإذا قلت: سمَّيت ولدي أحمد؛ يعني: بهذا الاسم، سميته محمد؛ يعني: أنك أطلقت عليه هذا الاسم.

ولكن ليس في هذا البحث كبير شيء؛ لأنه من أوضح الواضحات.

---

(١) أخرجه في كتاب الصلاة، باب نهي المأموم عن جهره بالقراءة خلف إمامه، برقم (٣٩٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[الله] عَلَمٌ على الرّبّ تبارك وتعالى، يقال: إنّه الاسم الأعظم؛ لأنّه يوصف بجميع الصّفات كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤]؛ فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وفي «الصّحيحين» عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

وجاء تَعدادها في رواية التّرمذيّ وابن ماجه، وبين الرّوايتين اختلاف زيادة ونقصان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومما تقدم يتضح أن القول بأن أسماء الله غير الله، أو أنها الله، كلام ما هو مستقيم، فلا يقال أنها غير الله، ولا يقال أنها الله، ولا يقال الاسم هو المسمَّى ولا غير المسمَّى إلا بالتفصيل، فلا يقال أنها غيره، ولا يقال أنه هي، ولكن يقال بالتفصيل مثلما تقدم.

إن أريد معناها . . .الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أطلقت عليه، وأيضًا من حيث

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال مئة إلا واحدة أو ثنتين، برقم (٢٧٣٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء تعالى وفضل من أحصاها، برقم (٢٦٧٧).

الاشتقاق ومن حيث الألفاظ والكمال في اللفظ من جهة الصرف وعدمه ومن جهة العجمة وغيرها فالأسماء غير المسمى، بالتفصيل يعني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد ذكر الرّازيّ في «تفسيره» عن بعضهم: أنّ للّه خمسة آلاف اسم: ألفٌ في الكتاب والسّنّة الصّحيحة، وألفٌ في التّوراة، وألفٌ في الإنجيل، وألفٌ في الزّبور، وألفٌ في اللّوح المحفوظ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه دعوى لا دليل عليها دعوى بغير حجة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو اسمٌ لم يسمّ به غيره تبارك وتعالى، ولهذا لا يُعرف في كلام العرب له اشتقاق من فعل يفعل، فذهب من ذهب من النّحاة إلى أنّه اسم جامد لا اشتقاق له، وقد نقله القرطبيّ عن جماعةٍ من العلماء منهم: الشّافعيّ والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم، وروي عن الخليل وسيبويه: أنّ الألف واللّام فيه لازمةٌ، قال الخطّابيّ: ألا ترى أنّك تقول: يا الله ولا تقول يا الرّحمٰن، فلولا أنّه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النّداء على الألف واللّام، وقيل: إنّه مشتقٌّ، واستدلّوا عليه بقول رؤبة بن العجاج:

لــلّــه درّ الــغــانــيــات الــمــدة　　سبّحن واسترجعن من تألّــهي

فقد صرّح الشّاعر بلفظ المصدر وهو التّألّه، من أله يأله إلاهةً وتألّهًا، كما روي عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧]، قال: عبادتك؛ أي: أنّه كان يعبد ولا يعبد، وكذا قال مجاهدٌ وغيره.

وقد استدلّ بعضهم على كونه مشتقًّا بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزّخرف: ٨٤]، ونقل سيبويه عن الخليل: أنّ أصله

إلاهٌ مثل فعالٍ فأدخلت الألف واللّام بدلًا من الهمزة. قال سيبويه: مثل النّاس، أصله أناس، وقيل: أصل الكلمة لاه فدخلت الألف واللّام للتّعظيم، وهذا اختيار سيبويه. قال الشاعر:

لاه ابن عمّك لا أفضلت في حسبٍ   عنّي ولا أنت ديّاني فتخزوني

قال القرطبيّ: «بالخاء المعجمة؛ أي: فتسوسني. وقال الكسائيّ والفرّاء: أصله الإلٰه حذفوا الهمزة وأدغموا اللّام الأولى في الثّانية»، كما قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨]؛ أي: لكنّ أنا وقد قرأها كذلك الحسن، قال القرطبيّ: ثمّ قيل: هو مشتقٌّ من وَلَهَ إذا تحيّر، والولَه ذهاب العقل يقال: رجلٌ والهٌ وامرأة ولهاء ومولوهة، وماء مولّه إذا أرسل في الصحراء، فالله تعالى يحيّر أولئك والفكر في حقائق صفاته؛ فعلى هذا يكون ولّاه فأبدلت الواو همزةً كما قالوا في وشاح: إشاح ووسادة: إسادة. وقال الرّازيّ: وقيل: إنّه مشتقٌّ من ألهت إلى فلانٍ؛ أي: سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلّا بمعرفته؛ لأنّه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرّعد: ٢٨]، قال: وقيل: من لاه يلوه إذا احتجب، وقيل: اشتقاقه من ألِهَ الفصيل: أولع بأمّه. والمعنى: أنّ العباد مألوهون مولعون بالتّضرّع إليه في كلّ الأحوال.

قال: وقيل: مشتقٌّ من أله الرّجل يأله إذا فزع من أمرٍ نزل به فألّهه؛ أي: أجاره. فالمجير لجميع الخلائق من كلّ المضارّ هو الله سبحانه لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وهو المنعم لقوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣]، وهو المُطعِم لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعامِ: ١٤] وهو المُوجِد لقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النّساء: ٧٨].

وقد اختار الرازي أنه اسم غير مشتقٍّ البتّة، قال: وهو قول الخليل

وسيبويه وأكثر الأصوليّين والفقهاء، ثمّ أخذ يستدلّ على ذلك بوجوهٍ منها: أنّه لو كان مشتقًّا لاشترك في معناه كثيرون، ومنها أنّ بقية الأسماء تذكر صفات له فتقول: الله الرّحمٰن الرّحيم الملك القدّوس، فدلّ أنّه ليس بمشتقٍّ. قال: فأمّا قوله تعالى: ﴿...ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١، ٢] على قراءة الجرّ فجعل ذلك من باب عطف البيان، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾: [مريم: ٦٥]. وفي الاستدلال بهذه على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتقٍّ نظرٌ والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب: أنه مشتق وأنه من التألُّه والتعبُّد، وأن أصله الإلٰه بمعنى المعبود، فِعال بمعنى مفعول ككتاب بمعنى مكتوب وبساط بمعنى مبسوط، وأنه بمعنى الإلٰه الذي تألهه القلوب وتضرع إليه وتحبه وتشتاق إليه وتعتمد عليه حبًّا وتعظيمًا وشوقًا إليه وخشوعًا وطلبًا لمرضاته، وهذا هو الذي فسَّره المحققون كأبي العباس ابن تيمية وابن القيم في «البدائع» وغيرهم. والمعنى واضح في ذلك قراءة ابن عباس: ويذرك وإلاهتك، فهو إلٰه فعال بمعنى مفعول، سمى نفسه بهذا؛ لأنه المستحق للعبادة جلَّ وعلا، فالعباد يعبدونه يألهونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويضرعون إليه ويسألونه حاجاتهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحكى الرازي عن بعضهم: أنّ اسم الله تعالى عبرانيٌّ لا عربيٌّ ثم ضعّفه، وهو حقيقٌ بالتّضعيف كما قال، وقد حكى الرازي هذا القول ثم قال: وأعلم أن الخلائق قسمان: واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وتيه الجهالة، فكأنّهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم. وأمّا الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النّور وفسحة الكبرياء والجلال فتاهوا في ميادين الصّمديّة وبادوا في عرصة الفردانية، فثبت أن الخلائق كلّهم والِهون في معرفته. وروي عن الخليل بن أحمد

أنّه قال: لأنّ الخلق يألهون إليه، بفتح اللام وكسرها لغتان، وقيل: إنّه مشتقٌّ من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكلّ شيءٍ مرتفعٍ: لاها، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت، وقيل: إنه مشتق من أله الرجل إذا تعبَّد وتألَّه إذ تنسَّك، وقرأ ابن عباس: ويذرك وإلاهتك، وأصل ذلك الإلٰه فحذفت الهمزة الّتي هي فاء الكلمة فالتقت اللّام الّتي هي عينها مع اللّام الزّائدة في أوّلها للتّعريف فأدغمت إحداهما في الأخرى فصارتا في اللّفظ لامًا واحدة مشددة وفُخِّمت تعظيمًا فقيل: الله.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾

اسمان مشتقّان من الرّحمة على وجه المبالغة، ورحمٰن أشدّ مبالغةً من رحيمٍ، وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتّفاق على هذا، وفي تفسير بعض السّلف ما يدلّ على ذلك كما تقدّم في الأثر عن عيسى عليه السلام أنّه قال: «**وَالرَّحْمٰنُ: رَحْمٰنُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الآخرة**»، وزعم بعضهم أنّه غير مشتقٍّ إذ لو كان كذلك لاتصل بذكر المرحوم وقد قال: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وحكى ابن الأنباريّ في «الزّاهر» عن المبرّد أنّ الرّحمٰن: اسمٌ عبرانيٌّ ليس بعربيٍّ. وقال أبو إسحاق الزّجّاج في «معاني القرآن»: وقال أحمد بن يحيى: الرّحيم عربيٌّ والرّحمٰن عبرانيٌّ، فلهذا جمع بينهما. قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوبٌ عنه..

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والصواب مثل ما تقدم مثل ما قاله أبو إسحاق: كلاهما اسم عربي مشتق «الرحمٰن والرحيم» كلاهما اسمان عربيان نطق بهم العرب وهما مشتقان بلا ريب؛ فالرحمٰن أوسع من الرحيم، ولكن المروي عن عيسى لا صحة له، فالرحمٰن والرحيم كلاهما في الدنيا والآخرة، هو الرحمٰن في الدنيا والآخرة، ورحيم في الدنيا والآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ

رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] في دنياهم وأخراهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧]، لما ذكر التوبة قال: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾؛ فالرحمٰن صيغة مبالغة فعلان لكثرة رحمته سبحانه وتعالى وسعتها، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وهو واسع المغفرة عظيم الرحمة واسع الرحمة، والرحيم أخص بالمرحومين ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] وهو متعلق بالمرحومين.

والرحمٰن وصف عام، وصف لله قائم به عام يعم كل شيء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أحمد بن يحيى: الرّحيم عربيٌّ والرّحمٰن عبرانيٌّ، فلهذا جمع بينهما. قال أبو إسحاق: وهذا القول مرغوبٌ عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أبو إسحاق يعني: الزجاج، يعني: القول بأن الرحمٰن عبراني والرحيم عربي، هو قول مرغوب عنه، يعني: ليس بشيء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال القرطبيّ: والدّليل على أنّه مشتقٌّ ما خرّجه التّرمذيّ وصحّحه عن عبد الرّحمٰن بن عوفٍ رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمٰنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ**»، قال: وهذا نصٌّ في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشّقاق، قال: وإنكار العرب لاسم الرّحمٰن لجهلهم بالله وبما وجب له، قال القرطبي: ثم قيل: هما بمعنًى واحدٍ كندمان ونديم، قاله أبو عبيد، وقيل: ليس بناء فعلان كفعيلٍ، فإنّ فعلان لا يقع إلَّا على مبالغة الفعل نحو قولك: رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبًا، وفعيلٌ قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، قال أبو عليٍّ الفارسيّ: الرّحمٰن اسمٌ عامٌّ

في جميع أنواع الرّحمة يختصّ به الله تعالى، والرحيم إنما هو من جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال ابن عبّاسٍ: هما اسمان رقيقان أحدهما أرقّ من الآخر؛ أي: أكثر رحمةً، ثمّ حكي عن الخطّابيّ وغيره أنّهم استشكلوا هذه الصفة وقالوا: لعله أرفق كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ ويعطي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»(١).

وقال ابن المبارك: الرّحمٰن إذا سئل أعطى، والرحيم إذا لم يسأل غضب. وهذا كما جاء في الحديث الّذي رواه التّرمذيّ وابن ماجه من حديث أبي صالح الفارسيّ الخوزيّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عليه**»(٢)، وقال بعض الشعراء:

اللّه يغضبُ إن تركتَ سؤاله ... وبنيّ آدم حين يُسأل يغضب

ألا أنشدك محامد حمدت بها ربّي تبارك وتعالى فقال: «أما إنّ ربّك يحبّ الحمد» ورواه النّسائيّ عن عليّ بن حجرٍ عن ابن عليّة عن يونس بن عبيدٍ عن الحسن الأسود بن سريع به.

وروى أبو عيسى الحافظ التّرمذيّ والنّسائيّ وابن ماجه من حديث موسى بن إبراهيم بن كثيرٍ عن طلحة بن خراشٍ عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**»(٣).

وقال التّرمذيّ: حسنٌ غريبٌ، وروى ابن ماجه عن أنس بن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق برقم (٢٥٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٣٧٣)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الدعاء برقم (٣٨٢٧).

(٣) أخرجه في كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، برقم (٣٣٨٣)، والنسائي في اليوم والليلة، برقم (٨٣١)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠٠).

مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عبد نِعْمَةً فقال: الحمد الله إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ»**(١).

وقال القرطبيّ في «تفسيره» وفي «نوادر الأصول» عن أنسٍ عن النّبيّ ﷺ قال: **«لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لله كان الْحَمْدُ لِلَّهِ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»**. قال القرطبيّ وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكثر نعمةً عليه من نعم الدّنيا؛ لأنّ ثواب الحمد لله لا يفنى ونعيم الدّنيا لا يبقى، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وفي «سنن ابن ماجه» عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ حدّثهم: «أنّ عبدًا من عباد الله قال: يا ربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها فصعدا إلى الله فقالا: يا ربنا إنّ عبدًا قد قال مقالةً لا ندري كيف نكتبها، قال الله، وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدي؟ قالا: يا رب إنه قال: لك الحمد يا رب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: اكتباها كما قال عبدي حتّى يلقاني فأجزيه بها»(٢)

وحكى القرطبيّ عن طائفةٍ أنّهم قالوا: قول العبد: الحمد للّه ربّ العالمين أفضل من قوله: (لا إلٰه إلّا الله) لاشتمال الحمد للّه ربّ العالمين على التّوحيد مع الحمد، وقال آخرون: (لا إلٰه إلّا الله) أفضل؛ لأنّها تفصل بين الإيمان والكفر وعليها يقاتل النّاس حتّى يقولوا: لا إلٰه إلّا الله، كما ثبت في الحديث المتّفق عليه، وفي الحديث الآخر: **«أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»**.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين برقم (٣٨٠٥)، والإمام أحمد (٢/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه في كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، برقم (٣٨٠١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الأصح: أن أفضل الذكر: لا إلٰه إلا الله، فهي كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي التي يقاتل عليها الناس، وهي أساس الملة وهي أصرح شيء في توحيد الله والإخلاص له، وفي الصحيح «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**، أو قال: **بضع وستون شعبة فأفضلها قول: لا إلٰه إلا الله**»[(١)].

فكلمة لا إلٰه إلا الله هي أفضل الكلام وأعظم الكلام، وهي أس الملة وأصلها.

والحمد مجرد ثناء على الله سبحانه وليس فيه تخصيص بالعبادة، فتخصيصه بالثناء العام والعبادة من الثناء العام، لكن لست مثل صراحة لا إلٰه إلا الله، فإن لا إلٰه إلا الله صريحة في النفي والإثبات، وهي أصرح وأوضح معنى في تخصيص الله بالعبادة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد تقدّم عن جابرٍ مرفوعًا: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ**» وحسّنه الترّمذيّ، والألف واللّام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد وصنوفه للّه تعالى، كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كله وإليك يرجع الأمر كله**» الحديث[(٢)].

والرّبّ هو المالك المتصرّف ويطلق في اللّغة على السّيّد وعلى المتصرّف للإصلاح وكل ذلك صحيح في حق الله، ولا يستعمل الرّبّ لغير الله بل بالإضافة تقول: ربّ الدّار، ربّ كذا، وأمّا الرّبّ فلا يقال إلّا للّه عَزَّ وَجَلَّ، وقد قيل: إنّه الاسم الأعظم. والعالمين جمع عالمٍ، وهو

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان، برقم (٣٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٩٥).

كلّ موجودٍ سوى الله ﷻ، والعالم جمعٌ لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السمٰوات وفي البرّ والبحر، وكلّ قرنٍ منها وجيلٍ يسمّى عالمًا أيضًا.

قال بشر بن عمار، عن أبي روقٍ، عن الضّحّاك، عن ابن عباس: الحمد للّه ربّ العالمين: الحمد لله الذي له الخلق كله السمٰوات والأرضون وما فيهنّ وما بينهن مما نعلم ومما لا نعلم. وفي رواية سعيد بن جبيرٍ وعكرمة عن ابن عبّاسٍ: ربّ الجنّ والإنس، وكذلك قال سعيد بن جبيرٍ ومجاهدٌ وابن جريج، وروي عن علي نحوه، قال ابن أبي حاتم: بإسناده لا يعتمد عليه.

واستدلّ القرطبيّ لهذا القول بقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] وهم الجنّ والإنس. قال الفراء وأبو عبيد: العالم عبارةٌ عمّا يعقل وهم الإنس والجنّ والملائكة والشّياطين ولا يقال للبهائم عالمٌ.

وعن زيد بن أسلم وأبي محيصن: العالم كل ما له روح ترفرف. وقال قتادة: ربّ العالمين كلّ صنفٍ عالمٌ، وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن محمد وهو أحد خلفاء بني أمية وهو يعرف بالجعد ويلقّب بالحمار أنّه قال: خلق الله سبعة عشر ألف عالم، أهل السمٰوات وأهل الأرض عالم واحد، وسائرهم لا يعلمهم إلا الله ﷻ.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ قال: الإنس عالمٌ والجنّ عالمٌ وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف أو أربعة عشر ألف عالمٍ ـ هو يشكّ ـ من الملائكة على الأرض، وللأرض أربع زوايا، في كلّ زاويةٍ ثلاثة آلاف عالمٍ وخمسمائة عالمٍ خلقهم الله لعبادته. رواه ابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ. وهذا كلامٌ غريبٌ يحتاج مثله إلى دليلٍ صحيحٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العوالم لا يحصيها إلا الله ﷻ، وهو رب العالمين، العالمون أنواع المخلوقات ولا يحصي عددها إلا الله ﷻ، هو الذي يحصي عددها، فالذي في البحر والذي في البر، والذي في السماء، والذي في داخل الأرض لا يعلمه إلا الله جلَّ وعلا، فالعوالم لا يحصيها إلا هو فهو ربها وخالقها جلَّ وعلا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا هشام بن خالدٍ، حدّثنا الوليد بن مسلمٍ، حدّثنا الفرات؛ يعني: ابن الوليد، عن معتّب بن سميٍّ، عن سبيع؛ يعني: الحميري في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ قال: العالمين ألف أمّةٍ فستّمائةٍ في البحر وأربعمائةٍ في البرّ، وحكي مثله عن سعيد بن المسيّب، وقد روي نحو هذا مرفوعًا، كما قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن عليّ بن المثنّى في «مسنده»: حدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا عبيد بن واقدٍ القيسيّ أبو عبّادٍ، حدّثني محمّد بن عيسى بن كيسان، حدّثنا محمّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قلّ الجراد في سنةٍ من سني عمر الّتي ولي فيها، فسأل عنه فلم يخبر بشيءٍ، فاغتمّ لذلك، فأرسل راكبًا يضرب إلى اليمن وآخر إلى الشّام وآخر إلى العراق يسأل هل رؤي من الجراد شيءٌ، أم لا؟ قال: فأتاه الرّاكب الّذي من قبل اليمن بقبضةٍ من جرادٍ، فألقاها بين يديه فلمّا رآها كبّر ثمّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أُمَّةٍ: سِتُّمِائَةٍ فِي الْبَحْرِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ فِي الْبَرِّ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَهْلِكُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ الْجَرَادُ؛ فَإِذَا هَلَكَ تَتَابَعَتْ مِثْلَ النِّظَامِ إِذَا قُطِعَ سِلْكُهُ**» محمد بن عيسى هذا وهو الهلالي ضَعِيفٌ.

الطالب:

في تعليق: وقد ضعَّف الحافظ ابن كثير في «التقريب» عبيدة المذكور، وقال في «الخلاصة»: ضعَّفه أبو حاتم، وقال في «الميزان»: قال البخاري والفلاس في محمد بن عيسى المذكور منكر الحديث، وقال أبو زرعة: لا ينبغي أن يحدث عنه، وقال الدارقطني: ضعيف، وبهذا يعلم ضعف الحديث المذكور لضعف عبيد ومحمد المذكورين، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ

وحكى البغويّ عن سعيد بن المسيّب أنّه قال: للّه ألف عالمٍ ستّمائةٍ في البحر وأربعمائةٍ في البرّ، وقال وهب بن منبّهٍ: للّه ثمانية عشر ألف عالمٍ، الدّنيا عالمٌ منها، وقال مقاتلٌ: العوالم ثمانون ألفًا، وقال كعب الأحبار: لا يعلم عدد العوالم إلا الله عَزَّ وَجَلَّ، نقله البغويّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، فكل هذه الأشياء تخرُّصات عن بني إسرائيل أو أشباههم لا وجه لها ولا أساس لها، الأمور هذه لا تضبط ولا تحصى إلا من جهة الله عَزَّ وَجَلَّ ومن جهة الخبر عن رسوله الثابت، وإذا خلا هذا الموضوع عن آية كريمة أو نصٍّ من الرسول ﷺ الصحيح فلا يجوز أن يجزم بشيء بل يقال: لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحكى القرطبيّ عن أبي سعيدٍ الخدريّ أنّه قال: إنّ للّه أربعين ألف عالمٍ الدّنيا من شرقها إلى مغربها عالمٌ واحدٌ منها، وقال الزّجّاج: العالم كلّ ما خلق الله في الدّنيا والآخرة، قال القرطبيّ: وهذا هو الصّحيح أنّه شاملٌ لكلّ العالمين كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣، ٢٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يشمل العوالم الحية التي لها روح والعوالم الجامدة لأنها كلها عوالم، فالسماء عالم السماوات والأرض والجبال وغيرها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعالم مشتقٌّ من العلامة (قلت)؛ لأنّه علمٌ دالٌّ على وجود خالقه وصانعه ووحدانيّته كما قال ابن المعتزّ:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلّ على أنّه واحد

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ تقدّم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة.

قال القرطبي: إنما وصف نفسه بالرحمٰن الرحيم بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني في ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الإشارة إلى أنه المتصرف فيهم ومالكهم ومدِّبر أمورهم، فيه ترهيب لهم من عصيانه وأنه قادر على إهلاك من يشاء وتعذيب من يشاء، ثم قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ ترغيبًا لهم في رحمته واللجأ إليه والاستقامة على أمره وطاعته سبحانه لتحصل لهم الرحمة. ثم جاء بـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ للجمع بين الرجاء والخوف.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال: فالرب فيه ترهيب والرحمٰن الرحيم ترغيب.

وفي «صحيح مسلمٍ» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا: الحث على الخوف والرجاء وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون جامعًا بينهما يخاف الله ويخشى غضبه ويخشى الذنوب وعواقبها الوخيمة، فيسير على طاعة ربه جلَّ وعلا والحذر من معاصيه، كما أنه يرجو رحمته ويحسن به الظن بالله حتى لا ييأس، فيكون قلبه متسعًا لهذا وهذا، متسعًا للرجاء وحسن الظن بالله فلا ييأس ولا يقنط، ومتسعًا للخوف والحذر والخشية فلا يأمن ولا يخرج إلى أرض البطالة والمحارم بل يكون بين هذا وهذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾

قرأ بعض القرّاء: ﴿مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وقرأ آخرون: ﴿مَلِكِ﴾ وكلاهما صحيحٌ متواتر في السبع، ويقال: ملك بكسر اللام وبإسكانها، ويقال: مليكٌ أيضًا، وأشبع نافعٌ كسرة الكاف فقرأ (ملكي يوم الدّين) وقد رجّح كلًّا من القراءتين مرجّحون من حيث المعنى وكلتاهما صحيحةٌ حسنةٌ، ورجّح الزّمخشريّ ملك؛ لأنّها قراءة أهل الحرمين ولقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]، وقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وحكي عن أبي حنيفة أنّه قرأ: ملك يوم الدين على أنّه فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ وهذا شاذٌّ غريبٌ جدًّا، وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئًا غريبًا حيث قال: حدثنا أبو عبد الرحمٰن الأزدي، حدثنا عبد الوهاب بن عديّ بن الفضل، عن أبي المطرّف، عن ابن شهابٍ: أنه بلغه أنّ رسول الله ﷺ وأبا بكرٍ وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، برقم (٢٧٥٥).

معاوية كانوا يقرءون: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ قال ابن شهاب: وأوّل من أحدث «ملك» مروان.

(قلت) مروان عنده علمٌ بصحّة ما قرأه لم يطّلع عليه ابن شهابٍ والله أعلم، وقد روي من طرقٍ متعدّدةٍ أوردها ابن مردويه: أنّ رسول الله ﷺ كان يقرؤها: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كلها قراءة صحيحة (ملك يوم الدين) و(مالك) قراءتان صحيحتان معروفتان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ومالك مأخوذٌ من الملك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، وقال: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [النّاس: ١، ٢]، وملِكٌ مأخوذٌ من المُلك كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾، وقال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفرقان: ٢٦]، ﴿وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] وتخصيص الملك بيوم الدّين لا ينفيه عمّا عداه؛ لأنّه قد تقدّم الإخبار بأنّه ربّ العالمين وذلك عامٌّ في الدّنيا والآخرة، وإنّما أضيف إلى يوم الدّين؛ لأنّه لا يدّعي أحدٌ هنالك شيئًا ولا يتكلّم أحدٌ إلّا بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ [هود: ١٠٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٧ ـ ١٩].

وهو مالك يوم الدين فلا أحد يدعي الملك ذلك اليوم، كلهم خائف ووجل ومشفق، أما في الدنيا فهناك من يدعي الملك، وهناك من ينازع، ومع هذا قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٢٥] له الملك في الدنيا والآخرة ﷻ، وهو المتصرف في عباده كيف يشاء جلَّ وعلا، وإن ادَّعوا في الدنيا ما يدعون فهم مقهورون مربوبون.

الطالب:

تعليق الشيخ مقبل على قوله: حدثنا عبد الوهاب بن عدي بن الفضل يقول: حدثنا عبد الوهاب بن عدي صوابه: عبد الوهاب عن عدي بن الفضل كما في كتاب «المصاحف» لأبي داود، وعدي بن الفضل قال ابن معين وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال يحيى: لا يُكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف. انتهى من «الميزان».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ يقول: لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدّنيا، قال: ويوم الدّين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخيرٌ وإنّ شرًّا فشرٌّ إلّا من عفا عنه. وكذلك قال غيره من الصّحابة والتّابعين والسّلف وهو ظاهرٌ.

وحكى ابن جريرٍ عن بعضهم: أنّه ذهب إلى أن تفسير ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾: أنّه القادر على إقامته، ثمّ شرع يضعّفه، والظّاهر: أنّه لا منافاة بين هذا القول وما تقدّم وأنّ كلًّا من القائلين هذا القول وبما قبله يعترف بصحّة القول الآخر ولا ينكره، ولكنّ السّياق أدلّ على المعنى الأوّل من هذا، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ وَكَانَ يَوۡمًا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]، والقول الثاني يشبه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]، والله أعلم.

والمَلِك في الحقيقة هو الله عَجَّلَ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وفي «الصّحيحين» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أَخنَعُ اسمٍ عِندَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى بِمَلِكِ الأَملَاكِ وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ**»(١)

وفيهما عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ ملوك الأَرْضِ؟ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»(٢)، وفي القرآن العظيم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]؛ فأمّا تسمية غيره في الدّنيا بملكٍ فعلى سبيل المجاز، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠]، وفي «الصّحيحين»: «**مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أناسًا من أمته يدخلون الجنة مثل الملوك على الأسرة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والدّين الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٥٣]؛ أي: مجزيّون محاسبون، وفي الحديث: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**»(٣).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أبغض الأسماء إلى الله، برقم (٦٢٠٥ و٦٢٠٦)، ومسلم في كتاب الأدب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، برقم (٢١٤٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة برقم (٦٥١٩)، ومسلم في كتاب صفة الجنة والنار، برقم (٢٧٨٧).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في كتاب صفة القيامة، باب، برقم (٢٤٥٩).

أي: حاسب نفسه، كما قال عمر رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهّبوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم».

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المعنى: أنه مالك يوم الحساب والجزاء، ويطلق الدين على الطاعة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]؛ يعني: الطاعة والعبادة عند الله الإسلام، ولكن هنا المراد به الحساب، أن الله يجازيهم بأعمالهم ويحاسبهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾

قرأ السّبعة والجمهور بتشديد الياء من إيّاك، وقرأ عمرو بن فائد بتخفيفها مع كسر الهمزة وهي قراءةٌ شاذّةٌ مردودةٌ؛ لأنّ إيا: ضوء الشّمس، وقرأ بعضهم: أيّاك بفتح الهمزة وتشديد الياء، وقرأ بعضهم هيّاك بالهاء بدل الهمزة، كما قال الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن تراحبت   موارده ضاقت عليك مصادره

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

فهياك يعني: احذر،

أما هنا فمعناها: التخصيص وليس معناها التحذير؛ يعني: إياك نعبد وحدك وإياك نستعين مع كسر الهمزة وتشديد الياء هذه قراءة السبعة والجمهور وهي القراءة الصحيحة المعتمدة وما عداها فشاذ، فقراءتها بالتخفيف قراءة شاذة مثل ما قال المؤلف لا وجه لها.

وهياك بالهاء بدل الهمزة أيضًا كذلك شاذة ولا محل لها هنا؛ لأن محلها الحديث.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ونستعين بفتح النّون أوّل الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثّابٍ والأعمش فإنّهما كسراها وهي لغة بني أسدٍ وربيعة وبني تميمٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إلى الآن بعض العرب يقول: نستعين يكسرون النون دائمًا الآن في لغة كثير من العرب والعامة. ولكن اللغة الفصيحة التي قرأ بها السبعة والجمهور: نستعين نقوم نفعل نذهب نأتي بفتح حرف المضارعة من الثلاثي قام يقوم وهكذا الفعل من الخماسي والسداسي استعان يستعين واستخرج يستخرج، وإنما تُضم في حال الرباعي أعلم يُعلم أخرج يُخرج، أطعم يُطعم، وأما الثلاثي والسداسي والخماسي بالفتح استخرج يستخرج واستعلم يستعلم واستعان يستعين وضرب يضرب قام يقوم وأشباهه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

والعبادة في اللّغة من الذّلّة يقال: طريقٌ معبَّد وبعيرٌ معبَّد؛ أي: مذلّلٌ، **وفي الشّرع**: عبارةٌ عمّا يجمع كمال المحبّة والخضوع والخوف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: غاية المحبة مع غاية الذل. وأصل اللغة في العبادة: الخضوع والتذلل سواء عن محبة أو عن غير محبة، يقال: طريق معبَّد مذلَّلة، قد قطعت في الأقدام وأثرت فيه، وبعير معبد كذلك، وفلان عبد فلان لأنه يذل له ويخضع له ويأتمر بأوامره.

أما في الشرع فالعبادة التي لها الأثر وعليها الأجر هي الصادرة عن خوف وعن محبة وعن خضوع للمعبود، فإن كان لله فله في هذا الخير العظيم، وإن كان لغيره صار شركًا بالله عَزَّ وَجَلَّ، ويقول ابن القيم في هذا المعنى:

وعبادة الرحمٰن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

فالعبادة التي رتب الله عليها الجزاء هي التي.... العبد... لأمر الله وإخلاصًا له ومحبة له وخضوعًا له واستكانة له ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقدّم المفعول وهو إيّاك وكرّر للاهتمام والحصر؛ أي: لا نعبد إلّا إيّاك ولا نتوكّل إلّا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السّلف: الفاتحة سرّ القرآن، وسرّها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ فالأوّل تبرّؤٌ من الشّرك، والثّاني تبرّؤٌ من الحول والقوّة والتّفويض إلى الله ﷿.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: نعبدك وحدك لا بقوتنا، ولكن بحولك وقوتك وإعانتك ربنا؛ فالمعنى: نعبدك وحدك مستعينين بك لا حول لنا ولا قوة على ذلك إلا بك يا ربنا، فهو المعين وهو الموفق ﷻ.

• س: تعليق الشيخ أحمد على: والتفويض إلى الله ﷿ يقول: كذا في الأصل وينبغي أن تكون وتفويض للتنكير لأنه معطوف على تبرؤ وتعريفه يجعله معطوفًا على ما قبله مباشرة؛ لأنه معرفة وحينئذ يفسد المعنى لأنه تبرؤ من التفويض؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثل ما قال، يوهم؛ لأن التبرؤ، من الحول والقوة والتفويض إلى الله يوهم العطف مع الذي يليه والمراد عطف على تبرؤ مثل ما قال الشيخ أحمد، لكن مراد المؤلف هو العطف على تبرؤ، وهو وجود العطف، إذا فهم المعنى جاز عطف المعرفة على النكرة والعكس، تقول: قام زيد ورجل آخر، لكذا وكذا عطف النكرة على المعرفة،

وتقول: قام رجل يساعد فلان، وعمرو بن فلان يعني معه، عطف المعرفة على النكرة، وعطف النكرة على المعرفة، ليس من شرطهما التطابق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا المعنى في غير آيةٍ من القُرآن، كما قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ﴾ [الملك: ٢٩]، ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزّمّل: ٩]، وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ وتحوّل الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبةٌ؛ لأنّه لمّا أثنى على الله فكأنّه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ وفي هذا دليلٌ على أنّ أوّل السّورة خبرٌ من الله تعالى بالثّناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وإرشادٌ لعباده بأن يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصحّ صلاة من لم يقل ذلك وهو قادرٌ عليه

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهي ثناء على الله بمعنى: أنهم مأمورون بهذا مخبرًا عن نفسه آمرًا لعباده بأن يثنوا عليه بهذا، فكأنه قال لهم: قولوا الحمد لله، ولهذا قال بعدها: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ فتحول العبد من الثناء إلى المخاطبة للمثنى عليه، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ بعدما أثنى عليه وحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ توجه إليه بهذا التوجه ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا دليلٌ على أنّ أوّل السّورة خبرٌ من الله تعالى بالثّناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى وإرشادٌ لعباده بأن يثنوا عليه بذلك، ولهذا لا تصحّ صلاة من لم يقل ذلك وهو قادرٌ عليه، كما جاء في «الصّحيحين» عن عبادة بن الصّامت أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا صَلَاةَ**

لِمَن لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث العلاء بن عبد الرّحمٰن مولى الحرقة، عن أبيه، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: **«قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، إِذَا قَالَ الْعبد: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: إِيَّاكَ نَعبد وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**[٢].

وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ يعني: إيّاك نوحّد ونخاف ونرجوك يا ربّنا لا غيرك ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلّها.

قال قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة وأن تستعينوه على أموركم. وإنّما قدّم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ لأنّ العبادة له هي المقصودة والاستعانة وسيلةٌ إليها والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهمّ فالأهمّ، والله أعلم.

فإن قيل: فما معنى النون في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟ وقد أجيب بأنّ المراد من ذلك الإخبار عن جنس

---

(١) سبق تخريجه في (ص٧٦).

(٢) سبق تخريجه في (ص٦١).

العباد والمصلّي فردٌ منهم ولا سيّما إن كان في جماعةٍ، أو إمامهم فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة الّتي خلقوا لأجلها وتوسّط لهم بخيرٍ، ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم.

قيل: إذا كنت داخل العبادة فأنت شريفٌ وجاهك عريضٌ فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وإن كنت خارج العبادة فلا تقل نحن ولا فعلنا ولو كنت في مائة ألفٍ أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله ﷻ وفقرهم إليه.

ومنهم من قال: إياك نعبد ألطف في التواضع من إياك عبدنا لما في الثاني من تعظيم نفسه من جعله نفسه وحده أهلًا لعبادة الله تعالى الّذي لا يستطيع أحدٌ أن يعبده حقّ عبادته ولا يثني عليه كما يليق به، والعبادة مقامٌ عظيمٌ يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى، كما قال بعضهم:

لا تدعني إلّا بيا عبدها فإنّه أشرف أسمائي

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعتمد في هذا أن ذكر النون هنا هو ما قاله عن أهل العلم في المعنى الأول، وأن المقام مقام إخبار العبد عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين الذين يصلون معه وهكذا غيرهم، ولهذا ناسب أن يأتي بالنون قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ما قال إياك أعبد، وإياك أستعين؛ يعني: يخبر عن نفسه، جاءت الآية بالنون؛ لأن القارئ والمصلي ونحوهما يخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين، ولهذا جاء السياق ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾؛ يعني: إياك نعبد معشر المسلمين معشر المؤمنين وإياك نستعين كذلك، فالنون هنا ألطف في المقام وأحسن؛ لأن الإمام يخبر عن نفسه وعن المؤمنين، والقارئ كذلك والمصلي كذلك؛ فالمسلمون شيء واحد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد سمَّى الله رسوله ﷺ بعبده في أشرف مقاماته فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجنّ: ١٩]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]؛ فسمّاه عبدًا عند إنزاله عليه وعند قيامه في الدّعوة وإسرائه به وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقاتٍ يضيق صدره من تكذيب المخالفين حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧ ـ ٩٩]

وقد حكى الرازي في «تفسيره» عن بعضهم: أنّ مقام العبوديّة أشرف من مقام الرّسالة لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحقّ والرّسالة من الحقّ إلى الخلق، قال: ولأن الله يتولى مصالح عبده والرسول يتولى مصالح أمّته، وهذا القول خطأٌ والتّوجيه أيضًا ضعيفٌ لا حاصل له ولم يتعرّض له الرازي بتضعيف ولا رد.

وقال بعض الصّوفيّة: العبادة إمّا لتحصيل ثوابٍ أو درء عقابٍ، قالوا: وهذا ليس بطائلٍ إذ مقصوده تحصيل مقصوده، وإمّا للتّشريف بتكاليف الله تعالى وهذا أيضًا عندهم ضعيفٌ؛ بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدّسة الموصوفة بالكمال، قالوا: ولهذا يقول المصلّي: أصلّي للّه، ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة، وقد ردّ ذلك عليهم آخرون وقالوا: كون العبادة للّه عَزَّوَجَلَّ لا ينافي أن يطلب معها ثوابًا ولا أن يدفع عذابًا، كما قال ذلك الأعرابيّ: أما إنّي لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذٍ إنّما أسأل الله الجنّة وأعوذ به من النّار، فقال النّبيّ ﷺ: «**حَولَهَا نُدَنْدِنُ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في كتاب إقامة الصلوات والسُّنَّة فيها، باب ما يقال بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ، برقم (٩١٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قول الصوفية ليس بشيء؛ فإن الله جلَّ وعلا شرع لعبادة أن يعبدوه وحثهم على أن يرجوه، ورغبهم في الخوف منه وخشيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فخوفه ورجاؤه لا ينافي الإخلاص، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، يعني: الأنبياء ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُعبد لذاته وأسمائه وصفاته وخوفًا من عقابه وحذر غضبه، ورجاء رحمته وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس خوفه ورجاؤه مرادًا ولا معاكسًا للإخلاص له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فهو يخلص له العبادة لهذه الأمور لمحبته له وتعظيمه له وخوفه منه ورجائه وغير هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِالصَّادِّ وَقُرِئَ السِّرَاطَ وَقُرِئَ بِالزَّايِ، قَالَ الْفَرَّاءَ: وَهِيَ لُغَةُ بني عذرة وبني كلب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الصاد والزاي والسين أخوات والأفصح بالصاد وهو الطريق الواضح، ثم السين السراط ثم الزاي وأفصحها لغة قريش بالصاد، وهو الطريق، وهو الطريق الواضح الذي قد قطع بالأقدام واتضح للناس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقّب بِالسُّؤالِ كما قال: «**فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، وهذا أكمل أحوال السّائل أن يمدح مسؤوله ثمّ يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾؛ لأنّه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله إليه؛ لأنّه الأكمل، وقد يكون السّؤال بالإخبار عن حال السّائل واحتياجه كما قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وكما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]، وكما في السؤال الذي علمه النبي ﷺ الصديق: «**اللَّهُمَّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**»، فالضراعة للمسؤول والانكسار بين يديه من أعظم الأسباب، فإذا جمع بينهما فأثنى على المسؤول بصفاته وانكسر له وتذلل ثم سأل كان أقرب للإجابة.

وهنا شرع الله الحمد والثناء ثم الاعتراف بأن العبد عبد الله وأنه في حاجة إليه وأنه المستعان سبحانه، ثم أرشد إلى السؤال فقال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾، بعد الثناء المناسب وبعد اعتراف العبد بأنه عبد الله والفقير إليه والذليل بين يديه شرع له أن يسأل حاجته وهي طلب الهداية إلى الطريق الموصل إليه فكأنه يقول: يا رب عرفتك، وعرفت أسماءك وصفاتك وأنك المعبود بالحق وأني عبدك فاهدنا الطريق الموصل إليك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقد يتقدّمه مع ذلك وصف المسؤول كقول ذي النّون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول كقول الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني　　حياؤك إنّ شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يومًا　　كفاه من تعرُّضه الثّناء

والهداية هاهنا الإرشاد والتّوفيق، وقد تعدّى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ فتضمّن معنى: ألهمنا أو وفّقنا أو ارزقنا أو اعطنا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ أي: بيّنّا له الخير والشّرّ، وقد تعدّى بإلى كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النّحل: ١٢١]، ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصّافّات: ٢٣]، وذلك بمعنى الإرشاد والدّلالة، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى: ٥٢]، وقد تعدّى

باللّام؛ كقول أهل الجنّة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ أي: وفّقنا لهذا وجعلنا له أهلًا.

وأمّا ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمّة من أهل التّأويل جميعًا على أنّ الصّراط المستقيم هو الطّريق الواضح الّذي لا اعوجاج فيه وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجّ الموارد مستقيم

قال: والشّواهد على ذلك أكثر من أن تحصر. قال: ثمّ تستعير العرب الصّراط فتستعمله في كلّ قولٍ وعملٍ ووصف باستقامةٍ أو اعوجاجٍ فتصف المستقيم باستقامته والمعوجّ باعوجاجه. ثمّ اختلفت عبارات المفسّرين من السّلف والخلف في تفسير الصّراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيءٍ واحدٍ وهو المتابعة للّه وللرّسول، فروي أنّه كتاب الله.

قال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا الحسن بن عرفة، حدّثني يحيى بن يمانٍ، عن حمزة الزّيّاتٍ، عن سعيد ـ وهو ابن المختار الطّائيّ ـ، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، عن عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللهِ**»[1]، وكذلك رواه ابن جريرٍ من حديث حمزة بن حبيبٍ الزّيّات.

وقد تقدّم في «فضائل القرآن» فيما رواه أحمد والتّرمذيّ من رواية الحارث الأعور، عن عليٍّ مرفوعًا: «**وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ**»[2]، وقد روي هذا موقوفًا عن علي رضي الله عنه وهو أشبه والله أعلم.

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد ابن أبي مريم وهو ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن برقم (٢٩٠٦).

وقال الثّوريّ، عن منصورٍ، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله قال: الصّراط المستقيم كتاب الله، وقيل هو الإسلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا منافاة؛ لأن من التزم كتاب الله فقد هدي إلى الصراط المستقيم، فأقوال السلف في هذا متقاربة؛ لأن الصراط هو الدين الذي بعث الله به رسوله، وبعث به الرسل هو الصراط المستقيم دين الله الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه وهو توحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، ومدار كلام السلف يرجع إلى هذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ قال: قال جبريل لمحمّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قل يا محمّد اهدنا الصّراط المستقيم» يقول: اهدنا الطّريق الهادي وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.

وقال ميمون بن مهران عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: ذاك الإسلام.

وقال إسماعيل بن عبد الرّحمٰن السّدّيّ الكبير، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالح، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قالوا: هو الإسلام.

وقال عبد الله بن محمّد بن عقيلٍ عن جابرٍ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو الإسلام، قال: هو أوسع ممّا بين السّماء والأرض.

وقال ابن الحنفيّة في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو دين الله الّذي لا يقبل من العباد غيره.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو الإسلام.

وفي هذا الحديث الّذي رواه الإمام أحمد في «مسنده» حيث قال: حدّثنا الحسن بن سوّارٍ أبو العلاء، حدّثنا ليثٌ؛ يعني: ابن سعدٍ، عن معاوية بن صالحٍ: أنّ عبد الرّحمٰن بن جبير بن نفيرٍ حدّثه عن أبيه عن النّوّاس بن سمعان، عن رسول الله ﷺ قال: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَي الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تُعَوِّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ ـ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ـ؛ فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللهِ وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللهِ وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللهِ وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جريرٍ من حديث اللّيث بن سعدٍ به. ورواه التّرمذيّ والنّسائيّ جميعًا عن عليّ بن حجرٍ عن بقيّة عن بحير بن سعدٍ عن خالد بن معدان عن جبير بن نفيرٍ عن النّوّاس بن سمعان به، وهو إسناد حسن صحيحٌ.

وقال مجاهدٌ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: الحقّ.

وهذا أشمل ولا منافاة بينه وبين ما تقدّم. وروى ابن أبي حاتمٍ وابن جريرٍ من حديث أبي النّضر هاشم بن القاسم، حدّثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصمٍ الأحول، عن أبي العالية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو النّبيّ ﷺ وصاحباه من بعده. قال عاصمٌ: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أن من اتبع النبي ﷺ واتبع صاحبيه فقد اتبع الصراط المستقيم.

---

(١) أخرجه الإمام (٤/ ١٨٢ و١٨٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكلّ هذه الأقوال صحيحةٌ وهي متلازمةٌ فإن من اتبع الإسلام فقد اتّبع النّبيّ ﷺ واقتدى باللّذين من بعده أبي بكرٍ وعمر فقد اتّبع الحقّ، ومن اتّبع الحقّ فقد اتّبع الإسلام، ومن اتّبع الإسلام فقد اتّبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين وصراطه المستقيم، فكلّها صحيحةٌ يصدّق بعضها بعضًا، وللّه الحمد.

وقال الطّبرانيّ: حدّثنا محمّد بن الفضل السّقطيّ: حدّثنا إبراهيم بن مهديٍّ المصّيصيّ، حدّثنا يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله قال: الصّراط المستقيم الّذي تركنا عليه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والّذي ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ـ أعني ـ ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ ـ أن يكون معنيًّا به: وفّقنا للثّبات على ما ارتضيته ووفّقت له من أنعمت عليه من عبادك من قولٍ وعمل ذلك هو الصّراط المستقيم؛ لأنّ من وفّق لما وفّق له من أنعم الله عليهم من النّبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين فقد وفّق للإسلام وتصديق الرّسل والتّمسّك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عمّا زجره عنه واتّباع منهاج النّبيّ ﷺ ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكلّ عبد صالحٍ وكلّ ذلك من الصراط المستقيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: اتباع كل عبد صالح، والصالح المستقيم على أمر الله ورسوله ويؤدي حق الله وحق عباده.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قيل: فكيف يسأل المؤمن الهداية في كلّ وقتٍ من صلاةٍ وغيرها وهو متّصفٌ بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك، فإنّ العبد مفتقرٌ في كلّ ساعةٍ وحالةٍ إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصّره وازدياده منها واستمراره عليها، فإنّ العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلّا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كلّ وقتٍ أن يمدّه بالمعونة والثّبات والتّوفيق، فالسّعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله، فإنه تعالى قد تكفّل بإجابة الدّاعي إذا دعاه ولا سيّما المضطرّ المحتاج المفتقر إليه آناء اللّيل وأطراف النّهار، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النّساء: ١٣٦]، فقد أمر الّذين آمنوا بالإيمان، وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل؛ لأنّ المراد الثّبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك والله أعلم.

وقال تعالى آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، وقد كان الصّدّيق رضي الله عنه يقرأ بهذه الآية في الرّكعة الثّالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرًّا، فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ استمرّ بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا مثل ما قال المؤلف، ليس من باب تحصيل الحاصل، وإن كان المؤمنون قد هداهم الله للصراط المستقيم، وهم يدعون الله في صلواتهم ويطلبونه الهداية فليس هذا من باب تحصيل الحاصل، ولكنه من باب الافتقار إلى الله وطلب الثبات على هذا الصراط والمزيد من البصيرة فيه والفقه فيه، فكل إنسان في حاجة إلى أن يثبت على هذا الصراط وأن يستقيم عليه وأن يثبت عليه وأن يزداد علمًا فيه وبصيرة، فإنه ذو شُعب وأعمال وأقوال فعلًا وتركًا، فالعبد في حاجة إلى مزيد من العلم والبصيرة

في هذا الصراط مع الثبات عليه والبقاء عليه والاستمرار عليه، ولهذا شرع الله لنا طلب الهداية دائمًا لهذا الصراط نسأله الثبات عليه، والإرشاد إلى ما قد يخفى علينا منه، وأن يستمر بنا عليه وألا يزيغ قلوبنا عن هذه الهداية، فالعبد إلى أشد الحاجة دائمًا إلى طلب هذه الهداية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

قد تقدّم الحديث فيما إذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ إلى آخرها أنّ الله يقول: «**هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سأل**»، وقوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ مفسّرٌ للصّراط المستقيم، وهو بدلٌ منه عند النّحاة ويجوز أن يكون عطف بيان، والله أعلم.

والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النّساء، حيث قال تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا**﴾ [النّساء: ٦٩، ٧٠].

وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ: صراط الّذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك من ملائكتك وأنبيائك والصّدّيقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربّنا تعالى: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم**﴾ الآية.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ عن الرّبيع بن أنسٍ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: هم النّبيّون، وقال ابن جريجٍ عن ابن عبّاسٍ: هم المؤمنون، وكذا قال مجاهدٌ، وقال وكيعٌ: هم المسلمون، وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: هم النّبيّ ﷺ ومن معه، والتّفسير المتقدّم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أعمّ وأشمل والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا شكَّ أن هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ فإنه جل وعلا أرشد عباده إلى أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم، ثم بيَّن ذلك فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾. فأوضح سبحانه أن الصراط المستقيم هو صراط المنعم عليهم، وهم الذين وفقهم الله للعلم والعمل، هم أهل العلم النافع والعمل الصالح، وهم النبيون والصدِّيقون والشهداء والصالحون المذكورون في سورة النساء في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] هؤلاء هم المنعم عليهم وهم أهل العلم والعمل الذين وفقهم الله فعرفوا الحق وعملوا به وساروا عليه فصاروا بذلك موصوفين بهذا الوصف العظيم المُنعَم عليهم، ويدخل فيهم النبي ﷺ والنبيون جميعًا والرسل يدخل فيهم المؤمنون في كل أمة، ويدخل فيهم من يسمَّى بالمسلمين، فالمسلم أعم من المؤمن، وصراط المُنعَم عليهم هم الذين عرفوا الحق واستقاموا عليه، فاسأل ربك أن يهديك صراطهم حتى تكون سائرًا في سبيلهم وموافقًا لهم في طريقهم.

ثم استثنى المغضوب عليهم والضالين لأنهم ليسوا كذلك، فالمغضوب عليهم عرفوا ولم يعملوا فحادوا عن الطريق، والضالون جهلوا ولم يعلموا وتعبَّدوا على جهالة، فهؤلاء ليسوا من أهل الصراط المستقيم، ليسوا من المنعَم عليهم، أما اليهود وأشباههم من علماء السوء؛ فلأنهم عرفوا ولم يعملوا فلم يوفقوا للنعمة الكاملة وأعطوا نعمة ناقصة، نعمة العلم دون العمل نعوذ بالله فصار حجة عليهم وصار وبالًا.

والقسم الثاني تعبَّدوا وعملوا لكن على جهل وعلى غير هدى؛ كالنصارى وأشباههم من الرهبان وعُبَّاد السوء، فهؤلاء ليسوا من المنعم

عليهم، وإنما المنعم عليهم هم الذين تفقهوا في الدين وتبصروا فيه وعرفوا دين الله وحقه ثم عملوا. الله يجعلنا وإياكم منهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قرأ الجمهور (غير) بالجرّ على النّعت، قال الزّمخشريّ: وقرئ بالنّصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطّاب، ورويت عن ابن كثيرٍ وذو الحال الضّمير في عليهم والعامل أنعمت، والمعنى: اهدنا الصّراط المستقيم صراط الّذين أنعمت عليهم ممّن تقدّم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطّاعة للّه ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره غير صراط المغضوب عليهم الّذين فسدت إرادتهم فعلموا الحقّ وعدلوا عنه، ولا صراط الضّالّين وهم الّذين فقدوا العلم فهم هائمون في الضّلالة لا يهتدون إلى الحق. وأكد الكلام بلا ليدلّ على أنّ ثَمّ مسلكين فاسدين وهما طريقتا اليهود والنّصارى.

وقد زعم بعض النّحاة أنّ غير هاهنا استثنائيّةٌ فيكون على هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم، وما أوردناه أولى لقول الشاعر:

كأنّك من جمال بني أقيشٍ   يقعقع عند رجليه بشنّ

أي: كأنّك جملٌ من جمال بني أقيشٍ، فحذف الموصوف واكتفى بالصّفة، وهكذا.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: غير صراط المغضوب عليهم. واكتفى بِالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دلّ سياق الكلام وهو قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ثمّ قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ومنهم من زعم أن (لا) في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ زائدةٌ وأن تقدير الكلام عنده: غير المغضوب عليهم والضّالّين واستشهد ببيت العجّاج:

فـــي بـــئـــرٍ لا حـــورٍ ســـعـــى ومـــا شـــعـــر

أي: في بئر حورٍ، والصّحيح ما قدّمناه، ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلّامٍ في كتاب «فضائل القرآن» عن أبي معاوية عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: أنّه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين، وهذا الإسناد صحيح.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا من باب التفسير لإيضاح المعنى والسند، وإن قال المؤلف أنه صحيح لكن فيه الأعمش وقد عنعن.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وكذلك حكي عن أبيّ بن كعبٍ: أنّه قرأ كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التّفسير، فيدلّ على ما قلناه من أنّه إنّما جيء بها لتأكيد النّفي لئلّا يتوهّم أنّه معطوفٌ على الّذين أنعمت عليهم، وللفرق بين الطريقتين ليتجنب كل واحد منهما، فإنّ طريقة أهل الإيمان مشتملةٌ على العلم بالعمل والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنّصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضّلال للنّصارى؛ لأنّ من علم وترك استحق الغضب خلاف من لم يعلم، والنّصارى لمّا كانوا قاصدين شيئًا لكنّهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنّهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتّباع الحقّ، ضلّوا، وكلٌّ من اليهود والنّصارى ضالٌّ مغضوبٌ عليه، لكنّ أخصّ أوصاف اليهود الغضب، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخصّ أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى عنهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار، وذلك واضح بيّن فيما قال الإمام أحمد: حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة قال: سمعت سماك بن حربٍ يقول: سمعت عبّاد بن حبيشٍ يحدّث عن

عديّ بن حاتم، قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ فأخذوا عمّتي وناسًا فلمّا أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفّوا له فقالت: يا رسول الله، نأى الوافد وانقطع الولد وأنا عجوزٌ كبيرةٌ ما بي من خدمةٍ فمنّ عليّ منّ الله عليك، قال: «**مَن وَافِدكِ؟**» قالت: عديّ بن حاتم، قال: «الّذي فرّ من الله ورسوله» قالت: فمنّ عليّ، فلمّا رجع ورجلٌ إلى جنبه ترى أنّه عليٌّ، قال: سليه حملانًا فسألته فأمر لها، قال: فأتتني، فقالت: لقد فعلت فعلةً ما كان أبوك يفعلها فإنّه قد أتاه فلانٌ فأصاب منه وأتاه فلانٌ فأصاب منه فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان، وذكر قربهم من النّبيّ ﷺ قال: فعرفت أنّه ليس بملك كسرى ولا قيصر، فقال: «**يَا عَدِيُّ مَا أَفَرَّكَ؟ أَنْ يُقَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ؟ فَهَلْ من إله إلا الله؟ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ اللهُ أَكْبَرُ فَهَلْ شَيْءٌ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ** ﷻ؟» قال: فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر. وقال: «**إن الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى**»، وذكر الحديث ورواه التّرمذيّ من حديث سماك بن حربٍ، وقال: حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا من حديثه.

قلت: وقد رواه حمّاد بن سلمة، عن سماك، عن مرّيّ بن قطريٍّ، عن عديّ بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «**هُمُ الْيَهُودُ**» ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: «**النَّصَارَى هُمُ الضَّالُّونَ**». وهكذا رواه سفيان بن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالدٍ عن الشّعبيّ عن عديّ بن حاتمٍ به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أصح الأسانيد الثلاثة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روي حديث عديٍّ هذا من طرقٍ وله ألفاظٌ كثيرةٌ يطول ذكرها.

وقال عبد الرزاق: وأخبرنا معمرٌ عن بديلٍ العقيليّ، أخبرني

عبد الله بن شقيق، أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ وهو بوادي القرى وهو على فرسه وسأله رجلٌ من بني القين، فقال: يا رسول الله من هؤلاء؟ قال: «**الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ**» وأشار إلى اليهود «**وَالضَّالُّونَ هُمُ النَّصَارَى**».

وقد رواه الجريريّ وعروة وخالدُ الحذّاء عن عبد الله بن شقيقٍ فأرسلوه ولم يذكروا من سمع من النّبيّ ﷺ، ووقع في رواية عروة تسمية عبد الله بن عمر، فالله أعلم.

وقد روى ابن مردويه من حديث إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيقٍ، عن أبي ذرٍّ قال: سألت رسول الله ﷺ عن ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: «**اليهود**»، قلت: ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال: «**النّصارى**».

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالح، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: غير المغضوب عليهم هم اليهود، ولا الضّالّين هم النّصارى.

وقال الضّحّاك وابن جريج عن ابن عبّاسٍ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ النّصارى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وإن كان الأمر فيهم؛ أي: في اليهود والنصارى واليهود أخص بالغضب، والنصارى أخص بالضلالة؛ لأن اليهود علموا ولم يعملوا، فاستحقوا الغضب، كما قال ﷻ: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]، والنصارى غلبت عليهم الجهالة في التعبد فصاروا ضالين، وكل منهم له نصيب من الغضب والضلال كل منهم مغضوب عليهم وضال؛ ولكن اليهود أخص بوصف الغضب لأن ذنبهم أعظم، وهو أنهم لم يعملوا بعلمهم، والنصارى أخص بوصف الضلالة لجهلهم، وهذا يشمل أمثالهم،

كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، فمن تعبد على جهالة أشبه النصارى ومن خالف العلم أشبه اليهود فيكون له نصيبه من الغضب، وهذا يكون له نصيبه من الضلالة نسأل الله العافية، فليحذر طالب العلم ليحذر غاية الحذر أن يشبه اليهود، يعلم ويتبصر ويتفقه ثم يخالف عمله علمه، فهذه مشابهة ظاهرة لأعداء الله اليهود، وليحذر العباد من التعبد على جهالة وليتعلموا وليتبصروا حتى لا يكونوا مشابهين للنصارى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك قال الرّبيع بن أنسٍ وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم وغير واحدٍ، وقال ابن أبي حاتمٍ: ولا أعلم بين المفسّرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمّة من أنّ اليهود مغضوبٌ عليهم والنّصارى ضالّون، الحديث المتقدّم، وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٩٠]، وَقَالَ فِي الْمَائِدَةِ: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: جمع لهم بين الغضب والضلالة نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الْمائِدةِ: ٧٨، ٧٩].

وفي السّيرة عن زيد بن عمرو بن نفيلٍ: أنّه لمّا خرج هو وجماعةٌ من أصحابه إلى الشّام يطلبون الدّين الحنيف قالت له اليهود: إنّك لن تستطيع الدّخول معنا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب الله، فقال: أنا من غضب الله أفرّ، وقالت له النّصارى: إنّك لن تستطيع الدّخول معنا حتّى تأخذ بنصيبك من سخط الله، فقال: لا أستطيعه. فاستمرّ على فطرته وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين ولم يدخل مع أحدٍ من اليهود ولا النّصارى، وأمّا أصحابه فتنصّروا ودخلوا في دين النّصرانيّة؛ لأنّهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفلٍ حتّى هداه الله بنبيّه لمّا بعثه آمن بما وجد من الوحي رضي الله عنه.

[مسألةٌ]

والصّحيح من مذاهب العلماء: أنّه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضّاد والظّاء لقرب مخرجيهما، وذلك أن الضاد نخرجها من أوّل حافّة اللّسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظّاء من طرف اللّسان وأطراف الثّنايا العليا، ولأنّ كلًّا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرّخوة ومن الحروف المطبقة، فلهذا كلّه اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميّز ذلك والله أعلم، وأمّا حديث: «أنا أفصح من نطق بالضّاد» فلا أصل له، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكثير من الناس قد يتكلف في الضاد والظاء، والمؤلف يبيّن أن الأمر في هذا واسع؛ لأن مخرجيهما متقارب فيغتفر تحرير ذلك في غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فلا ينبغي التشديد في ذلك.

[فصلٌ]

اشتملت هذه السّورة الكريمة، وهي سبع آياتٍ، على حمد الله وتمجيده والثّناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا،

وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدّين، وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتّضرّع إليه والتّبرّؤ من حولهم وقوتهم إلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهيّة تبارك وتعالى وتنزيهه أن يكون له شريكٌ أو نظيرٌ أو مماثلٌ، وإلى سؤالهم إيّاه الهداية إلى الصّراط المستقيم وهو الدّين القويم وتثبيتهم عليه حتى يفضي بهم بذلك إلى جواز الصّراط الحسّيّ يوم القيامة المفضي بهم إلى جنّات النّعيم في جوار النّبيّين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على التّرغيب في الأعمال الصّالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتّحذير من مسالك الباطل لئلّا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضّالّون.

وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾، وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة: ١٤].

وكذلك إسناد الضّلال إلى من قام به وإن كان هو الّذي أضلّهم بقدره، كما قال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرۡشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، وقال: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، إلى غير ذلك من الآيات الدّالّة على أنّه سبحانه هو المنفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقول الفرقة القدريّة ومن حذا حذوهم من أنّ العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه ويحتجّون على بدعتهم بمتشابهٍ من القرآن ويتركون ما يكون فيه صريحًا في الرّدّ عليهم. وهذا حال أهل الضّلال والغيّ، وقد ورد في الحديث الصّحيح: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب: =

يعني في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. فليس، بحمد الله، لمبتدعٍ في القرآن حجّةٌ صحيحةٌ؛ لأنّ القرآن جاء ليفصل الحقّ من الباطل مفرّقًا بين الهدى والضّلال وليس فيه تناقضٌ ولا اختلافٌ؛ لأنّه من عند الله تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: وإنما المصيبة تقع من فهم بعض الناس

وكم من عائب قولًا صحيحًا وآفته من الفهم السقيم

فهذه السورة العظيمة، سورة الفاتحة، اشتملت على هذه المقاصد التي ذكرها الحافظ ابن كثير، اشتملت على ثناء الله على نفسه وتوجيه عباده إلى أن يثنوا عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد وجَّههم في أولها إلى الثناء عليه؛ لأنه ربهم وإلٰههم وأنه الرحمٰن الرحيم، وأنه المستحق للحمد وأنه مالك يوم الدين حتى تستقر هذه الصلة في قلوب عباده ويعرفون بها ربهم عَزَّ وَجَلَّ، وقد تعرَّف إليهم بهذا أنه المحمود على كل حال، وأنه ربهم وإلٰههم وأنه الرحمٰن وأنه الرحيم، وأنه مالك يوم الدين، ثم وجَّههم بعد ذلك إلى أن يقولوا: إياك نعبد وإياك نستعين فيخصوه بالعبادة، ويستعينوا به على كل المهمات؛ لأنهم عبيده وهم الفقراء إليه وهو معبودهم الحق، أرشدهم إلى أن يثنوا عليه، وإلى أن يقروا بأنه المعبود بالحق، وأنه المستعان، ثم وَّجههم إلى طلب الهداية؛ لأنه يرشد الضال إلى الهداية، فأرشدهم إلى أن يطلبوها منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى صراطه المستقيم وهو طريق واضح نصبه لعباده على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أوضح أنه هو صراط

= ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن، برقم (٢٦٦٥).

المنعم عليهم ليس هناك صراط آخر، فهو صراط الله المستقيم وهو صراط الرسل وأتباعهم، وهم المنعَم عليهم، ثم أرشدهم إلى أن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم والضالين وأن يبتعدوا عنه وعن أسبابه حتى لا يحشروا معهم، فمن سلك الطريق القويم حشر مع المنعم عليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ومن حادى عن هذا صار مع المغضوب عليهم والضالين مع اليهود والنصارى وأشباههم، فهذا كله من رحمة الله وإحسانه إلى عباده أن وجههم إلى هذا الخير وأرشدهم إليه، وهو سبحانه وتعالى الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وقد غضب على اليهود وأشباههم لأنهم عرفوا وعلموا ولم يعملوا، وأضل النصارى لجهلهم وابتعادهم عن الهدى وعدم عنايتهم بأسباب النجاة فصاروا ضالين، فهو يهدي من يشاء فضلًا منه، ويضل من يشاء عدلًا منه سبحانه وتعالى، فبيده تصريف الأمور، وأما قول المعتزلة النفاة أن العبد يخلق فعله فهذا من جهلهم وضلالهم ولهذا شابهوا المجوس، ولو تدبروا وعقلوا لعرفوا ما بيَّن الله لهم في كتابه العظيم لكونه يهدي من يشاء ويضل من يشاء والعبد له اختياره والعبد ليس مجبورًا له اختيار وله إرادة، فهذه الحالة للاختيار وهذه الإرادة وهذا العمل تعلق به الثواب والعقاب ولا يخرج عن قدر الله وعما سبق في علمه سبحانه وتعالى، فالتبست عليهم الأمور، وصاروا إلى الباطل، وظنوا أنهم على هدى وأن هذه الأعمال التي فعلوها ليست عن قدر وأنها باختيارهم ومشيئتهم فأخطؤوا الصواب وحادوا عن طريق الحق، فهي باختيارهم وهي بمشيئتهم وهم مؤاخذون عليها، فقد أصابوا في هذا، ولكن أخطؤوا في إخراجها عن قدر الله وعن علمه السابق وعن مشيئته سبحانه وتعالى.

وهكذا كل الطوائف تجدها إذا تأملتها أصابت في شيء وأخطأت في شيء، فالموفقون يأخذون بصواب ما مع الفرق ويتبرئون من خطئه وضلاله، وهم أهل السُّنَّة والجماعة، جمعوا بين الحق وابتعدوا عن

الباطل، فأخذوا ما عند أولئك من الفرق من الحق والصواب ونادوا به وتبرئوا مما هم فيه من الباطل وما هم عليه من الباطل وابتعدوا عنه وحذروا منه.

فَصْلٌ

يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقُول بعدها: آمين، مثل يس، ويقال: أمين بالقصر أيضًا، ومعناه: اللّهمّ استجب.

والدليل على استحباب التأمين: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والتّرمذيّ، عن وائل بن حجرٍ قال: سمعت النّبيّ ﷺ قرأ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فقال: «آمِينَ» مدّ بها صوته، ولأبي داود: رفع بها صوته، وقال التّرمذيّ: هذا حديثٌ حسنٌ، وروي عن عليٍّ وابن مسعودٍ وغيرهم[1].

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ قال: «آمِينَ» حتّى يسمع من يليه من الصّفّ الأوّل، رواه أبو داود وابن ماجه وزاد فيه: فيرتج بها المسجد. والدّارقطنيّ وقال: هذا إسنادٌ حسنٌ[2].

وعن بلالٍ أنّه قال: يا رسول الله لا تسبقني بآمين، رواه أبو داود[3]، ونقل أبو نصرٍ القشيريّ عن الحسن وجعفرٍ الصّادق أنّهما

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام، برقم (٩٣٢)، والترمذي في كتاب مواقيت الصلاة عن رسول ﷺ، باب ما جاء في التأمين، برقم (٢٤٨) وحسنه، والإمام أحمد (٤/ ٣١٦ و٣١٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام، برقم (٩٣٤)، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات والسُّنَّة فيها، باب الجهر بآمين، برقم (٨٥٣).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التأمين وراء الإمام، برقم (٩٣٧).

شدّدا الميم من آمين مثل ﴿ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، قال أصحابنا وغيرهم: ويستحبّ ذلك لمن هو خارج الصّلاة، ويتأكّد في حقّ المصلّي، وسواءٌ كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا، وفي جميع الأحوال لما جاء في «الصّحيحين» عن أبي هريرة ﷺ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

ولمسلم أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ، وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة: في الزّمان، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والظاهر الأول لظاهر الحديث: أنه الزمان إذا توافق أهل الزمان صار هذا من أسباب المغفرة، وفي اللفظ الآخر: «**فإذا قال: ولا الضالين، فقولوا: آمين**» فهذه هي السّنّة أن يقال: آمين، واللغات ثلاث: آمين كـ يس، وأمين كأمير، وآمّين بالتشديد والأفصح هو الأول، والأرجح هو الأول: آمين بالتخفيف والمد ومعناه: استجب يا ربنا، وأمين لغة ولكنها ليست هي الفصيحة في هذا، وأما آمّين فليس لها معنى هنا؛ لأن معنى آمّين؛ أي: قاصدين كذا وكذا، أمّ كذا قصده، وقد تؤول معنى آمّين؛ أي: قاصدين وجهك، ولكن ليس المراد هنا، إنما المراد

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب جهر المأموم بالتأمين، برقم (٧٨٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين، برقم (٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي بعد التشهد، برقم (٤١٠).

هنا طلب الإجابة، فآمين هو أفصحها بالمد والتخفيف بمعنى: استجب يا ربنا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وفي «صحيح مسلم» عن أبي موسى مرفوعًا إذا قال: «**وَإِذَا قَالَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقُولُوا: آمِينَ، يُجِبْكُمُ اللهُ**»[(١)].

وقال جويبرٌ عن الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ قال: قلت: يا رسول الله ما معنى آمين؟ قال: «**رَبِّ افْعَلْ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وجويبر هذا ليس بشيء، جويبر عن الضحاك سنده في غاية السقوط، فليس بشيء.

والعجب من المؤلف كيف يسوقه ويسكت وهو ممن يعرف هذا رحمة الله عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الجوهريّ: معنى آمين: كذلك فليكن.

وقال التّرمذيّ: معناه: لا تخيّب رجاءنا. وقال الأكثرون: معناه: اللّهمّ استجب لنا. وحكى القرطبيّ عن مجاهدٍ وجعفر الصادق وهلال بن يساف: أنّ آمين اسمٌ من أسماء الله تعالى، وروي عن ابن عبّاسٍ مرفوعًا ولا يصحّ، قاله أبو بكر بن العربيّ المالكيّ.

وقال أصحاب مالكٍ: لا يؤمّن الإمام ويؤمّن المأموم لما رواه مالكٌ عن سميٍّ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قَالَ الإِمَامُ: (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) فَقُولُوا: آمِينَ. فَإِنَّهُ**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، برقم (٤٠٤).

مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». الحديث. واستأنسوا أيضًا بحديث أبي موسى عند مسلم: «**وَإِذَا قَالَ: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ؛ فَقُولُوا: آمِينَ**».

وقد قدّمنا في المتّفق عليه: «**إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا**» وأنّه عليه الصّلاة والسّلام كان يؤمّن إذا قرأ غير المغضُوب عليهم ولا الضّالّين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا منافاة بين الأحاديث، وإذا قرأ ولا الضالين فقولوا آمين معناه: لا ينتظر، ولو لم يؤمن أمَّن المأمومون، فقوله: «**إذا أمَّن فأمنوا**» دليل على أنه يؤمن أيضًا هو معهم، فقول المؤلف هنا: ومن وافقه فليس بجيد بل هو ضعيف، والصواب: أنه يؤمن الإمام والمأموم والمنفرد سُنَّة في الصلاة وخارجها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتّأمين للمأموم في الجهرية، وحاصل الخلاف: أنّ الإمام إن نسي التّأمين جهر المأموم به قولًا واحدًا، وإن أمّن الإمام جهرًا فالجديد أن لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة، وروايةٌ عن مالكٍ: لأنّه ذكرٌ من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصّلاة، والقديم أنّه يجهر به، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والرواية الأخرى عن مالك لما تقدّم: «حتّى يرتجّ المسجد»، ولنا قولٌ آخر ثالثٌ: إنّه إن كان المسجد صغيرًا لم يجهر المأموم؛ لأنّهم يسمعون قراءة الإمام وإن كان كبيرًا جهر ليبلّغ التّأمين من في أرجاء المسجد والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب: هو القول الأول أن الكل يجهر الإمام والمأموم يجهرون. وهكذا المنفرد إذا صلى وحده لكونه مريضًا أو فاتته الصلاة مع الجماعة في الجهرية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن عائشة رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود فقال: «**إِنَّهُمْ لَنْ يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى الْجُمُعَةِ التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ**»، ورواه ابن ماجه ولفظه: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[١].

وله عن ابن عبّاسٍ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى قَوْلِ: آمِينَ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: آمِينَ**». وفي إسناده طلحة بن عمرٍو وهو ضعيفٌ.

وروى ابن مردويه عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**آمِينَ خَاتَمُ رَب الْعَالَمِينَ على عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومفردات ابن مردويه في الغالب ضعيفة، ابن مردويه متأخر وله تفسير، ويجمع فيه الغث والسمين؛ فلهذا الغالب على مفرداته الضعف.

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ آمِينَ فِي الصَّلَاةِ وَعِنْدَ الدُّعَاءِ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوسَى، كَانَ مُوسَى يَدْعُو وَهَارُونُ يُؤَمِّنُ فَاخْتِمُوا الدُّعَاءَ بِآمِينَ فَإِنَّ اللهَ يَسْتَجِيبُهُ لَكُمْ**»[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ١٣٤ و١٣٥)، والبيهقي (٢/ ٥٦)، والبخاري في التاريخ (١/ ١/ ٢٢)، وللحديث طريق آخر أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات والسُّنَّة فيها، باب الجهر بآمين، برقم (٨٥٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٩٨٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (١١٢٢)، وابن خزيمة (١٥٨٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلوات، باب الجهر بآمين برقم (٨٥٧).

(٣) أخرجه الحارث بن أبي أسامة في مسنده وغيرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(**قلت**) ومن هنا نزع بعضهم في الدّلالة بهذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٨ ـ ٨٩]، فذكر الدّعاء عن موسى وحده ومن سياق الكلام ما يدلّ على أنّ هارون أمّن فنزّل منزلة من دعا لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، فدلّ ذلك على أنّ من أمّن على دعاءٍ فكأنّما قاله، فلهذا قال من قال: إنّ المأموم لا يقرأ؛ لأنّ تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها، ولهذا جاء في الحديث: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ**» رواه أحمد في «مسنده»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولكنه ضعيف، ولهذا كان الصواب قول من قال بوجوب القراءة على الجميع وهذا مما احتج به الجمهور على عدم وجوب القراءة على المأموم ولكنه ضعيف، ولهذا لم يلتفت إليه من قال بوجوبها كالبخاري والشافعي رحمهما الله على المأموم، والعجب من المؤلف كيف سكت عنه، وهو معروف لديه ولدى غيره، وهو خلاف أيضًا مذهب الشافعي الذي هو مذهب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فهذا من غرائبه رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكان بلال يقول: لا تسبقني بآمين يا رسول الله. فدلّ هذا المنزع على أنّ المأموم لا قراءة عليه في الجهريّة، والله أعلم.

ولهذا قال ابن مردويه: حدّثنا أحمد بن الحسن، حدّثنا عبد الله بن

(١) سبق تخريجه في (ص٧٨).

محمّد بن سلّامٍ، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم، حدّثنا جريرٌ، عن ليث، عن ابن أبي سليمٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عن» غلط، عن ليث بن أبي سليم

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن كعبٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضالين، فقال: آمين، فوافق آمِينَ أَهْلِ الْأَرْضِ آمِينَ أَهْلِ السَّمَاءِ غَفَرَ اللهُ لِلْعبد مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَثَلُ مَنْ لَا يَقُولُ آمِينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ غَزَا مَعَ قَوْم فَاقْتَرَعُوا فَخَرَجَتْ سِهَامُهُمْ وَلَمْ يَخْرُجْ سَهْمُهُ فَقَالَ: لِمَ لَمْ يَخْرُجْ سَهْمِي؟ فَقِيلَ: إنك لم تقل آمين»**[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والليث بن أبي سليم من الضعفاء....



(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (ج١١/ برقم ٦٤١١)، قال السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٧): إسناده جيد.

شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري(١)

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان من الرّحمة الرّحيم والرّاحم بمعنًى واحدٍ كالعليم والعالم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العليم والرّحيم، صفة مبالغةٍ، أبلغ من الفاعل، الرّحمن فعلان، وفعيلٌ صيغة مبالغةٍ، كلاهما يدلّ على سعة الرّحمة، وهكذا العليم والبصير والقدير صيغة مبالغةٍ.

• **س: أحسن اللهُ إليك: قال الحافظ هنا (٨/ ١٥٥): «والرّحمة لغةً: الرّقّة والانعطاف، وعلى هذا فوصفه به تعالى مجازٌ عن إنعامه على عباده»؟**

هذا غلطٌ، الرّحمة من الله الإحسان إليهم، والجود عليهم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تليق به، لا تشبه رحمة المخلوقين، بعضهم يقول: الرّحمة: إرادة الإحسان، كلّ هذا تأويلٌ من تأويل الجهمية والأشاعرة وغيرهم وهذا من الجهل؛ الرّحمة وصفٌ مستقلٌّ، غير الإرادة، فرحمة الله غير رحمة المخلوقين.

فالرّحمة وصفٌ مستقلٌّ يليق بالله؛ بها أحسن لعباده، وبها أنزل المطر، وبها عافى المريض، وبها أدخل المؤمنين الجنّة، وبها أرسل الرّسل إلى غير ذلك.

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير بقراءة الشيخين عبد العزيز الراجحي وعبد العزيز القاسم حفظهما الله في جامع الإمام تركي بن عبد الله رَحِمَهُ اللَّهُ. «الجامع الكبير في الرياض».

فهو الرّحمن الرّحيم، الرّحمن ذو الرّحمة الواسعة الّتي هي وصفه، والرّحيم الّذي رحم عباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. فهي وصفٌ ذاتيٌّ قائمٌ به جلّ وعلا؛ به يرحم عباده جلّ وعلا، ويحسن إليهم في البرّ والبحر.

• س: أحسن الله إليك: أقول: مائة الرّحمة الّتي أخبر بها النّبيّ ﷺ؟

الرّحمة المخلوقة: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ**»(١)، غير الرّحمة القائمة به، هذه من آثار الرّحمة القائمة به؛ من رحمته القائمة به أنّه خلق أنواعًا من الرّحمة عدّ مائةٍ، يرحم بها عباده، أنزل منها رحمةً واحدةً في الأرض، في هذه الدّنيا يتراحم بها النّاس؛ حتّى إن الدّابّة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه من هذه الرّحمة، والباقي: تسعةٌ وتسعون أمسكها عنده يرحم بها عباده يوم القيامة، غير رحمته القائمة به، الّتي هي وصفه سبحانه وتعالى.

• س: هل هذه الرّحمة صفة فعلٍ، وصفة ذاتٍ؟

صفة فعلٍ؛ لأنّه يرحم بها عباده كالخلق والرّزق، وصفة ذاتٍ من جهة أنّها قائمةٌ به، صفات ذاتٍ وصفات فعلٍ، يقال لها: صفات فعلٍ؛ لأنّها متصلةٌ بالعباد، وذاتٍ لأنّها قائمةٌ به، موصوفٌ بها جلّ وعلا، كلّ شيء يتعلّق بالمشيئة يسمّى صفة فعلٍ من جهة أنّه يتعلّق بالعباد، وصفة ذاتٍ؛ لأنّه وصفٌ قائمٌ به سبحانه وتعالى.

أمّا السّمع والبصر والحلم، والإرادة ونحوها، واليد والقدم كلّ هذه صفاتٌ ذاتيةٌ، ليست صفات أفعالٍ؛ لأنّها لا تتعلّق بالمشيئة.

• س: كيف يوجّه تأويل ابن حجرٍ رحمه الله في بعض التّأويلات؟

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وإنها سبقت غضبه برقم (٢٧٥٢) بلفظ: «**خَلَقَ اللهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ**»، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٤، ٤٨٤).

تبع الأشعريّة، هو أشعريٌّ في كثيرٍ من المسائل، الله يعفو عنّا وعنه.

● س: **البسملة جزءٌ من الفاتحة؟**

البسملة آيةٌ مستقلةٌ، ما هي من الفاتحة ولا من غيرها، إلّا أنّها بعض آيةٍ من سورة النّمل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النمل: ٣٠].

وهي آيةٌ مستقلةٌ فصلٌ بين السّور، إلّا براءة فليس في أولها تسميةٌ؛ لأنّ الصّحابة رضي الله عنهم شكّوا في كونها هي والأنفال سورةً أو مفردةً؛ فلم يكتبوا حين جمعوا المصاحف: «بسم الله» في أوّل براءة.

فلو قرأ الفاتحة ولم يسمّ أجزأ، وصحّت الفاتحة؛ لكن يسنّ لكلّ مؤمن إذا قرأ أن يبدأ بالبسملة في الفاتحة وغيرها ما عدا براءة يبدؤها بالتّعوذ.

❐ ما جاء في فاتحة الكتاب

وسمّيت أمّ الكتاب أنّه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصّلاة، والدّين الجزاء في الخير والشّرّ، «كما تدين تدان»، وقال مجاهدٌ: ﴿بِٱلدِّينِ﴾ بالحساب: ﴿مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] محاسبين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

(الدِّين) كلمةٌ مشتركةٌ تطلق على الدّين الّذي هو التّعبّد: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وتطلق على الحساب؛ لأنّه يدينه يحاسبه، وتطلق على الجزاء ومنه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾؛ يعني: يوم الجزاء والحساب.

والمؤلّف رحمه الله ذكر أنّ الفاتحة أمّ الكتاب؛ لأنّها تقرأ في الصّلوات، ويبدأ بها المصحف، ولها معنًى آخر كونها أمّ القرآن؛ لأنّ معاني القرآن ترجع إليها، معاني القرآن هي أصله وأمّه؛ لأنّها ترجع إليها معاني القرآن، فأوّلها يرجع إليه أسماء الله وصفاته: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾. هذه أصول الأسماء الحسنى.

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: يدخل فيه جميع أعمال العباد في هذه العبادة، كما أنّها تدخل في الصّراط المستقيم؛ فإنّ جميع أعمال العباد من أداء الواجبات، وترك المحارم وسائر ما يتقرّبون به إلى الله كلّه داخلٌ في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وفي قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وفي قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ دخول جميع العابدين لله المنعم عليهم، المستقيمين من الأولين والآخرين، من الرّسل وأتباعهم، كلّهم داخلون في قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وفي: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يدخل جميع الكفّار، سواءٌ كانوا مكذّبين أو معرضين، فالمكذّبون الّذين كفروا على علم داخلون في ﴿الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من اليهود وأشباههم، والكفّار الضّالّون من النّصارى وغيرهم داخلون في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

فهي أمّ الكتاب؛ لأنّ معانيها اشتملت على جميع ما دلّ عليه الكتاب، وجميع ما في الكتاب يرجع إلى ما فيها من المعاني، فهي أمٌّ للكتاب، وأصلٌ له، ويرجع إليها من جهة المعنى، مع أنّها تقرأ في الصّلوات الخمس، ويبدأ بها في كتابة المصحف، هذا من خصائصها أيضًا.

لكن أعظم من ذلك أنّها يرجع إليها جميع المعاني، ترجع إليها جميع المعاني الواردة في كتاب الله وفي سنّة رسوله عليه الصّلاة والسّلام.

• **س: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] المقصود بأمّ الكتاب هنا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: أمّ الكتاب: اللوح المحفوظ.

*

● **س: هل يدلّ على أنّ الفاتحة قراءتها تعدل القرآن، كما أنّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ما جاء فيها شيءٌ من هذا بيّن معناها، ولم يجئ أنّ قراءتها تعدل القرآن.

(من السّائل): قوله: **(والقرآن العظيم)**؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا، ما يكفي؛ يعني: تسمّى القرآن العظيم لما فيها من المعنى.

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تكلّم الشّارح على أبي سعيدٍ بن المعلّى؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ١٥٧)]: «قوله: **(عن أبي سعيد بن المعلّى)**: بيّن في روايةٍ أخرى تأتي في تفسير الأنفال سماع خبيبٍ له من حفصٍ، وحفصٍ له من أبي سعيدٍ، وليس لأبي سعيدٍ هذا في البخاريّ سوى هذا الحديث.

واختلف في اسمه فقيل: رافعٌ، وقيل: الحارث وقواه ابن عبد البرّ، ووهّى الّذي قبله، وقيل: أوسٌ، وقيل: بل أوسٌ اسم أبيه، والمعلّى جدّه.

ومات أبو سعيدٍ سنة ثلاثٍ أو أربعٍ وسبعين من الهجرة، وأرّخ ابن عبد البرّ وفاته سنة أربعٍ وسبعين. وفيه نظرٌ بيّنته في كتابي في الصّحابة.

تنبيهان يتعلّقان بإسناد هذا الحديث:

أحدهما: نسب الغزاليّ والفخر الرّازيّ وتبعه البيضاويّ هذه القصّة لأبي سعيدٍ الخدريّ، وهو وهمٌ، وإنّما هو أبو سعيد بن المعلّى.

ثانيهما: روى الواقديّ هذا الحديث عن محمّد بن معاذٍ، عن خبيب بن عبد الرّحمن بهذا الإسناد، فزاد في إسناده: عن أبي

سعيد بن المعلّى عن أبيّ بن كعبٍ. والّذي في «الصّحيح» أصحّ.

والواقديّ شديد الضّعف إذا انفرد فكيف إذا خالف وشيخه مجهولٌ؟ وأظنّ الواقديّ دخل عليه حديث في حديث فإنّ مالكًا أخرج نحو الحديث المذكور من وجهٍ آخر فيه ذكر أبيّ بن كعبٍ، فقال: عن العلاء بن عبد الرّحمن، عن أبي سعيدٍ مولى عامرٍ أنّ النّبيّ ﷺ نادى أبيّ بن كعبٍ. ومن الرّواة عن مالكٍ من قال: عن أبي سعيدٍ عن أبيّ بن كعبٍ أنّ النّبيّ ﷺ ناداه. وكذلك أخرجه الحاكم.

ووهم ابن الأثير حيث ظنّ أنّ أبا سعيدٍ شيخ العلاء هو أبو سعيد بن المعلّى؛ فإنّ ابن المعلّى صحابيٌّ أنصاريٌّ من أنفسهم، مدنيٌّ وذلك تابعيٌّ مكّيٌّ من موالي قريشٍ.

وقد اختلف فيه على العلاء، أخرجه التّرمذيّ من طريق الدّراورديّ، والنّسائيّ من طريق روح بن القاسم، وأحمد من طريق عبد الرّحمن بن إبراهيم، وابن خزيمة من طريق حفص بن ميسرة كلّهم عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النّبيّ ﷺ على أبي بن كعبٍ... فذكر الحديث.

وأخرجه التّرمذيّ وابن خزيمة من طريق عبد الحميد بن جعفرٍ، والحاكم من طريق شعبة، كلاهما عن العلاء مثله. لكن قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورجّح التّرمذيّ كونه من مسند أبي هريرة.

وقد أخرجه الحاكم أيضًا من طريق الأعرج، عن أبي هريرة أنّ النّبيّ ﷺ نادى أبيّ بن كعبٍ. وهو ممّا يقوّي ما رجّحه التّرمذيّ.

وجمع البيهقيّ بأنّ القصّة وقعت لأبيّ بن كعبٍ ولأبي سعيد بن المعلّى. ويتعيّن المصير إلى ذلك لاختلاف مخرج الحديثين، واختلاف سياقهما كما سأبيّنه...». [انتهى كلامه].

[قال الحافظ رحمه الله في «التّقريب»]: «أبو سعيدٍ بن المعلّى الأنصاريّ المدني يقال: اسمه رافع بن أوس، وقيل: الحارث، ويقال: ابن نفيع

[نقيع] صحابيٌّ مات سنة ثلاث وسبعين وقيل غير ذلك خ د س ق».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والّذي قبله؟

- «أبو سعيد بن رافعٍ المدنيّ. مقبولٌ من الرّابعة قد س».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والّذي بعده؟

- «أبو سعيد بن أبي المعلى، ويقال: ابن المعلى المدني. مقبولٌ من الثّالثة ت.

أبو سعيد الأزدي في أبي سعد.

● **س: عندنا أبو سعدٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، هو أبو سعيد اسمه المعلى، [مشهور] بالكنية.

حدّثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالكٌ، عن سميٍّ، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَن وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبيّن أنّ تأمين المأموم ليس مربوطًا بالإمام، بل متى قال: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يقول المأموم: آمين؛ ولهذا قال الرّسول ﷺ: **(إذا قال الإمام:** ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] **فَقُولُوا: آمِينَ، فَمَنْ وَافَقَ تأمينُه تأمين المَلَائِكَة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ)**، وفي اللّفظ الآخر: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا**».

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب جهر الإمام بالتأمين برقم (٧٨٠)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب التسميع والتحميد والتأمين برقم (٤١٠).

هذا وصفٌ؛ لأنّ الإمام يؤمِّن، وليس شرطًا أن يؤمِّن، أنت تؤمِّن ولو لم يؤمّن، أو المعنى جاء وقت اللائق للتأمين، إذا أمّن يعني: إذا أراد التّأمين فأمّنوا، والتعبير بالوصف الأغلب، الأغلب أنّه يؤمّن وأنت تؤمّن، وإلّا فلو سكت فأنت تؤمّن، إذا قال: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقل: آمين، حتّى ولو ما سمعت إمامك يؤمّن، مشروعٌ لك في الصّلاة وخارجها إذا قلت: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقل: آمين؛ **(فَمَنْ وَافَقَ تأمينه تأمين المَلَائِكَة غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّم مِنْ ذَنْبِهِ)**

فالمعنى: أنّك تؤمّن وإمامك يؤمّن والملائكة تؤمّن، فإن اتّفق الجميع صار من أسباب المغفرة.

• **س: قوله ﷺ: «وإذا قال الإمام: آمين فأمنوا» أليس من الواجب متابعة الإمام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا قال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين. ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وفي اللّفظ الآخر: «**إذا أَمَّنَ الإِمَام فأَمِّنُوا**».

المعنى: أنّه إذا وصل إلى محلّ التأمين، أو إذا صدر منه التأمين في وقتٍ عند قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فلا مانع أن تؤمّن معه، لا مانع من الاشتراك عند قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

(من السّائل): **أليس الأفضل متابعة الإمام بعد التأمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ما هو بلازمٍ، حتّى لو ما أمّن تؤمّن أنت.

• **س: أحسن الله إليك: لو كان الإنسان خارج الصّلاة غير داخلٍ في الصّلاة وقال الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ يقول: آمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما نعلم مانعًا، أقول: ما نعلم مانعًا، لكن المأمور بهذا المصلّون معه.

❑ ❑ ❑

تفسير سورة الفاتحة

حكم قراءتها في الصلاة(١)

الحمد لله، وصلّى الله وسلّم على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، **أما بعد:**

فإن الله ﷻ شرع لعباده في كل ركعة من الصلاة أن يقرأوا فاتحة الكتاب، وهي أم القرآن، وهي أعظم سورة في كتاب الله ﷻ، كما صح بذلك الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ**»(٢).

هذه السورة العظيمة اشتملت على الثناء على الله وتمجيده ﷻ وبيان أنه سبحانه هو المستحق لأن يُعبد وأن يستعان به، واشتملت على تعليم العباد، وتوجيه العباد إلى أن يسألوه ﷻ الهداية إلى الصراط المستقيم.

فمن نعم الله العظيمة على عباده هذه السورة العظيمة، وأن شرع لهم قراءتها في كل ركعة في الفرض والنفل، بل جعلها ركن الصلاة في

---

(١) من دروس وفتاوى في المسجد الحرام (ص٥٠١) في ٢٦/١٢/١٤١٨هـ، ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة، جمع: معالي الدكتور محمد بن سعد الشويعر (١٥٣/٢٤ ـ ١٧٥).

(٢) يشير سماحته رحمه الله الى الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب برقم (٤٤٧٤).

كل ركعة؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **«لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»**[١]، وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: **«لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ»**. قلنا: نعم هذا يا رسول الله. قَالَ: **«لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»**.

فالواجب على كل مصلٍّ أن يقرأ بها في كل ركعة؛ في الفرض والنفل، أما المأموم فعليه أن يقرأ بها في صلاته خلف إمامه، فلو جهل أو نسي أو جاء والإمام راكع سقطت عنه، فيحملها عنه الإمام، إذا جاء والإمام راكع ودخل في الركعة أجزأته، وسقط عنه وجوب قراءتها؛ لأنه لم يحضرها؛ لما ثبت في «الصحيح» من حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أنه جاء والإمام راكع، فركع دون الصف ثم دخل في الصف، فأخبر النبي ﷺ، بهذا بعد الصلاة، فقال له النبي ﷺ: **«زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ»**[٢]، ولم يأمره بقضاء الركعة؛ فدل على أن من أدرك الركوع أدرك الركعة. وهكذا لو كان المأموم جاهلًا أو نسي الفاتحة ولم يقرأها، أجزأته الصلاة وتحملها عنه الإمام، أما من علم وذكر، فالواجب عليه أن يقرأها مع إمامه، كما يجب على المنفرد والإمام أن يقرأها، وهي ركن في حق

---

(١) متفق عليه، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ برقم (٧٥٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا برقم (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب إذا ركع دون الصف برقم (٧٨٣)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب الرجل يركع دون الصف برقم (٦٨٣)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الركوع دون الصف برقم (٨٧١)، وأحمد (٥/ ٣٩، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٥٠).

المنفرد، وركن في حق الإمام. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ، أنه قال: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ **قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»**(١).

فقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حق الله؛ فإن حق الله على عباده أن يعبدوه، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حق للعبد أن يستعين بالله في كل شيء، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وفي الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ: **«فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»**(٢).

هذا حق الله على العباد؛ أن يعبدوه بطاعة أوامره وترك نواهيه، ويحذروا الشرك به ﷻ، أن أصل هذه العبادة وأساسها: شهادة أن

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب وُجُوب قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا برقم (٣٩٥)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب مَنْ تَرَكَ الْقِرَاءَةَ فِي صَلَاتِهِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ برقم (٨٢١)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة الفاتحة برقم (٢٩٥٣)، والنسائي في كتاب الافتتاح، باب تَرْكِ قِرَاءَةِ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ برقم (٩٠٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٥، ٤٦٠).

(٢) متفق عليه، من حديث معاذ رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار برقم (٢٨٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا برقم (٣٠).

لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذه أصل العبادة وأساس العبادة: توحيد الله والإيمان برسوله عليه الصلاة والسلام.

فأعظم الأركان وأهمها: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فعلى كل مكلف أن يشهد عن علم ويقين وصدق أنه لا إلٰه إلا الله، والمعنى: لا معبود حق إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]. وعليه أن يشهد عن علم ويقين وصدق، أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب هو رسول الله حقًّا إلى جميع الثقلين الجن والإنس وهو خاتم الأنبياء ليس بعده نبي، كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فعلى كل إنسان وعلى كل مكلف من الجن والإنس أن يعبد الله وحده؛ هذا حق الله على عباده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

يجب على جميع الثقلين جنِّهم وإنسهم، ذكورهم وإناثهم، عربهم وعجمهم، أغنيائهم وفقرائهم، ملوكهم وعامتهم عليهم جميعًا أن يعبدوا الله بأداء ما فرض وترك ما حرم، وعليهم أن يخصوه بالعبادة دون كل ما سواه، قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ يعني: أمر ربك وأوصى ربك: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي هذه السورة يقول ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يعلمنا أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، هذا حقه ﷻ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾؛ يعني: وحدك بدعائنا وخوفنا ورجائنا وصومنا وصلاتنا وذبحنا ونذرنا، وغير

هذا من العبادات كلّه لله وحده، كما قال ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

فالذين يتقربون إلى الأصنام أو إلى الأموات من الأولياء وغيرهم بالدعاء أو الرجاء، أو الذبح أو النذر أو الاستغاثة، قد عبدوا مع الله غيره، وقد أشركوا بالله غيره، ونقضوا قول: لا إله إلا الله، وخالفوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ فالعبادة حق الله، ليس لأحد فيها نصيب.

فالواجب على كل مكلف أن يعبد الله وحده، والواجب على كل من لديه علم أن يعلِّم الناس وأن يرشد الناس وأن يعلم أهله ومن حوله، وأن يرشد الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

فعلى جميع المكلفين أن يعبدوا الله، وأن يخصوه بالعبادة؛ بدعائهم وذبحهم ونذرهم وصلاتهم وصومهم وغير هذا من العبادة.

وبهذا نعلم أن ما يفعله بعض الجهلة عند القبور ـ قبور الصالحين، أو من يزعم أنهم صالحون ـ من دعائهم، أو الاستغاثة بهم أو النذر لهم، أن هذا هو الشرك الأكبر، وهذا دين الجاهلية، ويجب الحذر من ذلك.

وهكذا البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها هو من وسائل الشرك، وهو من عمل اليهود والنصارى؛ فيجب الحذر من ذلك.

يقول النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**»(١)، فالواجب عليك يا عبد الله، وعليك يا أمة الله، الانتباه لهذا

---

(١) متفق عليه، من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور برقم (١٣٣٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم (٥٢٩).

الأمر، والعلم بهذا الأمر، وأن العبادة حق الله وحده، ليس لأحد فيها نصيب.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾؛ هذا حق الله أن نعبده وحده، وأن نستعين به وحده؛ فلا يجوز أن يُدعى مع الله سبحانه إلٰه آخر، لا نبي ولا غيره، لا محمد ﷺ، ولا غيره، ولا البدوي، ولا الحسين ولا علي ولا غير ذلك. العبادة حق الله وحده ليس لأحد فيها نصيب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، يخاطب نبيَّه محمدًا ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

سيِّد الخلق لو أشرك بالله لحبط عمله، فكيف بغيره؟ وقد عصمه الله من ذلك وحفظه، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فالشرك هو أعظم الذنوب وأسوأها وأخطرها؛ فالواجب الحذر منه ومن وسائله، يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]. من مات على التوحيد والإخلاص لله والإسلام فهو من أهل الجنة؛ لكن إن كانت له ذنوب وسيئات فهو على خطر؛ قد يغفر له وقد لا يغفر له، وقد يعذَّب بمعاصيه؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فإذا مات على شرب الخمر، أو على عقوق الوالدين أو أحدهما، أو على أكل الربا، أو على ظلم الناس، فهو على خطر عظيم من دخول النار، وقد يغفر له وقد لا يغفر، إلا أن يتوب قبل موته توبة صادقة؛ فمن تاب، تاب الله عليه.

وقد دلت السُّنَّة المتواترة عن رسول الله ﷺ أن كثيرًا من العصاة

يعذبون في النار على قدر معاصيهم ولا يغفر لهم، وثبت عنه ﷺ أنه يشفع في جماعة من العصاة، فيحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار، ثم يشفع فيحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار، ثم يشفع فيحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار ثم يشفع فيحد الله له حدًّا فيخرجهم من النار التي دخلوها بذنوبهم، ويبقى في النار بقايا من أهل التوحيد دخلوا النار بمعاصيهم، فيخرجهم الله من النار بفضله ورحمته ﷻ.

فاتق الله يا عبد الله واحذر السيئات، احذر المعاصي كلها، والزَم التوبة دائمًا لعلك تنجو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فأنت على خطر إذا مت على معصية! على الربا، على الزنا، على العقوق، على شرب المسكر، على ظلم الناس والعدوان عليهم، على الغيبة والنميمة، فأنت على خطر؛ فحاسب نفسك، وجاهد نفسك، وبادر بالتوبة قبل أن يهجم الأجل، واعرف معنى قوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وأن الواجب عليك أن تخص الله بالعبادة دون كل ما سواه، فهو المستحق لأن يعبد، فهو الذي يُدعى، ويُرجى، ويُخاف، ويُتقرب إليه بالصلاة، والصوم، والحج، والنذر، والذبح، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ [الأنعام: ١٦٢]؛ يعني: ذبحي ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ١، ٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

جميع من يدعوه الناس من دون الله ما يملكون من قطمير؛ وهي:

اللفافة التي على النواة، ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

فالواجب: الحذر من دعاء غير الله أو الشرك بالله، والواجب: توجيه القلوب إلى الله ﷻ، وإخلاص العمل لله وحده في صلاتك وصومك وسائر عباداتك.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يقول الله: «**هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، حق الله ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حق العبد، وحاجة العبد، عليه أن يستعين بالله في كل شيء، وفي حديث ابن عباس يقول النبي ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**»(١).

فالعبد في غاية الفقر والحاجة إلى الله ﷻ، فعليه أن يستعين بربه في كل شيء، وعليه أن يسأله حاجته ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٥، ١٦] فأنت في أشد الضرورة إلى ربك؛ فاضرع إليه واسأله حاجاتك، واحذر الشرك به. خص ربك بالعبادة، واحذر أن تشرك بالله شيئًا؛ لا في ذبحك ولا في نذرك ولا في صومك ولا في صلاتك ولا في دعائك، ولا في غير ذلك؛ فالعبادة حق الله يجب إخلاصها لله وحده.

وإياك أن تغتر بما يفعله الجهال في كثير من البلدان؛ من العكوف على القبور، ودعاء أصحابها والاستغاثة بها، هذا هو الشرك الذي نهى الله عنه، وهو الذي بعث الله الرسل بإنكاره، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، بعث الله الرسل جميعًا بإنكار الشرك، والدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٥١٦)، وأحمد ١/٣٠٣.

له ﷻ، فاحذر يا عبد الله أن تقع فيما وقع فيه المشركون؛ من عبادة أصحاب القبور أو الأشجار أو الأصنام أو الكواكب أو الجن، كل ذلك شرك به.

فمن دعا الجن من دون الله أو دعا الكواكب أو الأصنام، أو استغاث بالأموات، أو بالغائبين فقد أشرك بالله، ووقع في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

ثم احذر أيضًا من وسائل الشرك؛ كالصلاة عند القبور، واتخاذ المساجد عليها، واتخاذ القباب عليها؛ كل هذا من وسائل الشرك، ولهذا قال ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا**»(١)، قالت عائشة ﵂: يحذّر ممّا صنعوا، قالت: ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنّه خشي أن يتّخذ مسجدًا.

ولما قيل له عن كنائس النصارى وما يفعلون فيها، قال: «**أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ**»(٢).

فبيَّن أن من اتخذ المساجد على القبور والصور على القبور، أنهم شرار الخلق عند الله، فالواجب الحذر من هذه الأعمال السيئة من أعمال اليهود والنصارى والمشركين، ويجب أن تخص الله بالعبادة أينما كنت؛ تعبده وحده بدعائك وخوفك ورجائك وصلاتك وصومك وذبحك ونذرك

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٦١).

(٢) متفق عليه، من حديث عائشة ﵂، أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة برقم (٤٣٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد برقم (٥٢٨).

وغيره، كله لله وحده ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، قال تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٢، ٣].

ثم يقول ـ سبحانه ـ بعد ذلك: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

يعلِّم عباده أن يدعوه بهذا الدعاء، فإذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ يقول الله: «**هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»، هكذا جاء في الحديث الصحيح.

فجدير بك يا عبد الله أن تَصْدُق في هذا الدعاء، وأن تخلص في هذا الدعاء، وأن يكون قلبك حاضرًا حين تقول: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

ومعنى ﴿ٱهۡدِنَا﴾؛ يعني: أرشدنا يا ربنا ودلنا، وثبتنا ووفقنا. تسأل ربك أن يهديك هذا الصراط، وأن يرشدك إليه، وأن يعلمك إياه، وأن يثبتك عليه.

ما هو الصراط المستقيم؟:

الصراط المستقيم هو: دين الله، هو توحيد الله والإخلاص له، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو الصراط المستقيم، وهو عبادة الله، وهو الإسلام والإيمان والهدى، وهو الصراط المستقيم، وهي العبادة التي أنت مخلوق لها ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، هذه العبادة هي الصراط المستقيم ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلام هو الصراط المستقيم، وهو الإيمان بالله ورسوله، وتوحيد الله، وطاعته وترك معصيته، هذا هو الصراط المستقيم: أن تعبد الله وحده دون كل ما سواه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، لما ذكر الشرك والتوحيد والمعاصي في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١، ١٥٢]، ثم قال بعد هذا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣] فصراط الله: أداء أوامره وترك نواهيه، هذا صراط الله المستقيم، وأعظمها: توحيده والإخلاص له، وأعظم المناهي هو الشرك به؛ فصراط الله المستقيم توحيده والإخلاص له، وترك الإشراك به، وأداء ما أمر وترك ما نهى، هذا هو صراط الله المستقيم. ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ يعني: الزموه، واستقيموا عليه. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهي: البدع، والمعاصي التي ينهى الله عنها، وقد ثبت عنه ﷺ أنه خَطَّ خَطًّا، فقال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ**»، ثمّ خطّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله ثمّ قال: «**هَذِهِ سُبُلٌ: عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»[١].

فالسبل هي: البدع والمعاصي، والمنكرات التي حرمها الله على عباده؛ فالواجب الحذر منها.

والصراط المستقيم هو توحيد الله وطاعته، وهو الإسلام والإيمان، وهو الهدى، وهي العبادة التي أنت مخلوق لها، صراط واضح، وهو

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود (١/ ٤٣٥، ٤٦٥).

توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله.

والمستقيم: الواضح الذي ليس فيه عوج، قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشّورى: ٥٣].

فالرسول بعثه الله ليهدي إلى صراط مستقيم، وهكذا الرسل جميعًا، كلهم بُعثوا ليهدوا إلى الصراط المستقيم؛ يعني: يدعون الناس إلى الصراط المستقيم، وهو: توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله المستقيم.

وربنا يرشدنا في كل صلاة، في كل ركعة، أن نقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾؛ يعني: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم الذي شرَّعته لنا، وبعثت به أنبياءك، وخلقتنا له، نطلب منك أن تهدينا له وأن ترشدنا له، وأن تثبتنا عليه ثم فسَّره فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، هذا صراط الله المستقيم: صراط المنعم عليهم.

ومن هم المنعم عليهم؟

هم: الرسل وأتباعهم، وعلى رأسهم إمامهم وخاتمهم نبينا محمد - عليه الصلاة والسلام هم المنعم عليهم - وهذا صراطهم، صراط الله المستقيم؛ توحيد الله، وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذا هو صراط الذين أنعمت عليهم يعني صراط الرسل وأتباعهم المؤمنين الذي هديتهم لسلوك هذا الصراط المستقيم، وهذا هو صراط المنعم عليهم، وهم: الرسل وأتباعهم إلى يوم القيامة.

والصراط المستقيم هو: العلم والعمل؛ العلم بما شرع الله والعمل بذلك هذا هو الصراط المستقيم، العلم بما شرع الله وبما أوجب الله على عباده، والعمل بذلك، أن تعلم حق الله عليك، وأن تعلم ما

أوجب الله عليك، وأن تعلم ما حرم الله عليك، وأن تستقيم على أداء ما أمرك الله به، وعلى ترك ما حرم الله عليك، هذا هو صراط الله المستقيم الذي تطلب من ربك في كل ركعة أن يهديك صراطه المستقيم.

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، غير صراط المغضوب عليهم، وهم: اليهود وأشباههم، الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، وتكبروا عن اتباعه، وغير طريق الضالين، وهم: النصارى وأشباههم، الذين تعبَّدوا على الجهالة والضلالة.

فصراط المنعم عليهم هم أهل العلم والعمل، الذين عرفوا الحق وفقهوه، وعملوا به، وأما المغضوب عليهم، فهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه؛ كاليهود وأشباههم وعلماء السوء، الذين يعرفون الحق ويحيدون عنه، ولا يَدُلون إليه، وهم المغضوب عليهم. والضالون هم: النصارى وأشباههم، ممن جهل الحق، ولم يبال بدين الله، بل اتبع هواه.

فأنت يا عبد الله تسأل ربك أن يهديك طريق المنعم عليهم، وهم الرسل وأتباعهم، وأن يجنبك طريق المغضوب عليهم والضالين.

وهذه دعوة عظيمة؛ فأعظم دعوة أن تسأل ربك الهداية إلى صراطه المستقيم، وهو صراط المنعم عليهم، لا صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين.

اِحمد ربك على هذه النعمة العظيمة، واحرص على هذا الدعاء، وأحضر قلبك عند هذا الدعاء في الصلاة وغيرها؛ هذا الدعاء العظيم الذي أنت في أشد الضرورة إليه: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾.

أحضر قلبك واصدق في هذا الطلب؛ في الصلاة وغيرها، تسأل ربك، تضرع إليه أن يهديك صراطه المستقيم، وأن يثبتك عليه حتى تكون من أتباعه والسالكين إليه، غير المغضوب عليهم وغير الضالين؛

فالمغضوب عليهم اليهود وأشباههم والضالين والنصارى وأشباههم لأن اليهود تعبَّدوا على خلاف العلم، وتابعوا أهواءهم حسدًا وبغيًا، وهم يعرفون أن محمدًا رسول الله، وأن الله بعثه بالحق، ولكن حادوا عن الحق تكبرًا وتعاظمًا، وإيثارًا للدنيا على الآخرة، وحسدًا.

والنصارى جهَّال، يغلب عليهم الجهل والضلال، وهم أقرب إلى الخير من اليهود؛ ولهذا يسلم منهم الجم الغفير في كل وقت، أما اليهود فيندر أن يُسلم منهم أحد، أما النصارى فكثيرًا ما يسلمون في كل وقت؛ لأن قلوبهم أقرب إلى الخير من قلوب اليهود، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ [المائدة: ٨٢].

فالنصارى أقرب وقلوبهم ألين من قلوب اليهود؛ لأن علَّتهم الجهل والضلال فإذا عرفوا وبُيِّن لهم اهتدى كثير منهم إلى الحق.

أما علة اليهود فليست الجهل، بل علَّتهم الحسد والبغي، وعلتهم مخالفة الحق على بصيرة؛ فعلَّتهم خبيثة، وهي: التكبر عن اتباع الحق، والحسد لأهل الحق؛ ولهذا قلّ وندر من يُسلم منهم ـ نعوذ بالله من ذلك ـ.

فأنت ـ يا عبد الله ـ احمد ربك أن هداك لهذا الصراط، وأن علَّمك إياه، وأن شرع لك أن تطلبه في صلواتك وفي خارج الصلاة، تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

وهذا الصراط هو: دين الله، وهو الإسلام، وهو الإيمان والهدى، وهو العبادة التي أنت مخلوق لها، وهو العلم والعمل؛ أن تعلم ما شرعه الله لك، وما خلقك لأجله، وأن تعمل بطاعة الله، وتحذر معاصي الله، وتقف عند حدود الله، ترجو ثواب الله وتخشى عقاب الله، هذا الصراط المستقيم.

وأساسه وأعظمه وأوله وأفرضه: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا هو الأساس، هذا هو الأصل، هذا هو أعظم واجب، هذا هو الركن الأول، ثم الصلاة، ثم الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج. يقول النبي ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

هذه هي أركان الإسلام الظاهرة، وما سواها من الأوامر تابع لذلك، ويجب مع هذه الأوامر ترك المناهي، والحذر من المناهي؛ خوفًا من الله، وتعظيمًا لله، وإخلاصًا له.

هذا هو دين الله وأساسه: توحيده والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ ثم أداء الفرائض وترك المحارم والوقوف عند الحدود، وهذا هو الصراط المستقيم.

يجب على كل مسلم؛ من الذكور والإناث، على كل جن وإنس، على جميع الثقلين، يجب عليهم أن يثبتوا على هذا الصراط، وأن يستقيموا عليه، وأن يسألوا الله الهداية له، وأن يحذروا مخالفته؛ فهو صراط الله، وهو دين الله، وهو العلم والعمل؛ العلم بما شرع الله واتباعه.

وأساسه: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان برسوله محمد ﷺ ثم أداء الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، والمحبة في الله والبغضاء في الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، كله داخل في هذا؛ كله داخل في الصراط

---

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم برقم (٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أركان الاسلام ودعائمه العظام برقم (١٦).

المستقيم، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم؛ الذين آمنوا بالله ورسوله، وأخلصوا لله العمل، وصدقوا، وتفقهوا في الدين، وعملوا بطاعة الله وتركوا معصيته، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، هم المنعم عليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. هؤلاء هم أهل الصراط المستقيم، وماذا وعدهم؟ قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ فالله وعدهم الجنة والسعادة، هذا هو جزاؤهم في الدنيا: الرحمة، يرحمهم الله بالتوفيق والهداية والتسديد، وفي الآخرة بإدخالهم الجنة والرضا عنهم، هذا هو جزاء أهل الصراط المستقيم.

فاحرص ـ يا عبد الله ـ واحرصي ـ يا أمة الله ـ على الاستقامة على الصراط، احرصوا والزموا هذا الصراط، الزموه واستقيموا عليه عن حب وعن رغبة، وعن محبة، وعن صدق وعن إخلاص لله، وعن موالاة لأولياء الله ومعاداة لأعداء الله، وصبر على طاعة الله، وكف عن محارم الله، وتواصٍ بالحق، وتعاون على البر والتقوى، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر. هكذا المؤمنون، هكذا الصادقون، هكذا أصحاب الصراط المستقيم.

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء الموفقين، وأن يجعلنا وإياكم من عباده الصالحين، الثابتين على صراطه المستقيم، السالكين له، المستقيمين عليه؛ إنه سميع قريب. وصلّى الله وسلّم على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

تفسير سورة البقرة(١)

▢ ذِكْرُ ما ورد في فضْلِها.

قال الإمام أحمد: حدّثنا عارمٌ، حدّثنا معتمرٌ، عن أبيه، عن رجلٍ، عن أبيه، عن معقل بن يسارٍ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ وَذُرْوَتُهُ، نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَمَانُونَ مَلَكًا، وَاسْتُخْرِجَتْ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ من تحت العرش، فوصِلت بها، أو فوصلت بسورة البقرة، و﴿يسٓ﴾ قلب القرآن، لا يقرؤها رجلٌ يريد الله والدّار الآخرة إلّا غفر له، واقرؤوها على موتاكم**». انفرد به أحمد(٢).

وقد رواه أحمد أيضًا عن عارمٍ، عن عبد الله بن المبارك، عن سليمان التّيميّ، عن أبي عثمان ـ وليس بالنّهديّ ـ، عن أبيه، عن معقل بن يسارٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ**»(٣)؛ يعني ﴿يسٓ﴾.

فقد تبين بهذا الإسناد معرفة المبهم في الرّواية الأولى. أخرج هذا الحديث على هذه الصّفة في الرّواية الثّانية أبو داود والنّسائيّ وابن ماجه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٢) في مسنده (٥/ ٢٧)، وأخرجه البخاري في الكنى (٥٠٥) معلقًا، ووصله أبو داود في كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت برقم (٣١٢١)، وابن ماجه في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض إذا حضر برقم (١٤٤٨).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت برقم (٣١٢١)، والإمام أحمد (٥/ ٢٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: والحديث هذا ضعيف عند أهل العلم؛ لأن أبا عثمان وأباه مجهولان.

● **س: هل يعمل به؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا بأس؛ لأن ابن حبان رحمه الله صححه، وابن حبان يتساهل في التصحيح.

● **س: القراءة قبل الدفن أو بعد الدفن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا، قبل الموت، على موتاكم؛ يعني: المحتضر، وقراءتها على القبر منكر، إنما الذي استحبه بعض أهل العلم قراءتها على المحتضر؛ لأن المراد بالموتى هنا المحتضرين، مثلما قال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، رواه مسلم[1]؛ يعني: المحتضر، أما الميت فلا يقرأ عليه شيء، انتهى الأمر فيه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد روى التّرمذيّ من حديث حكيم بن جبيرٍ، وفيه ضعفٌ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ، وإن سنام الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَفِيهَا آيَةٌ هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ**»[2].

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم والتّرمذيّ والنّسائيّ من حديث سهيل بن أبي صالحٍ، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، لَا يَدْخُلُهُ الشَّيْطَانُ**». وقال التّرمذيّ: حسنٌ صحيحٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ورواه مسلم بلفظ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ**

(١) أخرجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الجنائز، باب تلقين الموتى: لا إله الا الله، برقم (٩١٦).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٨).

الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[(١)]. وهذا يدل على فضل عظيم، وهذا حديث ثابت عن النبي ﷺ، وكذلك آية الكرسي في الصحيحين أنها أعظم آية في كتاب الله، وأعظم سورة: سورة الفاتحة، وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للمؤمن أن يكون في بيته نصيب من صلاته وقراءته، ولهذا، في الصَّحيحين: «**اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبورًا**». فينبغي للمؤمن أن يجعل لبيته حظًّا من صلاته وقراءته؛ الفرائض في المساجد، والنوافل في البيوت، هذا هو الأفضل حتى تكون البيوت معمورة بالخير وبقراءة القرآن وبالصلاة، وذلك من أسباب إبعاد الشياطين عنها التي توسوس وتدعو إلى الشر والفساد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ: حدّثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سنان بن سعدٍ، عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ**»؛ فيه سنان بن سعدٍ، ويقال بالعكس، وثّقه ابن معينٍ، واستنكر حديثه أحمد بن حنبلٍ وغيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يلزم من خروج الشيطان من البيت أنه لا يعود، قد يخرج ويعود يسمع الذكر ويخرج ثم يعود عند انقطاع ذلك، مثلما أنه إذا سمع التأذين أدبر وله ضراط، فإذا فرغ المؤذن رجع، وإذا سمع الإقامة أدبر، وإذا فرغت الإقامة رجع، هكذا في البيت لا مانع، وعلى كل حال، كلما كثرت القراءة كان ذلك أبعد لشرّه وأكثر لخروجه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، عن شعبة، عن سلمة بن

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد برقم (٧٨٠).

كهيلٍ، عن أبي الأحوص، عن عبد الله ـ يعني ابن مسعودٍ رضي الله عنه ـ، قال: إنّ الشيطان يفرّ من البيت يسمع فيه سورة البقرة.

ورواه النّسائيّ في «اليوم واللّيلة»، وأخرجه الحاكم في مستدركه من حديث شعبة، ثمّ قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهو كما قال، إسناده جيد. وهو موقوف لكنه في حكم الرفع؛ لأن هذه أمور لا تعلم بالرأي، وهو موافق لما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن مردويه: حدّثنا أحمد بن كاملٍ، حدثنا أبو إسماعيل التّرمذيّ، حدّثنا أيّوب بن سليمان بن بلالٍ، حدّثني أبو بكر بن أبي أويسٍ، عن سليمان بن بلالٍ، عن محمّد بن عجلان عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا أَلْفَيَنَّ أَحَدَكُمْ يَضَعُ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى يَتَغَنَّى وَيَدَعُ سُورَةَ الْبَقَرَةِ يَقْرَؤُهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنَ الْبَيْتِ تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَإِنَّ أَصْفَرَ الْبُيُوتِ الْجَوْفُ الصِّفْرُ مِنْ كِتَابِ اللهِ»**(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا حديث غريب، والظاهر عدم صحته.

الطالب: علّق عليه الشيخ مقبل، قال: حديث ابن مسعود المرفوع حسن لذاته صحيح لغيره، وأحمد بن كامل شيخ ابن مردويه لينه الدارقطني كما في «لسان الميزان»، لكنه توبع كما ترى في رواية النسائي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: فيه عنعنة أبي إسحاق، وهو مدلس.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وهكذا رواه النّسائيّ في «اليوم واللّيلة»: عن محمّد بن نصرٍ، عن أيّوب بن سليمان، به.

---

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (ج/ ٥ برقم ٢١٦٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٦٣).

وروى الدّارميّ في مسنده عن ابن مسعودٍ، قال: ما من بيتٍ تقرأ فيه سورة البقرة إلّا خرج منه الشّيطان وله ضراطٌ. وقال: إنّ لكلّ شيءٍ سنامًا، وإنّ سنام القرآن سورة البقرة، وإنّ لكلّ شيءٍ لُبابًا وإنّ لُباب القرآن المفصّل.

وروى أيضًا من طريق الشّعبيّ، قال: قال عبد الله بن مسعودٍ: من قرأ عشر آياتٍ من سورة البقرة في ليلةٍ لم يدخل ذلك البيت شيطانٌ تلك اللّيلة؛ أربعٌ من أوّلها، وآية الكرسيّ، وآيتان بعدها، وثلاث آياتٍ من آخرها، وفي روايةٍ: لم يقربه ولا أهله يومئذٍ شيطانٌ، ولا شيءٌ يكرهه، ولا يُقرآن على مجنونٍ إلّا أفاق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا منقطع؛ لأن الشعبي ما أدرك ابن مسعود.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن سهل بن سعدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وإن سنام القرآن البقرة، وإن مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلَةً لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهَارًا لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**»، رواه أبو القاسم الطّبرانيّ وأبو حاتمٍ وابن حبّان في صحيحه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أبو حاتم لا نعلم له مصنفات؛ الظاهر أنها واو زائدة، وأبو حاتم: ابن حبان؛ لعلها واو زائدة، أبو حاتم كنية محمد بن حبان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وابن مردويه من حديث الأزرق بن عليٍّ، حدّثنا حسّان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل، به. وعند ابن حبان: خالد بن سعيد الميني.

وقد روى التّرمذيّ والنّسائيّ وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفرٍ، عن سعيدٍ المقبريّ، عن عطاءٍ مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عددٍ، فاستقرأهم،

فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجلٍ من أحدثهم سنًّا، فقال: «مَا مَعَكَ يَا فلان؟» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟» قال: نعم، قال: «اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ»[١].

فقال رجلٌ من أشرافهم: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها. فقال رسول الله ﷺ: «**تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤُوهُ وَأَقْرِئُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ بِرِيحِهِ كُلَّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ وُكِئَ عَلَى مِسْكٍ**». هذا لفظ رواية التِّرمِذِيِّ[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا كله أنه وسيلة للخير وذريعة للسعادة؛ من حفظه وتدبره وتعقله فذلك من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة؛ لأن تدبره وتعقله من أسباب العمل، وهكذا حفظه من أسباب العمل، أما من حفظه ولم يعمل به صار حجة عليه، نسأل الله العافية، القرآن حجة لك أو عليك، ومراده ﷺ أن هذا في حال من حفظه واستقام عليه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثمّ قال: هذا حديثٌ حسنٌ، ثمّ رواه من حديث اللّيث عن سعيدٍ عن عطاءٍ مولى أبي أحمد مرسلًا، فالله أعلم.

قال البخاريّ: وقال اللّيث: حدّثني يزيد بن الهاد، عن محمّد بن إبراهيم، عن أسيد بن حضيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: بينما هو يقرأ من اللّيل سورة البقرة ـ وفرسه مربوطةٌ عنده ـ إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦)، والنسائي في الكبرى في كتاب السير، باب من أولى بالإمارة برقم (٨٧٤٩)، وابن ماجه في المقدمة، باب في فضل من تعلم القرآن وعلمه برقم (٢١٧).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي برقم (٢٨٧٦).

فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثمّ قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبًا منها فأشفق أن تصيبه، فلمّا أخذه رفع رأسه إلى السّماء حتّى ما يراها، فلمّا أصبح حدّث النّبيّ ﷺ فقال: «**اقرأ يا ابن حضيرٍ**»، قال: قد أشفقت يا رسول الله على يحيى، وكان منها قريبًا فرفعت رأسي وانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السّماء فإذا مثل الظّلّة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتّى لا أراها، قال: «**وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟**» قال: لا، قال: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا لَا تَتَوَارَى مِنْهُمْ**» وهكذا رواه الإمام العالم أبو عبيدٍ القاسم بن سلّامٍ في كتاب «فضائل القرآن» عن عبد الله بن صالح، ويحيى بن بكير، عن اللّيث، به. وقد روي من وجهٍ آخر عن أسيد بن حضيرٍ كما تقدّم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محمد ما التقى بأسيد، لكن أصل الحديث معروف في الصحيحين في قراءة سورة الكهف، وهذا يدل على فضل الملائكة وحبهم للخير وحرصهم على استماع القرآن وسماع كل خير عليهم الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد وقع نحوٌ من هذا لثابت بن قيس بن شمّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلك فيما رواه أبو عبيدٍ، حدّثنا عبّاد بن عبّادٍ، عن جرير بن حازم، عن عمّه جرير بن يزيد، أنّ أشياخ أهل المدينة حدّثوه، أنّ رسول الله ﷺ قيل له: ألم تر ثابت بن قيس بن شمّاسٍ؟ لم تزل داره البارحة تزهر مصابيح، قال: «**فلعله قرأ سورة البقرة**»، قال: فسألت ثابتًا، فقال: قرأت سورة البقرة، وهذا إسنادٌ جيّدٌ، إلّا أنّ فيه إبهامًا، ثمّ هو مرسلٌ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أشياخ أهل المدينة حدثوه، هذا إبهام.

وهذا يدل على فضل هذه السورة العظيمة، والأحاديث فيها كثيرة، وهي سورة عظيمة، أطول سورة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وفيها من الأحكام العظيمة والبيان عن أسماء الله وصفاته وعن رسوله عليه الصلاة والسلام وأحكامها العظيمة ما هي جديرة بهذا الفضل العظيم.

الطالب: [التعليق على حديث أن الشيطان لا يدخل البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة ثلاث ليال].

وعن سهل بن سعدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وإن سنام القرآن البقرة، وإن مَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ لَيْلَةً لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي بَيْتِهِ نَهَارًا لَمْ يَدْخُلْهُ الشَّيْطَانُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**». رواه أبو القاسم الطّبرانيّ وأبو حاتمٍ وابن حبّان في صحيحه وابن مردويه من حديث الأزرق بن عليٍّ، حدّثنا حسّان بن إبراهيم، حدثنا خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، عن سهل، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تكلم على خالد؟

الطالب: قال: خالد بن سعيد المدني، عن أبي حازم، قال العقيلي: لا يتابع على حديثه، ومتى قال أهل الحديث: الأزرق بن علي، حدثنا حسان بن إبراهيم، وساق له هذا الحديث. انتهى من الميزان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: انظر: حسان بن إبراهيم والأزرق بن علي؟

الطالب: حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرماني، أبو هشام العنزي بفتح نون بعدها زاي، قاضي كرمان صدوق، يخطئ، من الثامنة، مات سنة ٨٦ له مائة سنة، البخاري ومسلم وأبو داود.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والأزرق؟ ما ذكره!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى التّرمذيّ والنّسائيّ وابن ماجه من حديث عبد الحميد بن جعفرٍ، عن سعيدٍ المقبريّ، عن عطاءٍ مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعث رسول الله ﷺ بعثًا وهم ذوو عددٍ، فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجلٍ من أحدثهم سنًّا، فقال: «**مَا مَعَكَ يَا فلان؟**»، فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة. فقال: «**أَمَعَكَ سُورَةُ الْبَقَرَةِ؟**»، قال: نعم، قال: «**اذْهَبْ فَأَنْتَ أَمِيرُهُمْ**»، فقال رجلٌ من أشرافهمْ: والله ما منعني أن أتعلم سورة البقرة إلا أني خشيت أن لا أقوم بها. فقال

رسول الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآن فاقرؤوه وأقرئوه؛ فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَرَأَهُ وَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلَ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَيَرْقُدُ وهو في جوفه كمثل جراب وكيء عَلَى مِسْكٍ**». هذا لفظ رواية التّرمذيّ. ثمّ قال: هذا حديثٌ حسنٌ، ثمّ رواه من حديث اللّيث، عن سعيدٍ، عن عطاءٍ مولى أبي أحمد مرسلًا، فالله أعْلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تراجع طرقه في الترمذي والنسائي وابن ماجه.. ماذا قال عن عطاء مولى أبي أحمد؟

الطالب: قال: عطاء مولى أبي أحمد، ويقال: مولى ابن أبي أحمد، قال الذهبي في «الميزان»: لا يعرف، روى سعيد المقبري عنه عن أبي هريرة، حدثنا في فضل القرآن. انتهى، والحديث أيضًا أُعلَّ بالإرسال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تراجع طرقه، وهو حري بهذا المعنى، القرآن هو رأس كل خير، فالذي في جوفه مثل المسك الذي في الجراب يفوح ما فيه من الخير، لكن إن عمل به تمت له السعادة، وإن لم يعمل فاته مصلحته فاته خيره.

الطالب: الأزرق بن علي الحنفي، أبو الجهم، صدوق يغرب، من الحادي عشر، أبو داود في «الناسخ والمنسوخ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فقط؟

الطالب: نعم.

❐ ذكر ما ورد في فضل البقرة مع آل عمران.

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو نعيم، حدّثنا بشر بن مهاجرٍ، حدّثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه، قال: كنتُ جالسًا عند النّبيّ ﷺ، فسمعته يقول: «**تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، ولا يستطيعها**

الْبَطَلَةُ»[١]، قال: ثمّ سكت ساعةً ثمّ قال: **«تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا الزَّهْرَاوَانِ، يُظِلَّانِ صَاحِبَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَاحِبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَنْشَقُّ عَنْهُ قَبْرُهُ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَعْرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ، وَأَسْهَرْتُ لَيْلَكَ»**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أظمأتك في الهواجر؛ يعني: بالصيام، وأسهرت ليلك؛ يعني: بالقيام؛ لأن أهل القرآن هكذا، عندهم من الرغبة والعبادة ما ليس عند غيرهم؛ كصيام النهار وقيام الليل والتهجد بالليل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وَإِنَّ كُلَّ تَاجِرٍ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَارَةٍ، فَيُعْطَى الْمُلْكَ بيمينه وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَى وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يَقُومُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَ كُسِينَا هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ ولدكما القرآن، ثم يقال له: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَا دَامَ يَقْرَأُ؛ هَذًّا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا».

وروى ابن ماجه من حديث بشر بن المهاجر بعضه، وهذا إسنادٌ حسنٌ على شرط مسلم، فإن بشرًا هذا خرَّج له مسلمٌ، ووثّقه ابن معينٍ، وقال النّسائيّ: ما به بأسٌ، إلّا أنّ الإمام أحمد قال فيه: هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تأتي بالعجب. وقال البخاريّ: يخالف في بعض حديثه. وقال أبو حاتمٍ الرّازيّ: يكتب حديثه ولا يحتجّ به. وقال ابن عديٍّ: روى ما لا يتابع عليه. وقال الدّارقطنيّ: ليس بالقويّ.

(قلت): ولكن لبعضه شواهد؛ فمن ذلك حديث أبي أمامة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤)، والإمام أحمد (٥/ ٣٤٨ و٣٦١).

الباهليّ. قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الملك بن عمرو، حدّثنا هشامٌ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، عن أبي سلّام، عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ لِأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اقْرَؤوا الزَّهْرَاوَيْنِ؛ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ يُحَاجَّانِ عَنْ أَهْلِهِمَا يوم القيامة**»، ثمّ قال: «**اقْرَؤوا الْبَقَرَةَ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وتركها حسرة ولا يستطيعها الْبَطَلَةُ**»، وقد رواه مسلمٌ في الصّلاة من حديث معاوية بن سلّام، عن أخيه زيد بن سلّامٍ، عن جدّه أبي سلّامٍ ممطورٍ الحبشيّ، عن أبي أمامة صُديّ بن عجلان الباهليّ، به.

الزهراوان: المنيرتان، والغياية: ما أظلّك من فوقك، والفرق: القطعة من الشّيء، والصّوافّ: المصطفّة المتضامّة، والبطلة: السّحرة، ومعنى لا تستطيعها: أي لا يمكنهم حفظها، وقيل لا تستطيع النّفوذ في قارئها، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: وهذا الحديث العظيم يدل على عِظَم شأن هاتين السورتين.

الطالب: بشير بن المهاجر الكوفي الغنوي بالمعجمة والنون، صدوق لين الحديث، رمي بالإرجاء، من الخامسة، مسلم والأربعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: المؤلف ذكر الكلام...... على كل حال، لبعضه شواهد مثلما ذكر المؤلف.

قال الحافظ رحمه الله تعالى:

ومن ذلك حديث النّوّاس بن سمعان، قال الإمام أحمد: حدّثنا يزيد بن عبد ربّه حدّثنا الوليد بن مسلمٍ، عن محمّد بن مهاجرٍ، عن الوليد بن عبد الرّحمٰن الجرشيّ، عن جبير بن نفيرٍ، قال: سمعت النّوّاس بن سمعان الكلابيّ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**

وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُمْ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يلاحظ قوله: «**وأهله الذين كانوا يعملون به**» فيما تقدم، كذلك كل هذه الفضائل فيمن عمل به، أما من أخذه ولم يعمل به فهو حجة عليه كما هو معلوم، فالفضائل المطلقة تفسر بالفضائل المقيدة، وكذا قوله: «**اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِصَاحِبِهِ**»(٢)؛ يعني: شفيعًا لأصحابه الذين عملوا به، أما الذين ضيعوه فليسوا أصحابه، إنما أصحابه أهله الذين يعملون به ويحكمونه ويتدبرونه ويتعقلونه وينفذون أوامره ونواهيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثالٍ ما نسيتهنّ بعد، قال: «**كَأَنَّهُمَا غمامتان أو ظُلَّتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف، يحاجَّان عن صاحبهما**»، ورواه مسلم عن إسحاق بن منصورٍ عن يزيد بن عبد ربّه به، والتّرمذيّ من حديث الوليد بن عبد الرّحمٰن الجرشيّ به، وقال: حسنٌ غريبٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والحديث لا بأس به لولا عنعنة الوليد، لكن ما دام خرَّجه مسلم فهم اعتنوا برواية المدلسين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا حجّاجٌ، عن حمّاد بن سلمة، عن عبد الملك بن عميرٍ، قال: قال حمّادٌ: أحسبه عن أبي منيبٍ، عن عمّه، أنّ رجلًا قرأ البقرة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان الكلابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٥)

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي أمامة الباهلي في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة برقم (٨٠٤).

وآل عمران، فلمّا قضى صلاته قال له كعبٌ: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم، قال: فوالذي نفسي بيده، إنّ فيهما اسم الله الّذي إذا دعي به استجاب. قال: فأخبرني به، قال: لا والله، لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوةٍ أهلك فيها أنا وأنت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كعب معروف، تابعي له غرائب وعجائب، فهذا ما يقال من جهة الرأي، فقد يحتمل أنه رواه عن بعض الصحابة، وقد يكون أرسله، ويحتمل أنه مما تلقاه عن غير الصحابة في التوراة وجاء به القرآن موافقًا للتوراة، والمشهور عند أهل العلم أن هذا في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، والمعتمد في هذا أن اسمه الأعظم؛ يعني: أنه من أسمائه العظيمة، ليس أنه اسم خاص، ليس لله اسم خاص يقال له: الاسم الأعظم، إنما المعتمد عند أهل العلم أن المراد أنه من أسماء الله التي يقال لها اسم أعظم، ويأتي ذكره كثيرًا للترغيب والتشويق والمراد به العظيم؛ فإن أسماء الله كلها عظيمة وكلها حسنى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو ليس خاصًّا بالحي القيوم، أو بالعزيز الحكيم، أو بكذا وكذا، بل كلها من أسماء الله العظيمة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويقال لمثل هذا الاسم الأعظم «الحي القيوم» وغيرها من الأسماء العظيمة: الاسم الأعظم؛ بمعنى: العظيم.

● **س: كعب الأحبار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

تابعي، من يهود اليمن، أسلم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حِمْيري، أسلم وحسن إسلامه، وهو ثقة، لكن يقع في إسرائيليات فيها غرائب وعجائب لا يعوَّل عليها، ومثل هذا لو صح فيكون مرسلًا؛ لأنه لا يقال من جهة الرأي، ويحتمل أنه مما تلقاه عن بني إسرائيل عن التوراة ورأى مثله في القرآن.

• س: قوله: والله لا أخبرك به؟

○ **الجواب**: لاجتهاده؛ إن صح، خشي أن يدعو به دعوة تضره وتضر غيره، لكن لو صح شرع الإخبار به، والواجب على المسلم أن يدعو به في الدعوات النافعة، ما هو في الدعوات الضارة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: أعد سند كعب الأحبار.

الطالب: وقال أبو عبيدٍ: حدّثنا حجّاجٌ، عن حمّاد بن سلمة، عن عبد الملك بن عميرٍ، قال: قال حمّادٌ: أحسبه عن أبي منيبٍ، عن عمّه، أنّ رجلًا قرأ البقرة وآل عمران، فلمّا قضى صلاته قال له كعبٌ: أقرأت البقرة وآل عمران؟ قال: نعم، قال: فوالذي نفسي بيده، إنّ فيهما اسم الله الّذي إذا دعي به استجاب. قال: فأخبرني به، قال: لا والله، لا أخبرك به، ولو أخبرتك به لأوشكت أن تدعوه بدعوةٍ أهلك فيها أنا وأنت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: وهذا فيه أيضًا علة: أحسبه، وعلة: عن عمه، من هو عم أبي منيب؟ يحتاج إلى بحث.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وحدّثنا عبد الله بن صالحٍ، عن معاوية بن صالحٍ، عن سليم بن عامرٍ، أنّه سمع أبا أمامة يقول: إنّ أخًا لكم أري في المنام أنّ النّاس يسلكون في صدع جبلٍ وعرٍ طويلٍ، وعلى رأس الجبل شجرتان خضراوان، يهتفان: هل فيكم قارئ يقرأ سورة البقرة؟ وهل فيكم قارئ يقرأ سورة آل عمران؟ قال: فإذا قال الرّجل: نعم، دنتا منه بأعذاقهما، حتّى يتعلّق بهما، فيخطران به الجبل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه إشارة إلى أن حفظهما والعمل بهما من أسباب السلامة من خطر الصراط وما فيه من العجائب والغرائب؛ من أسباب جوازه على الصراط ونجاته يوم القيامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وحدّثنا عبد الله بن صالحٍ، عن معاوية بن صالحٍ، عن أبي عمران،

أنّه سمع أمّ الدّرداء تقول: إنّ رجلًا ممّن قرأ القرآن أغار على جارٍ له فقتله، وإنّه أقيد به فقتل، فما زال القرآن ينسلّ منه سورةً سورةً حتّى بقيت البقرة وآل عمران جمعةً، ثمّ إنّ آل عمران انسلّت منه وأقامت البقرة جمعةً فقيل لها: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، قال: فخرجت كأنّها السّحابة العظيمة. قال أبو عبيدٍ: أراه؛ يعني: أنّهما كانتا معه في قبره يدفعان عنه ويؤنسانه فكانتا من آخر ما بقي معه من القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يعني**: من شؤم المعصية والقتل والظلم خرج القرآن منه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أيضًا: حدّثنا أبو مسهرٍ الغسّانيّ، عن سعيد بن عبد العزيز التّنوخيّ، أنّ يزيد بن الأسود الجرشيّ كان يحدّث؛ أنّه: من قرأ البقرة وآل عمران في يومٍ برئ من النّفاق حتّى يمسي، ومن قرأهما في ليلةٍ برئ من النّفاق حتّى يصبح، قال: فكان يقرأهما كل يوم وليلة سوى جزئه.

وحدّثنا يزيد، عن ورقاء بن إياسٍ، عن سعيد بن جبيرٍ؛ قال: قال عمر بن الخطّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: من قرأ البقرة وآل عمران في ليلةٍ كان ـ أو كتب ـ من القانتين.

فيه انقطاعٌ، ولكن ثبت في الصّحيحين أنّ رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعةٍ واحدةٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مع النساء من حديث حذيفة.

الطالب: في تعليق على ورقاء، يقول: هو ورقاء، هو ابن عمر، وقوله: ابن إياس غلط.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يحتاج إلى نظر، يحتاج إلى مراجعة سنده وطرقه، قد يكون ورقاء آخر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **ذكر ما ورد في فضل السبع الطوال.**

قال أبو عبيدٍ: حدّثنا هشام بن إسماعيل الدّمشقيّ عن محمّد بن شعيبٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي نسخة: عن أحمد بن شعيب.

عن سعيد بن بشيرٍ، عن قتادة، عن أبي المليح، عن واثلة بن الأسقع، عن النّبيِّ ﷺ، قال: «**أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطِّوَالَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأُعْطِيتُ الْمِئِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِيَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**»، هذا حديثٌ غريب، وسعيد بن أبي بشيرٍ فيه لينٌ.

الشيخ: سعيد بن بشير، أبي: غلط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد رواه أبو عبيدٍ، عن عبد الله بن صالحٍ، عن اللّيث، عن سعيد بن أبي هلالٍ، قال: بلغنا أنّ رسول الله ﷺ قال؛ فذكره، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال، كلها ضعيفة، هذا معضل، بلغنا: معضل، وحديث سعيد بن بشير ضعيف؛ لأن سعيد لا يحتج به، وقتادة مدلس وقد عنعن أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثمّ قال: حدّثنا إسماعيل بن جعفرٍ، عن عمرو بن أبي عمرٍو مولى المطّلب بن عبد الله بن حنطبٍ، عن حبيب بن هندٍ الأسلميّ، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ فَهُوَ حَبْرٌ**»، وهذا أيضًا غريبٌ، وحبيب بن هند بن أسماء بن هند بن حارثة الأسلميّ، وروى عنه عمرو بن عمرٍو وعبد الله بن أبي بكرة، وذكره أبو حاتمٍ الرّازيّ، ولم يذكر فيه جرحًا، فالله أعلم.

وقد رواه الإمام أحمد عن سليمان بن داود وحسينٍ، كلاهما عن إسماعيل بن جعفرٍ به، ورواه أيضًا عن أبي سعيدٍ، عن سليمان بن بلالٍ، عن حبيب بن هند، عن عروة، عن عائشة، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَخَذَ السَّبْعَ الْأُوَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ حَبْرٌ**».

قال أحمد: وحدّثنا حسينٌ، حدّثنا ابن أبي الزّناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النّبيّ ﷺ، مثله.

قال عبد الله بن أحمد: وهذا أرى أن فيه عن أبيه عن الأعرج، ولكن كذا كان في الكتاب، فلا أدري أغفله أبي أو كذا هو مرسل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا، وإن صح، فالحبر هو العالم؛ يعني: على عادة السلف أخذها عن ظهر قلب، وعن علم وبصيرة وفقه فيها، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتفقهوا ما فيها، ويعرفوا المعنى واللفظ جميعًا، حفظ السلف هو عن فقه وعلم، ولا شك انه مثل هذا يسمى حبرًا وعالمًا، ويقال: حِبر وحَبر، تفتح الحاء وتكسر، هذا لو صح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بعث بعثًا وهم ذوو عدد، وقدم عليهم أحدثهم سنًّا لحفظه سورة البقرة، وقال له: «**اذهب فأنت أميرهم**» وصححه الترمذي، ثم قال أبو عبيد: حدّثنا هشيم، أنبأ أبُو بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنّساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا خطأ من وجهين:

أحدهما: أن الرسول ﷺ صح عنه أن السبع المثاني هي الفاتحة؛ كما في الصحيحين.

والخطأ الثاني: جعله يونس هي السابعة، والصواب أن السابعة هي براءة: سورة التوبة؛ لأنها أطول من يونس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: وقال مجاهد: هي السبع الطوال، وهكذا قال مكحولٌ وعطيّة بن قيسٍ وأبو محمد الفارسي وشداد بن أوس ويحيى بن الحارث الذّماريّ في تفسير الآية بذلك وفي تعدادها وأنّ يونس هي السّابعة.

* * *

فصل

والبقرة جميعها مدنية بلا خلاف، وهي من أوائل ما نزل بها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أي: بالمدينة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن قوله تعالى فيها: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١] الْآيَةَ، يقال: إنها آخر ما نزل من القرآن، ويحتمل أن تكون منها، وكذلك آيات الربا من آخر ما نزل.

وكان خالد بن معدان يسمي البقرة فسطاط القرآن.

قال بعض العلماء: وهي مشتملةٌ على ألف خبرٍ وألف أمرٍ وألف نهيٍ.

وقال العادّون: آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات، وكلماتها ستّة آلاف كلمة ومائتان وإحدى وعشرون كلمةً، وحروفها خمسةٌ وعشرون ألفًا وخمسمائة حرفٍ، فالله أعلم.

قال ابن جريجٍ: عن عطاءٍ، عن ابن عبّاسٍ: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وقال خصيفٌ: عن مجاهدٍ، عن عبد الله بن الزبير، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وقال الواقديّ: حدّثني الضّحّاك بن عثمان، عن أبي الزّناد، عن خارجة بن ثابتٍ، عن أبيه، قال: نزلت البقرة بالمدينة.

وهكذا قال غير واحدٍ من الأئمّة والعلماء والمفسّرين، ولا خلاف فيه.

وقال ابن مردويه: حدّثنا محمّد بن معمرٍ، حدّثنا الحسن بن عليّ بن الوليد الفارسيّ، حدّثنا خلف بن هشام، وحدّثنا عيسى بن ميمونٍ، عن

موسى بن أنس بن مالكٍ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا: سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَلَا سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، وَلَا سُورَةُ النِّسَاءِ، وَكَذَا الْقُرْآنُ كُلُّهُ، وَلَكِنْ قُولُوا: السُّورَةُ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا الْبَقَرَةُ، وَالَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا آلُ عِمْرَانَ، وَكَذَا الْقُرْآنُ كُلُّهُ**»، هذا حديثٌ غريبٌ لا يصحّ رفعه، وعيسى بن ميمونٍ هذا هو أبو سلمة الخواصّ، وهو ضعيف الرّواية، لا يحتجّ به، وقد ثبت في الصّحيحين عن ابن مسعودٍ أنّه رمى الجمرة من بطن الوادي، فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه، ثمّ قال: هذا مقام الّذي أنزلت عليه سورة البقرة. أخرجاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وتقدم عنه ﷺ في «صحيح مسلم» أنه يؤتى يوم القيامة بأهل القرآن الذين هم أهله، ويؤتى بسورة البقرة وسورة آل عمران كأنهما غمامتان، فسمَّاهما سورة البقرة وسورة آل عمران، وهذا الخبر ليس بشيء مثلما قال المؤلف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروى ابن مردويه من حديث شعبة عن عقيل بن طلحة، عن عتبة بن مرثد، قال: رأى النّبيّ ﷺ في أصحابه تأخّرًا، فقال: «**يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البقرة**»، وأظن هذا كان يوم حنين يوم ولّوا مدبرين أمر العبّاس فناداهم: «**يَا أَصْحَابَ الشَّجَرَةِ**»؛ يعني: أهل بيعة الرّضوان، وفي روايةٍ: «**يَا أَصْحَابَ سُورَةِ البقرة**»؛ لينشّطهم بذلك، فجعلوا يقبلون من كلّ وجهٍ، وكذلك يوم اليمامة مع أصحاب مسيلمة، جعل الصّحابة يفرّون لكثافة جيش بني حنيفة، فجعل المهاجرون والأنصار يتنادون يا أصحاب سورة البقرة، حتّى فتح الله عليهم، رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١][1].

قد اختلف المفسّرون في الحروف المقطّعة الّتي في أوائل السّور؛ فمنهم من قال: هي ممّا استأثر الله بعلمه، فردّوا علمها إلى الله ولم يفسّروها، حكاه القرطبيّ في تفسيره عن أبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ وابن مسعودٍ رضي الله عنهم أجمعين، وقاله عامرٌ الشّعبيّ وسفيان الثّوريّ والرّبيع بن خيثم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ابن خثيم، خيثم: غلط.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

واختاره أبو حاتم بن حبّان. ومنهم من فسّرها، واختلف هؤلاء في معناها، فقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم إنّما هي أسماء السّور.

قال العلّامة أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ في تفسيره: وعليه إطباق الأكثر، ونقل عن سيبويه أنه نص عليه، ويعتضد لهذا بما ورد في الصّحيحين عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصّبح يوم الجمعة ﴿الٓمٓ﴾ السّجدة، ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾[2].

وقال سفيان الثّوريّ: عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، أنّه قال: الم، وحم، والمص، وص: فواتح افتتح الله بها القرآن، وكذا قال غيره عن مجاهدٍ.

وقال مجاهدٌ في رواية أبي حذيفة موسى بن مسعودٍ، عن شبلٍ، عن ابن أبي نجيحٍ، عنه، أنّه قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة برقم (٨٩١)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة برقم (٨٨٠).

وهكذا قال قتادة وزيد بن أسلم، ولعلّ هذا يرجع إلى معنى قول عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم أنه اسم من أسماء السورة، فإنّ كلّ سورةٍ يطلق عليها اسم القرآن، فإنّه يبعد أن يكون ﴿الٓمٓصٓ﴾ اسمًا للقرآن كلّه؛ لأنّ المتبادر إلى فهم سامع من يقول: قرأت ﴿الٓمٓصٓ﴾ إنّما ذلك عبارةٌ عن سورة الأعراف، لا لمجموع القرآن، والله أعلم.

وقيل: هي اسمٌ من أسماء الله تعالى، فقال الشّعبيّ: فواتح السّور من أسماء الله تعالى.

وكذلك قال سالم بن عبد الله وإسماعيل بن عبد الرّحمٰن السّدّيّ الكبير، وقال شعبة عن السّدّيّ: بلغني أنّ ابن عبّاسٍ قال: ﴿الٓمٓ﴾ اسمٌ من أسماء الله الأعظم. هكذا رواه ابن أبي حاتمٍ من حديث شعبة، ورواه ابن جريرٍ، عن بندارٍ، عن ابن مهديٍّ، عن شعبة، قال: سألت السّدّيّ عن حم وطس والم، فقال ابن عبّاسٍ: هي اسم الله الأعظم.

وقال ابن جريرٍ: وحدّثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنا أبو النّعمان، حدّثنا شعبة، عن إسماعيل السّدّيّ، عن مرّة الهمدانيّ، قال: قال عبد الله، فذكر نحوه. وحكي مثله عن عليٍّ وابن عبّاسٍ. وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: هو قسمٌ أقسم الله به، وهو من أسماء الله تعالى. وروى ابن أبي حاتمٍ وابن جريرٍ من حديث ابن عليّة، عن خالدٍ الحذّاء، عن عكرمة، أنّه قال: ﴿الٓمٓ﴾ قسمٌ.

ورويا أيضًا من حديث شريك بن عبد الله، عن عطاء بن السّائب، عن أبي الضّحى، عن ابن عبّاسٍ: ﴿الٓمٓ﴾، قال: أنا الله أعلم، وكذا قال سعيد بن جبيرٍ، وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ ﴿الٓمٓ﴾ قال: أمّا ﴿الٓمٓ﴾ فهي حروفٌ استفتحت من حروف هجاء أسماء الله تعالى.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، في

قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾، قال: هذه الأحرف الثّلاثة من التّسعة والعشرين حرفًا دارت فيها الألسن كلّها، ليس منها حرفٌ إلّا وهو مفتاح اسم من أسمائه، وليس منها حرفٌ إلّا وهو من آلائه، وبلائه، وليس منهاً حرفٌ إلّا وهو في مدّة أقوامٍ وآجالهم.

قال عيسى ابن مريم عليه السلام، وعجب فقال: أعجب أنّهم ينطقون بأسمائه ويعيشون في رزقه فكيف يكفرون به، فالألف مفتاح اسم الله، واللّام مفتاح اسمه لطيفٍ، والميم مفتاح اسمه مجيدٍ، فالألف آلاء الله، واللّام لطف الله، والميم مجد الله، الألف سنةٌ، واللّام ثلاثون سنةً، والميم أربعون سنةً.

هذا لفظ ابن أبي حاتم. ونحوه رواه ابن جريرٍ، ثمّ شرع يوجّه كلّ واحدٍ من هذه الأقوال ويوفّق بينها، وأنّه لا منافاة بين كلّ واحدٍ منها وبين الآخر، وأن الجمع ممكن، فهي أسماء للسور، ومن أسماء الله تعالى، يفتتح بها السّور، فكلّ حرفٍ منها دلّ على اسمٍ من أسمائه وصفةٍ من صفاته، كما افتتح سورًا كثيرةً بتحميده وتسبيحه وتعظيمه، قال: ولا مانع من دلالة الحرف منها على اسمٍ من أسماء الله وعلى صفةٍ من صفاته وعلى مدّةٍ وغير ذلك كما ذكره الرّبيع بن أنسٍ عن أبي العالية؛ لأنّ الكلمة الواحدة تطلق على معانٍ كثيرة؛ كلفظة الأمّة فإنها تطلق ويراد بها الدّين؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزّخرف: ٢٢]، وتطْلق ويراد بها الرّجل الْمطيع لله؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النّحل: ١٢٠]، وتطلق ويراد بها الجماعة؛ كقوله تعالى: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، وتطلق ويراد بها الحين من الدهر؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥]؛ أي: بعد حينٍ على أصحّ القولين، قال: فكذلك هذا.

هذا حاصل كلامه موجّهًا، ولكنّ هذا ليس كما ذكره أبو العالية،

فإنّ أبا العالية زعم أنّ الحرف دلّ على هذا وعلى هذا معًا، ولفظة الأمّة وما أشبهها من الألفاظ المشتركة في الاصطلاح إنّما دلّ في القرآن في كلّ موطنٍ على معنًى واحدٍ دلّ عليه سياق الكلام، فأمّا حمله على مجموع محامله إذا أمكن فمسألةٌ مختلف فيها بين علماء الأصول، ليس هذا موضع البحث فيها، والله أعلم.

ثم إن لفظة الأمة تدل على كل من معانيها في سياق الكلام بدلالة الوضع، فأمّا دلالة الحرف الواحد على اسم يمكن أن يدلّ على اسمٍ آخر من غير أن يكون أحدهما أولى من الآخر في التّقدير أو الإضمار بوضعٍ ولا بغيره، فهذا ممّا لا يفهم إلّا بتوقيفٍ، والمسألة مختلفٌ فيها، وليس فيها إجماعٌ حتّى يحكم به. وما أنشدوه من الشّواهد على صحّة إطلاق الحرف الواحد على بقيّة الكلمة، فإنّ في السّياق ما يدلّ على ما حذف بخلاف هذا؛ كما قال الشاعر:

قلنا لها قفي لنا فقالت قاف لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

تعني وقفت.

وقال الآخر:

ما للظّليم عال كيف لا يا ينقدّ عنه جلده إذا يا

فقال ابن جريرٍ: كأنّه أراد أن يقول: إذا يفعل كذا وكذا، فاكتفى بالياء من يفعل.

وقال الآخر:

بالخير خيرات وإن شرًّا فا ولا أريد الشّرّ إلّا أن تا

يقول: وإن شرا فشرًّا، ولا أريد الشّرّ إلّا أن تشاء، فاكتفى بالفاء والتاء من الكلمتين عن بقيّتهما، ولكنّ هذا ظاهرٌ من سياق الكلام، والله أعلم.

قال القرطبيّ: وفي الحديث: «**من أعان على قتل مسلمٍ بشطر كلمةٍ**»، الحديث، قال سفيان: هو أن يقول في اقتل: «اق».

وقال خصيفٌ، عن مجاهدٍ أنّه قال: فواتح السور كلها (ق وص وحم وطسم والر) وغير ذلك هجاءٌ موضوعٌ.

وقال بعض أهل العربيّة: هي حروفٌ من حروف المعجم استغني بذكر ما ذكر منها في أوائل السّور عن ذكر بواقيها الّتي هي تتمّة الثّمانية والعشرين حرفًا، كما يقول القائل: ابني يكتب في ـ أ ب ت ث ـ؛ أي: في حروف المعجم الثّمانية والعشرين، فيستغنى بذكر بعضها عن مجموعها، حكاه ابن جريرٍ.

قلت: مجموع الحروف المذكورة في أوائل السّور بحذف المكرّر منها أربعة عشر حرفًا، وهي ـ ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن ـ، يجمعها قولك: نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سرٌّ. وهي نصف الحروف عددًا، والمذكور منها أشرف من المتروك، وبيان ذلك من صناعة التّصريف.

قال الزّمخشريّ: وهذه الحروف الأربعة عشر مشتملةٌ على أصناف أجناس الحروف؛ يعني: من المهموسة والمجهورة، ومن الرّخوة والشّديدة، ومن المطبقة والمفتوحة، ومن المستعلية والمنخفضة، ومن حروف القلقلة. وقد سردها مفصّلةً ثمّ قال: فسبحان الّذي دقّت في كلّ شيء حكمته.

وهذه الأجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، وقد علمت أنّ معظم الشّيء وجلّه ينزل منزلة كلّه، ومن هاهنا لحظ بعضهم في هذا المقام كلامًا، فقال: لا شكّ أنّ هذه الحروف لم ينزلها ﷻ عبثًا ولا سدًى، ومن قال من الجهلة: إن في القرآن ما هو تعبّد لا معنًى له بالكلّيّة فقد أخطأ خطأً كبيرًا، فتعيّن أنّ لها معنًى في نفس الأمر، فإن صحّ لنا فيها عن المعصوم شيءٌ قلنا به، وإلّا، وقفنا حيث وقفنا وقلنا ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ ولم يجمع العلماء فيها على شيءٍ معيّنٍ، وإنّما اختلفوا، فمن ظهر له بعض الأقوال بدليلٍ فعليه اتّباعه، وإلّا، فالوقف حتّى يتبيّن.

هذا مقامٌ.

المقام الآخر في الحكمة الّتي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السّور ما هي؟ مع قطع النّظر عن معانيها في أنفسها؛ فقال بعضهم: إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السّور، حكاه ابن جريرٍ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنّ الفصل حاصلٌ بدونها فيما لم تذكر فيه، وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوةً وكتابةً.

وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتّى إذا استمعوا له تلي عليهم المؤلّف منه، حكاه ابن جريرٍ أيضًا وهو ضعيف؛ لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السّور، لا يكون في بعضها؛ بل غالبها، وليس كذلك، ولو كان كذلك أيضًا لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم؛ سواءٌ كان افتتاح سورةٍ أو غير ذلك، ثمّ إنّ هذه السّورة والّتي تليها؛ أعني: البقرة وآل عمران، مدنيّتان ليستا خطابًا للمشركين، فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه.

وقال آخرون: بل إنّما ذكرت هذه الحروف في أوائل السّور الّتي ذكرت فيها بيانًا لإعجاز القرآن، وأنّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطّعة الّتي يتخاطبون بها، وقد حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا، وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر، وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية وشيخنا الحافظ المجتهد أبو العجاج المزي وحكاه لي عن ابن تيمية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعناه في هذا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكرها للتنبيه على عظم شأن القرآن، وأن هذا القرآن العظيم المعجز المشتمل على الأحكام العظيمة والأخبار

الصادقة المتنوعة مركب من هذه الحروف التي تقرؤونها وتعرفونها: أ، ب، ت، ث، ج، ح، فهي حروف معروفة لهم مركب منها الكلام، فهذا الكلام العظيم الذي جاء به النبي الكريم عليه الصلاة والسلام هو مركب من هذه الحروف المجموع من هذه الحروف واشتمل على هذه المعاني العظيمة، أما معانيها فالصحيح في هذا أنه يقال في هذا: الله أعلم.

والأقوال التي ذكرها كلها ليس عليها دليل واضح؛ لا من كتاب ولا من سنة ولا من إجماع، فلهذا، يقال فيها: الله أعلم لما هو السر في ما هو معناها في النص في: الم والمص وحم والمر وإلى آخره، فالله ﷻ أعلم بالمعنى من ذكرها في كتابه العظيم سبحانه وتعالى.

وأما أنها فيها تنبيهًا على أن هذا كتاب عظيم الذي أنتم تتلونه وتقرؤونه مركب من هذه الحروف التي يتخاطب بها الناس، هذا هو معناها من جهة الحكمة، ولكن الخلاصة في هذا أن الحروف المقطعة ليس في النص ما يدل على معناها، فالصواب في هذا ما قاله أهل القول الأول، وهو أن الله ﷻ أنزلها لحكمة عظيمة ولفائدة كبيرة، وهذا المعنى الله أعلم به سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الزمخشري: ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت، كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن، قال: وجاء منها على حرف واحد كقوله: ـ ص ن ق ـ، وحرفين، مثل: حم، وثلاثة، مثل: الم، وأربعة، مثل: المر والمص، وخمسة مثل كهيعص وحم عسق؛ لأن أساليب كلامهم على هذا، من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة، لا أكثر من ذلك.

(قلت): ولهذا، كلّ سورةٍ افتتحت بالحروف فلا بدّ أن يذكر فيها

الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلومٌ بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورةً، ولهذا، يقول تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١، ٢]، ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران: ١ ـ ٣]، ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١، ٢]، ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السّجدة: ١، ٢]، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فُصِّلَتْ: ١، ٢]، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشّورى: ١ ـ ٣] وغير ذلك من الآيات الدّالّة على صحّة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النّظر، والله أعلم.

وأمّا من زعم أنّها دالّةٌ على معرفة المدد، وأنّه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم، فقد ادّعى ما ليس له، وطار في غير مطاره، وقد ورد في ذلك حديثٌ ضعيفٌ، وهو مع ذلك أدلّ على بطلان هذا المسلك من التّمسّك به على صحّته.

وهو ما رواه محمّد بن إسحاق بن يسارٍ صاحب المغازي: حدّثني الكلبيّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، عن جابر بن عبد الله بن رباب، قال: مرّ أبو ياسر بن أخطب من رجال من يهود برسول الله وهو يتلو فاتحة سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، فأتى أخاه حييّ بن أخطب في رجالٍ من اليهود فقال: تعلمون والله لقد سمعت محمدًا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ﴾، فقال: أنت سمعته؟ قال: نعم. قال: فمشى حييّ بن أخطب في أولئك النّفر من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمّد، ألم يذكر أنّك تتلو فيما أنزل الله عليك: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

فقال رسول الله ﷺ: بلى، فقالوا: جاءك بهذا جبريل من عند الله؟ فقال: نعم، قالوا: لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بيّن لنبيٍّ منهم ما مدّة ملكه وما أجل أمّته غيرك. فقام حييّ بن أخطب وأقبل على من كان معه، فقال لهم: الألف واحدةٌ، واللّام ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعون سنةً، أفتدخلون في دين نبيٍّ إنّما مدّة ملكه وأجل أمّته إحدى وسبعون سنةً؟ ثمّ أقبل على رسول الله ﷺ، فقال: يا محمّد، هل مع هذا غيره؟ فقال: نعم، قال: ما ذاك؟ قال: المص، قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحد واللّام ثلاثون والميم أربعون والصّاد تسعون، فهذه إحدى وستون ومائة سنةٍ. فهل مع هذا يا محمّد غيره؟ قال: نعم، قال ما ذاك؟ قال: الر، قال: هذا أثقل وأطول، الألف واحدةٌ واللّام ثلاثون والرّاء مائتان فهذه إحدى وثلاثون ومائتا سنةٍ. فهل مع هذا يا محمّد غيره؟ قال: نعم، قال: ماذا؟ قال: المر، قال: هذه أثقل وأطول، الألف واحدةٌ واللّام ثلاثون والميم أربعون والرّاء مائتان فهذه إحدى وسبعون ومائتان، ثمّ قال: لقد لبّس علينا أمرك يا محمّد، حتّى ما ندري أقليلًا أعطيت أم كثيرًا. ثمّ قال: قوموا عنه، ثمّ قال أبو ياسرٍ لأخيه حييّ بن أخطب ولمن معه من الأحبار: ما يدريكم، لعلّه قد جمع هذا لمحمّدٍ كلّه إحدى وسبعون وإحدى وستون ومائةٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: وهذا خبر باطل؛ لأن الكلبي هذا كذاب، ليس ممن يروى عنه الكلبي شيخ ابن إسحاق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائةٍ وأربع سنين؟ فقالوا: لقد تشابه علينا أمره، فيزعمون أنّ هؤلاء الآيات نزلت فيهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذا الحديث مداره على محمّد بن السّائب الكلبيّ، وهو ممّن لا يحتجّ بما انفرد به، ثمّ كان مقتضى هذا المسلك إن كان صحيحًا أن يحسب ما لكلّ حرفٍ من الحروف الأربعة

عشر الّتي ذكرناها، وذلك يبلغ منه جملة كثيرة، وإن حسبت مع التكرر فأطمّ وأعظم، والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢][1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن جريج: قال ابن عبّاسٍ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ أي: هذا الكتاب وكذا قال مجاهدٌ وعكرمة وسعيد بن جبيرٍ والسّدّيّ ومقاتل بن حيّان وزيد بن أسلم وابن جريجٍ أنّ ذلك بمعنى هذا، والعرب تقارض.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي نسخة تقارض، ويحتمل تقاوض بالواو أيضًا. . . . .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والعرب تقارض بين اسمي الإشارة، فيستعملون كلًّا منهما مكان الآخر، وهذا معروفٌ في كلامهم. وقد حكاه البخاري عن معمر بن المثنى عن أبي عبيدة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن معمر بن المثنى أبي عبيدة، هو كنيته، أبي عبيدة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الزمخشري: ذلك إشارة إلى ﴿الٓمٓ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَّا فَارِضٞ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الممتحنة: ١٠] وقال ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٦٢]، وأمثال ذلك مما أشير به إلى ما تقدم ذكره، والله أعلم.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد ذهب بعض المفسرين فيما حكاه القرطبي وغيره أن ذلك إشارة إلى القرآن الذي وعد الرسول ﷺ بإنزاله عليه، أو التوراة أو الإنجيل، أو نحو ذلك في أقوال عشرة. وقد ضعف هذا المذهب كثيرون، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب أن معناه مثل ما قال ابن عباس وجماعة: هذا الكتاب؛ لأن العرب تأتي بهذا تارة وهذا تارة، فالمعنى: هذا كتاب الذي أنزلناه إليك، وجاء به إليك رسولنا جبرائيل، لا ريب فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والكتاب: القرآن. ومن قال: إنّ المراد بـ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الإشارة إلى التّوراة والإنجيل، كما حكاه ابن جريرٍ وغيره، فقد أبعد النّجعة وأغرق في النّزع وتكلّف ما لا علم له به.

والرّيب: الشّكّ. قال السّدّيّ: عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شكّ فيه، وقاله أبو الدّرداء وابن عبّاسٍ ومجاهدٌ وسعيد بن جبيرٍ وأبو مالكٍ ونافعٌ مولى ابن عمر وعطاءٌ وأبو العالية والرّبيع بن أنسٍ ومقاتل بن حيّان والسّدّيّ وقتادة وإسماعيل بن أبي خالدٍ، وقال ابن أبي حاتمٍ: لا أعلم في هذه خلافًا. وقد يستعمل الرّيب في التّهمة، قال جميل:

بثينة قالت يا جميل أربتني فقلت كلانا يا بثين مريب

استعمل أيضًا في الحاجة، كما قال بعضهم:

قضينا من تهامة كلّ ريبٍ وخيبر ثمّ أجمعنا السيوفا

ومعنى الكلام هنا أن هذا الكتاب هو القرآن لا شكّ فيه أنّه نزل من عند الله كما قال تعالى في السّجدة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: ١ ـ ٢]، وقال بعضهم: هدى: خبرٌ، ومعناه النّهي؛ أي: لا ترتابوا فيه. ومن القراء من يقف على قوله تعالى: ﴿لَا

رَيْبَ﴾ ويبتدئ بقوله تعالى: ﴿فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ والوقف على قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أولى للآية التي ذكرناها ولأنه يصير قوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ صفةً للقرآن، وذلك أبلغ من كون ﴿فِيهِ هُدًى﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله ﷻ قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] فهو كله هدى، وهذا أجمل وأكمل. وأن معنى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك فيه؛ يعني: هذا كتاب لا ريب فيه أنه من عند الله وأنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم بعد هذا هو هدى للمتقين؛ يعني: هاديًا للمتقين، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وفيه خبر لا، لا ريب فيه جملة تامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

و﴿هُدًى﴾ يحتمل من حيث العربيّة أن يكون مرفوعًا على النّعت، ومنصوبًا على الحال. وخصّت الهداية للمتّقين كما قال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصّلت: ٤٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو في الحقيقة هدًى للناس جميعًا، هدى للجن والإنس جميعًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ولكن لما لم ينتفع به إلا أهل الإيمان، صار كأنه هدى لهم خاصة؛ لأن أولئك لم ينتفعوا به ولم يهتدوا به، فقد حُرِموا من هدايته، فصار كأنه ليس بهاد لهم، وصار كأنه إنما جاء هاديًا لهؤلاء الذين وفقوا له، وهم المؤمنون. وإلا، فهو في نفسه هدى للجميع لو اهتدوا به وتدبروا وتعقلوا ووفقوا لاهتدوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، إلى غير ذلك من الآيات الدّالّة على اختصاص المؤمنين بالنفع بالقرآن؛ لأنّه هو في نفسه هدًى، ولكن لا يناله إلا

الأبرار، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكرى وهدى للناس جميعًا، ولكن لما لم ينتفع بها إلا المؤمنون على الحقيقة، قال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] فالذكرى والإنذار والهداية عامة، ولكن لما لم ينتفع بذلك على الأكمل والأكثر إلا المؤمنون، صارت الذكرى كأنها لهم خاصة، وصار الهدى كأنه لهم خاصة، وإلا، فالله هدى بالذكر أممًا كانت كافرة، فهداها الله بالذكرى والموعظة والتوفيق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال السّدّيّ: عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾؛ يعني: نورًا للمتّقين.

وقال أبو روقٍ: عن الضّحّاك عن ابن عباس، قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، قال: هم المؤمنون الّذين يتّقون الشّرك بي ويعملون بطاعتي.

وقال محمّد بن إسحاق: عن محمّد بن أبي محمّدٍ مولى زيد بن ثابتٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباس: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، قال: الّذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه قاعدة، المتقون والمؤمنون والأبرار والمهتدون والصالحون كلمات متقاربة في المعنى، سموا بذلك لتقواهم الله؛ لأنهم اتقوا الشرك به واتقوا محارمه وصاروا متقين، وسموا مؤمنين؛ لأنهم آمنوا بالله ورسوله إيمانًا زجرهم عن محارم الله، واقتضى منهم أن يؤدوا ما أوجب الله، فصار إيمانهم إيمانًا مؤثرًا، فصاروا به مؤمنين متقين مهتدين صالحين، فهذه أوصاف لمن استقام على أمر الله وانتفع بكتاب الله

واهتدى به، يسمَّى مؤمنًا ويسمَّى متقيًا ويسمَّى بارًّا ويسمَّى مهتديًا ويسمَّى صالحًا، وأشباه ذلك من الصفات العظيمة الحميدة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: الّذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به.

وقال سفيان الثّوريّ: عن رجلٍ، عن الحسن البصري: قوله تعالى: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، قال: اتّقوا ما حرّم الله عليهم، وأدّوا ما افترض عليهم.

وقال أبو بكر بن عيّاشٍ: سألني الأعمش عن المتّقين، قال: فأجبته، فقال لي: سل عنها الكلبيّ، فسألته فقال: الّذين يجتنبون كبائر الإثم، قال: فرجعت إلى الأعمش، فقال: يرى أنّه كذلك ولم، ينكره.

وقال قتادة: ﴿لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، هم الّذين نعتهم الله بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية والتي بعدها، واختيار ابن جريرٍ أنّ الآية تعمّ ذلك كلّه، وهو كما قال.

وقد روى التّرمذيّ وابن ماجه من رواية أبي عقيلٍ، عن عبد الله بن يزيد عن ربيعة بن يزيد وعطيّة بن قيسٍ، عن عطيّة السّعديّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَبْلُغُ الْعبد أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ**»، ثمّ قال التّرمذيّ: حسنٌ غريبٌ[1].

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا عبد الله بن عمران، عن إسحاق بن سليمان؛ يعني: الرّازيّ، عن المغيرة بن مسلمٍ، عن ميمونٍ أبي حمزة، قال: كنت جالسًا عند أبي وائلٍ، فدخل علينا رجلٌ يقال له: أبو عفيفٍ، من أصحاب معاذٍ، فقال له شقيق بن سلمة: يا أبا عفيفٍ، ألا تحدّثنا عن معاذ بن جبلٍ؟ قال: بلى، سمعته يقول: يُحبس النّاس

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٤٥١)، وابن ماجه من كتاب الزهد، باب الورع والتقى برقم (٤٢١٥).

يوم القيامة في بقيعٍ واحدٍ، فينادي منادٍ: أين المتّقون؟ فيقومون في كنفٍ من الرّحمٰن، لا يحتجب الله منهم ولا يستتر.

قلت: من المتّقون؟ قال: قومٌ اتّقوا الشّرك وعبادة الأوثان، وأخلصوا لله العبادة، فيمرّون إلى الجنّة.

ويطلق الهدى ويراد به ما يقرّ في القلب من الإيمان، وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، وقال: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وقال: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، إلى غير ذلك من الآيات، ويطلق ويراد به بيان الحق وتوضيحه والدلالة عليه والإرشاد إليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرّعد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠]؛ على تفسير من قال المراد بهما الخير والشر وهو الأرجح، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أمر واضح، فإن الهدى نوعان:

هدى لا يملكه ولا يوفِّق له إلا الله ﷻ، وهو الذي بيده ذلك، وهو هداية التوفيق وقذف النور في القلب وقَبوله واستقرارهُ، فهذا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ما يملكه أحد: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فالتوفيق لقَبول الحق والرضا به وإيثاره، فهذا أمر إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهذا المراد بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، وما جاء في معناها.

أما النوع الثاني: فهو الهداية بمعنى البلاغ والبيان والدلالة والإرشاد، فهذا أعطاه الله الرسل وأتباعهم من الدعاة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هم

الـهُـداة؛ هـم الأدلاء: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وهكذا، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]؛ يعني: يرشد ويدل، ثم قد يوفق المرشَد والمدلول والموعوظ والمذكَّر، قد يهتدي وقد يقبل ويوفقه الله وقد لا يقبل، فهؤلاء الرسل دعوا الأمم وأرشدوهم وهدوهم، فلم يقبل إلا القليل، والأكثرون لم تنفعهم هذه الدلالة والهداية وهذه الذكرى، ولم يتأثروا بها؛ بل أصروا وعاندوا، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأصل التّقوى التّوقّي ممّا يُكره؛ لأنّ أصلها وقوى من الوقاية، قال النابغة:

سقط النّصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتّقتنا باليد

وقال الآخر:

فألقت قناعًا دونه الشّمس واتّقت ... بأحسن موصولين كفٍّ ومعصم

قد قيل: إنّ عمر بن الخطّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأل أبيّ بن كعبٍ عن التّقوى، فقال له: أما سلكت طريقًا ذا شوكٍ؟ قال بلى، قال: فما عملت؟ قال: شمّرت واجتهدت، قال: فذلك التّقوى.

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتزّ، فقال:

خلّ الذّنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التّقى

واصنع كماشٍ فوق أرض ... الشّوك يحذر ما يرى

لا تحقرنّ صغيرةً ... إنّ الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدّرداء يومًا:

يريد المرء أن يؤتى مناه ... ويأبى الله إلّا ما أرادا

يقول المرء فائدتي ومالي ... وتقوى الله أفضل ما استفادا

وفي سنن ابن ماجه، عن أبي أمامة، عن النّبيّ ﷺ: «**مَا اسْتَفَادَ الْمَرْءُ بعد تقوى الله خيرًا له مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ؛ إِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَمَرَهَا**

أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله».

الطالب: علَّق الشيخ مقبل على الحديث، قال: الحديث رواه ابن ماجه، وفي سنده: علي بن يزيد وهو........ متروك، والشيخ أبو القاسم، وهو ابن عبد الرحمٰن، مختلف في الاحتجاج به، راجع ترجمته من الميزان. وعثمان بن أبي عاتكة، مختلف فيه أيضًا، راجع ميزان الاعتدال، ويسهل الحُكم على ضعف الحديث لوجود علي بن يزيد في سنده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صدق، ليس بشيء، لكن الحديث صحيح من حيث المعنى؛ لأن الروايات الأخرى: «**خير متاعها المرأة الصالحة**». إذا نظر إليها سرَّته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله. هذا حديث صحيح، المتن الصحيح، لكن زيادة: «**ما استفاد المرء بعد تقوى**» بهذا السند ضعيف.

ثم هذا الخبر في باب الفضائل فيما يتعلق بالفضائل والحث على الخير، فلهذا، سكت عنه المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣][(١)].

قال أبو جعفرٍ الرّازيّ: عن العلاء بن المسيّب بن رافعٍ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، قال: الإيمان: التّصديق، وقال عليّ بن أبي طلحة وغيره، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يؤمنون: يصدّقون. وقال معمرٌ، عن الزّهريّ: الإيمان العمل، وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ: يؤمنون: يخشون.

قال ابن جريرٍ: والأولى أن يكونوا موصوفين بالإيمان بالغيب قولًا

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

واعتقادًا وعملًا، قال: وقد تدخل الخشية لله في معنى الإيمان الّذي هو تصديق القول بالعمل، والإيمان كلمةٌ جامعةٌ للإيمان بالله وكتبه ورسله وتصديق الإقرار بالفعل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الذي قاله ابن جرير هو الحق؛ فإن الإيمان كلمة تشمل تصديق القلب وتشمل أعمال القلب وتشمل عمل الجوارح وتشمل قول اللسان، فمن قال: الإيمان التصديق، فمعناها التصديق الكامل بالقلب العمل، ومن قال: الإيمان خشية الله، فقد فسره ببعضه، فسر الإيمان ببعض شعبه، ومن قال: الإيمان العمل، فقد فسره بمقصوده وهو الزيادة؛ أي: المقصود من الإيمان العمل، أن يعمل بما صدق به، فيعد العدة لإدراك الجنة والحصول عليها، ويعد العدة للحذر من النار والبعد منها، ويعد العدة للفوز بمرضاة الله ﷻ والفوز بكرامته؛ فالإيمان الكامل يحصل به هذا وهذا، ومن عادة السلف تفسير الشيء ببعضه، تفسير الشيء ببعضه، بجزئه، الشيء الدال عليه، والمؤمن حقًّا هو الذي يصدق بأخبار الله ويخشى الله ويعمل، فهكذا، الإيمان: قول وعمل عند أهل السُّنَّة والجماعة؛ فالإيمان بالغيب، معناه: التصديق بكل ما أخبر الله به من أمور الغيب، ما أخبر به عن ذاته، وعن أسمائه وصفاته، وعن الجنة والنار، وعما يكون في آخر الزمان، وعما يكون يوم القيامة من الأهوال والحساب والجزاء، كله غيب، والمؤمن يؤمن بهذا كله، وبكل ما صح عن رسول الله ﷺ في ذلك.

ثم هذا الإيمان بقلبه ما هو إيمان مجرد؛ إيمان معه عمل، معه خشية الله وتعظيم الله وتعظيم أوامره وتعظيم نواهيه، والعمل بما أمر به من اجتهاد وصوم وزكاة وحج وجهاد وغير هذا وترك ما نهى عنه (وحذر منه) ترك الشرك وترك الزنا، ترك الفواحش، ترك العقوق، ترك كل ما حرم الله، كله داخل في الإيمان بالغيب، الذين يؤمنون بالغيب إيمانًا تامًّا يشمل تصديق القلوب، وتصديق اللسان، وتصديق الجوارح بالعمل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت): أمّا الإيمان في اللّغة فيطلق على التّصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك كما قال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التّوبة: ٦١]، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، وكذلك، إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال؛ كقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فأمّا إذا استعمل مطلقًا، فالإيمان الشّرعيّ المطلوب لا يكون إلّا اعتقادًا وقولًا وعملًا.

هكذا ذهب إليه أكثر الأئمّة؛ بل قد حكاه الشافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة، وغير واحدٍ؛ إجماعًا: أنّ الإيمان قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص.

وقد ورد فيه آثارٌ كثيرةٌ وأحاديث أفردنا الكلام فيها في أوّل شرح البخاريّ، ولله الحمد والمنّة.

ومنهم من فسَّره بالخشية؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]، وقوله: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، والخشية خلاصة الإيمان والعلم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال بعضهم: يؤمنون بالغيب كما يؤمنون بالشهادة، وليسوا كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو عبيد القاسم بن سلام؛ لأن أبو عبيدة معمر بن المثنى (. . . . . .) ليس من هذا الشأن.

وقال: والإيمان يزيد بالطاعات والعمل، وينقص بالمعاصي والغفلة.

يعني: أن أهل الإيمان الصادقون ليسوا كالمنافقين، المؤمنون بالغيب كما آمنوا بالشهادة وأشد، وثمرة إيمانهم بالغيب خشية الله وتعظيمه وأداء حقه وترك معصيته والقيام بحق المؤمنين وحق غيرهم؛ لأن إيمانهم يدعوهم إلى هذا ويقتضي هذا، كما أن إيمانك بأن لفلان عليك حق وله عليك دين يقتضي أن تؤديه حقه، إيمانك بأن لفلان عليك حق قصاص، حق دية، يقتضي أن تسدد حقه وتعطيه حقه. وهكذا، إيمانك بأن عليك أن تصلي كذا وكذا في اليوم والليلة، يجب عليك أن تؤدي هذا الحق، إيمانك بأنك عليك زكاة، يجب أن تؤدي هذه الزكاة، إيمانك بأن عليك بر الوالدين، يقتضي أن تبر والديك، فهكذا، الإيمان يقتضي العمل بالذي آمنت به.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولماذا شهد عليهم أنهم كاذبون مع قولهم: إن محمدًا رسول الله؟ لأنهم قالوها كذبًا، ما صدقوا بالعمل؛ لأنهم قالوها والقلوب مكذبة، فلهذا، شهد الله عليهم أنهم كاذبون، وأنهم قالوا أن محمدًا رسول الله تقية (لا إيمان) وإلا، فهم في باطن الأمر غير مصدقين وغير شاهدين بهذا الأمر، ولهذا، قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، أكدَّها بإنّ (. . . . .) ولام التأكيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] حالًا؛ أي: في حال كونهم غيبًا عن الناس.

وأمّا الغيب، المراد هاهنا، فقد اختلفت عبارات السّلف فيه، وكلّها صحيحةٌ ترجع إلى أنّ الجميع مرادٌ.

قال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ قال: ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنّته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحياة بعد الموت وبالبعث، فهذا غيبٌ كلّه. وكذا قال قتادة بن دعامة.

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ أمّا الغيب، فما غاب عن العباد من أمر الجنّة وأمر النّار، وما ذكر في القرآن.

وقال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾؛ قال: بما جاء منه؛ يعني: من الله تعالى.

وقال سفيان الثّوريّ، عن عاصمٍ، عن زرٍّ، قال: الغيب القرآن، وقال عطاء بن أبي رباحٍ: من آمن بالله فقد آمن بالغيب. وقال إسماعيل بن أبي خالدٍ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، قال: بغيب الإسلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وتسمية القرآن بالغيب على هذا القول؛ يعني: أنه ما شاهد كلام الرب حين تكلم به، إنما سمعه جبرائيل، وجبرائيل بلّغه إلى محمد ﷺ، فالإيمان بالغيب من هذه الحيثية من حيث أنه لم يسمع أن الله تكلّم به حين تكلم، وإنما آمن بما قاله النبي ﷺ، وبما بلّغه إلينا، وأخبرنا بأنه كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال زيد بن أسلم: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾؛ قال: بالقدر. فكلّ هذه متقاربةٌ في معنًى واحدٍ؛ لأنّ جميع المذكورات من الغيب الّذي يجب الإيمان به.

وقال سعيد بن منصورٍ: حدّثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن

عمارة بن عميرٍ، عن عبد الرّحمٰن بن يزيد، قال: كنّا عند عبد الله بن مسعودٍ جلوسًا، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إنّ أمر محمّدٍ ﷺ كان بيّنًا لمن رآه، والّذي لا إلٰه غيره، ما آمن أحدٌ قطّ إيمانًا أفضل من إيمانٍ بغيبٍ ثمّ قرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٥].

وهكذا رواه ابن أبي حاتمٍ وابن مردويه والحاكم في مستدركه؛ من طرقٍ، عن الأعمش، به. وقال الحاكم: صحيحٌ على شرط الشّيخين، ولم يخرّجاه.

وفي معنى هذا الحديث الّذي رواه أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعيّ، حدّثني أسيد بن عبد الرّحمٰن عن خالد بن دريكٍ، عن ابن محيريزٍ، قال: قلت لأبي جمعة: حدّثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: نعم، أحدّثك حديثًا جيّدًا: تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجرّاح، فقال: يا رسول الله هل أحدٌ خيرٌ منّا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك، قال: «**نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي**»(١)؛ طريقٌ أخرى. قال أبو بكر بن مردويه في تفسيره: حدّثنا عبد الله بن جعفرٍ، حدّثنا إسماعيل، عن عبد الله بن مسعودٍ، حدّثنا عبد الله بن صالحٍ، حدّثنا معاوية بن صالحٍ، عن صالح بن جبيرٍ، قال: قدم علينا أبو جمعة الأنصاريّ صاحب رسول الله ﷺ ببيت المقدس ليصلّي فيه، ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة رضي الله عنه، فلمّا انصرف خرجنا نشيّعه، فلمّا أراد الانصراف قال: إنّ لكم جائزةً وحقًّا، أحدّثكم بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ، قلنا: هات رحمك الله، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ ومعنا معاذ بن جبلٍ عاشر عشرةٍ، فقلنا: يا رسول الله، هل من قوم أعظم منّا أجرًا؟ آمنا بالله واتّبعناك، قال: «**مَا يَمْنَعُكُمْ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُولُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، يَأْتِيكُمْ بِالْوَحْيِ مِنَ السَّمَاءِ؛ بَلْ قَوْمٌ مِنْ**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/١٠٦)، والدارمي (٢/٢١٧).

بَعْدِكُمْ يَأْتِيهِمْ كِتَابٌ بَيْنَ لَوْحَيْنِ، يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، أُولَئِكَ أَعْظَمُ مِنْكُمْ أَجْرًا مَرَّتَيْنِ».

ثمّ رواه من حديث ضمرة بن ربيعة، عن مرزوق بن نافعٍ، عن صالح بن جبيرٍ، عن أبي جمعة، بنحوه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الحديث فيه دلالةٌ على العمل بالوجادة الّتي اختلف فيها أهل الحديث كما قرّرته في أوّل شرح البخاريّ؛ لأنّه مدحهم على ذلك، وذكر أنّهم أعظم أجرًا من هذه الحيثيّة، لا مطلقًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا له شواهد من قوله ﷻ: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١]؛ يعني: الذين شاهدوا النبوة وحضروا الوحي والآيات العظيمة، يحق لهم أن يؤمنوا لمن وفقه الله ﷻ، وقد شاهده قوم فلم يؤمنوا ولم يوفقوا، فالذين جاؤوا بعد ذلك وآمنوا بالغيب وبما نقل لهم عنه ﷺ، وبما ثبت عنه، لهم مزية أجر من هذه الحيثية، وإلا، فالصحابة أفضل الناس، لكن هؤلاء الذين جاؤوا بعدهم وآمنوا لهم مزية من حيثية الإيمان بالغيب، كما أن الذين في آخر الزمان يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر عند غربة الزمان لهم أجر خمسين من الصحابة فيما أعانهم الله عليه من الخير، وإن كان الصحابة أفضل منهم، لكن هذه الفضائل الخاصة لها أسباب، والصحابة أفضل في الجملة؛ لقوله ﷺ: «**خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»، كما في الصحيحين[1]، فأصحاب النبي ﷺ خير الناس وأفضل الناس بعد الأنبياء، والذين جاؤوا من بعدهم يؤمنون بالغيب ويأمرون بالمعروف وينهون عن

---

(١) متفق عليه من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٦٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فصل الصحابة.... برقم (٢٥٣٥).

المنكر ويتبعون آثارهم عند الغربة وعند شدة الزمان، فلهم فضل خاص يفضلون من قبلهم من هذه الحيثية، ولهذا قال: « **لهم أجر خمسين**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذا الحديث الآخر الّذي رواه الحسن بن عرفة العبديّ، حدّثنا إسماعيل بن عيّاشٍ الحمصيّ، عن المغيرة بن قيسٍ التّميميّ، عن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّ الْخَلْقِ أَعْجَبُ إِلَيْكُمْ إِيمَانًا**؟ قالوا: الملائكة، قال: «**وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**؟»، قالوا: فالنّبيّون، قال: «**وَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ**؟»، قالوا: فنحن، قال: «**وَمَا لَكُمَ لَا تُؤْمِنُونَ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ**؟»، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**أَلَا إِنَّ أَعْجَبَ الْخَلْقِ إِلَيَّ إِيمَانًا لَقَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ، يَجِدُونَ صُحُفًا فِيهَا كِتَابٌ يُؤْمِنُونَ بِمَا فِيهَا**»(١).

قال أبو حاتمٍ الرّازيّ: المغيرة بن قيسٍ البصريّ منكر الحديث.

(**قلت**): ولكن، قد روى أبو يعلى في مسنده، وابن مردويه في تفسيره، والحاكم في مستدركه، من حديث محمّد بن أبي حميدٍ ـ وفيه ضعفٌ ـ عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر، عن النّبيّ ﷺ، مثله أو نحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقد روي نحوه عن أنس بن مالكٍ مرفوعًا، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا عبد الله بن محمّدٍ المسنديّ، حدّثنا إسحاق بن إدريس، أخبرني إبراهيم بن جعفر بن محمود بن سلمة الأنصاريّ، أخبرني جعفر بن محمود، عن جدته تويلة بنت أسلم قالت: صلّيت الظّهر أو العصر في مسجد بني حارثة، فاستقبلنا مسجد إيلياء، فصلّينا سجدتين، ثمّ جاءنا من يخبرنا أنّ رسول الله ﷺ قد استقبل البيت الحرام، فتحوّل النّساء مكان الرّجال والرّجال مكان النّساء، فصلّينا

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل (٦/ ٥٣٨)

السّجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام. قال إبراهيم: فحدّثني رجالٌ من بني حارثة أنّ رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك قال: «**أُولَئِكَ قَوْمٌ آمَنُوا بِالْغَيْبِ**»، هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ٣][1].

قال ابن عبّاسٍ: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ أي: يقيمون الصّلاة بفروضها. وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: إقامة الصّلاة: إتمام الرّكوع والسّجود والتّلاوة والخشوع، والإقبال عليها فيها.

وقال قتادة: إقامة الصّلاة: المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعنى: أن إقامة الصلاة تشمل كل ما يتعلق بها من جهة الوقت، ومن جهة الطهارة، ومن جهة الأداء، كما شرع الله، فالمؤمنون يقيمونها كما شرع الله، ويؤدونها قائمة كاملة تامة في وقتها وطهارتها وشرائطها وفرائضها، وجميع ما شرع الله فيها لهم بها عناية، وهكذا المؤمن، وهكذا المؤمنة، كما في الآية الأخرى، قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، وهذا جاء في عدة آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وَيُؤْتُوا الزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، في آيات كثيرة جدًّا، وهذا يوجب للمؤمن العناية بفرائضه ﷻ فرض ذلك كثيرًا ثناء وأمرًا (. . . . . .) وهذا يوجب للمؤمن لا سيما طالب العلم المقتدى به أن يعتني بهذا الأمر، وأن تكون صلاته مقامة حتى يتأسى به زميله ومن يشاهده من أهل بيته، وغير ذلك، في خشوعه، في طمأنينته، في إحسان القراءة، في الخشوع، وغير هذا، من وجوب أمر الصلاة، وشأن الطهارة، والبدار إلى الجماعة، البدار في الوقت بما يتعلق بالنساء في البيت، إلى غير هذا من وجوه العناية والإقامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال مقاتل بن حيّان: إقامتها: المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور بها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتّشهّد، والصّلاة على النّبيّ ﷺ، فهذا إقامتها.

وقال عليّ بن أبي طلحة وغيره، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾؛ قال: زكاة أموالهم.

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾؛ قال: نفقة الرّجل على أهله، وهذا قبل أن تنزّل الزّكاة.

وقال جويبرٌ، عن الضّحّاك: كانت النّفقات قرباتٍ يتقرّبون بها إلى الله على قدر ميسرتهم وجهدهم، حتّى نزلت فرائض الصّدقات، سبع آياتٍ في سورة براءةٌ ممّا يذكر فيهنّ الصدقات هن النّاسخات المثبتات.

وقال قتادة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾؛ فأنفقوا ممّا أعطاهم الله، هذه الأموال عوارٍ وودائع عندك يا ابن آدم، يوشك أن تفارقها.

واختار ابن جريرٍ أنّ الآية عامّةٌ في الزّكاة والنّفقات، فإنّه قال:

وأولى التّأويلات وأحقّها بصفة القوم أن يكونوا لجميع اللّازم لهم في أموالهم مؤدّين - زكاةً كان ذلك، أو نفقة من لزمته نفقته من أهلٍ أو عيال، وغيرهم ممن يجب عليهم نفقته بالقرابة والملك، وغير ذلك -؛ لأنّ الله تعالى عمّ وصفهم ومدحهم بذلك، وكلٌّ من الإنفاق والزّكاة ممدوحٌ به محمودٌ عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله أبو جعفر هو الصواب؛ فإن الآيات عامة في هذا، والصواب أنها تعم الزكاة وغيرها، ومن أهم ما ينفق وأعظم ما ينفق الزكاة، هذا أعظم شيء، ركن الإسلام، فأهم شيء هو الزكاة، والمؤمنون ينفقون غير الزكاة في أهليهم وفي ضيوفهم وفي الفقراء والمساكين إلى غير هذا، هكذا أهل الإيمان، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤]، وقال تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، فهذا لا يخص الزكاة؛ بل يعم الزكاة وغيرها، والمؤمن ليس قاصرًا على الزكاة، ولا مكتفيًا بالزكاة؛ بل ينفق في البر والإحسان، ويواسي الفقير، ويصل الرحم وينفق على أولاده وأهله، ويكرم الضيف، ويعمر المساجد، ويعمر المدارس، وينفق في شتى أعمال الخير، فهكذا المؤمن؛ لأنه مثل ما قال قتادة: هذه الأموال أمانات وودائع سوف تنتقل عنها، وتتنقل عنك، فبادر وسارع وأنفق قبل أن تحل بك كارثة، أو بمالك، أو بكما جميعًا، فالمؤمن والعاقل ذو الرشد ينتهز الفرص وينفق ويحسن حسب طاقته، وحسب ما آتاه الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت): كثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الصّلاة والإنفاق من الأموال، فإنّ الصّلاة حقّ الله وعبادته، وهي مشتملةٌ على توحيده والثّناء عليه،

وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتّوكّل عليه، والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنّفع المتعدّي إليهم، وأولى النّاس بذلك القرابات والأهلون والمماليك، ثمّ الأجانب؛ فكلٌّ من النّفقات الواجبة والزّكاة المفروضة داخلٌ في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾.

ولهذا، ثبت في الصّحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»(١).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ، وأصل الصّلاة في كلام العرب: الدّعاء.

قال الأعشى:

لها حارسٌ لا يبرح الدّهر بيتها ... وإن ذبحت صلّى عليها وزمزما

وقال أيضًا:

وقابلها الرّيح في دنّها ... وصلّى على دنّها وارتسم

أنشدهما ابن جريرٍ مستشهدًا على ذلك. وقال الآخر، وهو الأعشى، أيضًا:

تقول بنتي وقد قرّبت مرتحلًا ... يا ربّ جنّب أبي الأوصاب والوجعا

عليكِ مثل الّذي صلّيت فاغتمضي ... نومًا فإنّ لجنب المرء مضطجعا

يقول: عليك من الدّعاء مثل الّذي دعيته لي، وهذا ظاهرٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ومن هذا الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ**

(١) سبق تخريجه في ص (١٧١).

فَلْيُجِبْ؛ فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ»(١)، وفي اللفظ الآخر: «**فَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ**»(٢)، وهي تفسير ليصلِّ؛ يعني: إذا كان مفطرًا فليطعم وهذا هو الأفضل، وإن كان صائمًا فليصلِّ؛ أي: ليدع لصاحب الوليمة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ يعني: ادع لهم وبرّك عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثمّ استعملت الصّلاة في الشّرع في ذات الرّكوع والسّجود والأفعال المخصوصة في الأوقات المخصوصة بشروطها المعروفة وصفاتها وأنواعها المشهورة.

قال ابن جريرٍ: وأرى أنّ الصّلاة سمّيت صلاةً؛ لأنّ المصلّي يتعرّض لاستنجاح طلبته من ثواب الله بعمله، مع ما يسأل ربه من حاجاته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا واضح؛ لأنها كلها دعاء، الصلاة كلها دعاء، ما بين دعاء عبادة كالركوع والسجود والقراءة، ودعاء مسألة وضراعة، كما يقول في سجوده وبين السجدتين وفي التحيات من الدعاء (. . . . . .).

ثم دعاء العبادة كما هو معلوم كالركوع والسجود والقراءة، فإنه إنما ركع وسجد وأنفق وقرأ كله يطلب الثواب، وهو دائر في المعنى، وإن دعاء المسألة: رب اغفر لي، وغيره من الدعوات في سجوده وفي آخر التحيات، وغير ذلك كلها غير منفكة عن الدعاء في المعنى.

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، برقم (١٤٣١)

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في إجابة الدعوة برقم (٣٧٣٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: هي مشتقّةٌ من الصّلوين إذا تحرّكا في الصلاة عند الركوع والسجود، وهما عرقان يمتدان من الظهر حتى يكتنفان عجب الذنب، ومنه سمي المصلِّي وهو التالي للسّابق في حلبة الخيل، وفيه نظرٌ. وقيل هي مشتقّةٌ من الصّلى، وهو الملازمة للشّيء؛ من قوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَنْهَآ﴾؛ أي: لا يلزمها ويدوم فيها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ [اللّيل: ١٥]، وقيل: مشتقّةٌ من تصلية الخشبة في النّار لتقوّم، كما أنّ المصلّي يقوّم عوجه بالصّلاة: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، واشتقاقها من الدّعاء أصحّ وأشهر، والله أعلم.

وأمّا الزّكاة فسيأتِي الكلام عليها في موضعه إن شاء الله تعالى.

* * *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ٤][1].

قال ابن عبّاسٍ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾؛ أي: يصدّقونك بما جئت به من الله وما جاء به من قبلك من المرسلين لا يفرّقون بينهم ولا يجحدون ما جاؤوهم به من ربّهم، ﴿وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾؛ أي: بالبعث والقيامة والجنّة والنّار والحساب والميزان، وإنّما سمّيت الآخرة؛ لأنّها بعد الدنيا.

وقد اختلفت المفسِّرون في الموصوفين هنا؛ هل هم الموصوفون بما تقدّم من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، ومن هم؟ على ثلاثة أقوالٍ حكاها ابن جرير:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

أحدها: أنّ الموصوفين أوّلًا هم الموصوفون ثانيًا، وهم كلّ مؤمنٍ؛ مؤمنو العرب ومؤمنو أهل الكتاب وغيرهم، قاله مجاهدٌ وأبو العالية والرّبيع بن أنسٍ وقتادة.

والثّاني: هما واحدٌ، وهم مؤمنو أهل الكتاب، وعلى هذين تكون الواو عاطفةً على صفاتٍ؛ كما قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١ ـ ٥].

وكما قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

فعطف الصّفات بعضها على بعضٍ، والموصوف واحدٌ.

والثّالث: أنّ الموصوفين أوّلًا مؤمنو العرب، والموصوفون ثانيًا بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ (مؤمنو) أهل الكتاب، نقله السّدّيّ في تفسيره عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ وأناسٍ من الصّحابة.

واختاره ابن جرير (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، ويستشهد لما قال بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وبقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٢ ـ ٥٤]، وبما ثبت في الصّحيحين من حديث الشّعبيّ، عن أبي بردة، عن أبي موسى، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ**

سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»[(١)].

وأمّا ابن جريرٍ، فما استشهد على صحّة ما قال إلّا بمناسبةٍ، وهي أنّ الله وصف في أوّل هذه السّورة المؤمنين والكافرين، فكما أنّه صنّف الكافرين إلى صنفين: كافر ومنافق، فكذلك المؤمنون صنّفهم إلى عربيٍّ وكتابيٍّ.

(قلت): والظّاهر قول مجاهدٍ فيما رواه الثّوريّ عن رجلٍ عن مجاهدٍ، ورواه غير واحدٍ عن ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ، أنّه قال: (أربع آياتٍ من أوّل سورة البقرة في نعت المؤمنين، وآيتان في نعت الكافرين وثلاثة عشر في المنافقين، فهذه الآيات الأربع عامّات في كلّ مؤمنٍ اتّصف بها من عربيٍّ وعجميٍّ وكتابيٍّ، من إنسيٍّ وجنّيٍّ، وليس تصحّ واحدةٌ من هذه الصّفات بدون الأخرى). وليس تصحّ واحدةٌ من هذه الصّفات بدون الأخرى بل كلّ واحدةٍ مستلزمةٌ للأخرى وشرطٌ معها، فلا يصحّ الإيمان بالغيب وإقام الصّلاة والزّكاة إلّا مع الإيمان بما جاء به الرّسول ﷺ وما جاء به من قبله من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والإيقان بالآخرة، كما أنّ هذا لا يصحّ إلا بهذاك.

وقد أمر الله المؤمنين بذلك كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ

---

(١) متفق عليه، من حديث أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين برقم (٣٠١١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٤).

ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النّساء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [الْمَائِدَة: ٦٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، أنه عامة للعرب والعجم والجن والإنس، لأنها لا بدّ منها لجميع المؤمنين، لا بدّ من الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولا بد من الإيمان بما أنزل على محمد وما أنزل من قبله، ولا بدّ من اليقين بالآخرة، فكلها لا بدّ منها للمؤمن، فهي عامة في أهل الكتاب. . . . .(1).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وأخبر تعالى عن المؤمنين كلّهم بذلك، فقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ١٥٢]، إلى غير ذلك من الآيات الدّالّة على جميع أمر المؤمنين بالإيمان بالله ورسله وكتبه، لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية، وذلك أنهم يؤمنون بما بأيديهم مفصّلًا، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصّلًا كان لهم على ذلك الأجر مرّتين، وأمّا غيرهم فإنّما يحصل له الإيمان بما تقدّم مجملًا، كما جاء في الصحيح: «**إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تكذبوهم ولا تصدّقوهم وَلَكِنْ قُولُوا**: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾».

ولكن، قد يكون إيمان كثيرٍ من العرب بالإسلام الّذي بعث به

---

(١) بياض في الأصل.

محمّدٌ ﷺ أتمّ وأكمل وأعمّ وأشمل من إيمان من دخل منهم في الإسلام، فهم وإن حصل لهم أجران من تلك الحيثية فغيرهم يحصل له من التّصديق ما ينيف ثوابه على الأجرين اللّذين حصّلا لهم، والله أعلم.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٥](١).

يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ﴾؛ أي: المتّصفون بما تقدّم من الإيمان بالغيب وإقام الصّلاة والإنفاق من الّذي رزقهم الله، والإيمان بما أنزل إلى الرّسول ومن قبله من الرّسل والإيقان بالدار الآخرة، وهو مستلزم الاستعداد لها من الأعمال الصالحة وترك المحرمات ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾؛ أي: على نورٍ وبيانٍ وبصيرةٍ من الله تعالى، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾؛ أي: في الدّنيا والآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذه بشارة من الله ﷻ لأهل الإيمان والهدى والاستقامة أنهم قد استقروا على الهدى وثبتوا على الهدى، وأنهم الفائزون بالفلاح والظفر والحصول على الخير في العاجل والآجل؛ يعني: هؤلاء المتقون الذين آمنوا بالغيب وما غاب عنهم من أمر الله وصفاته وأمر الآخرة والمغيبات كلها التي أخبر بها الرب ﷻ أو أخبر بها رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، فهم مصدقون بذلك مؤمنون بذلك، وهم مع هذا يقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله من الزكاة وغيرها، وهم مع ذلك يؤمنون بما أنزل الله على نبيه ﷺ وما أنزل من قبله على الرسل الماضين، وهم مع هذا أيضًا بالآخرة موقنون مصدقون

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

إيقانًا حملهم على أداء الفرائض والابتعاد عن المحارم؛ لأن من مقتضى اليقين والإيمان الصادق مقتضى ذلك للتنفيذ؛ يعني: مقتضى هذا الإيمان العظيم بالغيب هو اليقين بالآخرة والتصديق بالمنزل، مقتضى هذا الإيمان وموجبه أداء ما فرضه الله وترك ما حرمه الله والاستعداد الكامل لهذا الأمر الذي وعدوا به وسوف ينتقلون إليه وهو أمر الآخرة، هؤلاء الذين هم هذه صفاتهم، على هدى من ربهم ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ يعني: أولئك قد استقروا وثبتوا على الهدى، قال: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾؛ يعني: استقروا عليه وثبتوا عليه.

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾؛ يعني: على نور وعلى هداية وعلى بصيرة، وهم أهل الفلاح؛ يعني: الفلاح الكامل، ولهذا، حصر الفلاح فيهم فقال: ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾، كأنه لا مفلح غيرهم، لكمال فلاحهم ولكمال ظفرهم بالخير وحصولهم على أسباب السعادة جعلهم كأنهم هم الفالحون وحدهم؛ لأنه أتى بها في جملة اسمية مؤكدة بواو الفصل: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾؛ يعني: هم أهل الفلاح، والفلاح في لغة العرب: الحصول على المطلوب؛ فمن حصل على مطلوبه أفلح، ومن حصل على الجنة والسلامة والنجاة من النار فقد أفلح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾؛ أي: على نورٍ من ربّهم واستقامةٍ على ما جاءهم به، ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾؛ أي: الّذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شرّ ما منه هربوا.

وقال ابن جرير: وأما معنى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾، فإن معنى ذلك: فإنهم على نورٍ من ربّهم وبرهانٍ واستقامةٍ وسدادٍ بتسديده إياهم وتوفيقه لهم.

وتأويل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾؛ أي: المنجحون المدركون ما طلبوا عند الله بأعمالهم وإيمانهم بالله وكتبه ورسله من الفوز بالثّواب، والخلود في الجنّات، والنّجاة ممّا أعدّ الله لأعدائه من العقاب.

وقد حكى ابن جرير قولًا عن بعضهم أنّه أعاد اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ إلى مؤمني أهل الكتاب الموصوفين بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾، على ما تقدم من الخلاف، وعلى هذا، فيجوز أن يكون قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ منقطعًا ممّا قبله، وأن يكون مرفوعًا على الابتداء وخبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾، واختار أنّه عائدٌ إلى جميع من تقدّم ذكره من مؤمني العرب وأهل الكتاب لما رواه السّدّيّ عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ: أمّا ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ فهم المؤمنون من العرب، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ هم المؤمنون من أهل الكتاب، ثمّ جمع الفريقين فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ وقد تقدّم من التّرجيح أنّ ذلك صفةٌ للمؤمنين عامّةً، والإشارة عائدةٌ عليهم، والله أعلم.

وقد نُقل هذا عن مجاهدٍ وأبي العالية والرّبيع بن أنسٍ وقتادة رحمهم الله، وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالحٍ المصريّ، حدّثنا أبي، حدّثنا ابن لهيعة، حدثني عبيد الله بن المغيرة، عن أبي الهيثم واسمه سليمان بن عمرو، عن عبد الله بن عمرٍو، عن النّبيّ ﷺ، وقيل له: يا رسول الله، إنا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ من القرآن فنكاد أن نيأس، أو كما قال، فقال: «**أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ**»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾...... إلى قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾ هؤلاء أهل الجنّة، قالوا: إنّا نرجو أن نكون هؤلاء، ثمّ قال: «﴿إِنَّ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦ - ٧]»، لسنا هم يا رسول الله، قال: «**أجل**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الصواب، فإن الثناء على الجميع، وأنه لا يتم هذا إلا بهذا، لا يتم الإيمان بالغيب مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة إلا مع الإيمان بما أنزل على محمد وبما أنزل من قبله واليقين بالآخرة، هذا وصف للجميع، ومن قال بأنه أراد به أهل الكتاب فمراده مع ما تقدم؛ يعني: من الإيمان السابق، فالمراد بهذا كله وصف الجميع؛ وصف المؤمنين من العرب والعجم، من أهل الكتاب وغيرهم، فجميع المؤمنين من العرب والعجم والجن والإنس، جميع المكلفين من جميع الأجناس، كلهم داخلون في هذه الأوصاف من آمن بالله ﷻ؛ يعني: بالغيب الذي هو داخل فيه الإيمان بالله والإيمان بجميع ما أخبر الله به ورسوله عما مضى وعما سيكون، وأقام الصلاة وأنفق مما رزقه الله، وآمن بما أنزل على محمد ﷺ من القرآن العظيم والسُّنَّة المطهرة، وبما أنزل على من قبله من التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، وغير ذلك، الإيمان بالمنزل على جميع الأنبياء، وأيقن بالآخرة وأنها حق، واستعد لها، هؤلاء هم المفلحون جميعًا؛ جنًّا كانوا أو إنسًا، عربًا أو عجمًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦][1].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: غطّوا (الحقّ) وستروه،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد كتب الله تعالى عليهم ذلك، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ إنذارك وعدمه فإنّهم لا يؤمنون بما جئتهم به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]، وقال تعالى في حقّ المعاندين من أهل الكتاب: ﴿وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ﴾ [البقرة: ١٤٥]؛ أي: إنّ من كتب الله عليه الشّقاوة فلا مسعد له، ومن أضلّه فلا هادي له، فلا تذهب نفسك عليهم حسراتٍ، وبلّغهم الرّسالة، فمن استجاب لك فله الحظّ الأوفر، ومن تولّى فلا تحزن عليهم، ولا يهمنّك ذلك، فـ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرّعد: ٤٠]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾ [هود: ١٢].

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾، قال: كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤمن جميع النّاس ويتابعوه على الهدى، فأخبره الله تعالى أنّه لا يؤمن إلّا من سبق له من الله السّعادة في الذّكر الأوّل، ولا يضلّ إلّا من سبق له من الله الشّقاوة في الذّكر الأوّل.

وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: بما أنزل إليك، وإن قالوا: إنّا قد آمنّا بما جاءنا قبلك، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾؛ أي: إنّهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق، وقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ممّا جاءهم به غيرك، فكيف يسمعون منك إنذارًا وتحذيرًا وقد كفروا بما عندهم من علمك؟!

قال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، قال: نزلت هاتان الآيتان في قادة الأحزاب، وهم الّذين قال الله فيهم: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ

﴿وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨، ٢٩]. والمعنى الّذي ذكرناه أوّلًا، وهو المرويّ عن ابن عبّاسٍ في رواية عليّ بن أبي طلحة أظهر، ويفسّر ببقيّة الآيات التي في معناها، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، فمن سبق في علم الله أنه ليس بمهتدي فلا تنفع فيه النذارة وإنما على الرسل البلاغ، الرسل يبلغون والله الذي يعلم أحوال الناس سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد سبق في علمه من يؤمن ومن لا يؤمن ومن يهتدي ومن لا يهتدي، فلا يضرن الرسل كفر من كفر وهكذا الدعاة بعدهم إلى الله، لا يحزنهم ذلك، إنما على الرسل والمبلغين بعدهم وعلى إثرهم، إنما عليهم البلاغ والدعوة والتوجيه، ومن سبق في علم الله أنه لا يهتدي فلا حيلة فيه وليس معروفًا لهم، الله الذي يعلم الغيب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إنما على الرسل وعلى أتباعهم البلاغ والبيان والدعوة، وبعد ذلك، لا يحزن المؤمن من ضل بعد ذلك: ﴿وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]، ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

فالبلاغ واجب ومتحتم، وأما كونه يهتدي عليك أو يقبل منك أو ما يقبل، فهذا ليس إليك، إنما هو إلى الله، فلهذا، وجَّه الله نبيَّه لهذا حتى لا يحزن، حتى يطمئن قلبه، فليس الأمر إليه، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾، وهكذا الدعاة إلى الله في أي مكان، لا يحزنون إذا لم يسمع الناس منهم، ولا تذهب أنفسهم عليهم حسرات، فالأمر ليس إليهم، إنما الأمر إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إنما عليك البلاغ فقط والتوجيه والإرشاد والتنبيه والنصيحة، أما كونه يقبله منك ويهتدي وينتفع فهذا ليس إليك؛ إلى الله، ومن سبق في علم الله أنه لا يهتدي فلست بهادٍ له: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦، ٧]، وهذا مما يجعل

الداعية إلى الله يطمئن ويرتاح ضميره؛ يبلِّغ ويجتهد ويزيل الشبهة ويقيم الحجة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مشهور بالرواية لكنه منقطع لم يسمع منه ولم يلقه.. وكأنه جمعها عن أصحاب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا فقال: حدّثنا أبي، حدّثنا يحيى بن عثمان بن صالحٍ المصريّ، حدّثنا ابن لهيعة، حدّثني عبد الله بن المغيرة، عن أبي الهيثم، عن عبد الله بن عمرو قال: قيل: يا رسول الله، إنّا نقرأ من القرآن فنرجو ونقرأ فنكاد أن نيأس، فقال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ**»، ثمّ قال: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ **هَؤُلَاءِ أَهْلُ النَّارِ**»، قالوا: لسنا منهم يا رسول الله، قال: «**أجل**».

وقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ محلّه من الإعراب أنّه جملةٌ مؤكدةٌ للّتي قبلها ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾؛ أي: هم كفّارٌ في كلا الحالين، فلهذا، أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ ويحتمل أن يكون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ خبرًا؛ لأنّ تقديره إنّ الّذين كفروا لا يؤمنون، ويكون قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾ جملةٌ معترضة، والله أعلم.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ **[البقرة: ٧]**[(١)].

قال السّدّيّ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: طبع الله، وقال قتادة في هذه

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الآية: استحوذ عليهم الشّيطان إذ أطاعوه، فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، وعلى أبصارهم غشاوةٌ، فهم لا يبصرون هدًى ولا يسمعون ولا يفقهون ولا يعقلون.

وقال ابن جريج: قال مجاهدٌ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾؛ قال: الطبع، ثبتت الذنوب على القلب فحفَّت به من كلّ نواحيه حتّى تلتقي عليه، فالتقاؤها عليه الطّبع، والطّبع: الختم. قال ابن جريجٍ: الختم على القلب والسّمع.

قال ابن جريجٍ: وحدّثني عبد الله بن كثيرٍ أنّه سمع مجاهدًا يقول: الرّان أيسر من الطّبع، والطبع أيسر من الإقفال، والإقفال أشد ذلك كلّه[١].

وقال الأعمش: أرانا مجاهدٌ بيده فقال: كانوا يرون أنّ القلب في مثل هذه؛ يعني: الكفّ، فإذا أذنب العبد ذنبًا ضمّ منه ـ وقال بأصبعه الخنصر هكذا ـ، فإذا أذنب ضمّ ـ وقال بأصبعٍ أخرى ـ فإذا أذنب ضم ـ وقال بإصبع أخرى هكذا ـ، حتّى ضمّ أصابعه كلّها ثمّ قال: يطبع عليه بطابعٍ.

وقال مجاهدٌ: كانوا يرون أنّ ذلك الرّين. ورواه ابن جريرٍ عن أبي كريبٍ، عن وكيعٍ، عن الأعمش، عن مجاهدٍ بنحوه، قال ابن جريرٍ: وقال بعضهم: إنّما معنى قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ إخبارٌ من الله عن تكبّرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحقّ، كما يقال: إنّ فلانًا (لأصم) عن هذا الكلام، إذا امتنع من سماعه ورفع نفسه عن تفهّمه تكبّرًا.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠٣).

قال: وهذا لا يصح؛ لأن الله تعالى قد أخبر أنّه هو الّذي ختم على قلوبهم وأسماعهم.

(قلت): وقد أطنب الزّمخشريّ[(١)] في تقرير ما ردّه ابن جريرٍ هاهنا، وتأوّل الآية من خمسة أوجهٍ وكلّها ضعيفةٌ جدًّا، وما جرّأه على ذلك إلّا اعتزاله؛ لأنّ الختم على قلوبهم ومنعها من وصول الحقّ إليها قبيح عنده يتعالى الله عنه في اعتقاده، ولو فهم قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصّفّ: ٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وما أشبه ذلك من الآيات الدّالّة على أنّه تعالى إنّما ختم على قلوبهم وحال بينهم وبين الهدى جزاءً وفاقًا على تماديهم في الباطل وتركهم الحقّ، وهذا عدلٌ منه تعالى حسنٌ وليس بقبيحٍ، فلو أحاط علمًا بهذا لما قال ما قال، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أنهم بسبب إعراضهم عن الحق وتكبرهم وتماديهم في الباطل ختم على قلوبهم، فالختم والطبع نتيجة لما حصل منهم من البلاء والفساد والإعراض والغفلة والتكبر عن الحق؛ ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، كسبهم الخبيثة وأعمالهم الخبيثة جرَّت الران والختم والطبع، نسأل الله العافية. ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]؛ فإعراضهم عن الهدى واستكبارهم عن الحق وتماديهم في الباطل أوجب هذا الران وهذا الطبع وهذا الختم وهذا الزيغ، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال القرطبيّ[(٢)]: وأجمعت الأمّة على أنّ الله عَزَّ وَجَلَّ قد وصف نفسه

---

(١) في الكشاف (١/ ٢١).

(٢) في تفسيره (١/ ١٨٧).

بالختم والطّبع على قلوب الكافرين، مجازاةً لكفرهم، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وذكر حديث تقليب القلوب[١]: «**يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ**»[٢]، وذكر حديث حذيفة الّذي في الصّحيح عن رسول الله ﷺ، قال: «**تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**». الحديث[٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، فما أصابهم بسبب أعمالهم، نسأل الله السلامة. فالختم والطبع والران كلها جاءت بأسباب الكسب والعمل الخبيث، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

قال ابن جرير: والحقّ عندي في ذلك ما صحّ بنظيره الخبر عن رسول الله ﷺ، وهو ما حدّثنا به محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا صفوان بن عيسى، حدّثنا ابن عجلان، عن القعقاع، عن أبي صالحٍ، عن أبي

---

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب في القدر برقم (٨٨)، ولفظه: «**مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ تُقَلِّبُهَا الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ**» وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢٢٨).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى في كتاب النعوت، باب قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ (٤/ ٤١٤) برقم (٧٧٣٩)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (١٩٩)، وأحمد (٤/ ١٨٢)، وابن أبي عاصم في السُّنَّة (٢١٩ - ٢٣٠)، وابن حبان (١٤١٩)، والحاكم (٢/ ٢٨٩ و٤/ ٣٢١).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين برقم (١٤٤).

هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ مِنْهَا قَلْبُهُ، فَإِنْ عَادَ رَانَتْ حَتَّى يُغْلَقَ بِهَا قَلْبُهُ، فَذَاكَ الران الذي قَالَ اللهُ تَعَالَى:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[(١)].

وهذا الحديث من هذا الوجه قد رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة عن الليث بن سعدٍ، وابن ماجه عن هشام بن عمّارٍ، عن حاتم بن إسماعيل، والوليد بن مسلمٍ، ثلاثتهم عن محمّد بن عجلان، به ثلاثتهم؛ يعني: الليث بن سعد، وحاتم، والوليد.

وقال التّرمذيّ: حسنٌ صحيحٌ.

ثمّ قال ابن جريرٍ: فأخبر رسول الله ﷺ أنّ الذّنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها وإذا أغلقتها أتاها حينئذٍ الختم من قبل الله تعالى والطّبع فلا يكون للإيمان إليها مسلكٌ، ولا للكفر عنها مخلّصٌ، فذلك هو الختم والطّبع الّذي ذكر في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ نظير الختم والطبع على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظّروف الّتي لا يوصل إلى ما فيها إلّا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنّه ختم على قلوبهم وعلى سمعهم إلا بعد فض خاتمه وحل رباطه عنها.

واعلم أنّ الوقف التّامّ على قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ جملةٌ تامّةٌ، فإنّ الطّبع يكون على القلب وعلى السّمع، والغشاوة وهي الغطاء تكون على البصر، كما قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة ويل للمطففين برقم (٣٣٣٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب برقم (٤٢٤٤)، والإمام أحمد (٢/ ٢٩٧).

الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾؛ يقول: فلا يعقلون ولا يسمعون، يقول: وجعل على أبصارهم غشاوةً؛ يقول: على أعينهم فلا يبصرون.

وقال ابن جريرٍ: حدّثني محمّد بن سعدٍ، حدّثنا أبي، حدّثني عمّي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاسٍ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾، والغشاوة على أبصارهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله ﷻ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، ثم قال بعدها: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧].

فهذا يقتضي هذه النكت التي تصيب القلوب حتى يسوَدَّ القلب ويظلم القلب ويكون الران والختم، وهذا يدل على أن العبد قد يكون مؤمنًا، قد يكون مسلمًا، ثم تتابع عليه الذنوب والشرور حتى يخرج عن الإسلام ويصير من أصحاب الجحيم، ويكون من الذين لا يرون الله يوم القيامة؛ بل يحجبون، والحجب إنما هو للكفار، فدل على أن هذا الران قد يصل بأهله إلى الكفر بالله، فيكون كسبه مانعًا له من رؤية الله يوم القيامة وموجبًا لدخول النار والخلود فيها يوم القيامة، نسأل الله العافية.

الران هو رانان؛ ران لا يصل بصاحبه إلى الكفر، ولكنه عقوبة متتابعة، ثم قد يتوب فيجلو الله ذلك، وقد يأتي بأعمال صالحة تخفف ذلك، وقد يعظم الران ويشتد الران حتى تقع منه الكوارث الكثيرة التي تخرجه من دائرة الإسلام ويحصل له من ذلك الردة فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾، ثم قال بعدها: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٥ ـ ١٧]؛ يعني: يصل به الحال في ردته إلى التكذيب، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: وحدثنا القاسم، حدّثنا الحسين؛ يعني: ابن داود وهو سنيد، حدثني حجاج، وهو ابن محمّدٍ الأعور، حدّثني ابن جريجٍ، قال: الختم على القلب والسّمع، والغشاوة على البصر؛ قال الله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقال: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الْجَاثِيَةِ: ٢٣]. قال ابن جريرٍ: ومن نصب غشاوةً من قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ يحتمل أنّه نصبها بإضمار فعلٍ تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوةً، ويحتمل أن يكون نصبها على الإتباع على محلّ ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾؛ كقوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٞ﴾ [سورة الواقعة: ٢٢]، وقول الشاعر:

علفتها تبنًا وماءً باردًا حتّى شتت همّالةً عيناها

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: على الإتباع؛ يعني: الماء البارد ما يقال: علفتها إياه؛ يعني: سقيتها، لكن أتبع الماء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الآخر:

ورأيت زوجك في الوغى متقلّدًا سيفًا ورمحًا

تقديره: وسقيتها ماءً باردًا، ومعتقلًا رمحًا.

لمّا تقدّم وصف المؤمنين في صدر السّورة بأربع آياتٍ ثمّ عرّف حال الكافرين بهاتين الآيتين، شرع تعالى في بيان حال المنافقين الّذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، ولمّا كان أمرهم يشتبه على كثيرٍ من النّاس أطنب في ذكرهم بصفاتٍ متعدّدةٍ كلٌّ منها نفاقٌ، كما أنزل سورة براءةٌ فيهم، وسورة المنافقين فيهم، وذكرهم في سورة النّور وغيرها من السّور تعريفًا لأحوالهم لتُجتنب ويُجتنب من تلبّس بها أيضًا.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٨، ٩][١].

النّفاق هو إظهار الخير وإسرار الشّرّ، وهو أنواعٌ: اعتقاديٌّ، وهو الّذي يخلد صاحبه في النّار. وعمليٌّ، وهو من أكبر الذّنوب كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى.

وهذا كما قال ابن جريجٍ: المنافق يخالف قوله فعله، وسرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه.

وإنّما نزلت صفات المنافقين في السّور المدنيّة؛ لأنّ مكّة لم يكن فيها نفاقٌ، بل كان خلافه، من النّاس من كان يظهر الكفر مستكرهًا وهو في الباطن مؤمنٌ. فلمّا هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج وكانوا في جاهليّتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع حلفاء الخزرج، بنو النّضير وبنو قريظة حلفاء الأوس، فلمّا قدم رسول الله ﷺ المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلّ من أسلم من اليهود إلّا عبد الله بن سلام رضي الله عنه ولم يكن إذ ذاك نفاقٌ أيضًا؛ لأنّه لم يكن للمسلمين بعد شوكةٌ تخاف؛ بل قد كان عليه الصّلاة والسّلام وادَعَ اليهود وقبائل كثيرةً من أحياء العرب حوالي المدينة، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله كلمته وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبيّ بن سلول وكان رأسًا في المدينة وهو من الخزرج وكان سيّد الطّائفتين في الجاهليّة، وكانوا قد عزموا على أن يملّكوه عليهم فجاءهم الخير

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وأسلموا واشتغلوا عنه فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلمّا كانت وقعة بدر قال: هذا أمر الله قد توجّه. فأظهر الدّخول في الإسلام ودخل معه طوائف ممّن هو على طريقته ونحلته وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثمّ وجد النّفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب. فأمّا المهاجرون فلم يكن فيهم أحدٌ نافق؛ لأنّه لم يكن أحدٌ يهاجر مكرهًا؛ بل يهاجر فيترك ماله وولده وأرضه رغبةً فيما عند الله وفي الدّار الآخرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما ذلك إلا لأن شرهم عظيم وأمرهم ملتبس، فليس كل واحد يعرف المنافقين؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام في مواضع وإذا خلوا إلى شياطينهم وأصحابهم أظهروا لهم ما عندهم من الباطل، وهم في الباطن مع الكفرة المكذبين وفي الظاهر مع المسلمين المصدقين، فهم مع المسلمين يتظاهرون بالخير والذكر والطاعة لله والتعظيم لله وللرسول، فيظنهم المسلمون معهم وأنهم إخوة لهم، وهم أعداؤهم وخصومهم، فلهذا، شرهم عظيم وبلاؤهم كبير، فالله جَلَّ وَعَلَا أكثر في صفاتهم ليعلمهم المؤمن وليحذر شرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾؛ يعني: المنافقين من الأوس والخزرج ومن كان على أمرهم.

وكذا فسرها بالمنافقين من الأوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسّدّيّ، ولهذا، نبّه الله سبحانه على صفات المنافقين لئلّا يغترّ بظاهر أمرهم المؤمنون فيقع بذلك فسادٌ عريضٌ من عدم الاحتراز منهم ومن اعتقاد إيمانهم وهم كفّارٌ في نفس الأمر، وهذا من المحذورات الكبار أن يظنّ بأهل الفجور خيرٌ؛ فقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾؛ أي: يقولون ذلك قولًا ليس وراءه شيءٌ آخر، كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]؛ أي: إنّما يقولون ذلك إذا جاءوك فقط لا في نفس الأمر، ولهذا، يؤكّدون في الشّهادة بإن ولام التّأكيد في خبرها. كما أكدوا أمرهم قالوا: ﴿بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، وليس الأمر كذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: في مكة، ضد النفاق في مكة؛ لأنهم مضطهدون، كان بعض المسلمين يظهر الكفر وهو مع المؤمنين؛ لأنه لو أظهر الإسلام لأوذي أو قتل، فليس هناك في مكة إلا إيمان ظاهر أو كفر ظاهر أو كفر مُكره عليك، أما في المدينة فبالعكس، إيمان ظاهر وكفر ظاهر ونفاق، وهو إظهار الإسلام وفي الباطن الكفر، نسأل الله العافية.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأنهم متهمون ولأنهم يريدون دفع التهمة عن أنفسهم يؤكدون، قالوا: نشهد إنك لرسول الله، الله أكد تكذيبهم، ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، مثلما أكدوا أكد تكذيبهم، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما أكذبهم الله في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنّسبة إلى اعتقادهم بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، وبقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ أي: بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنّهم يخدعون الله بذلك، وأنّ ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما قد يروج على بعض المؤمنين، كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨] ولهذا،

قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾؛ يقول: وما يغرّون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلّا أنفسهم وما يشعرون بذلك من أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النّساء: ١٤٢]، ومن القرّاء من قرأ: (وما يخادعون إلّا أنفسهم)، وكلا القراءتين ترجع إلى معنًى واحد.

قال ابن جريرٍ(١): فإن قال قائلٌ: كيف يكون المنافق لله وللمؤمنين مخادعًا وهو لا يُظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقدٌ إلّا تقية؟ قيل: لا تمتنع العرب من أن تسمّي من أعطى بلسانه غير الّذي هو في ضميره تقيّةً لينجو ممّا هو له خائفٌ مخادعًا، فكذلك المنافق سمّي مخادعًا لله وللمؤمنين بإظهاره ما أظهر بلسانه تقيّةً ممّا تخلّص به من القتل والسبي والعذاب العاجل، وهو لغير ما أظهره مستبطنٌ، وذلك من فعله، وإن كان خداعًا للمؤمنين في عاجل الدّنيا فهو لنفسه بذلك من فعله خادعٌ؛ لأنّه يظهر لها بفعله ذلك بها أنّه يعطيها أمنيّتها ويسقيها كأس سرورها، وهو مُوردها به حياض عطبها، ومُجرِّعها به كأس عذابها، ومُزيرها من غضب الله وأليم عقابه ما لا قبل لها به، فذلك خديعته نفسه ظنًّا منه مع إساءته إليها في أمر معادها أنّه إليها محسنٌ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾؛ إعلامًا منه عباده المؤمنين أنّ المنافقين بإساءتهم إلى أنفسهم في إسخاطهم عليها ربّهم بكفرهم وشكهم وتكذيبهم غير شاعرين ولا دارين، ولكنّهم على عمياء من أمرهم مقيمون.

وقال ابن أبي حاتمٍ: أنبأنا عليّ بن المبارك فيما كتب إليّ، حدّثنا زيد بن المبارك، حدّثنا محمّد بن ثورٍ، عن ابن جريجٍ في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾؛ قال: يُظهِرون (لا إله إلّا الله) يريدون أن يحرزوا بذلك دماءهم وأموالهم، وفي أنفسهم غير ذلك. وقال سعيدٌ عن قتادة: ﴿وَمِنَ

---

(١) في تفسيره (١/ ٢٧٣).

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ نعت المنافق عند كثيرٍ: خنع الأخلاق، يصدِّق بلسانه وينكر بقلبه ويخالف بعمله، ويصبح على حالٍ ويمسي على غيره، ويمسي على حالٍ ويصبح على غيره، ويتكفّأ تكفّؤ السّفينة كلما هبت ريح هبت معها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا كله يبين لنا أن من أظهر خلاف ما يبطن يسمى مخادعًا، وهو بهذا مخادع لنفسه وللمؤمنين ومخادع لله بإظهاره خلاف ما شرع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال: ﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾؛ فمن أظهر خلاف ما أبطن فهو مخادع مع الله ومع عباده، وهكذا المنافق وكذا الخائن يظهر أنه ناصح وأنه مؤدي الواجب وهو على غير ذلك، ولهذا، صار المنافق أقبح من الكافر المعلن، فإن المعلن أتى أمرًا واضحًا، أما هؤلاء فلبسوا وغيروا وأظهروا للناس خلاف الحقيقة، فحصل بهم من الضرر والفساد ما لم يحصل من الكافر المعلن، ولهذا، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، نسأل الله العافية، فهم مع المسلمين في الظاهر يقول لا إله إلا الله، ويصلُّون ويصومون معهم ونحو ذلك، ولكنهم في الباطن مكذبون مستهزئون عندهم من الشك والريب ما منعهم من التصديق. نسأل الله العافية.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ولهذا، قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٣]؛ فالمذبذب ما له ثبات. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]؛ فهم ليس لهم قدم ثابتة؛

بل مع المؤمنين تارة ومع الكفار تارة، مثلما قال هنا: يمسي على حال ويصبح على حال، المعنى أنه متردد ليس له قدم ثابتة ولا يقين ثابت ولا إيمان صادق، فالواجب على المؤمن أن يحذر هذه الصفات وأن يكون بعيدًا عنها؛ لأنه قد يجره تعاطيها إلى أن يكون مثلهم وإلى أن يسلك في نظامهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فلذلك، يجب أن تكون المعاملات سليمة بعيدة عن الخداع والخيانة، ويكون مع المسابقين إلى الصلاة والمسارعين إليها والمحافظين عليها، يقوم لها بنشاط وهمة عالية ورغبة صادقة، لا يقوم وهو كسلان متثاقل فيشبه أعداء الله المنافقين؛ بل يجب أن يكون في غاية من النشاط والهمة العالية والرغبة الصادقة فيما عند الله ﷻ. فلهذا، تجده مع المسابقين ومع المسارعين إليها.

ثم من صفاتهم أيضًا قلة ذكر الله أهل غفلة، فينبغي للمؤمن أن يخالفهم في هذا أيضًا وأن يكون كثير الذكر لله في جلوسه وقيامه وسيره وسائر أحواله، يذكر الله بقلبه ولسانه ليس بغافل، سبحان الله والحمد لله ولا إلٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير إلى غير ذلك، المقصود أنه يخالفهم في هذا فلا يغفل.

ثم أيضًا من صفاتهم الرياء، فليحذر ذلك، يراؤون الناس، فليحذر صفاتهم، فإذا صلى صلى إخلاصًا، وإذا ذكر الله ذكره مخلصًا، وإذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر فعله مخلصًا لا لأجل الناس.

وهكذا في أحواله كلها، قلبه معمور بالإخلاص لله في كل تصرفاته، لا يتعاطى ما يتعاطى من الخير من أجل الناس ليمدحوه أو يذكروه أو يعطوه شيئًا؛ بل المقصود بأعماله كلها الرغبة بما عند الله.

وفيهم صفة خامسة: أنهم مذبذبون، في آية النساء: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣]، فأنت يا عبد الله احذر أن تكون مذبذبًا، تارة مع الفساق وتارة مع المؤمنين، وتارة مع الكافرين وتارة مع المسلمين، احذر، اثبت على الإيمان والحق، ووالِ في الله وعادِ في الله، وأحب في الله وأبغض في الله، وكن ثابتًا على الهدى، على سبيل الحق، مع أهل الحق، في الشدة والرخاء والسير والعمل، خلافًا لأهل النفاق الذين هم مذبذبون ليس لهم حالة ثابتة بسبب تكذيبهم وشكهم وريبهم، نسأل الله العافية. . . . . .

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال السّدّيّ عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مُرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، قال: شكٌّ، ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾، قال: شكًّا.

وقال ابن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ قال: شكًّا، وكذلك قال مجاهدٌ وعكرمة والحسن البصريّ وأبو العالية والرّبيع بن أنسٍ وقتادة.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعن عكرمة وطاوسٍ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ يعني: الرّياء.

وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ قال: نفاقٌ، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾؛ قال: نفاقًا؛ وهذا كالأوّل.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ قال: هذا مرضٌ في الدّين وليس مرضًا في الأجساد، وهم المنافقون، والمرض: الشّكّ الّذي دخلهم في الإسلام، ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾؛ قال: زادهم رجسًا، وقرأ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، قال: شرًّا إلى شرّهم، وضلالةً إلى ضلالتهم.

وهذا الّذي قاله عبد الرّحمٰن رَحِمَهُ اللَّهُ حسنٌ، وهو الجزاء من جنس العمل، وكذلك قاله الأوّلون، وهو نظير قوله تعالى أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمّد: ١٧]، وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾، وقرئ: يكذّبون، وقد كانوا متّصفين بهذا وهذا، فإنهم كانوا كذبة ويكذّبون بالغيب، يجمعون بين هذا وهذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا وصفهم التكذيب والكذب، فهم يكذبون بالحق وينكرونه ويكذبون على الناس في دعواهم الإسلام وقولهم: إنهم مسلمون وإنهم مصدقون، هو كذب كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، ومرض التكذيب والشك أعظم المرض، مرض البدن سهل، مرض البدن يعطى عليه أجرًا ويثاب عليه ويحط به الخطايا؛ لكن مرض الشك يسبب الولوج في النار، نعوذ بالله من غضب الجبار، وكلما زاد شكه زاد مرضه، كلما كذب بآية أو شك في آية أو في حديث زاد مرضه: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾، بما يوحي إلى نبيه من الآيات والأحاديث والأحكام، كلما جاء شيء زاد مرضه، نسأل الله

العافية، بخلاف المؤمنين، فإنه يزداد إيمانهم ويزداد هداهم، فهؤلاء، ضد هؤلاء نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد سئل القرطبيّ وغيره من المفسّرين عن حكمة كفّه عليه الصلاة والسلام عن قتل المنافقين مع علمه بأعيان بعضهم، وذكروا أجوبةً عن ذلك، منها ما ثبت في الصّحيحين أنّه ﷺ قال لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **«دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»**(١).

ومعنى هذا: خشية أن يقع بسبب ذلك تغيّرٌ لكثيرٍ من الأعراب عن الدّخول في الإسلام، ولا يعلمون حكمة قتله لهم، وأنّ قتله إيّاهم إنّما هو على الكفر، فإنهم إنما يأخذونه بمجرّد ما يظهر لهم، فيقولون: إنّ محمّدًا يقتل أصحابه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وذلك لأن قتلهم ليس بشيء ظاهر حتى يعذر فيه عليه الصلاة والسلام، ليس بشيء ظاهر ولا تكذيب ظاهر حتى تزول هذه التهمة، لكنه شيء علم منهم في الباطن، والله أطلعه على ذلك، فلو قتلهم لقال أولئك الذين ليس عندهم إيمان أو ليس عندهم بصيرة: محمد يقتل أصحابه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا كف عن عبد الله بن أبي بن سلول وأشباهه.

قال القرطبيّ: وهذا قول علمائنا وغيرهم، كما كان يعطي المؤلّفة قلوبهم مع علمه بسوء اعتقادهم.

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، بـــاب ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٦] برقم (٤٩٠٥)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا برقم (٢٥٨٤).

قال ابن عطيّة: وهي طريقة أصحاب مالك، نصَّ على هذا محمد بن الجهم والقاضي إسماعيل والأبهري وعن ابن الماجشون.

ومنها ما قال مالك: إنّما كفّ رسول الله ﷺ عن المنافقين ليبيّن لأمّته أنّ الحاكم لا يحكم بعلمه. قال القرطبيّ: وقد اتّفق العلماء عن بكرة أبيهم على أنّ القاضي لا يقتل بعلمه، وإن اختلفوا في سائر الأحكام، قال: ومنها ما قال الشّافعيّ إنّما منع رسول الله ﷺ من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم؛ لأنّ ما يظهرونه يجبّ ما قبله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ليس هذا بجيد، ولا أظنه يصح عن الشافعي؛ لأن إظهارهم حقًّا يكذبونه ما يكفي ولا ينفع! إنما يكون إظهارهم مكفرًا إذا كان عن عقيدة وعن صدق وعن ندم، أما إذا أظهر التوبة أو أظهر الاستغفار أو أظهر العمل الصالح وهو مقيم على المعصية فما ينفعه ذلك؛ لأن الله قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾، فمن أصر فلم يتب لا يكون ما أظهره مكفرًا. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويؤيّد هذا قوله عليه الصّلاة والسّلام في الحديث المجمع على صحّته في الصّحيحين وغيرهما: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ، عَلَى اللهِ**»[(١)].

ومعنى هذا أنّ من قالها جرت عليه أحكام الإسلام ظاهرًا، فإن كان يعتقدها وجد ثواب ذلك في الدّار الآخرة، وإن لم يعتقدها لم ينفعه

---

(١) متفق عليه، حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة برقم (١٣٩٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس... الخ برقم (٢٠).

جريان الحكم عليه في الدّنيا وكونه كان خليط أهل الإيمان: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٤]. فهم يخالطونهم في بعض المحشر فإذا حقّت المحقوقيّة تميّزوا منهم وتخلّفوا بعدهم ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤] ولم يمكنهم أن يسجدوا معهم، كما نطقت بذلك الأحاديث.

ومنها ما قاله بعضهم أنّه إنّما لم يقتلهم لأنه كان لا يخاف من شرهم مع وجوده ﷺ بين أظهرهم يتلو عليهم آيات مبيّناتٍ، فأمّا بعده فيقتلون إذا أظهروا النّفاق وعلمه المسلمون، قال مالكٌ: المنافق في عهد رسول الله ﷺ هو الزّنديق اليوم.

(قلت): وقد اختلف العلماء في قتل الزّنديق إذا أظهر الكفر هل يستتاب أم لا، أو يفرّق بين أن يكون داعيةً أم لا، أو يتكرّر منه ارتداده أم لا، أو يكون إسلامه ورجوعه من تلقاء نفسه أو بعد أن ظهر عليه؟ على أقوال متعددة موضع بسطها وتقريرها وعزوها كتاب الأحكام. . . . .

[تنبيهٌ]: قول من قال: كان عليه الصّلاة والسّلام يعلم أعيان بعض المنافقين، إنّما مستنده حديث حذيفة بن اليمان في تسمية أولئك الأربعة عشر منافقًا في غزوة تبوك الّذين همّوا أن يفتكوا برسول الله ﷺ في ظلماء اللّيل عند عقبةٍ هناك، عزموا على أن ينفروا به النّاقة ليسقط عنها، فأوحى الله إليه أمرهم، فأطلع على ذلك حذيفة، ولعلّ الكفّ عن قتلهم كان لمدرك من هذه المدارك أو لغيرها، والله أعلم.

فأمّا غير هؤلاء، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۝٦٠ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١]، ففيها دليل على أنه

لم يُغرِ بهم ولم يدرك على أعيانهم، وإنما كان تذكر له صفاتهم فيتوسّمها في بعضهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠]. وقد كان من أشهرهم بالنّفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الّذي سبق في صفات المنافقين، ومع هذا، لمّا مات صلّى عليه النبي ﷺ وشهد دفنه كما يفعل ببقيّة المسلمين، وقد عاتبه عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فيه فقال: «**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[(١)]. وفي روايةٍ في الصّحيح: «**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ فَغُفِرَ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**»[(٢)]، وفي رواية: «**لو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت**».

الطالب: في الحاشية: ولعله قد سقط شيء من الأصل فانصرف الباقي، فحديث: «**إني أكره**» إلى آخره ليس هذا محله، وحديث: «**إني خيِّرت**» ليس رواية من ولا يفهم المراد منه، ومما بعده من عبارته، ونص الحديث في الجنائز من «صحيح البخاري» عن ابن عباس عن عمر رضي الله عنه أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي سلول، دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله ﷺ وثبتُ إليه فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أُبي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا أعدِّد عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أخِّر عني يا عمر، إني خيِّرت فاخترت، ولو أعلم أني لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها**»، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان

---

(١) سبق تخريجه (٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين والاستغفار للمشركين برقم (١٣٦٦).

من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، ويوضحه حديث ابن عمر في كتاب التفسير منه وفيه أن عمر فقال: يا رسول الله، تصلّي عليه وقد نهاك ربّك أن تصلّي عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]. . . . . .»[1] إلى آخره.

أقول: وروي بسبب ذلك أن ابن أُبيّ كان أرسل إلى النبي ﷺ، فلما دخل عليه قال له: «**أهلكك حبُّ يهود**»، فقال: يا رسول الله، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي لا توبخني، ثم دعاه أن يدعيه قميصه ويكفنه فيه فأجابه، ومن هنا، سن ﷺ أنه تاب ومات مؤمنًا، وكان طلب ابنه بعد موته قميص النبي ﷺ تنفيذًا لطلبه.

❋

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ **[البقرة: ١١ ـ ١٢]**[2].

قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الطّيّب الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾؛ قال: هم المنافقون.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قَوْلِهِ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ برقم (٤٦٧٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه برقم (٢٤٠٠).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أمّا ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ قال: الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية.

وقال أبو جعفرٍ عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ قال: يعني: لا تعصوا في الأرض وكان فسادهم ذلك معصية الله؛ لأنّه من عصى الله في الأرض، أو أمر بمعصيته فقد أفسد في الأرض؛ لأنّ صلاح الأرض والسّماء بالطّاعة. وهكذا قال الرّبيع بن أنسٍ وقتادة.

وقال ابن جريجٍ عن مجاهدٍ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾؛ قال: إذا ركبوا معصية الله فقيل لهم: لا تفعلوا كذا وكذا، قالوا: إنّما نحن على الهدى مصلحون.

وقال وكيع وعيسى بن يونس وعثمان بن عليٍّ، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرٍو، عن عبَّاد بن عبد الله الأسدي عن سلمان الفارسيّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١﴾، قال سلمان: لم يجئ أهل هذه الآية بعد...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا فيه نكارة عن سلمان؛ لأن الآية واضحة في أهل النفاق، وهم موجودون، وفي الطريق هذا الأعمش عن المنهال، والأعمش مدلس ولم يصرح بالسماع من المنهال، أما عباد بن عبد الله الأسدي ما نعرف حاله!...

الطالب: عباد بن عبد الله الأسدي الكوفي ضعيف من الثالثة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذه علَّتان: تدليس الأعمش، وعباد هذا ضعيف.

الطالب: تعليق الشيخ مقبل، يقول: قول سليمان في السند الأول: عباد بن عبد الله الأسدي، قال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: قال البخاري عنه: المنهال بن عمرو، وفيه نظر، ثم ذكر له الحافظ الذهبي حديثًا في فضل علي، وقال: ... وقلت: هذا كذب على عليّ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ، حدّثني أحمد بن عثمان بن حكيمٍ، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن شريكٍ، حدّثني أبي، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، وغيره، عن سلمان الفارسي في هذه الآية، قال: ما جاء هؤلاء بعد؟

قال ابن جرير: يحتمل أن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد بهذا أنّ الّذين يأتون بهذه الصّفة أعظم فسادًا من الّذين كانوا في زمن النّبيّ ﷺ، لا أنّه عنى أنّه لم يمض ممّن تلك صفته أحدٌ.

قال ابن جريرٍ: فأهل النّفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم فيها ربّهم وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكّهم في دينه الّذي لا يقبل من أحدٍ عملٌ إلّا بالتّصديق به والإيقان بحقيقته، وكذبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشّكّ والرّيب، ومظاهرتهم أهل التّكذيب بالله وكتبه ورسله على أولياء الله إذا وجدوا إلى ذلك سبيلًا، فذلك إفساد المنافقين في الأرض، وهم يحسبون أنّهم بفعلهم ذلك مصلحون فيها. وهذا الّذي قاله حسنٌ، فإنّ من الفساد في الأرض اتّخاذ المؤمنين الكافرين أولياء...

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فقطع الله الموالاة بين المؤمنين والكافرين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ [النّساء: ١٤٤، ١٤٥]؛ فالمنافق لمّا كان ظاهره الإيمان، اشتبه أمره على المؤمنين، فكأنّ الفساد من جهة المنافق حاصلٌ؛ لأنّه هو الّذي غرّ المؤمنين، بقوله

الّذي لا حقيقة له، ووالى الكافرين على المؤمنين، ولو أنه استمر على حاله الأول لكان شرّه أخفّ، ولو أخلص العمل لله وتطابق قوله وعمله لأفلح ونجح، ولهذا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾؛ أي: نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصطلح مع هؤلاء وهؤلاء، كما قال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١﴾؛ أي: إنّما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب. يقول الله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾؛ يقول: ألا إنّ هذا الّذي يعتمدونه ويزعمون أنّه إصلاحٌ هو عين الفساد، ولكن من جهلهم لا يشعرون بكونه فسادًا. . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال عن عباد بن عبد الله الأسدي؟

الطالب: يقول: قال الحافظ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: عباد بن عبد الله الأسدي: قال البخاري عنه: المنهال بن عمرو فيه نظر، ثم ذكر له الحافظ الذهبي حديثًا في فضل علي. . قلت: هذا كذب على عليّ. انتهى من «الميزان»، وقول البخاري: فيه نظر، من أردأ عبارات التجريح، كما في «فتح المغيث».

عبد الرحمٰن بن شريك، قال أبو حاتم: واهي الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ انتهى من «تهذيب التهذيب»، فالأثر ضعيف لهذين السندين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: غفل عن عنعنة الأعمش.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: وإذا قيل للمنافقين: ﴿ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾؛ أي: كإيمان النّاس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنّة والنّار، وغير ذلك ممّا أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزّواجر، ﴿قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ﴾؛ يعنون ـ لعنهم الله ـ أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، قاله أبو العالية والسّدّيّ في تفسيره بسنده عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ وغير واحدٍ من الصّحابة، وبه يقول الرّبيع بن أنسٍ وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم، وغيرهم يقولون: أنصير نحن وهؤلاء بمنزلةٍ واحدةٍ وعلى طريقةٍ واحدةٍ وهم سفهاء؟

والسّفهاء جمع سفيهٍ، كما أنّ الحكماء جمع حكيمٍ (والحلماء جمع حليمٍ)، والسّفيه هو الجاهل الضّعيف الرّأي القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضارّ، ولهذا، سمّى الله النّساء والصّبيان سفهاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النّساء: ٥]؛ قال عامّة علماء التفسير: هم النّساء والصّبيان.

وقد تولّى الله سبحانه جوابهم في هذه المواطن كلّها، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾؛ فأكّد وحصر السّفاهة فيهم، ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يعني: ومن تمام جهلهم أنّهم لا يعلمون بحالهم في الضّلالة والجهل وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى والبعد عن الهدى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مما يسن للمؤمن الداعي إلى الله على بصيرة، حيث يقول له أعداء الله: إنه سفيه أو إنه أحمق أو إنه ناقص العقل أو ما أشبه ذلك، فإن هؤلاء لهم قدوة بهؤلاء المنافقين والمؤمن له قدوة بأصحاب رسول الله ﷺ، فلا يضيره قول أهل النفاق والكفر بالله في حقه، وأن يستهزؤوا به أو يسخروا به أو يرموه بأنه ضعيف البصيرة أو ضعيف العقل أو جاهل أو ما أشبه ذلك، لا يضره ذلك؛ بل عليه أن يصبر وأن يحتسب وأن يلزم الحق وأن يثبت عليه ولو قال أعداء الله أنه سفيه أو جاهل أو أحمق أو ما أشبه ذلك، فهذا من قبلنا من الأخيار وهم خيرة هذه الأمة وهم أفضل القرون يقول لهم المنافقون أنهم السفهاء، ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾، فهذا فيه الحث العظيم والترغيب في الصبر والثبات على الحق، وألا يزعزعه ما يقوله أعداء الله أو يشككه ما يقوله أعداء الله بما هو عليه من الحق؛ بل لا يبالي بهم ولا يرفع بهم رأسًا، ويحمد الله الذي عافاه مما ابتلاهم به، ومع هذا، يستمر في الدعوة والتوجيه والإرشاد، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ووصف النساء بالسفه والصبيان؛ في الصبيان ظاهر لعدم تمام العقول وعدم نضجها، والنساء يغلب عليهن ذلك؛ غلبة الجهل وقلة العلم، فإذا وجد فيهن من هو مستقيم وبصير جاز أن يؤتى المال وأن يولى المال، وجاز أن يسند إليه بعض الأمور التي تسند للرجال؛ كأن تكون وصية على أولادها أو وصية على فلان أو فلان. فالوصف الذي هو وصف مطلق عام يستثنى منه من زال عنه الوصف وعُرف بالعقل والبصيرة والعلم.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥](١).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى: وإذا لقي هؤلاء المنافقون المؤمنين: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، وأظهروا لهم الإيمان والموالاة والمُصافاة غرورًا منهم للمؤمنين ونفاقًا ومصانعةً وتقيّةً، وليشركوهم فيما أصابوا من خيرٍ ومغنم ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾؛ يعني: إذا انصرفوا وذهبوا وخلصوا إلى شياطينهم، فضمّن ﴿خَلَوْا﴾ معنى انصرفوا لتعديته بإلى ليدلّ على الفعل المضمر والفعل الملفوظ به. ومنهم من قال: «إلى» هنا بمعنى «مع» والأوّل أحسن، وعليه يدور كلام ابن جريرٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ويفسر بمعنى: مضوا؛ ﴿خَلَوْا﴾: مضوا؛ يعني: مضوا إلى شياطينهم، ساروا إليهم وانصرفوا إليهم، مثلما قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]؛ يعني: مضت.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السّدّيّ عن أبي مالكٍ: ﴿خَلَوْا﴾؛ يعني: مضوا، وشياطينهم: سادتهم وكبراؤهم من أحبار اليهود ورؤوس المشركين والمنافقين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: لهم مع المؤمنين كلام؛ ولهم مع رؤسائهم كلام، مع المؤمنين موالاة ومصافاة وإظهار للمودة والمحبة وأنهم منهم حتى يأخذوا ما لديهم من خير ومن مساعدة ويشركوهم في الغنايم، ويرى هذا مما يخافونه ويخشونه ويرجونه، وإذا كانوا مع أعيانهم ومع رؤسائهم ومع أصحابهم أظهروا ما عندهم من الباطل.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولكل قوم وارث، كما كانوا في ذاك الوقت، فهم اليوم أكثر وأشد وأخطر.

قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؛ يعني: هم رؤساؤهم في الكفر. وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ: وإذا خلوا إلى أصحابهم، وهم شياطينهم.

وقال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ من يهود الّذين يأمرونهم بالتّكذيب وخلاف ما جاء به الرّسول ﷺ. وقال مجاهدٌ: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾: إلى أصحابهم من المنافقين والمشركين.

وقال قتادة: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؛ قال: إلى رؤوسهم وقادتهم في الشّرك والشّرّ، وبنحو ذلك فسّره أبو مالكٍ وأبو العالية والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ.

قال ابن جريرٍ: وشياطين كلّ شيءٍ مردته، ويكون الشيطان من الإنس والجنّ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي المسند عن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَيَاطِينِ الإنس والجن**» فقلت: يا رسول الله أوَللإنس شياطين؟ قال: «**نعم**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو ظاهر، شياطين الإنس والجن أمر ظاهر. وشياطين الإنس أغلظ وأخبث وأشر من شياطين الجن، فشياطين الجن قد يسلم الإنسان منهم،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/١٧٨، ١٧٩).

قد يسلم منهم بالاستعاذة بالله من شرهم، وأما شياطين الإنس فقد يحتاج إلى سلاح، ولا يكفيه التعوذ من شرهم؛ بل يحتاج إلى السلاح والمقاتلة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾؛ قال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أي إنّا على مثل ما أنتم عليه، ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾؛ أي: إنّما نحن نستهزئ بالقوم ونلعب بهم.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿قالوا إنما نحن مستهزئون﴾ ساخرون بأصحاب محمّدٍ ﷺ، وكذلك قال الرّبيع بن أنسٍ وقتادة.

وقوله تعالى جوابًا لهم ومقابلةً على صنيعهم: ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾. وقال ابن جرير: أخبر تعالى أنّه فاعلٌ بهم ذلك يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ الآية [الحديد: ١٣]، وقوله تعالى ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لا يمنع من استهزائه بهم في الدنيا، فهو يستهزئ بهم في الدنيا وفي الآخرة ويمدهم في طغيانهم يعمهون، فاستهزاؤه بهم في الدنيا ستره عليهم في بعض الأحيان وعدم إظهار نفاقهم وإملاؤهم وعدم المعاجلة بالعقوبة، هذا من المكر بهم والاستهزاء بهم، كون إملائه لهم ولم يعجل لهم العقوبة حتى يستمروا بما هم عليه من الباطل، وربما ظنوا بهذا أنهم على هدى لما أنظرهم الله وأمهلهم، فهذا نوع من الاستهزاء بهم والمكر بهم، ويوم القيامة كذلك يظهر لهم نورًا ويظنون أنهم ناجون

ثم يسخر منهم ويساقون إلى النار، نسأل الله العافية، فهذا خداع لهم وسخرية بهم كما فعلوا في الدنيا ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾. فهذا الوصف لله في هذا المعنى حق؛ لأنه استهزاء بهم في محله، وفي مقابله، بخلاف الاستهزاء الظالم فإن الله ينزه عنه ﷻ، أما استهزاؤه بهم ومَكره بهم وخداعه لهم كيد لهم كما فعلوا بالحق، فهذا لا نقص فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى ذكره وسخريّته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشّرك به عند قائل هذا القول ومتأوّل هذا التّأويل.

وقال آخرون: بل استهزاؤه بهم توبيخه إيّاهم ولومه لهم على ما ركبوا من معاصيه والكفر به.

قال: وقال آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب؛ كقول الرّجل لمن يخدعه إذا ظفر به: أنا الذي خدعتك، ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه. قالوا: وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ على الجواب، والله لا يكون منه المكر ولا الهزء. والمعنى أنّ المكر والهزء حاق بهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الأول هو الصواب؛ القول الأول هو الصواب، وهو استهزاء الحقيقة، ومكر بهم، وخداع لهم، وكيد لهم بسبب ما فعلوا من الباطل عاملهم بمثل ما يستحقون وبمثل ما فعلوا، نسأل الله العافية. والمكر بالحق والخداع بالحق والكيد بالحق **وصف كمال ولا نقص** فيه، إنما النقص فيما إذا كان المكر بباطل وخداع بباطل، وكيد بباطل، فهذا هو محل النقص، وهو محل التنزيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال آخرون: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ

بِهِمْ... ﴿١٥﴾﴾، وقوله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النّساء: ١٤٢]، وقوله ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التّوبة: ٦٧]، وما أشبه ذلك، إخبارٌ من الله تعالى أنه مجازيهم جزاء الاستهزاء ومعاقبهم عقوبة الخداع، فأخرج خبره عن جزائه إيّاهم وعقابه لهم مخرج خبره عن فعلهم الّذي عليه استحقّوا العقاب في اللّفظ وإن اختلف المعنيان، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشّورى: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ﴾، فالأوّل ظلمٌ والثّاني عدلٌ، فهما وإن اتّفق لفظهما فقد اختلف معناهما. قال: وإلى هذا المعنى وجّهوا كلّ ما في القرآن من نظائر ذلك.

قال: وقال آخرون: إنّ معنى ذلك أنّ الله أخبر عن المنافقين أنّهم إذا خلوا إلى مردتهم قالوا: إنّا معكم على دينكم في تكذيب محمّدٍ ﷺ وما جاء به، وإنما نحن بما نظهر لهم من قولنا لهم مستهزئون، فأخبر تعالى أنّه يستهزئ بهم فيظهر لهم من أحكامه في الدّنيا؛ يعني: من عصمة دمائهم وأموالهم خلاف الّذي لهم عنده في الآخرة؛ يعني: من العذاب والنّكال. ثمّ شرع ابن جريرٍ يوجّه هذا القول وينصره؛ لأنّ المكر والخداع والسّخرية على وجه اللّعب والعبث منتفٍ عن الله ﷻ بالإجماع، وأمّا على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا هو الصواب مثلما تقدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: وبنحو ما قلنا فيه روي الخبر عن ابن عبّاسٍ: حدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا أبو عثمان، حدّثنا بشرٌ، عن أبي روقٍ، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ قال: يسخر بهم للنّقمة منهم. وقوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾؛ قال السّدّيّ، عن

أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة الهمدانيّ، عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: يمدهم يملي لهم. وقال مجاهد: يزيدهم. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦]، وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢، والقلم: ٤٤]؛ قال بعضهم: كلما أحدثوا ذنبًا أحدث لهم نعمة، وهي في الحقيقة نقمة، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥]

قال ابن جرير: والصواب: يزيدهم على وجه الإملاء والتّرك لهم في عتوّهم وتمرُّدهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، والطّغيان: هو المجاوزة في الشّيء، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١].

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾: في كفرهم يتردّدون. وكذا فسّره السّدّيّ بسنده عن الصّحابة، وبه يقول أبو العالية وقتادة والرّبيع بن أنسٍ ومجاهدٌ وأبو مالكٍ وعبد الرّحمٰن بن زيدٍ: في كفرهم وضلالتهم.

قال ابن جريرٍ: والعَمَه: الضّلال. يقال: عمه فلانٌ يعمه عمهًا وعموهًا: إذا ضلّ، قال: وقوله: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾: في ضلالهم وكفرهم الّذي غمرهم دنسه وعلاهم رجسه يتردّدون حيارى ضلّالًا لا يجدون إلى المخرج منه سبيلًا؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم وختم عليها وأعمى أبصارهم عن الهدى وأغشاها، فلا يبصرون رشدًا ولا يهتدون سبيلًا.

وقال بعضهم: العمى في العين والعَمَه في القلب، وقد يستعمل

العمى في القلب أيضًا، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وتقول: عمه الرّجل يعمه عموهًا، فهو عمِهٌ وعامِهٌ؛ وجمعه: عُمَّهٌ، وذهبت إبله العمهاء: إذا لم يدر أين ذهبت.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: ١٦][1].

قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالح، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ قال: أخذوا الضّلالة وتركوا الهدى، وقال ابن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: الكفر بالإيمان، وقال مجاهدٌ: آمنوا ثمّ كفروا.

وقال قتادة: استحبّوا الضّلالة على الهدى، وهذا الّذي قاله قتادة يشبهه في المعنى قوله تعالى في ثمود: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصّلت: ١٧].

وحاصل قول المفسّرين فيما تقدّم: أنّ المنافقين عدلوا عن الهدى إلى الضّلال، واعتاضوا عن الهدى بالضّلالة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾؛ أي: بذلوا الهدى ثمنًا للضّلالة، وسواءٌ في ذلك من كان منهم قد حصل له الإيمان ثمّ رجع عنه إلى الكفر، كما قال تعالى فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: ٣]، أو أنّهم استحبّوا الضّلالة على الهدى، كما يكون حال

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فريقٍ آخر منهم، فإنّهم أنواعٌ وأقسامٌ، ولهذا، قال تعالى: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾؛ أي: ما ربحت صفقتهم في هذه البيعة وما كانوا مهتدين؛ أي: راشدين في صنيعهم ذلك.

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا بشرٌ، حدّثنا يزيد، حدّثنا سعيدٌ، عن قتادة: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾: قد والله رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضّلالة ومن الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف ومن السّنّة إلى البدعة، وهكذا رواه ابن أبي حاتمٍ من حديث يزيد بن زُريعٍ عن سعيدٍ عن قتادة بمثله سواء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أنهم اعتاضوا هذا، أخذوا الضلال عوضًا من الهدى، نسأل الله العافية، سمَّاه شراء لأنه مبادلة، تركوا الهدى وأخذوا الضلالة، نسأل الله العافية، إيثارًا للباطل على الحق؛ لأن القلوب قد عميت، ولهذا، آثرت الباطل على الحق، نسأل الله العافية، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ولهذا، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾؛ أي: دللناهم، الهداية هنا بمعنى الدلالة؛ يعني: بلغوا ودلوا إلى الخير، ولكنهم: ﴿فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٧]؛ يعني: اعتاضوا هذا عن هذا، نسأل الله العافية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ **[البقرة: ١٧، ١٨].**

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: مثلٌ ومثلٌ ومثيلٌ أيضًا، والجمع أمثالٌ، قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لأنه مثل بالفتح ومثل بالكسر، ومثيل هذا مثل هذا، هذا مثل هذا، هذا مثيل هذا، كلها في معنى أمثال، ومثل أمثال، مثل سبب وأسباب، مثل وأمثال مثل حمل وأحمال، مثيل وأمثال كثير أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وتقدير(١) هذا المثل أنّ الله سبحانه شبّههم في اشترائهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارًا ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، وتأنّس بها، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره وصار في ظلامٍ شديدٍ، لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصمّ لا يسمع، أبكم لا ينطقً، أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا، لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضّلالة عوضًا عن الهدى واستحبابهم الغيّ على الرّشد. وفي هذا المثل دلالةٌ على أنهم آمنوا ثم كفروا، كما أخبر تعالى عنهم في غير هذا الموضع، والله أعلم.

وقد حكى هذا الذي قلناه الرّازيّ في تفسيره عن السّدّيّ، ثمّ قال: والتّشبيه هاهنا في غاية الصّحّة؛ لأنّهم بإيمانهم اكتسبوا أوّلًا نورًا ثمّ بنفاقهم ثانيًا أبطلوا ذلك فوقعوا في حيرةٍ عظيمةٍ، فإنّه لا حيرة أعظم من حيرة الدّين.

وزعم ابن جريرٍ أنّ المضروب لهم المثل هاهنا لم يؤمنوا في وقتٍ من الأوقات واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

والصّواب أنّ هذا إخبارٌ عنهم في حال نفاقهم وكفرهم، وهذا لا ينفي أنّه كان حصل لهم إيمانٌ قبل ذلك ثمّ سلبوه وطبع على قلوبهم، ولم يستحضر ابن جرير هذه الآية هاهنا، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ

(١) ورد في بعض النسخ: وتقرير.

ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]. فلهذا، وجه هذا المثل بأنّهم استضاءوا بما أظهروه من كلمة الإيمان؛ أي: في الدّنيا، ثمّ أعقبهم ظلماتٌ يوم القيامة. قال: وصحّ ضرب مثل الجماعة بالواحد، كما قال: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ أي: كدوران الّذي يغشى عليه من الموت، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]. وقال بعضهم: تقدير الكلام: مثل قصّتهم كقصة الذين استوقدوا نارًا، وقال بعضهم: المستوقد واحدٌ لجماعةٍ معه. وقال آخرون: الّذي هاهنا بمعنى الّذين، كما قال الشاعر:

وإنّ الّذي حانت بفلجٍ دماؤهم هم القوم كلّ القوم يا أمّ خالد

قلت: وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلى الجمع في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾، وهذا أفصح في الكلام وأبلغ في الظلام، وقوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾؛ أي: ذهب عنهم بما ينفعهم وهو النّور، وأبقى لهم ما يضرّهم وهو الإحراق والدّخان.

﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ﴾، وهو ما هم فيه من الشّكّ والكفر والنّفاق، ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾: لا يهتدون إلى سبيل خيرٍ ولا يعرفونها، وهم مع ذلك ﴿صُمٌّ﴾ لا يسمعون خيرًا ﴿بُكْمٌ﴾ لا يتكلّمون بما ينفعهم، ﴿عُمْىٌ﴾ في ضلالة وعماية البصيرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحجّ: ٤٦]. فلهذا، لا يرجعون إلى ما كانوا عليه من الهداية الّتي باعوها بالضّلالة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يفيد الحذر، وأن الإنسان قد يبتلى والعياذ بالله، قد يضيء له النور ويبصر بعض الشيء ثم يعمى عن ذلك، نسأل الله العافية، ويخرج عن ذلك النور إلى الضلالة والباطل، فليسأل ربه الثبات على الحق، فإن

القلوب تتقلب وتعد على خطر ما دام في هذه العاجلة، فيسأل ربه الثبات وليستقم وليحافظ على ما أعطاه الله من الخير حتى لا يُسلبه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

❑ ذكر أقوال المفسّرين من السّلف بنحو ما ذكرناه.

قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة الهمدانيّ عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ زعم أنّ ناسًا دخلوا في الإسلام مَقْدَم نبيّ الله ﷺ المدينة ثم إنهم نافقوا، وكان مثلهم كمثل رجلٍ كان في ظلمةٍ فأوقد نارًا ﴿أَضَآءَتْ﴾ ما حوله من قذًى أو أذًى، فأبصره حتّى عرف ما يتّقي منه، فبينا هو كذلك إذ طفئت ناره، فأقبل لا يدري ما يتّقي من أذًى، فكذلك المنافق، كان في ظلمة الشّرك فأسلم فعرف الحلال والحرام والخير والشّرّ، فبينا هو كذلك إذ كفر فصار لا يعرف الحلال من الحرام ولا الخير من الشر. وقال العوفيّ، عن ابن عبّاسٍ في هذه الآية، قال: أمّا النّور فهو إيمانهم الّذي كانوا يتكلّمون به، وأمّا الظّلمة فهي ضلالتهم وكفرهم الّذي كانوا يتكلّمون به. وهم قومٌ كانوا على هدًى ثمّ نزع منهم فعتوا بعد ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يتكلمون به فيما بينهم إذا خلوا، نسأل الله العافية.

وقال مجاهدٌ: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾: أمّا إضاءة النّار فإقبالهم إلى المؤمنين والهدى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عطاء الخراساني في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾؛ قال: هذا مثل المنافق؛ يبصر أحيانًا ويعرف أحيانًا ثمّ يدركه عمى القلب.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة والحسن والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ نحو قول عطاءٍ الخراسانيّ.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه صفة المنافقين؛ كانوا قد آمنوا حتّى أضاء الإيمان في قلوبهم كما أضاءت النّار لهؤلاء الذين استوقدوا نارًا، ثمّ كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه كما ذهب بضوء هذه النّار، ﴿فتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يبصرون﴾.

وأمّا قول ابن جريرٍ فيشبه ما رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾؛ قال: هذا مثلٌ ضربه الله للمنافقين، أنّهم كانوا يعتزّون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلمّا ماتوا سلبهم الله ذلك العزّ كما سلب صاحب النّار ضوءه.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ؛ عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾: فإنّما ضوء النّار ما أوقدتها، فإذا خمدت ذهب نورها، وكذلك المنافق كلّما تكلّم بكلمة الإخلاص بلا إلٰه إلّا الله أضاء له، فإذا شكّ وقع في الظّلمة.

وقال الضحاك: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾: أمّا نورهم فهو إيمانهم الّذي تكلّموا به.

وقال عبد الرّزّاق، عن معمر، عن قتادة: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ﴾ فهي لا إلٰه إلّا الله، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وأمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا دمائهم، حتّى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾.

وقال سعيدٌ، عن قتادة في هذه الآية: إنّ المعنى أنّ المنافق تكلّم بلا إلٰه إلّا الله، فأضاءت له في الدّنيا، فناكح بها المسلمين وغازاهم بها

ووارَثهم بها وحقن بها دمه وماله، فلمّا كان عند الموت سُلبها المنافق؛ لأنّه لم يكن لها أصلٌ في قلبه ولا حقيقةٌ في عمله، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾؛ يقول: في عذابٍ إذا ماتوا.

وقال محمّد بن إسحاق، عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾؛ أي: يبصرون الحقّ ويقولون به حتّى إذا خرجوا من ظلمة الكفر، أطفؤوه بكفرهم ونفاقهم فيه، فتركهم في ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدًى، ولا يستقيمون على حقٍّ.

وقال السّدّيّ في تفسيره بسنده: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾؛ فكانت الظّلمة نفاقهم. وقال الحسن البصريّ: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾؛ فذلك حين يموت المنافق فيظلم عليه عمله عمل السّوء فلا يجد له عملًا من خيرٍ عمل به يصدّق به قوله لا إله إلّا الله.

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾؛ قال السّدّيّ بسنده: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ فهم خرسٌ عميٌ، وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾؛ يقول: لا يسمعون الهدى ولا يبصرونه، ولا يعقلونه، وكذا قال أبو العالية وقتادة بن دعامة.

﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ قال ابن عبّاسٍ: أي لا يرجعون إلى هدى، وكذا قال الرّبيع بن أنسٍ. وقال السّدّيّ بسنده: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ إلى الإسلام. وقال قتادة: ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: لا يتوبون ولا هم يذكرون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود أن المنافقين أقسام عديدة، فمنهم من يضيء له بعض النور ثم يرجع إلى الباطل في الدنيا قبل الآخرة، ومنهم من يقوله وهو كاذب فيتكلم وهو كاذب كما في أول الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا

بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]، ومنهم من يستمر على ظاهر الإسلام وفي قلبه من الشك والمرض ما فيه، فإذا جاء يوم القيامة انكشف له كل شيء، نسأل الله العافية.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٩ ـ ٢٠][1].

هذا مثلٌ آخر ضربه الله تعالى لضربٍ آخر من المنافقين، وهم قومٌ يظهر لهم الحقّ تارةً ويشكّون تارةً أخرى، فقلوبهم في حال شكّهم وكفرهم وتردّدهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾، والصّيّب: المطر، قاله ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ وناسٌ من الصّحابة، وأبو العالية ومجاهدٌ وسعيد بن جبيرٍ وعطاءٌ والحسن البصريّ وقتادة وعطيّة العوفيّ وعطاءٌ الخراسانيّ والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ. وقال الضّحّاك: هو السّحاب. والأشهر: هو المطر نزل من السّماء في حال ظلماتٍ، وهي الشّكوك والكفر والنّفاق.

﴿وَرَعْدٌ﴾؛ وهو ما يزعج القلوب من الخوف، فإنّ من شأن المنافقين الخوف الشّديد والفزع، كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التّوبة: ٥٦ ـ ٥٧]، والبرق هو ما يلمع في قلوب هؤلاء الضّرب من المنافقين في بعض الأحيان من نور الإيمان ولهذا، قال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ درس الفجر ١٤٠٦هـ.

أي: ولا يجدي عنهم حذرهم شيئًا؛ لأنّ الله محيط بقدرته وهم تحت مشيئته وإرادته، كما قال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ بهم، ثمّ قال: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾؛ أي: لشدّته وقوّته في نفسه، وضعف بصائرهم وعدم ثباتها للإيمان.

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾؛ يقول: يكاد محكم القرآن يدلّ على عورات المنافقين.

وقال ابن إسحاق، حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾؛ أي: لشدّة ضوء الحقّ، ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾؛ أي: كلّما ظهر لهم من الإيمان شيءٌ استأنسوا به واتّبعوه، وتارةً تعرض لهم الشّكوك، أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين.

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾؛ يقول: كلّما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه، وإذا أصاب الإسلام نكبةٌ قاموا ليرجعوا إلى الكفر؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ﴾ [الحجّ: ١١].

وقال محمّد بن إسحاق عن محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾؛ أي: يعرفون الحق ويتكلمون به، فهم في قولهم به على استقامةٍ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر ﴿قَامُوا۟﴾؛ أي: متحيّرين، وهكذا قال أبو العالية والحسن البصريّ وقتادة والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ بسنده عن الصّحابة، وهو أصحّ وأظهر، والله أعلم.

وهكذا يكونون يوم القيامة عندما يعطى النّاس النّور بحسب إيمانهم؛ فمنهم من يعطى من النّور ما يضيء له مسيرة فراسخ وأكثر من ذلك وأقلّ من ذلك، ومنهم من يطفأ نوره تارةً ويضيء له أخرى، فيمشي

على الصّراط تارةً ويقف أخرى، ومنهم من يطفأ نوره بالكلّيّة وهم الخلّص من المنافقين الّذين قال تعالى فيهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، وَقَالَ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التّحريم: ٨].

❐ ذِكْرُ الْحَدِيثِ الْوَارِدِ فِي ذَلِكَ.

قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية: ذكر لنا أنّ نبيّ الله ﷺ كان يقول: «**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يُضِيءُ نُورُهُ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى عَدَنِ أبين إلى صنعاء فَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يضيء له نوره إلا موضع قدميه**»، رواه ابن جريرٍ. ورواه ابن أبي حاتمٍ من حديث عمران بن داور القطّان عن قتادة بنحوه. وهذا كما قال المنهال بن عمرٍو، عن قيس بن السّكن، عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: يؤتون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة، ومنهم من يؤتى نوره كالرّجل القائم، وأدناهم نورًا على إبهامه يطفأ مرة ويتقد أخرى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن هذا النور على قدر الإيمان الذي في القلوب، فكلما كان الإيمان أقوى صار النور أقوى يوم القيامة وكلما كان الإيمان أضعف، صار النور أضعف ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلما كان المنافقون ليس لهم نور حقيقة، وإيمانهم فاسد، وإنما أظهروا نورًا، أظهروا إسلامهم ودينًا مزيفًا، لم يقصدوا منه الحق، وإنما قصدوا حظ

الدنيا وغرض الدنيا، عرض لهم نور يوم القيامة، ثم يطفأ ويبقون في الظلمات، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا رواه ابن جريرٍ، عن ابن مثنّى، عن ابن إدريس، عن أبيه، عن المنهال. وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا محمد بن عليّ بن محمّدٍ الطّنافسيّ، حدّثنا ابن إدريس، سمعت أبي يذكر عن المنهال بن عمرٍو، عن قيس بن السّكن، عن عبد الله بن مسعود: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: قال: على قدر أعمالهم يمرّون على الصّراط؛ منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النّخلة، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتّقد مرّةً ويطفأ أخرى.

وقال ابن أبي حاتمٍ أيضًا: حدّثنا محمّد بن إسماعيل الأحمسيّ، حدّثنا أبو يحيى الحمّانيّ، حدّثنا عتبة بن اليقظان، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، قال: ليس أحدٌ من أهل التّوحيد إلّا يعطى نورًا يوم القيامة، فأمّا المنافق فيطفأ نوره، فالمؤمن مشفقٌ ممّا يرى من إطفاء نور المنافقين، فهم يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

وقال الضّحّاك بن مزاحمٍ: يعطى كلّ من كان يظهر الإيمان في الدّنيا يوم القيامة نورًا، فإذا انتهى إلى الصّراط طفئ نور المنافقين، فلمّا رأى ذلك المؤمنون أشفقوا فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

فإذا تقرّر هذا صار النّاس أقسامًا: مؤمنون خلّصٌ، وهم الموصوفون بالآيات الأربع في أوّل البقرة، وكفّارٌ خلّصٌ، وهم الموصوفون بالآيتين بعدها. ومنافقون، وهم قسمان: خلّصٌ وهم المضروب لهم المثل النّاريّ، ومنافقون يتردّدون تارةً يظهر لهم لمع الإيمان وتارةً يخبو، وهم أصحاب المثل المائيّ، وهم أخفّ حالًا من الّذين قبلهم. وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه ما ذكر في سورة النّور

من ضرب مثل المؤمن وما جعل الله في قلبه من الهدى والنّور بالمصباح في الزّجاجة الّتي كأنّها كوكبٌ درّيٌّ، وهي قلب المؤمن المفطور على الإيمان واستمداده من الشّريعة الخالصة الصّافية الواصلة إليه من غير كدرٍ ولا تخليطٍ، كما سيأتي تقريره في موضعه إن شاء الله.

ثمّ ضرب مثل العباد من الكفّار الّذين يعتقدون أنّهم على شيءٍ وليسوا على شيءٍ، وهم أصحاب الجهل المركب في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النُّور: ٣٩]، ثمّ ضرب مثل الكفّار الجهّال الجهل البسيط، وهم الذين قال تعالى فيهم: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النّور: ٤٠]، فقسّم الكفّار هاهنا إلى قسمين: داعيةٌ ومقلّدٌ، كما ذكرهما في أوّل سورة الحجّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ [الحج: ٣]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحجّ: ٨]، وقد قسّم الله المؤمنين في أوّل الواقعة وفي آخرها، وفي سورة الإنسان إلى قسمين: سابقون، وهم المقرّبون، وأصحاب يمينٍ، وهم الأبرار.

فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمات أنّ المؤمنين صنفان: مقرّبون وأبرارٌ، وأنّ الكافرين صنفان: دعاةٌ ومقلّدون، وأنّ المنافقين أيضًا صنفان: منافقٌ خالصٌ، ومنافقٌ فيه شعبةٌ من نفاقٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصواب: فيه شعبة من إيمان؛ لما حصل له من النور بعض الأحيان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما جاء في الصّحيحين، عن عبد الله بن عمرٍو، عن النّبيّ ﷺ:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا ائتُمن خَانَ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أربع، أما الثلاث فمن حديث أبي هريرة: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢)، وأما حديث عبد الله بن عمرو فأربع: «**إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»، والرابعة: «**وإذا خاصم فجر**». وفي اللفظ الآخر: «**وإذا عاهد غدر**» بدل: «**وإذا وعد أخلف**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

استدلّوا به على أنّ الإنسان قد تكون فيه شعبةٌ من إيمانٍ وشعبةٌ من نفاقٍ؛ إمّا عمليٌّ لهذا الحديث، أو اعتقاديٌّ كما دلّت عليه الآية، كما ذهب إليه طائفةٌ من السّلف وبعض العلماء كما تقدّم، وكما سيأتي إن شاء الله.

الطالب: يقول: القسم الثاني من أقسام المنافقين: منافق غالب فيه النفاق، ولكن فيه شعب من إيمان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هؤلاء المنافقون النفاق الاعتقادي هم الذين قسمان، أما النفاق العملي فهم كثيرون ما لهم حد، النفاق العملي قد يكون في خيانة

---

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٤). ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (٥٨)، والحديث في الصحيحين ورد بلفظ: أربع، وكذا بلفظ: ثلاثة، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة المنافق برقم (٣٣). ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق برقم (٥٩).

الأمانة، وقد يكون الفجور في الخصومة، قد يكون في الكذب، قد يكون في التكاسل عن الصلوات، قد يكون فيه أشياء، والنفاق العملي لا يخرجه عن الإسلام، لكنه وسيلة إلى خروجه من الإسلام.

أما النفاق الاعتقادي فهو قسمان:

قسم والعياذ بالله منكِر للحق ومكذِّب له بالكلية بينما يذكر الإسلام مجاملة لغرض من أغراضه، والقسم الثاني: تارة وتارة، مذبذب، تارة يؤمن وتارة يكفر، فليس عنده ثبات، مثلما قال في سورة النساء: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣]، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو النّضر، حدّثنا أبو معاوية؛ يعني: شيبان، عن ليثٍ، عن عمرو بن مرّة، عن أبي البختريّ، عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ: قَلْبٌ أَجْرَدُ فِيهِ مِثْلُ السِّرَاجِ يُزْهِرُ، وَقَلْبٌ أَغْلَفُ مَرْبُوطٌ عَلَى غِلَافِهِ، وَقَلْبٌ مَنْكُوسٌ، وَقَلْبٌ مُصَفَّحٌ، فَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَجْرَدُ فقلب المؤمن؛ فسراجه فِيهِ نُورُهُ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَغْلَفُ فَقَلْبُ الْكَافِرِ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمَنْكُوسُ فَقَلْبُ الْمُنَافِقِ الْخَالِصِ عَرَفَ ثُمَّ أَنْكَرَ، وَأَمَّا الْقَلْبُ الْمُصَفَّحُ فَقَلْبٌ فِيهِ إِيمَانٌ وَنِفَاقٌ، وَمَثَلُ الْإِيمَانِ فِيهِ كَمَثَلِ الْبَقْلَةِ يَمُدُّهَا الْمَاءُ الطَّيِّبُ، وَمَثَلُ النِّفَاقِ فِيهِ كَمَثَلِ القرحة يمدها القيح والدم، فأي المادّتين غَلَبَتْ عَلَى الْأُخْرَى غَلَبَتْ عَلَيْهِ**»، وهذا إسنادٌ جيد حسن[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وليث هذا هو ابن أبي سليم ضعيف، وهذا تسامح من المؤلف، هذا ليث بن أبي سليم، لكن هذا الحديث مثله له شواهد.

«وهذا إسنادٌ جيد حسن»، فيما قاله المؤلف نظر؛ لأن في إسناده

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٧).

ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف، ولعل المؤلف حسنه لشواهده من حيث المعنى، والله ولي التوفيق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾؛ قال محمّد بن إسحاق، حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ﴾؛ قال: لما تركوا من الحقّ بعد معرفته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ قال ابن عبّاسٍ: أي: إنّ الله على كلّ ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قديرٌ.

وقال ابن جريرٍ: إنّما وصف الله تعالى نفسه بالقدرة على كلّ شيءٍ في هذا الموضع؛ لأنّه حذّر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قديرٌ.

ومعنى قديرٍ: قادرٌ، كما أنّ معنى عليمٍ: عالمٌ. وذهب ابن جرير ومن تبعه من كثير من المفسرين إلى أنّ هذين المثلين مضروبان لصنفٍ واحدٍ من المنافقين، وتكون «أو» في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بمعنى الواو؛ كقوله تعالى: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا [الإنسان: ٢٤]، أو تكون للتّخيير؛ أي: اضرب لهم مثلًا بهذا وإن شئت بهذا، قاله القرطبيّ.

أو للتّساوي مثل: جالس الحسن أو ابن سيرين، على ما وجّهه الزّمخشريّ أنّ كلًّا منهما مساوٍ للآخر في إباحة الجلوس إليه، ويكون معناه على قوله: سواءٌ ضربت لهم مثلًا بهذا أو بهذا فهو مطابقٌ لحالهم.

(قلت): وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين فإنّهم أصنافٌ ولهم أحوالٌ وصفاتٌ، كما ذكرها الله تعالى في سورة براءةٌ ـ ﴿وَمِنْهُم﴾ ـ ﴿وَمِنْهُم﴾ ـ ﴿وَمِنْهُم﴾ ـ يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال والأقوال، فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشدّ مطابقةً لأحوالهم وصفاتهم، والله أعلم، كما ضرب المثلين في سورة النّور لصنفي الكفّار الدّعاة والمقلّدين

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ الآية؛ فالأوّل للدّعاة الّذين هم في جهلٍ مركّبٍ، والثّاني لذوي الجهل البسيط من الأتباع المقلّدين، والله أعلم بالصواب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا يوجب للمؤمن الحذر، إذا كان هؤلاء عندهم عقول وعندهم ذكاء ويسمعون حديث الرسول ﷺ ويحضرون غزواته ويرون الآيات والمعجزات العظيمة، ومع هذا، وقع في هذا الشرك وهذا النفاق وهذا الكفر العظيم، فالذي ما جاءه الخبر إلا بالغيب، نقله إليه الرجال، أعظم خطرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فينبغي للمؤمن أن يحذر وأن يسأل ربه الثبات على الحق والعافية مما أصاب أولئك المنافقين والضالين، نسأل الله العافية. ينزل الحق بينهم: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٠١] ومع هذا لم ينفع فيهم ولم يؤثر نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة الا بالله.

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(١).

شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانيّة ألوهيّته، بأنّه تعالى هو المنعم على عبيده بإخراجهم من العدم إلى الوجود، وإسباغه عليهم النّعم الظّاهرة والباطنة، بأن جعل لهم الأرض فراشًا؛ أي: مهدًا كالفراش مقرّرةً موطّأةً مثبّتةً بالرّواسي الشّامخات، والسّماء بناءً، وهو السّقف، كما قال في الآية

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ درس الفجر في عام ١٤٠٦هـ.

الأخرى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وأنزل لهم من السّماء ماءً، والمراد به السّحاب هاهنا في وقته عند احتياجهم إليه، فأخرج لهم به من أنواع الزّروع والثّمار ما هو مشاهدٌ رزقًا لهم ولأنعامهم، كما قرّر هذا في غير موضع من القرآن. ومن أشبه آية بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]، ومضمونه: أنّه الخالق الرّازق مالك الدّار وساكنيها ورازقهم، فبهذا، يستحقّ أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهنا، لما بين حال المؤمنين وحال الكافرين وحال المنافقين الأقسام الثلاثة؛ يعني: أن أهل الأرض أقسام ثلاثة: مؤمن بالله مؤدٍّ حقه، وكافر بالله، ومنافق، وقال بعد هذا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]؛ يعني: جميع خلقه، جميع الناس، من مؤمن وكافر ومنافق وجن وإنس، خاطبهم جميعًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، فهو يخاطب بني آدم وبني الجان، كلهم مخاطبون مأمورون بأن يعبدوا الله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾؛ يعني: وحِّدوه وخصُّوه بالعبادة؛ لأنه الذي أنعم عليكم وعلى من قبلكم وأخرجكم من العدم وغذاكم بالنعم، وثبَّت الأرض وأرساها بالجبال ورفع السماء سقفًا محفوظًا، وأنزل الأمطار وأخرج المياه من العيون وأجرى الأنهار ورزقكم من الطيبات، وهو مالك الدار وساكنيها وهو رازقهم وهو المتصرف في شؤونهم، فالواجب عليهم أن يطيعوا أمره وأن يعبدوه وحده، وأن يستقيموا على طاعته وأن يقفوا عند حدوده، موقنين مؤمنين بأنهم عبيده وأنه المتصرف فيهم كيف يشاء، وأن الواجب عليهم أن يمتثلوا أمره وأن ينتهوا عن نهيه، وأن يوالوا فيه ويعادوا فيه، ويحبوا فيه ويبغضوا فيه وأن يقفوا عند الحدود التي حدها لهم فلا يتجاوزوها ولا ينقصوا عنها؛ بل يسيروا عليها كما أمر، وبهذا، يستحقون فضله وإحسانه والخلود في دار كرامته والسلامة من أسباب غضبه وعقابه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا، قال: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ وفي الصّحيحين، عن ابن مسعودٍ، قال: قلت: يا رسول الله، أيّ الذّنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ**». قلت: إنّ ذلك لعظيمٌ، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» الحديث[١]، وكذا حديث معاذٍ: «**أَتَدْرِي مَا حَقُّ الله على عباده؟**»، قال: «**أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**» الحديث[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأعظم الذنوب الشرك بالله، ولهذا، قال ﷺ لما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ**»؛ يعني: مثيلًا في العبادة يُعبد معه؛ بالدعاء بالخوف، بالرجاء، بالذبح، بالنذر، بالسجود، بالصلاة، بالصوم، بغير هذا، فأعظم الذنوب اتخاذ أندادًا من دون الله؛ يعني: الأشباه والنظراء في العبادة، وكان المشركون يتخذونهم في العبادة، أما في المُلك والتدبير فلا، ويعلمون أن الله هو الرزاق الخلاق المدبر لكل شيء، ولكنهم يزعمون أن هذه الأنداد تشفع لهم عنده، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، فيتخذون معه أصنامًا وعبادًا صالحين، يدعونهم ويستغيثون بهم ويزعمون أنهم بهذا اتخذوهم شفعاء ووسائط، التبس عليهم الأمر وضلوا عن سواء السبيل، ومع ذلك، بعث الله إليهم الرسل، وأنزل إليهم وأوضح لهم الحق، فأبى الأكثرون إلا متابعة العادات والسوالف التي

---

(١) متفق عليه، من حديث عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ برقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده برقم (٨٦).

(٢) متفق عليه، من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار برقم (٢٨٥٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة برقم (٣٠).

مضى عليها أسلافهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فلم يرعووا لما جاءت به الرسل، ولم يرعووا لما جاءت به الكتب، ولكن قدموا على هذا أهواءهم، واتخاذ طريقة آبائهم دون غيرها، كما قال عنهم سبحانه: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث الآخر: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»(١).

وقال حمّاد بن سلمة: حدّثنا عبد الملك بن عميرٍ، عن ربعيّ بن حراشٍ، عن الطّفيل بن سخبرة أخي عائشة أمّ المؤمنين لأمّها، قال: رأيت فيما يرى النّائم كأنّي أتيت على نفرٍ من اليهود، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن اليهود، قلت: إنّكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وإنّكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وما شاء محمّدٌ، قال: ثمّ مررت بنفرٍ من النّصارى، فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن النّصارى، قلت: إنّكم لأنتم القوم لولا أنّكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وإنّكم لأنتم القوم لولا أنّكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمّدٌ(٢)، فلمّا أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثمّ أتيت النّبيّ ﷺ فأخبرته، فقال: «**هل أخبرت بها أحدًا؟**» قلت: نعم، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا رَأَى رُؤْيَا أَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذَا وَكَذَا أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْهَا، فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث حذيفة رضي الله عنه في كتاب الأدب، باب برقم (٤٧٨٠)، والإمام أحمد (٥/ ٣٩٤ و٣٩٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت برقم (٢١١٨)، والإمام أحمد (٥/ ٧٢).

وَحْدَهُ»، هكذا رواه ابن مردويه في تفسير هذه الآية من حديث حمّاد بن سلمة به، وأخرجه ابن ماجه من وجهٍ آخر عن عبد الملك بن عميرٍ به بنحوه[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبين لنا أن هذا من التنديد، وإن كان من التنديد الأصغر، لكن إذا حرم هذا، فتحريم التنديد الأكبر أشد وأعظم، ما شاء الله وشاء محمد حرم؛ لأن الواو تقتضي التشريك، وهو يقتضي الجمع، فحرم ذلك ووجب أن يقال: ما شاء الله وحده، وما شاء الله ثم شاء فلان، كما تقدم، فإذا كان هذا ممنوعًا لما فيه من التنديد، فكيف بمن صرف العبادة لغير الله؟ كيف بمن دعاه واستغاث به من دون الله ﷿؛ كالأنداد والأصنام والأشجار والأحجار؟ ذلك هو الشرك الأكبر، نسأل الله العافية، وهو التنديد الأعظم.

● **س: معنى قوله: كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها؟**

○ **الجواب**: جاء في الرواية الأخرى: الحياء منكم؛ يعني: أن أنهاكم عن شيء لم يتقدم الله فيه ﷺ، ثم صارت هذه الرؤيا سببًا لهذا التشريع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سفيان بن سعيدٍ الثّوريّ، عن الأجلح بن عبد الله الكنديّ، عن يزيد بن الأصمّ، عن ابن عبّاسٍ، قال: قال رجلٌ للنّبيّ: ما شاء الله وشئت. فقال له النّبيّ ﷺ: «**أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا!؟ بَلْ: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، رواه ابن مردويه، وأخرجه النّسائيّ وابن ماجه من حديث عيسى بن يونس عن الأجلح، به[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت برقم (٢١١٨).

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم (٩٨٨)، وابن ماجه في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت برقم (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، والإمام أحمد (١/ ٢١٤ و٢٢٤ و٢٨٣ و٣٤٧).

وهذا كلّه صيانةً وحمايةً لجناب التّوحيد، والله أعلم..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: والأحوال ثلاثة:

ما شاء الله وحده، هذا هو الكمال، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

الحالة الثانية: ما شاء الله ثم شاء فلان، إذا كنت رأيت من إنسان عملًا طيبًا ونشاطًا، تقول: ما شاء الله ثم شاء فلان؛ لأعماله الطيبة ونشاطه.

الحالة الثالثة، وهي الممنوعة: ـ ما شاء الله وشاء بالواو ـ وشاء فلان، هذا هو الممنوع؛ لما فيه من إطلاق التشريك من غير تخصيص ومن غير تراخٍ.

فالأول: هو حقيقة التوحيد؛ ما شاء الله وحده، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

الثاني: جائز؛ ما شاء الله ثم شاء فلان.

الثالث: ممنوع؛ ما شاء الله وشاء فلان؛ لما فيه من نوع التنديد، ما شاء الله وشاء فلان بالواو، ومثلها: هذا من الله ومن فلان، لولا الله وفلان، لا تقل هكذا، قل: لولا الله وحده، لولا الله لكان كذا، هذا هو الكمال، لولا الله ثم فلان، لا بأس، أعطاك مثلًا مساعدة، سعى في إخراجك من الغرق، سعى في إطفاء الحريق، تقول: لولا الله ثم فلان لاحترق البيت، لولا الله ثم فلان لغرقت؛ لأنه نزل في البحر واستخرجك، لولا الله ثم فلان.

لولا الله وفلان، هذا من الله ومن فلان، وما شاء فلان وشاء فلان، هذا هو الممنوع، أي بالواو.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال محمّد بن إسحاق، حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة

أو سعيد بن جبير، عن ابن عبّاسٍ، قال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ للفريقين جميعًا من الكفّار والمنافقين؛ أي: وحّدوا ربّكم الّذي خلقكم والّذين من قبلكم. وبه عن ابن عبّاسٍ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: لا تشركوا بالله غيره من الأنداد الّتي لا تنفع ولا تضرّ، وأنتم تعلمون أنّه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أنّ الّذي يدعوكم إليه الرّسول ﷺ من التوحيد هو الحقّ الّذي لا شكّ فيه. وهكذا قال قتادة.

• **س: الجمع بين لفظ الجلالة والرسول كما جاء في خطبة الحاجة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لا بأس على الصحيح؛ لأن أحاديث الصحيح كلها دالة على ذلك، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، رواه الشيخان في الصحيحين، وأحاديث أخرى كثيرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصمٍ، حدّثنا أبو عمرو، حدثنا أبو الضّحّاك بن مخلدٍ أبو عاصمٍ، حدّثنا شبيب بن بشرٍ، حدّثنا عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، في قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾؛ قال: الأنداد هو الشّرك أخفى من دبيب النّمل على صفاةٍ سوداء في ظلمة اللّيل، وهو أن يقول: والله، وحياتك، يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللّصوص البارحة، ولولا البطّ في الدّار لأتى اللّصوص، وقول الرّجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرّجل: لولا الله وفلانٌ لا تجعل فيها فلان، هذا كلّه به شركٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا السند جيد، قد نقله الشيخ محمد رحمه الله في «كتاب التوحيد»، وهذا من باب تفسير الأنداد بالشرك الأصغر؛ لأن الأئمة يحتجون بهذا

على هذا، يحتجون بآيات النهي عن الشرك الأكبر بالشرك الأصغر، لأمرين: أحدهما: أن الشرك يشملهما، والثاني: أن المنع يشملهما، وإن كان الأكبر أعظم؛ لأنه يخلد في النار ويحبط الأعمال، لكن بجامع أنهما محرمان وأنهما يشملهما اسم الشرك، احتج الأئمة بمنزلة الأكبر على منزلة الأصغر؛ مثل ما جاء عن ابن عباس هنا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، ذكر فيه: الحلف بغير الله، ولولا الله وفلان، وما شاء الله وشاء فلان، فهذا كله من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبرًا على حسب ما يكون بقلب صاحبه من تعظيم المخلوق والثقة به والاعتماد عليه والاعتقاد فيه، مثلما فعل حذيفة لما رأى الخيط جعله بعض الناس في يده من الحمَّى، قطعه وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]، هي في الشرك الأكبر، لكن أخذ بعمومها للزجر.

والند بمعنى المثيل؛ فلان ند فلان؛ يعني: أنه له مثيل، والمشرك إن عَبَدَ غيرَ الله واتخذ له أندادًا في العبادة كان مشركًا ومندِّدًا بهذا الجامع، وإن كان لا يعتقد فيه أنه يخلق ويرزق أو يدبر أمور العالم، أو ينفع أو يضر مستقلًّا هو، لا يعتقد ذلك، لكن يعتقد أنهم شفعاء وأنه مشارك، فوصفهم الله بأنهم اتخذوا من دونه أندادًا ووصفهم بأنهم مشركون، وعلم بذلك بأن من دعا مع الله مخلوقًا، يدعوه أو يستغيث به أو ينذر له، يسمى مندِّدًا، ويسمَّى: من اتخذ من دون الله أندادًا.

وهكذا من وقع في الشرك الأصغر، فقد وقع في نوع من التنديد، مثل: لولا الله وفلان، فهذا من الله وفلان، ما شاء الله وشاء فلان، وحياتي، وحياة فلان، والكعبة، والنبي، وما أشبه ذلك.

وابن أبي عاصم من الأئمة الحفاظ المعروفين، وله مؤلفات، وهو حفيد أبي عاصم النبيل شيخ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، ويروي هذا عن أبيه عمرو، عن أبي الضحاك، عن أبي عاصم، عن شبيب بن بشر، عن عكرمة عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث أنّ رجلًا قال لرسول الله ﷺ: ما شاء وشئت، قال: «**أَجَعَلْتَنِي للهِ نِدًّا؟**[1]».

وفي الحديث الآخر: «**نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا أَنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ**»[2]

قال أبو العالية: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾؛ أي: عدلاء شركاء، وهكذا قال الرّبيع بن أنسٍ وقتادة والسّدّيّ وأبو مالكٍ وإسماعيل بن أبي خالدٍ، وقال مجاهدٌ: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾؛ قال: تعلمون أنّه إلٰهٌ واحدٌ في التّوراة والإنجيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ذكر حديثٍ في معنى هذه الآية الكريمة.

قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا أبو خلفٍ، موسى بن خلفٍ، وكان يعدّ من البدلاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الأبدال؛ يعني: من العلماء الذين يقتدى بهم.

حدّثنا يحيى بن أبي كثيرٍ، عن زيد بن سلّامٍ، عن جدّه ممطورٍ، عن الحارث الأشعريّ، أنّ نبيّ الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ **أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وَأَنْ يَأْمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وأنه كاد أن يُبْطِئُ بِهَا، فَقَالَ لَهُ عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وَتَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ، فَقَالَ: يَا أَخِي، إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ**

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٨١).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال: ما شاء الله وشئت برقم (٢١١٨)، والإمام أحمد (٥/ ٣٩٣ و٦/ ٣٧١).

يُخْسَفَ بِي، قَالَ: فَجَمَعَ يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، فَقَعَدَ عَلَى الشَّرَفِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أن تعملوا بهن، أولهن: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فإن مثل ذلك كمثل رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْدًا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ بِوَرِقٍ أو ذَهَبٍ فَجَعَلَ يَعْمَلُ وَيُؤَدِّي غَلَّتَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ فَإِذَا صليتم فلا تلتفتوا، وَأَمَرَكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَّةٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ كُلُّهُمْ يَجِدُ رِيحَ الْمِسْكِ، وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أطيب عند الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَأَمَرَكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: هل لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّى فَكَّ نَفْسَهُ».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهكذا الصدقة من أسباب العتق من النار، فيها دفع عن النفس وسبب لحط الخطايا، ولهذا، في الحديث: **«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار»**، فالمقصود أن الصدقة فيها خير عظيم، فينبغي للمؤمن أن يكثر منها لعلَّ الله أن يعتقه بها من النار، وفي الحديث الآخر: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»** في الصحيحين من حديث عدي بن حاتم، والصدقات للأقارب والفقراء وغيرهم من أسباب دفع البلايا والمحن ومن أسباب العتق من النار.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

«وَأَمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعبد أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إذا كان في ذكر الله»، قال: فقال رسول الله ﷺ: «وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةُ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْهِجْرَةُ

وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أن يرجع، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ فَهُوَ مِنْ جِثِيِّ جَهَنَّمَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ عَلَى مَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ**»، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَالشَّاهِدُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: «**وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: هذا ضرب مثلًا بالمشرك، خلقه الله وأحسن إليه وأعطاه المال وأعطاه العقل والصحة، ثم جعل يعبد غيره، فالمقصود أن العبد الذي أساء التصرف مثله بالمشرك، عبد اشتراه من ماله، وقال: هذا مالي وهذا داري، فاعمل وأدِّ إلي، فجعل ويؤدي إلى غيره، فهكذا المشرك خلقه من عدم وغذاه بالنعم وأعطاه الله الخيرات، ثم صرف حقه إلى غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهذا الحديث رواه الترمذي والنسائي، جيد الإسناد، لولا ما فيه من عنعنة يحيى بن أبي كثير، ولعله في إحدى رواياته صرَّح بالسماع؛ لأني قد راجعت طرقه، وهو جيد، حديث عظيم، ودل على هذه المعاني العظيمة الخمسة التي أمر بها يحيى عن الله ﷻ، وفي القصة دلالة على أن التخلف عن الأوامر من أسباب غضب الله ومن أسباب العذاب؛ لأن عيسى ابن مريم لما قال ليحيى عليه الصلاة والسلام: «**إن الله أمرك بخمس أن تعمل بها وتبلِّغ بني إسرائيل أن يعملوا بها؛ فإما أن تأمرهم وإما أن آمرهم، فقال يحيى: يا أخي، إنك إن سبقتني بها أخشى أن**

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه في كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة برقم (٢٨٦٣)، والإمام أحمد (٤/ ١٣٠ و٢٠٢).

أعذب أو يُخسف بي»؛ يعني: إذا تأخرت عن البدار بالتبليغ، فإذا كان التأخر عن التبليغ فيه هذا الخطر، فكيف بالتأخر عن الأوامر المفترضة والتساهل بها؟ فأجملها له ثم بيَّنها وهي: الأمر بالتوحيد والإخلاص لله وعدم الشرك، **والثاني**: العناية بالصلاة والإقبال عليها، **الثالثة**: العناية بالصيام، **الرابعة**: الصدقة، **والخامسة**: الإكثار من ذكر الله. ؛» خمس خصال أمر بها يحيى بني إسرائيل أن يعملوا بها، وأعظمها هو توحيد الله والإخلاص له وترك الشرك به ﷻ، وأن مثال الشرك، مثل المشرك مثل الذي عنده عبد أعطاه سيده المال، قال: هذا مالي وهذا بيتي وهذا داري، اعمل وأدّ إليّ الأرباح، فجعل العبد يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فهذا عبد السوء، والثاني: مثل الصلاة، وهو نصب الله وجهه إلى وجه عبده ما دام قد أقبل عليه، فإذا التفت العبد انصرف الله عنه، قال ابن القيم رحمه الله: «وهذا الالتفات يشمل أمرين: التفات القلب وهو أشد، والتفات الوجه، فينبغي للمؤمن إذا كان في الصلاة أن يخشع فيها ويقبل فيها على ربه، ويكون خاضعًا ينظر إلى موضع سجوده خاشعًا مطمئنًا وقلبه مقبل، فإذا قام بين يدي الله وقلبه هكذا وهكذا غير مقبل على الله؛ بل هناك صوارف تصرفه إلى هاهنا وهاهنا، فهذا من أسباب انصراف الله عنه، وهكذا الالتفات في الصلاة بغير عذر، ينبغي تركه فإنه مكروه إلا من حاجة، وهكذا الصيام فإن له شأن، ومثله كمثل صاحب صرة المسك في جماعة تعجبهم ريحه، وهكذا الصائم خلوفه عند الله كمثل ريح المسك، فينبغي للصائم أن يعرف قدر هذه العبادة وأن يصونها ويحفظها، ومن أسباب النقص من المعاصي؛ لأن المعاصي تنقص الصوم وتضعفه، وهكذا الصدقة، لها شأن كما تقدم في القليل والكثير، ومثل النبي ﷺ هذا بإنسان أمسكه العدو وشدُّوا يديه إلى عنقه وقدَّموه ليضربوا عنقه فلم يزل يقول: أنا أعطيكم كذا وكذا فكُّوني، يقدم لهم من الأموال ما يقدم حتى رضوا وأطلقوه، فالمعنى أن الإنسان لا يزال يقدم الصدقات حتى

يعتقه الله من النار، فينبغي الإكثار من الصدقة، «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**». ثم ذكر الخامسة وهي الذكر، ومثلها بمثل رجل طلبه العدو سراعًا في إثره ليقبضوا عليه ويعدموه وقال: هكذا الإنسان على خطر من الشيطان، ولا يزال في خطر من الشيطان وهو في طلبه عدو الله إلا أن يتحَّصن منه، فكما أن العبد تحصَّن بحصن حصين سلم من عدوه بتوفيق الله وعلمه، فهكذا الإنسان بتوفيق الله إذا لجأ إلى الذكر واعتصم بذكر الله واستقام على أمر الله، فهذا من أسباب سلامته من الشيطان، ويحافظ على ما أوجب الله عليه ويكثر من ذكره ويتباعد عن معاصيه، فهذا من أسباب حفظ الله له، من اتقى الله حفظه الله: «**احفظ الله يحفظك**»، ثم قال الرسول ﷺ: «**وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: الْجَمَاعَةُ وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيْدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إلا أن يرجع، وَمَنْ دَعَا بِدَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ فَهُوَ مِنْ جِثِيِّ جَهَنَّمَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ فَقَالَ: «**وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ، فَادْعُوا الْمُسْلِمِينَ بِأَسْمَائِهِمْ عَلَى مَا سَمَّاهُمُ اللهُ ﷻ: الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللهِ**»، هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَالشَّاهِدُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُهُ: «**وَإِنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فَاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»» خمس قالها النبي ﷺ؛ الجماعة، يريد بها جماعة المسلمين، عدم الانشقاق، والسمع والطاعة لوُلاة الأمور في المعروف، والهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، والجهاد في سبيل الله، هذه أمور خمسة عظيمة، ثم حذرهم من دعوى الجاهلية، قال: ادعوا بدعوى الله الذي سمَّاكم المسلمين، المؤمنين عباد الله، وأخبر أن من دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثي جهنم، وهذا وعيد عظيم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، الانتساب إلى الجاهلية والتعصب إلى الجاهلية فيه خطر عظيم، فيجب الحذر منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الطالب: تعليق الشيخ مقبل: يقول: حديث الحارث الأشعري

صحيح، لكن ابن أبي كثير وإن كان مدلسًا فقد صرح بالتحديث في الشريعة للآجري.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولعله في غير هذا الشريعة للآجري، ولعله في الترمذي أو النسائي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذه الآية دالّةٌ على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدلّ به كثيرٌ من المفسّرين كالرازي وغيره على وجود الصانع تعالى، وهي دالّةٌ على ذلك بطريق الأولى، فإنّ من تأمّل هذه الموجودات السّفليّة والعلويّة واختلاف أشكالها وألوانها وطباعها ومنافعها ووضعها في مواضع النّفع بها محكمةً، علم قدرة خالقها وحكمته وعلمه وإتقانه وعظيم سلطانه، كما قال بعض الأعراب، وقد سئل: ما الدّليل على وجود الرّبّ تعالى؟

فقال: يا سبحان الله، إنّ البعر ليدل على البعير، وإنّ أثر الأقدام لتدلّ على المسير، فسماءٌ ذات أبراجٍ، وأرضٌ ذات فجاجٍ، وبحارٌ ذات أمواجٍ، ألا يدلّ ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

وحكى الرازي عن الإمام مالكٍ أنّ الرّشيد سأله عن ذلك، فاستدل له باختلاف اللّغات والأصوات والنّغمات.

وعن أبي حنيفة أنّ بعض الزّنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني، فإنّي مفكّرٌ في أمرٍ قد أُخبرت عنه، ذكروا لي أنّ سفينةً في البحر موقرةٌ فيها أنواعٌ من المتاجر وليس بها أحدٌ يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتّى تتخلّص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحدٌ، فقالوا: هذا شيءٌ لا يقوله عاقلٌ، فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلويّ والسّفليّ وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانعٌ؟ فبُهت القوم ورجعوا إلى الحقّ وأسلموا على يديه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا واضح، إذا كان يستنكرون أن السفينة تذهب وتأتي وتحمل المتاع وتفرغ متاعها وترجع وتخترق البحار وليس لها قائد ولا سائق، هذا أمر مستحيل، فكيف هذا العالم العظيم العلوي والسفلي وما فيه من الأشياء الغريبة والعجيبة والحكم والأسرار، كيف لا يكون لها صانع؟ المقصود أن وجود هذه المخلوقات وتنوع هذه المخلوقات وما فيها من المنافع والأسرار واختلاف أحجامها وصفاتها ومنافعها وغير ذلك، كل هذا دال على وجود الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأنه الخلاق العليم جَلَّ وَعَلَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن الشّافعيّ أنّه سئل عن وجود الصّانع، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحدٌ تأكله الدّود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظّباء فيخرج منها المسك، وهو شيءٌ واحدٌ.

وعن الإمام أحمد بن حنبلٍ أنّه سئل عن ذلك فقال: هاهنا حصنٌ حصينٌ أملس ليس له بابٌ ولا منفذٌ، ظاهره كالفضّة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذا انصدع جداره فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ ذو شكلٍ حسنٍ وصوتٍ مليحٍ؛ يعني بذلك: البيضة إذا خرج منها الدّجاجة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو شيء واضح، عناية الله بهذا البيضة الجامدة وما فيها من البياض والصفرة يعرف الناس حالها ويأكلونها، ومع ذلك، إذا شاء الله جَلَّ وَعَلَا خلق فيها هذا الحيوان العظيم والشكل المليح والصوت العجيب، ينصدع جدارها قشرها ويخرج منها هذا الحيوان تام الخلق، هذا من آيات الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا نفس الإنسان يخرج من بطن أمه نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى أن يكون سميعًا بصيرًا، يخرج بعد ذلك سميعًا بصيرًا، ثم ينمو، يكون له عقل وله بصيرة، وهكذا الحيوانات الأخرى، وهكذا معادن الأرض وما فيها من العجائب والغرائب، والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد:

تأمّل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لُجَينٍ شاخصاتٌ بأحداقٍ هي الذّهب السّبيك
على قُضُب الزّبرجد شاهداتٌ بأنّ اللّه ليس له شريك

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: القُضُب جمع قضيب عيدان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يُعصى الإلهُ أم كيف يجحدُه الجاحدُ
وفي كلّ شيءٍ له آيةً تدلّ على أنّه واحدُ

وقال آخرون: من تأمل هذه السموات في ارتفاعها واتّساعها وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السّيّارة ومن الثّوابت، وشاهدها كيف تدور مع الفلك العظيم في كلّ يومٍ وليلةٍ دويرةً ولها في أنفسها سيرٌ يخصّها، ونظر إلى البحار المكتنفة للأرض من كلّ جانبٍ، والجبال الموضوعة في الأرض لتقرّ ويسكن ساكنوها مع اختلاف أشكالها وألوانها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، وكذلك هذه الأنهار السّارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ في الأرض من الحيوانات المتنوّعة والنبات المختلف الطعوم والأرايج والأشكال والألوان، مع اتّحاد طبيعة التّربة والماء، استدل على وجود الصّانع وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم

وبرّه بهم، لا إله غيره ولا ربّ سواه، عليه توكّلت وإليه أنيب، والآيات في القرآن الدّالّة على هذا المقام كثيرة جدًّا.

* * *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢][1].

حدّثني عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن أبي وائلٍ، عن عمرو بن شرحبيل، عن عبد الله قال: سألت النّبيّ ﷺ أيّ الذّنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهْوَ خَلَقَكَ**»، قلت: إنّ ذلك لعظيمٌ، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «**وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**»، قلت: ثمّ أيّ؟ قال: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يبيّن خبث الإيذاء للجار، وأنّ الجار له حقٌّ عظيم، فالواجب الإحسان إليه، واحترامه، وكفّ الأذى عنه.

والزّنا بزوجته أعظم من الزّنا بغيرها وأقبح، حتّى جعل عديلًا للشّرك وقتل النّاس بغير حقٍّ.

والزّنا كلّه حرامٌ وقبيحٌ ومنكرٌ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. لكن مع زوجة الجار أقبح؛ يقول النّبيّ ﷺ:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ برقم (٤٤٧٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده برقم (٨٦).

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»[(١)]. **«وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»**[(٢)]. **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ»**[(٣)]، وَهَذَا قابَل ذَلِكَ بالأذى، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ. لا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، نَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: راجِع عمرو بن شرحبيل؟

(القَارِئ): [قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ في «التّقريب»]: «عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاريّ مقبولٌ من السادسة، س».

- «عمرو بن شرحبيل الهمداني أبو ميسرة الكوفي ثقة عابد مخضرم مَاتَ سنة ثلاث وستين خ م د ت س».

هل هذا فيه تضاعف العذاب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم العذاب يزيد وينقص كالنّعيم، نسأل الله العافية: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨]. كلّما كان الكفر أكثر والشّرّ أكثر صار العذاب أكبر.

أحسن الله إليك: حديث الّذي نزل تصديقه سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] أيّ الذّنب أعظم؟

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب أكرم الضيف وخدمته إياه بنفسه برقم (٦١٣٦)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان برقم (٤٧).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان برقم (٦٤٧٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون كله من الإيمان برقم (٤٧).

(٣) أخرجه مسلم من حديث أبي شريح الخزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، في الباب السابق برقم (٤٧).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا فيه؟

(من السّائل): ما جاء أنّه في تفسير سورة الفرقان؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، الشّاهد قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾.

المقصود: قوله: **(أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)** هذا المقصود، ذكره هنا لأجل هذا.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤][(١)].

ثمّ شرع تعالى في تقرير النّبوّة بعد أن قرّر أنّه لا إله إلّا هو، فقال مخاطبًا للكافرين: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؛ يعني: محمّدًا ﷺ، ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ﴾ من مثل ما جاء به، إن زعمتم أنّه من عند غير الله، فعارضوه بمثل ما جاء به، واستعينوا على ذلك بمن شئتم من دون الله، فإنّكم لا تستطيعون ذلك.

قال ابن عبّاسٍ: ﴿شُهَدَآءَكُم﴾: أعوانكم، وقال السدي عن أبي مالك: شركاءكم؛ أي: قومًا آخرين يساعدونكم على ذلك؛ أي: استعينوا بآلهتكم في ذلك يمدّونكم وينصرونكم، وقال مجاهدٌ: ﴿وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾؛ قال: ناسٌ يشهدون به؛ يعني: حكّام الفصحاء. وقد تحدّاهم الله تعالى بهذا في غير موضعٍ من القرآن، فقال في سورة القصص: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ درس الفجر في عام ١٤٠٦هـ.

﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [القصص: ٤٩].

وقال في سورة سبحان: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال في سورة هودٍ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هودٍ: ١٣]، وقال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٧، ٣٨].

وكلّ هذه الآيات مكّيّةٌ.

ثم تحداهم بذلك أيضًا في المدينة، فقال في هذه الآية: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ - أي شكٍّ - ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾؛ يعني: محمّدًا ﷺ، ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾؛ يعني: من مثل القرآن، قاله مجاهدٌ وقتادة، واختاره ابن جريرٍ الطبري والزمخشري والرازي، ونقله عن عمر وابن مسعود وابن عباس والحسن البصري، وأكثر المحققين، ورجح ذلك بوجوه من أحسنها أنه تحدَّاهم كلهم متفرقين ومجتمعين، سواء في ذلك أميِّهم وكتابيهم، وذلك أكمل من التحدي وأشمل من أن يتحدى آحادهم الأميين ممن لا يكتب ولا يعاني شيئًا من العلوم، وبدليل قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [هودٍ: ١٣]، وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقال بعضهم: من مثل محمّدٍ ﷺ؛ يعني: من رجلٍ أمّيٍّ مثله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

آية يونس صريحة: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨] صريحة بأن المراد به القرآن، وليس من مثل محمد؛ يعني: بأمي، لا، المقصود إقامة الحجة عليهم على أنواعهم وجميع طبقاتهم، لا فرق بين الأمي وغيره، فهي آية صريحة في القرآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصّحيح الأوّل؛ لأنّ التّحدّي عامٌّ لهم كلّهم مع أنّهم أفصح الأمم، وقد تحدّاهم بهذا في مكّة والمدينة مرّاتٍ عديدةٍ، مع شدّة عداوتهم له وبغضهم لدينه، ومع هذا، عجزوا عن ذلك؛ ولهذا، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾، ولن لنفي التأبيد في المستقبل؛ أي: ولن تفعلوا ذلك أبدًا، وهذه أيضًا معجزة أخرى، وهو أنه أخبر خبرًا جازمًا قاطعًا مقدمًا غير خائف ولا مشفق، أن هذا القرآن لا يعارض بمثله أبد الآبدين ودهر الداهرين، وكذلك وقع الأمر، لم يعارض من لدنه إلى زماننا هذا ولا يمكن، وأنّى يتأتّى ذلك لأحدٍ والقرآن كلام الله خالق كلّ شيءٍ؟ وكيف يشبه كلام الخالق كلام المخلوقين؟

ومن تدبّر القرآن وجد فيه من وجوه الإعجاز فنونًا ظاهرةً وخفيّةً من حيث اللّفظ ومن جهة المعنى، قال الله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]؛ فأحكمت ألفاظه وفصّلت معانيه، أو بالعكس، على الخلاف، فكلٌّ من لفظه ومعناه فصيح، لا يحاذى ولا يدانى، فقد أخبر عن مغيباتٍ ماضيةٍ كانت ووقعت طبق ما أخبر سواءً بسواءٍ، وأمر بكلّ خيرٍ، ونهى عن كلّ شرٍّ، كما قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أي: صدقًا في الأخبار وعدلًا في الأحكام؛ فكلّه حقٌّ وصدقٌ وعدلٌ وهدًى، ليس فيه مجازفةٌ ولا كذبٌ ولا افتراءٌ كما يوجد في أشعار العرب وغيرهم من الأكاذيب والمجازفات الّتي لا يحسن شعرهم إلّا بها، كما قيل في الشّعر: إنّ أعذبه أكذبه، وتجد القصيدة الطّويلة المديدة قد استعمل غالبها في وصف النّساء أو الخيل أو الخمر أو في مدح شخصٍ معيّنٍ أو فرسٍ أو ناقةٍ أو حربٍ أو كائنةٍ أو مخافةٍ أو سبعٍ أو شيءٍ من المشاهدات المتعيّنة، الّتي لا تفيد شيئًا إلّا قدرة المتكلم المعين على الشّيء الخفيّ أو الدّقيق، أو إبرازه إلى الشيء الواضح، ثم تجد له فيه بيتًا أو بيتين أو أكثر هي بيوت القصيد، وسائرها هذرٌ لا طائل تحته.

وأمّا القرآن، فجميعه فصيحٌ في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصيلًا وإجمالًا ممّن فهم كلام العرب وتصاريف التّعبير، فإنّه إن تأمّلت أخباره وجدتها في غاية الحلاوة سواءٌ كانت مبسوطةً أو وجيزةً وسواءٌ تكرّرت أم لا، وكلّما تكرّر حلا وعلا، لا يخلق عن كثرة الرّدّ، ولا يملّ منه العلماء، وإن أخذ في الوعيد والتّهديد جاء منه ما تقشعرّ منه الجبال الصّمّ الرّاسيات، فما ظنّك بالقلوب الفاهمات، وإن وعد أتى بما يفتح القلوب والآذان، ويشوّق إلى دار السّلام ومجاورة عرش الرّحمٰن، كما قال في التّرغيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السّجدة: ١٧]، وقال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزّخرف: ٧١]

وقال في التّرهيب: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ [الإسراء: ٦٨]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقال في الزّجر: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [الْعَنْكَبُوتِ: ٤٠]، وَقَالَ فِي الْوَعْظِ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشّعراء: ٢٠٥ ـ ٢٠٧] إلى غير ذلك من أنواع الفصاحة والبلاغة والحلاوة.

وإن جاءت الآيات في الأحكام والأوامر والنّواهي، اشتملت على الأمر بكلّ معروفٍ حسنٍ نافعٍ طيّبٍ محبوبٍ، والنّهي عن كلّ قبيحٍ رذيلٍ دنيءٍ، كما قال ابن مسعودٍ وغيره من السّلف: إذا سمعت الله تعالى يقول في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فأرعها سمعك، فإنها خيرٌ يأمر به أو شرّ ينهى عنه، ولهذا، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وإن جاءت الآيات في وصف المعاد وما فيه من الأهوال، وفي وصف الجنّة والنّار وما أعدّ الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النّعيم والجحيم والملاذ والعذاب الأليم، بشّرت به وحذّرت وأنذرت، ودعت إلى فعل الخيرات واجتناب المنكرات، وزهّدت في الدّنيا ورغّبت في الآخرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهدت إلى صراط الله المستقيم وشرعه القويم، ونفت عن القلوب رجس الشّيطان الرّجيم.

ولهذا، ثبت في الصّحيحين عن أبي هريرة ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا آمَنَ عَلَى مِثْلِهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القيامة**» ـ لفظ مسلم[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ومن تدبَّر هذا الكتاب العظيم وجد فيه ما ذكر المؤلف من العجائب والتوجيه إلى كل خير، والدعوة إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والتحذير عن سفاسف الأخلاق وسيئ الأعمال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]، إلى غير ذلك مما فيه الدلالة على أنه كتاب عظيم من عند الله ﷻ، أنزله الله لهداية البشر وإنقاذهم من طريق الهلاك وأسباب البلاء، وهدايتهم إلى طريق السعادة وإلى مكارم الأخلاق، وإلى كل ما فيه خيرهم وسعادتهم ونجاتهم. والله المستعان.

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، باب قول النبي ﷺ بعثتُ بجوامع الكلم برقم (٧٢٧٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ برقم (١٥٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله ﷺ: «**وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا**»؛ أي: الّذي اختصصتُ به من بينهم هذا القرآن المعجز للبشر أن يعارضوه، بخلاف غيره من الكتب الإلهية، فإنها ليست معجزةً عند كثيرٍ من العلماء. والله أعلم.

وله عليه الصّلاة والسّلام من الآيات الدّالّة على نبوّته وصدقه فيما جاء به ما لا يدخل تحت حصرٍ، ولله الحمد والمنّة.

وقد قرّر بعض المتكلّمين الإعجاز بطريقٍ يشمل قول أهل السّنّة وقول المعتزلة في الصرفة، فقال: إن كان هذا القرآن معجزًا في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضته، فقد حصل المدّعى، وهو المطلوب، وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا ذلك مع شدّة عداوتهم له، كان ذلك دليلًا على أنّه من عند الله، لصرفه إيّاهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك، وهذه الطّريقة وإن لم تكن مرضيّةً؛ لأنّ القرآن في نفسه معجزٌ لا يستطيع البشر معارضته كما قرّرنا، إلّا أنّها تصلح على سبيل التّنزّل والمجادلة والمنافحة عن الحقّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا واضح في أن الله ﷻ جعل كتابه معجزًا، ما يستطيع البشر أن يأتوا بمثله؛ ولا بعشر سور مثله ولا بسورة من مثله لما فيه من الأحكام العظيمة والعلوم الغيبية وحسن النظام وبلاغة الأسلوب إلى غير ذلك.

وهذا هو قول أهل السُّنَّة والجماعة، أنه معجز بنفسه لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله؛ لما اشتمل عليه مما تقدم من الأحكام العظيمة والأخبار الصادقة، بما كان وما يكون، والأسلوب الحكيم والبلاغة العظيمة، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه كتاب الله ﷻ.

أما على قول المعتزلة، فهو أنه ممكن أن يؤتى بمثله لكنه صُرف الناس عن ذلك، ولم يجعل في قلوبهم ميلًا إلى هذا الشيء، أو محاولة لهذا الشيء؛ بل صُرفوا عن ذلك واعترفوا بما هو الحجة عليهم من كونه

معجزًا، فيقول المؤلف: وإن كانت هذه الطريقة غير مرضية، لكنها تصلح عند المجادلة وعند المخاصمة والمنافحة في الحق في إلزامهم بما قالوه، وأنَّ صرفَ الله لهم عن ذلك وجعلهم لا يحاولون، هذا الشيء دليلٌ على أنه كلام الله ﷻ، وأنه ﷻ جعل ذلك من آياته الدالة على صدق رسوله ﷺ، وأنه بعثه بالحق.

والصرفة بمعنى الصرف، يقال: صَرفة أو صِرفة محتمل، ومعنى الصرفة حرف عن مماثلة القرآن؛ يعني: أنهم صرفوا عن هذا الشيء.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وبهذه الطّريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السّور القصار كالعصر و﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾؛ أمّا الوقود، بفتح الواو، فهو ما يلقى في النّار لإضرامها كالحطب ونحوه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجنّ: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩]، والمراد بالحجارة هاهنا هي حجارة الكبريت العظيمة السّوداء الصّلبة المنتنة، وهي أشدّ الأحجار حرًّا إذا حميت، أجارنا الله منها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يحتمل هذا ويحتاج إلى دليل، حمل الآية على ذلك يحتاج إلى دليل على أن المقصود عن الله أو عن رسول الله ﷺ أن المراد بالحجارة هنا حجارة الكبريت، وإلا، فالأصل الحجارة التي يعرفها الناس، وأنها هذه الأصنام التي نصبوها وعبدوها، وهي من حجارة غالبًا، تلقى في النار وتكون من حطبها، وهكذا الحجارة الأخرى التي يعرفها الناس، فالناس المشركون من سائر أنواع البشر والجن وقود للنار، وهكذا

أصنامهم التي عبدوها من دون الله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]؛ أصنامهم المعبودة تلقى معهم في جهنم؛ لأن هذا أشد في النكاية بهم وإيلامهم؛ بأنهم هم ومعبوداتهم حطب جهنم، نسأل الله العافية.

وهكذا كل معبود رضي أن يعبد، فهو معهم أيضًا؛ كفرعون والنمرود وأشباه ذلك ممن دعا إلى عبادة نفسه، أو رضي أن يعبد، هو مع عابديه في النار، نسأل الله العافية.

أما من لم يرض بذلك كَالرسل والصالحين من عباد الله الذين لم يرضوا بأن يُعبدوا؛ بل نهوا عن هذا أشد النهي، فهؤلاء ليسوا داخلين في هذا؛ بل هم داخلون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

فالمقصود أن الحجارة على ظاهر الآية الكريمة، أن المراد بها الحجارة المعروفة، حجارة الجبال، الحصى المعروف، وما يكون منها أصنامهم التي عبدوها من الحجارة وغيرها، من الحجارة التي يريد الله طرحها في جهنم حتى يعذب بها أولئك الكفرة، مع ما فيها من العذاب.

أما حمل الحجارة على حجارة الكبريت، وإن كان هذا يكون أشد في العذاب، لكن يحتاج إلى دليل يدل على هذا؛ فإن الله يخاطب الناس بما يعرفون وهم يعرفون: الحجارة التي يخاطبون بها، كما في قوله تعالى: ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ نعرف الحجارة، فهي المقصودة، وهي المرادة في الآية الكريمة على القاعدة المعروفة، وهي أنه سبحانه خاطب العرب بما يعرفونه ويفهمونه، فإذا أريد بالحجارة التي من الكبريت، فلا بدّ في ذلك من دليل يدل على هذا من كلام الرسول ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عبد الملك بن ميسرة الزّرّاد، عن عبد الرّحمٰن بن سابطٍ، عن

عمرو بن ميمونٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ، في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾؛ قال: هي حجارةٌ من كبريت، خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السّماء الدّنيا، يعدّها للكافرين. رواه ابن جريرٍ، وهذا لفظه، وابن أبي حاتمٍ والحاكم في مستدركه، وقال: على شرط الشّيخين[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يحتاج إلى دليل؛ لأن هذا قد يكون مما تلقاه ابن مسعود عن بني إسرائيل؛ فإن هذا لا يقال من جهة الرأي؛ بل يحتاج إلى دليل، وابن مسعود ما صرح أنه سمعه من الرسول ﷺ فقد يكون مما تلقي عن أخبار الأمم الماضية من بني إسرائيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة عن ابن مسعودٍ وعن ناسٍ من الصحابة: ﴿اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾؛ أمّا الحجارة، فهي من كبريتٍ أسود، يعذّبون به مع النّار. وقال مجاهدٌ: حجارةٌ من كبريتٍ أنتن من الجيفة. وقال أبو جعفرٍ محمّد بن عليٍّ: حجارةٌ من كبريتٍ، وقال ابن جريجٍ: حجارةٌ من كبريت أسود في النار، قال: وقال لي عمرو بن دينارٍ: أصلب من هذه الحجارة وأعظم.

وقيل: المراد بها حجارة الأصنام والأنداد الّتي كانت تعبد من دون الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ الآية، حكاه القرطبي والرازي ورجّحه على الأوّل، قال: لأنّ أخذ النّار في حجارة الكبريت ليس بمستنكر، فجعلها هذه الحجارة أولى.

وهذا الّذي قاله ليس بقويٍّ، وذلك أنّ النّار إذا أضرمت بحجارة الكبريت كان ذلك أشدّ لحرّها وأقوى لسعيرها، ولا سيّما على ما ذكره

---

(١) في تفسيره (٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٧)، وابن أبي حاتم (٢٤٥)، والحاكم (٢/ ٢٦١، ٤٩٤). انظر: السيوطي في الدر (١/ ٣٦).

السّلف من أنّها حجارةٌ من كبريتٍ معدّةٌ لذلك، ثم إن أخذ النار بهذه الحجارة أيضًا مشاهدٌ، وهذا الجصّ يكون أحجارًا فيعمل فيه بالنّار حتّى يصير كذلك. وكذلك سائر الأحجار تفخرها النّار وتحرقها وإنّما سيق هذا في حرّ هذه النّار الّتي وعدوا بها، وشدة ضرامها وقوة لهبها، كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وهكذا رجّح القرطبيّ، أنّ المراد بها الحجارة الّتي تسعّر بها النار لتحمر ويشتدّ لهبها، قال: ليكون ذلك أشدّ عذابًا لأهلها، قال: وقد جاء في الحديث عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «**كُلُّ مُؤْذٍ فِي النَّارِ**»(١).

وهذا الحديث ليس بمحفوظٍ ولا معروفٍ، ثمّ قال القرطبيّ: وقد فسّر بمعنيين؛ أحدهما: أنّ كلّ من آذى الناس دخل النار، والآخر: أن كل ما يؤذي في النّار يتأذّى به أهلها من السّباع والهوامّ وغير ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وما دام الحديث لا أصل له فيستراح من التوجيه؛ لأن السباع والهوام كلها تكون ترابًا.

والذي يؤذي كذلك محتمل أن يعذب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، فهم متوعَّدون، لكن قد يعفى عن العاصي، وقد يدخل النار في وقت ثم يخرج، فالمقصود أن الحديث لا أصل له ولا أساس له، فلا يعوَّل عليه، ولا يحتاج إلى أن يفسر؛ لأنه لا أساس له.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾؛ الأظهر أنّ الضّمير في ﴿أُعِدَّتۡ﴾ عائدٌ إلى النّار الّتي وقودها النّاس والحجارة، ويحتمل عوده إلى الحجارة، كما قال ابن مسعودٍ، ولا منافاة بين القولين في المعنى؛ لأنهما متلازمان.

---

(١) أخرجه الخطيب (١١/ ٢٩٧)، وابن عساكر (٣٨/ ٣٥٣).

و﴿أُعِدَّتْ﴾؛ أي: أرصدت، وحصلت للكافرين بالله ورسوله، كما قال ابن إسحاق عن محمّدٍ عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباس: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر.

وقد استدلّ كثيرٌ من أئمّة السّنّة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن؛ لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ﴾؛ أي: أرصدت وهيّئت، وقد وردت أحاديث كثيرةٌ في ذلك، منها: «**تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ**.»[(١)] وَمِنْهَا: «**وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**»[(٢)]، وحديث أبي هريرة: كنّا مع رسول الله ﷺ إذْ سمع وجبةً، فقال النّبيّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**»، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»، وهو عند مسلم[(٣)]، وحديث صلاة الكسوف، وليلة الإسراء، وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى، وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا، ووافقهم القاضي منذر بن سعيدٍ البلّوطيّ قاضي الأندلس.

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] برقم (٤٨٥٠)، ومسلم في كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء برقم (٢٨٤٦).

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر برقم (٥٣٧)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب الإبراد في بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقة برقم (٦١٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة، باب في شدة حر نار جهنم وبُعد قعرها برقم (٢٨٤٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا غلط قبيح؛ إنكار المعتزلة وجود النار والجنة، هذا غلط قبيح بنوه على أصولهم الفاسدة، والقاضي الذي تابعهم في هذا غلط معهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(تنبيه ينبغي الوقوف عليه):

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، وقوله في سورة يونس: ﴿بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾، يعمّ كلّ سورةٍ في القرآن؛ طويلةً كانت أم قصيرةً؛ لأنّها نكرةٌ في سياق الشّرط فتعمّ كما هي في سياق النّفي عند المحقّقين من الأصوليّين، كما هو مقرّرٌ في موضعه، فالإعجاز حاصلٌ في طوال السّور وقصارها، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين النّاس سلفًا وخلفًا.

وقد قال الرازي في تفسيره: فإن قيل: قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ يتناول سورة الكوثر وسورة العصر، و﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، ونحن نعلم بالضّرورة أنّ الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكنٌ؛ فإن قلتم: إنّ الإتيان بمثل هذه السّور خارج عن مقدار البشر، كان مكابرةً، والإقدام على هذه المكابرات ممّا يطرق بالتّهمة إلى الدّين.

(قلنا): فلهذا السّبب، اخترنا الطّريق الثّاني، وقلنا: إن بلغت هذه السور في الفصاحة حدّ الإعجاز فقد حصل المقصود، وإن لم يكن كذلك، كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى توهين أمره معجزًا، فعلى التّقديرين يحصل المعجز. هذا لفظه بحروفه، والصّواب أنّ كلّ سورةٍ من القرآن معجزةٌ لا يستطيع البشر معارضتها طويلةً كانت أو قصيرةً.

قال الشّافعيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لو تدبّر النّاس هذه السّورة لكفتهم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]، وقد روِّينا عن عمرو بن العاص أنّه وفد

على مسيلِمة الكذّاب قبل أن يسلم، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم بمكّة في هذا الحين؟ فقال له عمرٌو: لقد أنزل عليه سورةٌ وجيزةٌ بليغةٌ، فقال: وما هي؟ فقال: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾، ففكّر ساعةً ثمّ رفع رأسه، فقال: ولقد أنزل عليّ مثلها، فقال: وما هو؟ فقال: يا وبر يا وبر، إنّما أنت أذنان وصدرٌ، وسائرك حقرٌ فقرٌ، ثمّ قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرٌو: والله، إنّك لتعلم أنّي لأعلم أنّك تكذب.

* * *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٥﴾ [البقرة: ٢٥](١).

لمّا ذكر تعالى ما أعدّه لأعدائه من الأشقياء الكافرين به وبرسله من العذاب والنّكال، عطف يذكر حال أوليائه من السّعداء المؤمنين به وبرسله الّذين صدّقوا إيمانهم بأعمالهم الصّالحة، وهذا معنى تسمية القرآن مثاني على أصحّ أقوال العلماء كما سنبسطه في موضعه، وهو أن يذكر الإيمان ويتبع بذكر الكفر، أو عكسه أو حال السّعداء ثمّ الأشقياء، أو عكسه، وحاصله: ذكر الشّيء ومقابله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: هذا معنى قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ لأن السُّنَّة فيه القصص والأخبار، وتذكر فيه الأشياء

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المتضادة، فيكون مثاني؛ الجنة والنار، والمؤمن والكافر، والأبرار والفجار، والرسل وأعداؤهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأمّا ذكر الشّيء ونظيره فذاك التّشابه كما سنوضّحه إن شاء الله، فلهذا، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فوصفها بأنّها تجري من تحتها الأنهار، (كما وصف النار بأن وقودها الناس والحجارة، ومعنى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾)؛ أي: من تحت أشجارها وغرفها.

وقد جاء في الحديث: أنّ أنهارها تجري في غير أخدودٍ، وجاء في الكوثر أنّ حافّتيه قباب اللؤلؤ المجوف، ولا منافاة بينهما، فطينها المسك الأذفر، وحصباؤها اللّؤلؤ والجوهر[(١)]، نسأل الله من فضله إنّه هو البرّ الرّحيم.

وقال ابن أبي حاتمٍ: قرئ على الرّبيع بن سليمان، حدّثنا أسد بن موسى، حدّثنا ابن ثوبانٍ عن عطاء بن قرّة، عن عبد الله بن ضمرة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تفجر من تَحْتِ تِلَالِ أَوْ مِنْ تَحْتِ جِبَالِ الْمِسْكِ**»[(٢)].

وقال أيضًا: حدّثنا أبو سعيدٍ، حدّثنا وكيعٌ، عن الأعمش، عن عبد الله بن مرّة، عن مسروقٍ، قال: قال عبد الله: أنهار الجنة تفجر من جبل المسك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب التفسير، باب سورة الكوثر برقم (٤٩٦٤).

(٢) في تفسيره برقم (٢٥٣)، وأخرجه ابن حبان (٢٦٢٢).

مِن قَبْلُ﴾؛ قال السّدّيّ في تفسيره، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالح، عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة، عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ قال: إنّهم أتوا بالثّمرة في الجنّة، فلمّا نظروا إليها قالوا: هذا الّذي رزقنا من قبل في الدّنيا، وهكذا قال قتادة وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم، ونصره ابن جريرٍ، وقال عكرمة: ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾؛ قال: معناه: مثل الّذي كان بالأمس، وكذا قال الرّبيع بن أنسٍ.

وقال مجاهدٌ: يقولون: ما أشبهه به.

قال ابن جريرٍ: وقال آخرون: بل تأويل ذلك: هذا الّذي رزقنا من ثمار الجنّة من قبل هذا؛ لشدّةٍ مشابهة بعضه بعضًا؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾. قال سنيد بن داود، حدّثنا شيخٌ من أهل المصيصة، عن الأوزاعيّ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: يؤتى أحدهم بالصفحة من الشّيء، فيأكل منها، ثمّ يؤتى بأخرى، فيقول: هذا الذي أتينا به من قبل، فتقول الملائكة: كل، فاللّون واحدٌ والطّعم مختلفٌ.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا عامر بن يسافٍ، عن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: عشب الجنّة الزّعفران، وكثبانها المسك، ويطوف عليهم الولدان بالفواكه فيأكلونها، ثمّ يؤتون بمثلها، فيقول لهم أهل الجنّة: هذا الّذي أتيتمونا آنفًا به، فتقول لهم الولدان: كلوا، فاللون واحدٌ والطّعم مختلفٌ، وهو قول الله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾؛ قال: يشبه بعضه بعضًا، ويختلف في الطعم.

قال ابن أبي حاتمٍ: وروي عن مجاهدٍ والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ نحو ذلك.

وقال ابن جريرٍ بإسناده عن السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة، في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾؛ يعني: في اللّون والمرأى، وليس يشتبه في الطّعم، وهذا اختيار ابن جريرٍ.

وقال عكرمة ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾؛ قال: يشبه ثمر الدّنيا، غير أنّ ثمر الجنّة أطيب. وقال سفيان الثّوريّ، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عبّاسٍ: لا يشبه شيءٌ ممّا في الجنّة ما في الدّنيا إلّا في الأسماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يعني**: الحقائق غير ما في الدنيا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي روايةٍ: ليس في الدّنيا ممّا في الجنة إلا الأسماء، ورواه ابن جريرٍ من رواية الثّوريّ وابن أبي حاتمٍ من حديث أبي معاوية، كلاهما عن الأعمش، به.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾، قال: يعرفون أسماءه كما كانوا في الدّنيا التّفّاح بالتّفّاح والرّمّان بالرّمّان، قالوا في الجنّة: هذا الّذي رزقنا من قبل في الدّنيا وأتوا به متشابهًا يعرفونه وليس هو مثله في الطّعم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ قال ابن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: مطهّرةٌ من القذر والأذى، وقال مجاهدٌ: من الحيض والغائط والبول والنّخام والبزاق والمنيّ والولد، وقال قتادة: مطهّرةٌ من الأذى والمأثم، وفي روايةٍ عنه: لا حيض ولا كلف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مطهرة من كل شيء، مطهرة من هذا وهذا؛ لا حيض ولا بول ولا أذى ولا قذر، ولا خُلُق رديء، مطهرة من كل الأخلاق الرديئة، ومما يكون بالإنسان من نقص؛ من حيض وبول ونحو ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروي عن عطاءٍ والحسن والضّحّاك وأبي صالحٍ وعطيّة والسّدّيّ نحو ذلك.

وقال ابن جريرٍ: حدّثني يونس بن عبد الأعلى، أنبأنا ابن وهبٍ، عن عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم، قال: المطهّرة: الّتي لا تحيض، قال: وكذلك خلقت حوّاء عليها السلام، فلمّا عصت قال الله تعالى: إنّي خلقتك مطهّرةً وسأدميك كما أدميت هذه الشّجرة ـ وهذا غريبٌ[1].

وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدّثنا إبراهيم بن محمّدٍ، حدّثني جعفر بن محمّد بن حربٍ، وأحمد بن محمّدٍ الجوريّ، قالا: حدّثنا محمّد بن عبيدٍ الكنديّ، حدّثنا عبد الرّزّاق بن عمر البزيعيّ، حدّثنا عبد الله بن المبارك، عن شعبة، عن قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ، عن النّبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ قال: «**مِنَ الْحَيْضِ وَالْغَائِطِ وَالنُّخَاعَةِ وَالْبُزَاقِ**». هذا حديثٌ غريبٌ ـ وقد رواه الحاكم في مستدركه عن محمّد بن يعقوب، عن الحسن بن عليّ بن عفّان، عن محمّد بن عبيدٍ، به، وقال: صحيحٌ على شرط الشّيخين. وهذا الّذي ادّعاه فيه نظرٌ، فإنّ عبد الرّزّاق بن عمر البزيعيّ هذا قال فيه أبو حاتم بن حبّان البستيّ: لا يجوز الاحتجاج به.

(قلت): والأظهر أنّ هذا من كلام قتادة كما تقدّم، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾؛ هذا هو تمام السّعادة، فإنّهم مع هذا النّعيم في مقامٍ أمينٍ من الموت والانقطاع، فلا آخر له ولا انقضاء، بل في نعيمٍ سرمديٍّ أبديٍّ على الدّوام، والله المسؤول أن يحشرنا في زمرتهم، إنّه جوادٌ كريمٌ برٌّ رحيم.

---

(١) أورده ابن جرير في تفسيره (٥٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: مثلما قال في الآية ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١ ـ ٥٧]، فقال في أولها: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾، لا يعتريه خراب ولا دمار ولا فناء، قال بعد ذلك: ﴿ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾، فهم آمنون ومحلهم آمن أيضًا، فالمسكن آمن وهم آمنون، وهذه غاية النعمة وغاية الكرامة، والله أكبر.

❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦][(١)].

على ظاهر الآية: إن الله لا يستحي الحياء الذي يوصف به الربُّ ﷻ كما في الحديث: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَبارَكَ وَتَعالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْه فَيَرُدُّهُمَا صِفْرًا** أَوْ قَالَ: **خَائِبَتَيْن**»[(٢)].

وفي الحديث الآخر: أن رسول الله ﷺ بينما جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فلما وقفا على رسول الله ﷺ سلَّما، فأما أحدهما فرأى فُرجة في الحلقة

---

(١) من فتاوى نور على الدرب، (ج٢٧/ ١١).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث سلمان في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات، باب برقم (٣٥٥٦)، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء برقم (٣٨٦٥).

فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الآخر فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ، فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»**. متفق على صحته[1]؛ فالمعنى: أنه يوصف ربنا بالحياء على الوجه الذي يليق به، مما ليس من جنس حيائنا، حياء الله يليق به ولا يعلم كيفيته إلا هو ﷻ مثل ما نصفه بأنه يضحك، ويغضب، ويرضى ويرحم، ويحب، ويكره، كل ذلك على الوجه الذي يليق به ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢]. **«إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»**[2]. **«يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كلاهما يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ»**[3] إلى أحاديث أخرى.

فالمقصود أن الله ﷻ موصوف بالصفات التي أخبر بها عن نفسه أو

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي واقد الليثي أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها برقم (٦٦)، ومسلم في كتاب السلام، باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم برقم (٢١٧٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه برقم (١٧١٥)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٧).

(٣) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم فيسدد بعد ويقتل برقم (٢٨٢٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة برقم (١٨٩٠).

أخبر بها رسوله عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة، لكن على الوجه اللائق بالله نمرها كما جاءت، كما قال أهل السُّنَّة والجماعة نُمِرُّها كما جاءت مع الإيمان بها واعتقاد أنها حق، وأنها تليق بالله ولا يشابه فيها الخلق سبحانه وتعالى كما قال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]. قال مالك بن أنس - رحمه الله تعالى - إمام دار الهجرة في زمانه، في القرن الثاني، وهكذا قال سفيان الثوري وابن عيينة وإسحاق بن راهويه والأوزاعي وأشباههم، قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: أمِرُّوها كما جاءت. أمروها بلا كيف؛ يعني: أمِرُّوها واعتقدوا معناها وأنه حق لائق بالله لا يشابهه في ذلك خلقه، فهكذا الحياء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾.

وفي آية الأحزاب: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وهو سبحانه وتعالى لا يستحيي أن يضرب الأمثال بالبعوضة أو بالعنكبوت أو بالذباب كما وقع في سورة الحج، ضرب مثلًا بالذباب كل هذا حق لبيان الحق وإيضاح الحق لعباده سبحانه وتعالى وليس في هذا حياء، وكذلك رسله وأنبياؤه وأهل العلم لا يستحون أن يوضحوا للناس الحق بالأمثال، وإن كانت الأمثال في أشياء حقيرة من الدواب، فربنا يوصف بالحياء، ويقال: إنه حيي كريم، ويقال: إنه لا يستحيي من كذا وكذا على الوجه اللائق بالله، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته، ولا يماثلهم، بل هو موصوف بصفات الكمال على الوجه اللائق بالله، ولا يعلم كيفيتها إلا هو، فهو يضحك ولا نعلم كيف يضحك، الله، هو الذي يعلم هذا سبحانه وتعالى؛ لكن نعلم أنه ضحك ليس مثلنا، بل ضحك كامل يليق بالله لا يشابه ضحك المخلوقين، كذلك يرضى ونعلم أنه يرضى، ولكن ليس كرضائنا،

نعلم أنه يرحم ليس كرحمتنا، نعلم أنه يغضب ليس كغضبنا، نعلم أنه سميع ليس كأسماعنا بصير ليس كأبصارنا وسمعنا كل هذا يليق بالله، وهكذا بقية الصفات كلها تليق بربنا لا يشابه فيها خلقه في وجه من الوجوه، خلافًا لأهل البدع من الجهمية والمعتزلة، ومن شاركهم في بعض ذلك كالأشاعرة، وما أشبه ذلك.

الواجب على المسلم أن يتقي الله، وأن يسير على منهج رسوله ﷺ، وعلى منهج أئمة السُّنَّة من أهل السُّنَّة والجماعة، وذلك بالإيمان بأسماء الله وصفاته وإمرارها كما جاءت، واعتقاد أنها حق، وأنها لائقة بالله، وأنه ﷻ ليس له مثيل، ولا شبيه، ولا نظير، وأنه أعلم بصفاته وكيفيتها من خلقه ﷻ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنمرها كما جاءت، ونقول أنها حق، لكن من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، بل نقول كما قال السلف الصالح: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ سبحانه وتعالى.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ **[البقرة: ٢٦، ٢٧]**(١).

قال السّدّيّ في تفسيره، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: لمّا ضرب الله

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذين المثلين للمنافقين؛ يعني: قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾، وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ الآيات الثّلاث، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة: لما ذكر الله تعالى العنكبوت والذّباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

وقال سعيدٌ عن قتادة: أي: إنّ الله لا يستحيي من الحق أن يذكر شيئا مما قلّ أو كثر، وإنّ الله حين ذكر في كتابه الذّباب والعنكبوت، قال أهل الضّلالة: ما أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

(قلت): العبارة الأولى عن قتادة فيها إشعارٌ أنّ هذه الآية مكّيّةٌ، وليس كذلك، وعبارة رواية سعيدٍ عن قتادة أقرب، والله أعلم.

وروى ابن جريجٍ عن مجاهدٍ نحو هذا الثّاني عن قتادة. وقال ابن أبي حاتمٍ: روي عن الحسن وإسماعيل بن أبي خالدٍ نحو قول السّدّيّ وقتادة.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ في هذه الآية، قال: هذا مثل ضربه الله للدنيا، إن البعوضة تحيا ما جاعت، فإذا سمنت ماتت، وكذلك مثل هؤلاء القوم الّذين ضرب لهم هذا المثل في القرآن إذا امتلؤوا من الدنيا ريًّا أخذهم الله عند ذلك، ثمّ تلا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، هكذا رواه ابن جريرٍ، ورواه ابن أبي حاتمٍ من حديث أبي جعفرٍ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، بنحوه، فالله أعلم.

فهذا اختلافهم في سبب النّزول.

وقد اختار ابن جريرٍ ما حكاه السّدّيّ؛ لأنّه أمسّ بالسّورة، وهو

مناسبٌ، ومعنى الآية أنّه تعالى أخبر أنّه لا يستحيي؛ أي: لا يستنكف وقيل: لا يخشى أن يضرب مثلًا ما؛ أي: أيّ مثلٍ كان، بأيّ شيءٍ كان صغيرًا كان أو كبيرًا، و﴿مَّا﴾ هاهنا للتّقليل، وتكون ﴿بَعُوضَةً﴾ منصوبةً على البدل؛ كما تقول: لأضربنّ ضربًا ما، فيصدق بأدنى شيءٍ، أو تكون ﴿مَّا﴾ نكرةً موصوفةً ببعوضةٍ، واختار ابن جريرٍ أنّ ﴿مَّا﴾ موصولةٌ و﴿بَعُوضَةً﴾ معربةٌ بإعرابها، قال: وذلك سائغٌ في كلام العرب أنهم يعربون صلة (ما) و(من) بإعرابهما؛ لأنّهما يكونان معرفةً تارةً ونكرةً أخرى، كما قال حسان بن ثابت:

وكفى بنا فضلًا على من غيرنا　　حبّ النبي محمد إيانا

قال: ويجوز أن تكون ﴿بَعُوضَةً﴾ منصوبةً بحذف الجارّ، وتقدير الكلام: إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بين بعوضةٍ إلى ما فوقها. وهذا الّذي اختاره الكسائيّ والفرّاء.

وقرأ الضحاك وإبراهيم بن أبي عبلة: بعوضةٌ بالرّفع، قال ابن جنّيٍّ: وتكون صلةً (لما)، وحذف العائد؛ كما في قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الأنعام ١٥٤]؛ أي: على الذي هو أحسن، وحكى سيبويه: ما أنا بالّذي قائل لك شيئًا؛ أي: بالذي هو قائل لك شيئًا

وقوله تعالى: ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: فما دونها في الصّغر والحقارة، كما إذا وصف رجلٌ باللّؤم والشّحّ، فيقول السّامع: نعم، وهو فوق ذلك ـ يعني: فيما وصفت ـ، وهذا قول الكسائيّ وأبي عبيدة، قاله الرّازيّ وأكثر المحقّقين.

وفي الحديث: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد ﷺ في كتاب الزهد عن =

والثّاني: فما فوقها لما هو أكبر منها؛ لأنّه ليس شيءٌ أحقر ولا أصغر من البعوضة، وهذا قول قتادة بن دعامة واختيار ابن جرير، فإنه يؤيده ما رواه مسلمٌ عن عائشة رضي الله عنها أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فما فوقها إلا كتب لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»[1]، فأخبر أنّه لا يستصغر شيئًا يضرب به مثلًا ولو كان في الحقارة والصّغر كالبعوضة، كما لا يستنكف عن خلقها، كذلك لا يستنكف عن ضرب المثل بها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وما ذاك إلا لما فيه من العبر، وأنه سبحانه وتعالى الخلاق العليم القادر على كل شيء، وله الحكمة البالغة، وله أن يضرب الأمثال بالشيء الحقير وبالشيء الكبير، ففي ضرب الأمثال عبر وذكرى لذوي الألباب، فإذا كان خَلْق الجمل والجبل فيه آية، فهكذا خَلْق البعوضة وما يشبهها فيه عبر أيضًا وعظة، كونه خلقها وجعل فيها مجالًا للإحساس على صغرها وحقارتها، ففي ذلك عبرة وآية ودلالة على قدرته العظيمة جل وعلا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

كما ضرب المثل بالذّباب والعنكبوت في قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]، وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟

= رسول الله ﷺ، باب ما جاء فى هوان الدنيا على الله عز وجل برقم (٢٣٢٠)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مثل الدنيا برقم (٤١١٠).

(١) متفق عليه، من حديث عائشة، أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ الْمَرَضِ. وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ برقم (٥٦٤٠). ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها برقم (٢٥٧٢).

يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [النّحل: ٧٥]، ثمّ قال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ﴾ [النّحل: ٧٦]، كما قال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [الرّوم: ٢٨]، وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وفي القرآن أمثالٌ كثيرةٌ.

قال بعض السّلف: إذا سمعت المثل في القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي؛ لأنّ الله قال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾. وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾: الأمثال صغيرها وكبيرها يؤمن بها المؤمنون، ويعلمون أنّها الحقّ من ربّهم، ويهديهم الله بها.

وقال قتادة: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ﴾؛ أي: يعلمون أنّه كلام الرّحمٰن وأنّه من عند الله، وروي عن مجاهدٍ والحسن والرّبيع بن أنسٍ نحو ذلك. وقال أبو العالية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ﴾؛ يعني: هذا المثل، ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ﴾، كما قال في سورة المدّثّر: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ

ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [الْمُدَّثِّر: ٣١]، وكذلك قال هاهنا: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾؛ يعني به: المنافقين، ﴿وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾؛ يعني: به المؤمنين، فيزيد هؤلاء ضلالة إلى ضلالتهم لتكذيبهم بما قد علموه حقًّا يقينًا من المثل الذي ضربه الله بما ضرب لهم، وأنه لما ضرب له موافقٌ، فذلك إضلال الله إيّاهم به، ويهدي به؛ يعني: بالمثل، كثيرًا من أهل الإيمان والتّصديق، فيزيدهم هدًى إلى هداهم وإيمانًا إلى إيمانهم؛ لتصديقهم بما قد علموه حقًّا يقينًا أنه موافق لما ضربه الله له مثلًا وإقرارهم به، وذلك هدايةٌ من الله لهم به، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾؛ قال: هم المنافقون.

وقال أبو العالية: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾؛ قال: هم أهل النّفاق، وكذا قال الرّبيع بن أنسٍ.

وقال ابن جريجٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾؛ قال: يقول: يعرفه الكافرون فيكفرون به.

وقال قتادة: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾؛ فسقوا فأضلّهم الله على فسقهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والفاسق هو الخارج عن طاعة الله، ويشمل المنافق ويشمل الكافر عند الإطلاق، فكلهم خرجوا عن طاعة الله؛ فالكافر خرج عنها علنًا، والمنافق خرج بالتلبيس والمخادعة، فلهذا، كانت الأمثال ضاربة لهم إلا من أراد الله له الهداية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، عن إسحاق بن سليمان، عن أبي سنانٍ، عن عمرو بن مرّةٍ، عن مصعب بن سعدٍ، عن سعدٍ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا﴾؛ يعني: الخوارج.

وقال شعبة، عن عمرو بن مرّة، عن مصعب بن سعدٍ، قال: سألت أبي، فقلت: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى آخر الآية، فقال: هم الحرورية.

وهذا الإسناد وإن صحّ عن سعد بن أبي وقّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو تفسيرٌ على المعنى، لا أنّ الآية أريد منها التّنصيص على الخوارج الّذين خرجوا على عليٍّ بالنّهروان، فإنّ أولئك لم يكونوا حال نزول الآية، وإنّما هم داخلون بوصفهم فيها مع من دخل؛ لأنّهم سموا خوارج لخروجهم عن طاعة الإمام والقيام بشرائع الإسلام.

والفاسق في اللّغة هو الخارج عن الطّاعة أيضًا، وتقول العرب: فسقت الرّطبة، إذا خرجت من قشرتها، ولهذا، يقال للفأرة: فويسقة؛ لخروجها عن جحرها للفساد.

وثبت في الصّحيحين عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خَمْسُ فَوَاسَقَ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ: الْغُرَابُ وَالْحِدَأَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ**»(١).

فالفاسق يشمل الكافر والعاصي، ولكنّ فسق الكافر أشدّ وأفحش، والمراد به من الآية الفاسق الكافر، والله أعلم؛ بدليل أنه وصفهم بقوله

---

(١) متفق عليه، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب خَمْسٌ مِنَ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ برقم (٣٣١٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب فى الحل والحرم برقم (١١٩٨).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾. وهذه الصّفات صفات الكفّار المباينة لصفات المؤمنين كما قال تعالى في سورة الرّعد: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢١]، إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٥]

وقد اختلف أهل التّفسير في معنى العهد الّذي وُصِف هؤلاء الفاسقين بنقضه، فقال بعضهم: هو وصيّة الله إلى خلقه وأمره إيّاهم بما أمرهم به من طاعته، ونهيه إيّاهم عمّا نهاهم عنه من معصيته في كتبه وعلى لسان رسله، ونقضهم ذلك هو تركهم العمل به.

وقال آخرون: بل هي في كفّار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وعهد الله الّذي نقضوه هو ما أخذ الله عليهم في التّوراة من العمل بما فيها واتّباع محمّدٍ ﷺ إذا بُعِث والتّصديق به وبما جاء به من عند ربّهم، ونقضهم ذلك هو جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وإنكارهم ذلك وكتمانهم علم ذلك عن النّاس بعد إعطائهم الله من أنفسهم الميثاق ليبيّننّه للنّاس ولا يكتمونه، فأخبر تعالى أنّهم نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا. وهذا اختيار ابن جريرٍ رحمه الله، وهو قول مقاتل بن حيّان.

وقال آخرون: بل عنى بهذه الآية جميع أهل الكفر والشّرك والنّفاق.

وعهده إلى جميعهم في توحيده ما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهده إليهم في أمره ونهيه ما احتجّ به لرسله من المعجزات الّتي لا يقدر أحدٌ من النّاس غيرهم أن يأتي بمثلها، الشّاهدة لهم على

صدقهم، قالوا: ونقضهم ذلك: تركهم الإقرار بما قد تبينت لهم صحّته بالأدلّة، وتكذيبهم الرّسل والكتب مع علمهم أنّ ما أتوا به حقٌّ. وروي عن مقاتل بن حيان أيضًا نحو هذا وهو حسنٌ، وإليه مال الزّمخشريّ، فإنّه قال: فإن قلت: فما المراد بعهد الله؟ قلت: ما ركّز في عقولهم من الحجة على التّوحيد؛ كأنّه أمرٌ وصّاهم به ووثّقه عليهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ إذ أخذ الميثاق عليهم من الكتب المنزلة عليهم؛ كقوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال آخرون: العهد الذي ذكره تعالى هو العهد الّذي أخذه عليهم حين أخرجهم من صلب آدم الّذي وصف في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، الآيتين، ونقضهم ذلك تركهم الوفاء به، وهكذا روي عن مقاتل بن حيّان أيضًا، حكى هذه الأقوال ابن جريرٍ في تفسيره.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾؛ قال: هي ستّ خصالٍ من المنافقين إذا كانت فيهم الظّهرة على النّاس أظهروا هذه الخصال: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظّهرة عليهم أظهروا الخصال الثّلاث: إذا حدّثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا اؤتمنوا خانوا. وكذا قال الرّبيع بن أنسٍ أيضًا.

الطالب. قال: ونحن نعلم بالضرورة أن الإتيان بمثله أو بما يقرب منه ممكن؛ فإن قلتم: إن الإتيان بمثل هذه السورة خارج عن مقدار البشر، كان مكابرة، والإقدام على هذه المكابرة مما يطرق بالتهمة إلى الدين.

قلنا: ولهذا السبب أنكرنا الطريق الثاني، وقلنا: إن بلغت هذه السورة في الفصاحة حد الإعجاز فقد حصل المقصود، وإن لم يكن كذلك، كان امتناعهم من المعارضة مع شدة دواعيهم إلى تهوين أمره معجزًا، فعلى التقديرين يحصل المعجز؛ هذا لفظه في حروفه، والصواب أن كل سورة من القرآن معجزة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ أجاب عنه المؤلف، والصواب أنه معجز بنفسه الصفة، ومعجز لما فيه من الفصاحة والأحكام.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقَالَ السُّدِّيُّ فِي تَفْسِيرِهِ بِإِسْنَادِهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ قَالَ: هُوَ مَا عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي الْقُرْآنِ، فَأَقَرُّوا بِهِ ثُمَّ كَفَرُوا فَنَقَضُوهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه التفاسير كلها لا خلاف بينها، والآية تعمُّها كلها، فالذين نقضوا عهد الله وقد أخذ عليهم، والذين عصوا الرسل وخالفوهم وتابعوا الهوى، سواء كانوا من هذه الأمة أو ممن قبلنا من اليهود والنصارى وغيرهم، كلهم داخلون في هذا، كلهم ملعونون، والعياذ بالله، وكلهم ضالون؛ لأنهم عرفوا وأنكروا واتبعوا الهوى وعصوا المولى عَزَّوَجَلَّ، وقد أخذ عليهم الميثاق وهم في صلب آبائهم، وأرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتاب، وقامت عليهم الحجة، فهم داخلون في هذا: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠]، فهو عهد إلى عباده على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام وفطرهم على التوحيد، لكنهم تابعوا الشياطين وأطاعوا الهوى

وعصوا الرسل ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فتعمُّهم هذه الآيات جميعًا، سواء كانوا من العرب أو من العجم، من هذه الأمة أو ممن قبلهم، فالآية عامة تعم الجميع، فيستحقون هذا الذم في نقضهم عهد الله وقطعهم ما أمر الله به أن يوصل وإفسادهم في الأرض، وهذا وصف الكفار جميعًا من اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة من هذه الأمة ومن غيرها. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾؛ قيل: المراد به صلة الأرحام والقرابات، كما فسّره قتادة؛ كقوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمّد: ٢٢]، ورجّحه ابن جريرٍ، وقيل: المراد أعمّ من ذلك، فكلّ ما أمر الله بوصله وفعله فقطعوه وتركوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أعم، هذا يعم صلة الرحم، ويعم ما أمرت به الرسل من الصِّلات؛ كالإيمان بالله ورسوله والإيمان بالملائكة وبالكتب وباليوم الآخر وبالقدر وغير هذا، فمن قطع شيئًا مما وصله الله دخل في العموم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مقاتل بن حيّان في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾؛ قال: في الآخرة، وهذا كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرّعد: ٢٥].

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: كلّ شيءٍ نسبه الله إلى غير أهل الإسلام من اسمٍ مثل خاسرٍ فإنّما يعني به الكفر، وما نسبه إلى أهل الإسلام، فإنّما يعني به الذّنب.

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾؛ الخاسرون: جمع خاسرٍ، وهم الناقصون أنفسهم حظوظهم بمعصيتهم الله

من رحمته، كما يخسر الرّجل في تجارته بأن يوضع من رأس ماله في بيعه. وكذلك المنافق والكافر خسر بحرمان الله إيّاه رحمته الّتي خلقها لعباده في القيامة أحوج ما كانوا إلى رحمته، يقال منه: خسر الرّجل يخسر خسرًا؛ وخسرانًا وخسارًا كما قال جرير بن عطيّة:

إنّ سليطًا في الخسار إنّه أولاد قومٍ خلقوا أقنّه

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: الخسارة خسارتان في الدنيا والآخرة؛ خسارة الأرباح، قد تكون خسارة طفيفة، وقد تكون خسارة كبيرة؛ بأن تتلف عليه أمواله بالحرق والغرق فيعظم الخسران، وقد تكون طفيفة؛ كأن يتلف بعض المتاع بالسرقة أو بحرق قليل أو ما أشبه ذلك.

وهكذا الخسارة في الدين، نعوذ بالله، خسارة الكافرين خسارة كبرى؛ يعني: خسروا الدنيا والآخرة وصاروا إلى النار، والعياذ بالله، خسروا الخسارة الكاملة؛ كما في قوله ﷻ: ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١]، وهناك خسارة أقل، وهي خسارة العاصي، العاصي يخسر بعض ما ربحه المؤمنون الذين ربحوا السعادة الكاملة وربحوا الجنة من أول وهلة، والعاصي الذي دخل النار بمعصيته حصل له بعض الخسران وفاته بعض الربح، وإن لم يخلد في النار، لكن على كل حال حصل له خسارة، خسارة ربحها المؤمنون وهو خسرها، سواء حصل له مدة طويلة في النار أو قليلة، فالخسارة حاصلة، لكنها دون خسارة الكفار، خسارة الكافر أعظم؛ لأنه خسر الآخرة والدنيا جميعًا، وصار إلى النار أبد الآباد. والعاصي الذي دخل النار له خسران، لكنه دون خسارة الكافر، وهكذا الفسق والظلم والكفر. نسأل الله العافية.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨][1].

يقول تعالى محتجًّا على وجوده وقدرته، وأنّه الخالق المتصرّف في عباده: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ أي: كيف تجحدون وجوده أو تعبدون معه غيره، ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾؛ أي: وقد كنتم عدمًا فأخرجكم إلى الوجودِ؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، والآيات في هذا كثيرةٌ.

وقال سفيان الثّوريّ، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]؛ قال: هي الّتي في البقرة: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾.

وقال ابن جريجٍ، عن عطاءٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾: أمواتًا في أصلاب آبائكم لم تكونوا شيئًا حتّى خلقكم، ثمّ يميتكم موتة الحقّ، ثمّ يحييكم حين يبعثكم؛ قال: وهي مثل قوله تعالى: ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾؛ قال: كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتةٌ، ثمّ أحياكم فخلقكم، فهذه حياةٌ، ثمّ يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتةٌ أخرى، ثمّ يبعثكم يوم القيامة، فهذه حياةٌ أخرى، فهذه ميتتان وحياتان، فهو كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وهكذا روي عن السّدّيّ بسنده، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصحابة، وعن أبي العالية والحسن البصري ومجاهدٍ وقتادة وأبي صالحٍ والضّحّاك وعطاءٍ الخراسانيّ، نحو ذلك.

وقال الثّوريّ عن السّدّيّ، عن أبي صالحٍ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨]؛ قال: يحييكم في القبر ثمّ يميتكم.

وقال ابن جريرٍ، عن يونس، عن ابن وهبٍ، عن عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم، قال: خلقكم في ظهر آدم، ثمّ أخذ عليكم الميثاق، ثمّ أماتكم، ثمّ خلقكم في الأرحام، ثمّ أماتكم، ثمّ أحياكم يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾. وهذا غريبٌ والّذي قبله.

والصّحيح ما تقدّم عن ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ، وأولئك الجماعة من التّابعين، وهو كقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٦]. [و(عبر) عن الحال قبل الوجود بالموت؛ لجامع ما يشتركان فيه من عدم] الإحساس؛ كما قال في الأصنام: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الآية [النحل: ٢١]، وقال: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا حق، فإن الناس كانوا عدمًا، أبوهم آدم عدم، وذريته عدم، فهذا موت؛ لأنه شيء لا إحساس له ولا وجود له، ثم أحياهم الله في بطون أمهاتهم حياة مستمرة حتى أخرجهم من البطون، ثم أماتهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الدنيا، ثم أحياهم الحياة الكاملة يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان؛ موتتان: الموتة الأولى كونه عدمًا أو نطفةً في الأصلاب ثم في الأرحام

ثم علقة ثم مضغة ثم جاءتهم الحياة، يسمون أمواتًا قبل وجودهم، أموات عدم، وهكذا بعد وجودهم في الأرحام نطف جماد لا حراك فيه، ثم العلقة ثم المضغة، ثم جاءت الحياة بنفخ الروح، الحياة الحقيقية بنفخ الروح، ثم الموت بعد ذلك، ثم جاءت الحياة الأخرى التي هي أكمل الحياتين يوم القيامة؛ إما جنة وإما نار. والله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ **[البقرة: ٢٩]**[1].

لمّا ذكر تعالى دلالةً من خلقهم وما يشاهدونه من أنفسهم، ذكر دليلًا آخر ممّا يشاهدونه من خلق السموات والأرض، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾؛ أي: قصد إلى السماء. والاستواء هاهنا مضمّن معنى القصد والإقبال؛ لأنّه عدّي بإلى ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾؛ أي: فخلق السّماء سبعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يعني**: ارتفاع مضمّن بمعنى القصد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والسّماء هاهنا اسم جنس، فلهذا قال: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: وعلمه محيطٌ بجميع ما خلق، كما قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤]

وتفصيل هذه الآية في سورة حم السّجدة، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصّلت: ٩ ـ ١٢].

ففي هذا دلالةٌ على أنّه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولًا، ثم خلق السموات سبعًا، وهذا شأن البناء، أن يبدأ بعمارة أسافله ثمّ أعاليه بعد ذلك، وقد صرّح المفسّرون بذلك، كما سنذكره بعد هذا إن شاء الله.

فأمّا قوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النّازعات: ٢٧ ـ ٣٣]، فقد قيل: إنّ (ثمّ) هاهنا إنّما هي لعطف الخبر على الخبر، لا لعطف الفعل على الفعل؛ كما قال الشاعر:

قل لمن ساد ثمّ ساد أبوه   ثمّ قد ساد قبل ذلك جدّها

وقيل: إنّ الدحي كان بعد خلق السموات، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ، وقد قال السّدّيّ في تفسيره، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالح عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾؛ قال: إنّ الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئًا غير ما خلق قبل الماء، فلمّا أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسمّاه سماءً، ثمّ أيبس الماء فجعله أرضًا واحدةً، ثمّ فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والاثنين، فخلق الأرض على حوتٍ، والحوت هو [النّون] الّذي ذكره الله في القرآن: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]، والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاةٍ، والصّفاة على ظهر ملكٍ، والملك على صخرةٍ، والصّخرة في الرّيح، وهي الصّخرة الّتي ذكر لقمان، ليست في السّماء ولا في الأرض، فتحرّك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض

فأرسى عليها الجبال فقرّت، فالجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين، في الثّلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقول: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصّلت: ٩ ـ ١٠]؛ يقول: أنبت شجرها، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ لِأَهْلِهَا، ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]؛ يقول: لمن يسألك: هكذا الْأَمْرُ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصّلت: ١١]، وذلك الدّخان من تنفّس الماء حين تنفّس، فجعلها سماءً واحدةً ثمّ فتقها فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة، إنما سمّي يوم الجمعة؛ لأنّه جمع فيه خلق السموات والأرض، ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ قال: خلق الله في كلّ سماءٍ خلقها من الملائكة والخلق الّذي فيها من البحار والجبال والبرد ومما لا يعلم، ثمّ زيّن السّماء الدّنيا بالكواكب فجعلها زينةً وحفظًا تحفظ من الشّياطين.

فلمّا فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش، فذلك حيث يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠، ٣١]؛ الدحي شيء والخلق شيء، فالأرض أولًا خلقت ثم السماء، ثم دحيت الأرض، فلا منافاة بين الآيات: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النّازعات: ٢٧ ـ ٣١]؛ يعني: البعدية هنا في مسألة الدحي لا في مسألة الخلق، فالله خلق الأرض أولًا، وهي الأساس، ثم خلق السماء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: حدّثني المثنّى، عن عبد الله بن صالحٍ، حدّثني أبو معشرٍ، عن سعيد بن أبي سعيدٍ، عن عبد الله بن سلامٍ، أنّه قال: إنّ الله بدأ الخلق يوم الأحد، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرّواسي في الثّلاثاء والأربعاء، وخلق السموات في الخميس والجمعة، وفرغ في آخر ساعةٍ من يوم الجمعة فخلق فيها آدم على عجلٍ، فتلك السّاعة الّتي تقوم فيها السّاعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كل هذه من أخبار بني إسرائيل، والعمدة فيها ما دل عليه القرآن، أما ما ذكره ابن عباس وعبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وغير ذلك كلها من أخبار بني إسرائيل، لا يعتمد عليها، وإنما العمدة على ما جاء في كتاب الله العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما صحَّت به السُّنَّة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فالله جَلَّ وَعَلَا بيَّن لنا أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وجعل خلق الأرض في يومين، وأقواتها وما تحتاج إليه كلها في أربعة أيام، أما السماء ففي يومين، فهذا هو الذي نص عليه كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

أما التفاصيل في الحوت أو النون والصخرة، كل هذه لا يعتمد عليها، كلها ما يتلقى عن بني إسرائيل وفيهم الكذبة والفجرة والكفرة فلا يعتمد عليها، ولهذا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا: آمَنَّا بِاللهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ؛ فَإِنْ كَانَ حَقًّا لَمْ تُكَذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كَانَ بَاطِلًا لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ**»(١).

وإنما يصدق من أخبارهم ما دل عليه الكتاب العظيم والسُّنَّة المطهرة، وما لا، فلا، ولهذا، ذكر ابن كثير في أول التفسير وفي التاريخ، وذكر غيره أيضًا، أن أخبار بني إسرائيل على أقسام ثلاثة:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي نملة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٤/ ١٣٦).

قسم دلَّ الكتاب على صدقه، فيصدَّق.

وقسم دلَّ الكتاب أو السُّنَّة على كذبه، فيكذَّب.

وقسم لم يأت في الكتاب والسُّنَّة ما يدل على صدقه أو كذبه، فيوقف، فيقال: آمنا بالله وما أنزل إلينا من عنده ﷻ، حتى يتبين ما يدل على صدقه أو كذبه، أو موقوفًا، حتى يتبين من الكتاب أو السُّنَّة الصحيحة ما يدل على صدقه فيصدق، أو على كذبه فيكذب، هذه هي أحوال أخبار بني إسرائيل.

ومثلها في المعنى أخبار الحسَّابين أصحاب الفلك وما يقولون، فهم على هذا النمط، لا تصدق ولا تكذب إلا ما دل الدليل على صدقه أو كذبه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾؛ قال: خلق الله الأرض قبل السّماء، فلمّا خلق الأرض ثار منها دخانٌ، فذلك حين يقول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾؛ قال: بعضهنّ فوق بعض، وسبع أرضين؛ يعني: بعضهن تحت بعضٍ.

وهذه الآية دالة على أن الأرض خُلقت قبل السماء؛ كما قال في آية السجدة: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢]، فهذه وهذه دالتان على أن الأرض خلقت قبل السماء، وهذا ما لا أعلم فيه نزاعًا بين العلماء، إلا ما نقله ابن جرير عن قتادة: أنه زعم أن السماء خلقت قبل الأرض، وقد توقف في ذلك القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا

فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٧ ـ ٣١]؛ قالوا: فذكر خلق السماء قبل الأرض.

وفي صحيح البخاري: أن ابن عباس سئل عن هذا بعينه، فأجاب بأن الأرض خُلقت قبل السماء، وأن الأرض إنما دُحيت بعد خلق السماء(١)، وكذلك أجاب غير واحد من علماء التفسير قديمًا وحديثًا، وقد قررنا ذلك في تفسير سورة النازعات.

وحاصل ذلك أن الدحيَ مفسَّر بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٢]؛ ففسر الدحي بإخراج ما كان مودعًا فيها بالقوة إلى الفعل، لما اكتملت صورة المخلوقات الأرضية ثم السماوية، دحى بعد ذلك الأرض، فأخرجت ما كان مودعًا فيها من المياه، فنبتت النباتات على اختلاف أصنافها وصفاتها وألوانها وأشكالها، وكذلك جرت هذه الأفلاك فدارت بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقد ذكر ابن أبي حاتم وابن مردويه في تفسير هذه الآية الحديث الّذي رواه مسلمٌ والنّسائيّ في التّفسير أيضًا من رواية ابن جريجٍ، قال: أخبرني إسماعيل بن أميّة، عن أيّوب بن خالدٍ، عن عبد الله بن رافعٍ مولى أمّ سلمة، عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ الْجِبَالَ فِيهَا يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ فِيهَا يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**».

وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلمٍ، وقد تكلّم عليه عليّ بن

(١) أخرجه في كتاب التفسير، باب سورة حم السجدة ساقه بعد الحديث رقم (٤٨١٥).

المدينيّ والبخاريّ وغير واحدٍ من الحفّاظ وجعلوه من كلام كعبٍ، وأنّ أبا هريرة إنّما سمعه من كلام كعب الأحبار، وإنّما اشتبه على بعض الرّواة، فجعلوه مرفوعًا، وقد حرّر ذلك البيهقي[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، الظاهر فيه وهم أيوب بن خالد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة، عن كعب، غلط ورفعه؛ لأن قد تقرر بالأدلة العظيمة من القرآن أن السماوات والأرض وما فيهما خلق الجميع في ستة أيام كما نص عليه المولى سبحانه في آيات كثيرة، قال: في ستة أيام، وهذه الرواية تقتضي أن يكون الخلق في سبعة أيام، فعلم أنها وهم، وقع في وهم وغلط، وإنما هو من كلام كعب الأحبار، وهو ينقل عن صحف بني إسرائيل، وفيها الغلط والخطأ والأوهام والتحريف، فهو من تحريفهم وأغلاطهم، والصواب أنه ليس بمرفوع، ولكنه موقوف، وهذا الغلط الذي وقع فيه بعض الرواة هو أيوب شيخ إسماعيل بن أمية.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يخبر تعالى بامتنانه على بني آدم بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٥)، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ٤١٣) معلقًا، ووصله مسلم كتاب الجنة والنار باب ابتداء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ برقم (٢٧٨٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٢٧).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾؛ أي: واذكر يا محمّد إذ قال ربّك للملائكة، واقصص على قومك ذلك.

وحكى ابن جريرٍ عن بعض أهل العربيّة، وهو أبو عبيدة، أنّه زعم أنّ «إذ» هاهنا زائدةٌ، وأنّ تقدير الكلام: وقال ربّك، وردّه ابن جريرٍ.

وقوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ أي: قومًا يخلف بعضهم بعضًا قرنًا بعد قرنٍ وجيلًا بعد جيل كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، قال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النّمل: ٦٢]، وَقَالَ: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَـٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزُّخْرُفِ: ٦٠]، وَقَالَ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مَرْيَمَ: ٥٩].

وقرئ في الشاذ إنّي جاعلٌ في الأرض خليقةً، **حكاه الزمخشري وغيره، ونقلها القرطبي عن زيد بن علي.**

وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط، إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فإنهم إنما أرادوا أنّ من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنّهم علموا ذلك بعلم خاصٍّ أو بما فهموه من الطّبيعة البشريّة، فإنّه أخبرهم أنّه يخلق هذا الصّنف من صلصالٍ من حمإٍ مسنونٍ، أو أنهم قاسوه على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسّرين في ذلك.

وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم كما قد يتوهّمه بعض المفسّرين - **[وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول؛ أي: لا يسألونه شيئًا لم يأذن لهم فيه، وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقًا، قال قتادة: وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها، فقالوا:** ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية][1].

(١) ساقط في بعض النسخ.

وإنّما هو سؤال استعلامٍ واستكشافٍ عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربّنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أنّ منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدّماء، فإن كان المراد عبادتك فنحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك؛ أي: نصلّي لك، كما سيأتي؛ أي: ولا يصدر منّا شيءٌ من ذلك، وهلّا وقع الاقتصار علينا؟

قال الله تعالى مجيبًا لهم عن هذا السّؤال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾؛ أي: إنّي أعلم من المصلحة الرّاجحة في خلق هذا الصّنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصّدّيقون والشّهداء والصّالحون والعبّاد والزّهّاد والأولياء والأبرار والمقربون والعلماء والعاملون والخاشعون والمحبّون له تبارك وتعالى، المتّبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وقد ثبت في الصّحيح أنّ الملائكة إذا صعدت إلى الرّبّ تعالى بأعمال عباده يسألهم وهو أعلم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: «**أتيناهم وهم يصلّون وتركناهم وهم يصلّون**»[(١)]. وذلك؛ لأنّهم يتعاقبون فينا ويجتمعون في صلاة الصّبح وفي صلاة العصر، فيمكث هؤلاء ويصعد أولئك بالأعمال، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ**»[(٢)].

فقولهم: أتيناهم وهم يصلّون، وتركناهم وهم يصلون، من تفسير قوله لهم: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾، وقيل: معنى قوله تعالى جوابًا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٤٤ و٣٩٦).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: «**إن الله لا ينام**». وفي قوله: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، برقم (١٧٩).

لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾: إني لي حكمةً مفصّلةً في خلق هؤلاء، والحالة ما ذكرتم، لا تعلمونها.

وقيل: إنه جواب (لقولهم)[1]: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾، فقال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾؛ أي: من وجود إبليس بينكم، وليس هو كما وصفتم أنفسكم به.

وقيل: بل تضمّن قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ طلبًا منهم أن يسكنوا الأرض بدل بني آدم، فقال الله تعالى لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ من أنّ بقاءكم في السماء أصلح لكم وأليق بكم. ذكرها الرازي مع غيرها من الأجوبة، والله أعلم.

❐ ذكر أقوال المفسّرين ببسط ما ذكرناه

قال ابن جرير: حدّثني القاسم بن الحسن، قال: حدّثنا الحسين، قال: حدّثني الحجّاج، عن جرير بن حازم ومباركٍ، عن الحسن وأبي بكرٍ، عن الحسن وقتادة، قالوا: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾؛ قال لهم: إنّي فاعلٌ، وهذا معناه أنّه أخبرهم بذلك.

وقال السّدّيّ: استشار الملائكة في خلق آدم، رواه ابن أبي حاتمٍ، قال: وروي عن قتادة نحوه. وهذه العبارة إن لم ترجع إلى معنى الإخبار ففيها تساهلٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن هذا ما هو باستشارة؛ بل إخبار لهم أني جاعل في الأرض خليفة، ليس باستشارة، وإنما هو خبر، ليعلموا ذلك ويحيطوا به، فالاستشارة هنا ما لها محل.

---

(١) ساقط من بعض النسخ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبارة الحسن وقتادة في رواية ابن جريرٍ أحسن، والله أعلم. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ قال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو سلمة، حدّثنا حمّادٌ، حدّثنا عطاء بن السّائب، عن عبد الرّحمٰن بن سابطٍ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**دُحِيَتِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ وَأَوَّلُ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْمَلَائِكَةُ**». فقال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ يعني: مكّة، وهذا مرسلٌ، وفي سنده ضعفٌ، وفيه مدرجٌ، وهو أنّ المراد بالأرض مكّة، والله أعلم، فإنّ الظّاهر أنّ المراد بالأرض أعمّ من ذلك(١).

﴿خَلِيفَةً﴾؛ قال السّدّيّ في تفسيره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة، أنّ الله تعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قالوا: ربّنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرّيّةٌ يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا.

قال ابن جريرٍ: فكأن تأويل الآية على هذا: إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً منّي يخلفني في الحكم بالعدل بين خلقي، وإنّ ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، وأمّا الإفساد وسفك الدّماء بغير حقّها فمن غير خلفائه.

قال ابن جرير: وإنما معنى الخلافة الّتي ذكرها الله (تعالى) إنّما هي خلافة قرن منهم قرنًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **يعني**: يخلف بعضهم بعضًا.

---

(١) في تفسيره (٣١٨)، وأخرجه ابن جرير (٥٩٦) من طريق جرير بن عبد الحميد، عن عطاء بن السائب، عن ابن سابط، وعزاه السيوطي في الدر (١/ ٤٦) لابن عساكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: والخليفة الفعلية من قولك: خلف فلانٌ فلانًا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ومن ذلك، قيل للسّلطان الأعظم: خليفةٌ؛ لأنّه خلف الذي كان قبله فقام بالأمر مكانه فكان منه خلفًا، قال: وكان محمّد بن إسحاق يقول في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾؛ يقول: ساكنًا وعامرًا يعمرها ويسكنها خلفًا ليس منكم.

قال ابن جريرٍ: وحدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا عثمان بن سعيدٍ، حدّثنا بشر بن عمارة، عن أبي روقٍ، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ، قال: إنّ أوّل من سكن الأرض الجنّ، فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدّماء وقتل بعضهم بعضًا، قال: فبعث الله إليهم إبليس [في جندٍ من الملائكة]، فقتلهم إبليس ومن معه حتّى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، ثم خلق آدم فأسكنه إيّاها، فلذلك، قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾.

وقال سفيان الثّوريّ، عن عطاء بن السّائب، عن ابن سابطٍ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؛ قال: يعنون به بني آدم.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: قال الله للملائكة: إنّي أريد أن أخلق في الأرض خلقًا وأجعل فيها خليفةً، وليس لله عَزَّوَجَلَّ خلقٌ إلّا الملائكة، والأرض ليس فيها خلقٌ، ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: **يعني**: في ذاك الوقت.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه الأقوال عن التابعين ومن جاء بعدهم أكثرها متلقاة عن بني إسرائيل، وليس فيها حديثًا مرفوعًا ثابتًا عن النبي ﷺ، وإنما المعتمد فيها أن معنى خليفة أنهم يخلف بعضهم بعضًا: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى

ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٣٩]، فمعنى خليفة؛ أي: يخلف بعضهم بعضًا، يبقى في هذه الأرض ثم يذهب ويأتي غيره، وهكذا إلى قيام الساعة. وليس معنى خليفة أنه خليفة لله، فإن الله ﷻ شاهد أحوال عباده ويعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية، وإنما يتخذ خليفة من يحتاج إلى ذلك؛ لتشاغله عن البلد أو الدولة أو لأسباب أخرى، أما ربنا ﷻ فهو العالم بأحوال عباده، وهو المطلع عليهم، ولا تخفى عليه أفعالهم ﷻ، ولهذا، قال أكثر أهل العلم: المراد بذلك أنهم يخلف بعضهم بعضًا، ويكون بعضهم خلفًا بعد بعض في هذا الأمر حتى ينتهي هذا العالم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد تقدّم ما رواه السّدّيّ عن ابن عبّاسٍ وابن مسعودٍ وغيرهما من الصّحابة: أنّ الله أعلم الملائكة بما تفعله ذرّيّة آدم، فقالت الملائكة ذلك، وتقدّم آنفًا ما رواه الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ أنّ الجنّ أفسدوا في الأرض قبل بني آدم، فقالت الملائكة ذلك، فقاسوا هؤلاء بأولئك.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي حدّثنا عليّ بن محمّدٍ الطّنافسيّ، حدّثنا أبو معاوية، حدّثنا الأعمش، عن بكير بن الأخنس، عن مجاهدٍ، عن عبد الله بن عمرٍو، قال: كان الجنّ بنو الجانّ في الأرض قبل أن يخلق آدم بألفي سنةٍ، فأفسدوا في الأرض وسفكوا الدّماء، فبعث الله جندًا من الملائكة، فضربوهم حتّى ألحقوهم بجزائر البحور(١)، فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ - إلى قوله: - ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ

---

(١) في تفسيره (٣٢٢)، وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٦١)، وأخرجه ابن منده في التوحيد (٥٧٢).

﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة ٣٣]؛ قال: خلق الله الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجنّ يوم الخميس، وخلق آدم يوم الجمعة، فكفر قومٌ من الجنّ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقاتلهم ببغيهم، فكانت الدّماء بينهم، وكان الفساد في الأرض، فمن ثمّ قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، كما أفسدت الجنّ، ويسفك الدّماء كما سفكوا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أيضًا من أخبار بني إسرائيل؛ لأن عبد الله بن عمرو حدث عن بني إسرائيل كثيرًا، وهذا من أخبارهم التي لا تصدق ولا تكذب، والجن هم الطائفة الذين منهم إبليس ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، فقيل: إنه طائفة من الملائكة ثم لما امتنع عن السجود مسخت صورته وطرد ولعن وأبعد.

وقال بعض السلف: أن الجن طائفة مستقلة والجن مستقل، وليسوا من الملائكة، وأنهم منسوبون إلى النار، الشيطان وهو أبوهم، كما أن آدم أبو البشر، ولكنه صار مع الملائكة في التعبد، فلما أمروا بالسجود امتنع وتكبر كما قص الله لنا قصته.

والأقرب، والله أعلم، أن الجن طائفة من الملائكة، وأنه منهم، لكنه لما امتنع وتكبر غُيرت صورته وطرد ولُعن. نسأل الله السلامة.

● **س: وقوله: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من أنفسهم؛ لأن من الملائكة كما هو مشهور طائفة يقال لهم الجن؛ لأنهم استجنوا عن الناس فلا يرونهم، ومنهم الجن الذين منهم الشياطين، وهو انتقل إلى الثانية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: وحدّثنا الحسن بن محمّد بن الصّبّاح، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا مبارك بن فضالة، أخبرنا الحسن، قال: قال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، قال لهم: إنّي فاعلٌ، فآمنوا

بربهم، فعلَّمهم عِلمًا وطوى علمًا عِلمه ولم يعلموه، فقالوا بالعلم الّذي علّمهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾؟ قال: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

قال الحسن: إنّ الجنّ كانوا في الأرض يفسدون ويسفكون الدّماء، ولكن جعل الله في قلوبهم أنّ ذلك سيكون، فقالوا بالقول الّذي علّمهم.

وقال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؛ كأن الله أعلمهم أنّه إذا كان في الأرض خلقٌ أفسدوا فيها وسفكوا الدّماء، فذلك حين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾.

وقال ابن أبي حاتمٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا هشامٌ الرّازيّ، حدّثنا ابن المبارك، عن معروفٍ؛ يعني: ابن خرّبوذ المكّيّ، عمّن سمع أبا جعفرٍ محمّد بن عليٍّ يقول: السّجلّ ملكٌ، وكان هاروت وماروت من أعوانه، وكان له في كلّ يومٍ ثلاث لمحاتٍ ينظرهنّ في أمّ الكتاب، فنظر نظرةً لم تكن له، فأبصر فيها خلق آدم وما كان فيه من الأمور، فأسرّ ذلك إلى هاروت وماروت، وكانا في أعوانه، فلمّا قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. قالا ذلك استطالةً على الملائكة.

وهذا أثرٌ غريبٌ، وبتقدير صحّته إلى أبي جعفرٍ محمّد بن عليّ بن الحسين الباقر، فهو نقله عن أهل الكتاب، وفيه نكارةٌ توجب ردّه، والله أعلم، ومقتضاه أنّ الّذين قالوا ذلك إنّما كانوا اثنين فقط، وهو خلاف السّياق.

وأغرب منه ما رواه ابن أبي حاتمٍ أيضًا، حيث قال: حدّثنا أبي، حدثنا هشام بن أبي عبيد الله، حدّثنا عبد الله بن يحيى بن أبي كثيرٍ، قال: سمعت أبي يقول: إنّ الملائكة الّذين قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ كانوا عشرة آلافٍ، فخرجت نارٌ من عند الله فأحرقتهم، وهذا أيضًا إسرائيليٌّ منكرٌ كالّذي قبله، والله أعلم.

قال ابن جرير:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي نسخة: ابن جريج.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريج: وإنما تكلّموا بما أعلمهم الله أنّه كائنٌ من خلق آدم فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾. وقال ابن جريرٍ: وقال بعضهم إنّما قالت الملائكة ما قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾؛ لأنّ الله أذن لهم في السّؤال عن ذلك بعدما أخبرهم أنّ ذلك كائنٌ من بني آدم، فسألته الملائكة، فقالت على التّعجّب منها: وكيف يعصونك يا ربّ وأنت خالقهم؟ فأجابهم ربّهم: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾؛ يعني: أنّ ذلك كائنٌ منهم، وإن لم تعلموه أنتم، ومن بعض من ترونه لي طائعًا. قال: وقال بعضهم ذلك من الملائكة على وجه الاسترشاد عما لم يعلموه من ذلك، فكأنّهم قالوا: يا ربّ خبّرنا ـ مسألة استخبارٍ منهم لا على وجه الإنكار ـ واختاره ابن جريرٍ.

وقال سعيدٌ، عن قتادة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال: استشار الملائكة في خلق آدم، فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ ـ وقد علمت الملائكة من علم الله أنّه لا شيء أكره عند الله من سفك الدّماء والفساد في الأرض ـ ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾، ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾؛ فكان في علم الله أنه سيكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنّة، قال: وذكر لنا عن ابن عبّاسٍ أنّه كان يقول: إنّ الله لمّا أخذ في خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالت الملائكة: ما الله خالقٌ خلقًا أكرم عليه منّا، ولا أعلم منّا، فابتلوا بخلق آدم، وكل خلق مبتلى، كما ابتليت السموات والأرض بالطاعة، فقال الله تعالى: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصّلت: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؛ قال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ؛ عن قتادة، قال: التّسبيح: التّسبيح، والتّقديس: الصّلاة.

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن

مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناس من الصحابة ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؛ قال: يقولون: نصلّي لك. وقال: مجاهدٌ: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؛ قال: نعظّمك ونكبّرك. وقال الضّحّاك: التّقديس التّطهير. وقال محمّد بن إسحاق: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؛ قال: لا نعصي ولا نأتي شيئًا تكرهه.

وقال ابن جريرٍ: التّقديس هو التّعظيم والتّطهير. ومنه قولهم: سُبُّوحٌ قدّوسٌ؛ يعني: بقولهم سُبُّوح: تنزيه لله، وبقولهم: قُدوس: طهارة وتعظيم له، وكذلك قيل للأرض: أرضٌ مقدّسةٌ؛ يعني بذلك: المطهّرة، فمعنى قول الملائكة إذًا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾: ننزّهك ونبرّئك ممّا يضيفه إليك أهل الشّرك بك، وَنُقَدِّسُ لَكَ: ننسبك إلى ما هو من صفاتك من الطّهارة من الأدناس وما أضاف إليك أهل الكفر بك.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي ذر رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ سئل: أيّ الكلام أفضل؟ قال «**مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**»[1].

وروى البيهقيّ عن عبد الرّحمٰن بن قرطٍ، أنّ رسول الله ﷺ ليلة أسري به سمع تسبيحًا في السموات العلى: سبحان العليّ الأعلى سبحانه وتعالى.

قال: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾؛ قال قتادة: فكان في علم الله أنّه سيكون في تلك الخليفة أنبياء ورسلٌ وقومٌ صالحون وساكنو الجنّة. وسيأتي عن ابن مسعودٍ وابن عبّاسٍ وغير واحدٍ من الصّحابة والتّابعين أقوالٌ في حكمة قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾.

وقد استدلّ القرطبيّ وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين النّاس فيما اختلفوا فيه، ويقطع تنازعهم وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمّة الّتي لا تمكن إقامتها إلّا بالإمام، وما لا يتمّ الواجب إلّا به فهو واجبٌ.

---

(١) أخرجه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده برقم (٢٧٣١).

والإمامة تنال بالنّصّ، كما يقوله طائفةٌ من أهل السّنّة في أبي بكرٍ، أو بالإيماء إليه، كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده، كما فعل الصّدّيق بعمر بن الخطّاب، أو بتركه شورى في جماعةٍ صالحين، كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل الحلّ والعقد على مبايعته، أو بمبايعة واحدٍ منهم له، فيجب التزامها عند الجمهور، وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع. والله أعلم.

أو بقهر واحدٍ النّاس على طاعته، فتجب لئلّا يؤدّي ذلك إلى الشّقاق والاختلاف. وقد نصّ عليه الشافعي. وهل يجب الإشهاد على عقد الإمام؟ فيه خلافٌ، فمنهم من قال: لا يشترط، وقيل: بلى، ويكفي شاهدان، وقال الجبّائيّ: يجب أربعةٌ وعاقدٌ ومعقودٌ له، كما ترك عمر رضي الله عنه الأمر شورى بين ستّةٍ، فوقع الأمر على ما عاقد وهو عبد الرّحمٰن بن عوفٍ، ومعقودٌ له وهو عثمان، واستنبط وجوب الأربعة الشّهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظرٌ، والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكرًا حرًّا بالغًا عاقلًا مسلمًا عدلًا مجتهدًا بصيرًا سليم الأعضاء خبيرًا بالحروب والآراء، قرشيًّا على الصّحيح، ولا يشترط الهاشميّ ولا المعصوم من الخطأ خلافًا لغلاة الرّوافض.

ولو فسق الإمام، هل ينعزل أم لا؟ فيه خلافٌ، والصّحيح أنّه لا ينعزل؛ لقوله عليه الصّلاة والسّلام: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»[1].

وهل له أن يعزل نفسه؟ فيه خلافٌ. وقد عزل الحسن بن علي رضي الله عنه

(١) متفق عليه، من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «**سترون بعدي أثرة وأمورًا تنكرونها**» برقم (٧٠٥٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية برقم (١٧٠٩)، ساقه بعد الحديث رقم (١٨٤٠)

نفسه وسلّم الأمر إلى معاوية، لكن هذا لعذرٍ، وقد مدح على ذلك.

فأمّا نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز؛ لقوله عليه الصلاة والسّلام: «**مَنْ جَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَكُمْ فَاقْتُلُوهُ كَائِنًا مَنْ كَانَ**»[1].

وهذا قول الجمهور، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحدٍ، منهم: إمام الحرمين، وقالت الكرّاميّة: يجوز اثنان فأكثر؛ كما كان عليٌّ ومعاوية إمامين واجبي الطّاعة، قالوا: وإذا جاز بعث نبيّين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمام؛ لأنّ النّبوّة أعلى رتبةً بلا خلافٍ.

وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنّه جوّز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتّسعت الأقاليم بينهما، وتردّد إمام الحرمين في ذلك.

قلت: وهذا يشبه حال الخلفاء بني العبّاس بالعراق والفاطميّين بمصر والأمويّين بالمغرب، ولنقرر هذا كله في موضع آخر من كتاب الأحكام، إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والخلاصة: أن هذا البحث تنازع فيه العلماء في مسألة الخليفة، ومسألة قول الملائكة: أتجعل فيها؟ والصواب مثلما تقدم: أن الله جَلَّ وَعَلَا أخبر الملائكة أنه سيجعل خليفة في الأرض يعمرها في طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، ويخلف بعضهم بعضًا، وأنه سيقع منهم بعض المعاصي وبعض الشرور وأطلع الملائكة على شيء من ذلك، فلهذا، استنكروا وسألوا فقال: ﴿إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٣٠﴾؛ قد خلق الجن والأنبياء والصالحين والأخيار وعبد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعرف ورفع ذكره جَلَّ وَعَلَا، وكان في ذلك مصالح

(١) أخرجه مسلم من حديث عرفجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع برقم (١٨٥٢).

عظيمة، وأما ما يتعلق بالملائكة، فالظاهر كما قال جماعة من المفسرين: أنه أطلعهم على هذا الشيء، فلهذا، قالوا هذا السؤال مستغربين وسائلين، وبيَّن لهم سبحانه أنه يعلم ما لا يعلمون.

وأما ما يتعلق بنصب الأئمة، فإمام واحد إذا تيسر، كما كان في عهد الصديق وعمر وعثمان، لكن إذا لم يتيسر تنازع الناس واختلف الناس، فلا مانع من وجود إمامين أو أكثر، كل واحد في إقليم؛ يبايع ويطاع في طاعة الله؛ حقنًا للدماء ومنعًا للاختلاف والنزاع، ثم إذا تيسر اجتماعهم على إمام واحد في أقطار الدنيا فهذا هو الأرجح، وهو الأصوب، وهو الواجب؛ كما كان في عهد الصديق وعمر وعثمان، ثم تكاثر الناس بعد ذلك لاتساع الدنيا واتساع رقعة الأرض واتساع العالم، فعند ذلك، جاز أن يستولي هذا على إقليم وهذا على إقليم، يبايع هذا ويبايع هذا، وكل منهم يقوم بما يجب عليه في محله وفي قطره وإقليمه، وتجب طاعته بالمعروف حتى لا يختلف الناس وحتى لا تسفك الدماء.

❊

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة: ٣٠][١].

الآية الكريمة تدل على أن الله ﷻ جعل هذا الإنسان وهو آدم ﵇ خليفة في الأرض عمن كان فيها من أهل الفساد وعدم الاستقامة، وقول الملائكة يدل على أنه كان هناك قومٌ يفسدون في الأرض فبنت ما قالت على ما جرى في الأرض، أو لأسباب أخرى اطلعت عليها فقالت ما

(١) فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ١٥).

قالت، فأخبرهم الله ﷻ بأنه يعلم ما لا تعلمه الملائكة وأن هذا الخليفة يحكم في الأرض بشرع الله، ودين الله وينشر الدعوة إلى توحيده، والإخلاص له، والإيمان به، وهكذا ذريته بعده يكون فيهم الأنبياء ويكون فيهم الرسل، والأخيار، والعلماء الصالحون، والعباد المخلصون إلى غير ذلك، مما حصل في الأرض من العبادة لله وحده وتحكيم شريعته، والأمر بما أمر به والنهي عما نهى عنه، هكذا جرى من الأنبياء والرسل، والعلماء الصالحين، والعباد المخلصين إلى غير ذلك، وظهر أمر الله في ذلك، وعلمت الملائكة بعد ذلك هذا الخير العظيم، ويقال: إن الذين قبل آدم إنهم طوائف من الناس ومن الخليقة يقال لهم: الجن، والجن بكل حال فهم خليفة لمن مضى قبلهم، في أرض الله مما يعلمهم الله ﷻ وليس لدينا أدلةٌ قاطعة في بيان من كان هناك قبل آدم، وصفاتهم، وأعمالهم ليس هناك ما يبيِّن هذا الأمر، لكن جعله خليفة يدل على أن هناك من قبله في الأرض، فهو يخلفهم في إظهار الحق، وبيان شريعة الله التي شرع الله له، وبيان ما يرضي الله ويقرب لديه، وينهى عن الفساد فيها، وهكذا من جاء بعده من ذريته، قاموا بهذا الأمر العظيم من الأنبياء والصلحاء والأخيار، دعوا إلى الحق ووضحوا الحق، وأرشدوا إلى دين الله وعمَّروا الأرض بطاعة الله وتوحيده والحكم بشريعته، وأنكروا على من خالف ذلك.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [٣١](١).

حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا هشامٌ، حدّثنا قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ، (ح) وقال لي خليفة: حدّثنا يزيد بن زريعٍ، حدّثنا سعيدٌ، عن قتادة، عن أنسٍ رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: «**يَجْتَمِعُ**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ فَيَسْتَحِي ـ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، فَيَسْتَحِي فَيَقُولُ ـ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ ـ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ ـ فَيَسْتَحِي مِنْ رَبِّهِ فَيَقُولُ ـ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي ـ مِثْلَهُ ـ ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ: يَعْنِي: قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾(١).

قال مجاهدٌ: ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤] أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]: الله جامعهم، ﴿عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]: على المؤمنين حقًّا، قال مجاهدٌ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]:

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ برقم (٤٤٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها برقم (١٩٣).

يعمل بما فيه، وقال أبو العالية: ﴿مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠]: شكٌّ، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ [البقرة: ٦٦]: عبرةٌ لمن بقي، ﴿لَّا شِيَةَ﴾ [البقرة: ٧١]: لا بياض، وقال غيره: ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]: يولونكم، الولاية ـ مفتوحةٌ ـ مصدر الولاء، وهي الرّبوبيّة، إذا كسرت الواو فهي الإمارة، وقال بعضهم: الحبوب الّتي تؤكل كلّها فومٌ، وقال قتادة: ﴿فَبَآءُو﴾ [البقرة: ٩٠]: فانقلبوا، وقال غيره: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩]: يستنصرون، ﴿شَرَوْا﴾ [البقرة: ١٠٢]: باعوا، ﴿رَاعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤]: من الرّعونة، إذا أرادوا أن يحمّقوا إنسانًا قالوا: راعنا، ﴿لَّا يَجْزِى﴾ [لقمان: ٣٣]: لا يغني، ﴿خُطُوَاتِ﴾ [البقرة: ١٦٨]: من الخطو، والمعنى: آثاره، ﴿ٱبْتَلَىٰٓ﴾ [البقرة: ١٢٤]: اختبر.

قَوْله تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾؛ أي: إلى رؤسائهم من الجن والإنس، الدعاة إلى الباطل.

وَقَوْله تَعَالَى: ﴿عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾: عَلَى المُؤْمِنِيْنَ حَقًّا: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾؛ يَعْنِي: أَهْلَ الإِيْمَان الخُلَّص.

فالصَّلَاةُ شاقَّةٌ عَلَى أَكْثَر الخلقِ؛ لِأَنَّهَا تُكررُ كُلّ يَوْم وليلةٍ خمس مَرَّاتٍ، فَلَيْسَ كُلّ أحدٍ يصْبرُ عَلَيْهَا إِلَّا أَهْلُ الإِيْمَان وَالتَّقْوَى؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]. إِلَّا عَلَى الَّذِيْنَ صَدقُوا فِي إيمانِهم، وخشَعُوا للهِ، وذَلُّوا، واستكَانُوا حَتَّى آثَرُوا حَقَّه وَسَارَعُوا إِلَى مراضِيهِ، وأَكثرُ الخَلْقِ لا يَصْبِرُ ولَا يحافظُ، ولا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الشّفاعة في أهل المعاصي، لم يذكر هنا الشّفاعة العظمى، وأصل الحديث في الشّفاعة العظمى، ويشفع في أهل الموقف، حتّى يقضى بينهم ثمّ يشفع في العصاة.

وهذا مقامٌ عظيم، يدلّ على فضله، وأنّه هو المقدّم عليه الصّلاة والسّلام في هذا المقام العظيم، وأنّه أفضل الرّسل؛ ولهذا اعتذر آدم، ونوحٌ، وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصّلاة والسّلام، اعتذروا كلّهم حتّى تقدّم عليه الصّلاة والسّلام، وسجد بين يدي ربّه، وحمده بالمحامد العظيمة؛ حتّى أذن له في الشّفاعة.

فيشفع كما في الرّواية الأخرى في أهل الموقف حتّى يقضى بينهم؛ فيصير أهل الجنّة إلى الجنّة، وأهل النّار إلى النّار؛ لأنّ النّاس يشتدّ بهم الأمر يوم القيامة، ويعظم بهم الكرب، ويتغشّاهم العرق، واليوم عظيمٌ؛ فيفزع النّاس إلى من يشفع لهم، ويتوجّه المؤمنون إلى آدم، ثمّ إلى نوحٍ، ثمّ إلى إبراهيم، ثمّ إلى موسى، ثمّ إلى عيسى. فيوجههم عيسى إلى محمّد عليه الصّلاة والسّلام؛ فيأتونه فيقول: «**أنا لها**» عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ يتقدّم فيستأذن ربّه؛ فإذا رآه خرّ ساجدًا، وحمده بمحامد يفتحها عليه، ثمّ يقال له: (**ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**)[1].

فيشفع الشّفاعة العظمى في أهل الموقف، ثمّ يشفع في العصاة من أمته، فيحدّ الله له حدًّا فيخرجهم من النّار، ثمّ يشفع فيحدّ الله له حدًّا فيخرجهم من النّار، ثمّ يشفع فيحدّ الله له حدًّا فيخرجهم من النّار، ثمّ يشفع فيحدّ الله له حدًّا. أربع شفاعات.

وهؤلاء العصاة الّذين دخلوا النّار بذنوبهم، وليسوا كفارًا، هذا دخل بالزّنا، هذا دخل بالرّبا، هذا دخلها بعقوق الوالدين، هذا دخلها بشهادة الزّور، هذا دخلها بذنوبٍ أخرى لم يتب عليهم، ما تابوا ولم يعف عنهم فدخلوها؛ لأنّ العصاة أقسامٌ:

* منهم من يتوب قبل الموت؛ فيعفو الله عنه.

---

(١) متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم برقم (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلًا برقم (٣٢٦).

* ومنهم من يعفى عنه بعد موته؛ لأعمالٍ قدّمها، أو لشفاعة الشّفعاء.

* ومنهم من يدخل النّار بمعصيته؛ فيشفع فيهم النّبيّ ﷺ وغيره من المؤمنين والأفراط والملائكة.

وهذه شفاعته ﷺ في أهل النّار، في من استحقّ النّار من أمّته، وهذه ليست خاصّةً به، يشاركه فيها غيره: المؤمنون، والأفراط، والملائكة.

ويبقى في النّار بقيةٌ ـ كما في الرّوايات الأخرى والأحاديث الأخرى ـ يبقى في النّار بقيةٌ من أهل التّوحيد لم تشملهم شفاعة النّبيّ ﷺ ولا غيره؛ فيقول الله ﷻ ـ وهو الحكيم العليم: «**شَفَعَتِ المَلَائِكَة، وَشَفَعَ النَّبِيّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**»[1]، فيخرجهم الله ﷻ بفضل شفاعته قد احترقوا؛ فيلقون في النّهر؛ فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السّيل؛ فإذا تم خلقهم أذن الله لهم في إدخالهم الجنّة، ويسمّون الجهنّميين، ثمّ يمحى عنهم هذا الاسم.

وهذه هي النهاية، نهاية من في النّار من العصاة يخرجون بإذن الله وأمره ﷻ، وهم البقية في النّار ثمّ تطبق على أهلها، لا يخرج منها أحدٌ بعد ذلك وهم الكفّار ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾ [الهمزة: ٨، ٩] لا يخرج منها أحدٌ بعد ذلك؛ لأنّها دارهم ـ نسأل الله العافية ـ ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٣).

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المَائِدَة: ٣٧].

هؤلاء حبسهم كفرهم بالله، وإنكارهم لدينه، وتكذيبهم لرسله، هذا هو الّذي حبسهم فيها؛ فصارت مسكنهم ومقرّهم أبد الآباد، نسأل الله العافية.

قوله: (**ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ؛ فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآن، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ**): يعني حسب ما يظهر له، حسب علمه عليه الصّلاة والسّلام، هذا حسب ما بيّن الله له ـ الله أكبر ـ وإلّا جاء الحديث الآخر أنّه يبقى في النّار بقيةٌ، وأنّه لا يشفع فيهم أحدٌ فيخرجهم الله من النّار بفضل رحمته ﷻ لم يعملوا خيرًا قطّ.

● **س: اعتذار نوح عليه السلام بسؤال ربّه ما ليس له به علمٌ، وفي حديثٍ آخر كونه دعا على أهل الأرض دعا فأغرقهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا ثابتٌ، كان سأل لابنه أن ينجيه الله، وأمّا أنّه دعا على أهل الأرض ـ إن صحّت ـ فلا مانع من أن يكون اعتذر بهذا وهذا، لكن دعوته على أهل الأرض معذورٌ فيها؛ لأنّ الله أوحى إليه: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، لا حيلة فيهم؛ قد انتهى أمرهم، ولهذا دعا عليهم بالهلاك جميعًا.

● **س: سياق الحديث في الشّفاعة العظمى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم ولكن هو ذكر الشّفاعة المحدودة هنا؛ كأنّ العظمى لأنّها مفروغٌ منها يعني؛ كأنّها مفروغٌ منها، شفع الشّفاعة العظمى، وشفع شفاعته لأهل النّار من العصاة، أربع شفاعاتٍ عليه الصّلاة والسّلام، كلّ شفاعةٍ يحدّ له حدًّا الربّ ﷻ فيخرجهم من النّار، ثمّ يعود، ثمّ يعود، ثمّ يعود، أربع مراتٍ عليه الصّلاة والسّلام.

وهكذا الأنبياء، والمؤمنون، والأفراط، والملائكة، كلّها تشفع في العصاة، ثمّ يبقى بقيةٌ منهم في النّار يخرجهم الله برحمته ﷻ.

• **س: أحسن الله إليك: الحديث هنا بعد الحساب وبعد أن يجوزوا الصّراط؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم، بعد الحساب وبعد ما دخلوا النّار، شفاعتهم المحدودة بعد ما دخل أهل الجنّة الجنّة، وأهل النّار النّار، نسأل الله العافية.

• **س: أحسن الله إليك: البسملة جزءٌ من الفاتحة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

البسملة مستقلةٌ، آيةٌ مستقلةٌ، ما هي من الفاتحة ولا من غيرها، ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] آيةٌ مستقلةٌ، إلّا أنّها بعض آيةٍ من سورة النّمل، هي بعض آيةٍ من سورة النّمل كما قال تعالى: إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ [النمل: ٣٠].

فهي بعض آيةٍ من سورة النّمل، وهي آيةٌ مستقلةٌ فصلٌ بين السّور، ليست من الفاتحة ولا من غيرها، إلّا براءة فليس في أولها تسميةٌ؛ لأنّ الصّحابة رضي الله عنهم شكّوا في كونها هي والأنفال سورةً أو مفردةً؛ فلم يكتبوا حين جمعوا المصاحف: «بسم الله» في أوّل براءة، فلو قرأ الفاتحة ولم يسمّ أجزأ، صحّت الفاتحة، لكن يسنّ لكلّ مؤمن إذا قرأ أن يبدأ بالبسملة في الفاتحة وغيرها ما عدا براءة يبدؤها بالتّعوذ.

• **س: أحسن الله إليك: الشفاعات الّتي منها قومٌ تساوت حسناتهم في رفع درجات بعض أهل الجنّة هل هي خاصّةٌ بمحمّدٍ ﷺ أم هي..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: ما هي بخاصّةٍ، ما هي بخاصّةٍ، الخاصّ بمحمّدٍ ﷺ ثنتان:

* الشّفاعة في أهل الموقف حتّى يقضى بينهم.

* والشّفاعة في أهل الجنّة حتى يدخلوها.

هاتان الشفاعتان خاصّتان به.

وهناك ثالثةٌ له أيضًا خاصّةٌ بأبي طالبٍ عمّه، شفاعةٌ فيه أن يخفّف عنه العذاب قال: «**نعم وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّار، فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ**»(١). «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْم القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(٢). وقال: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**»(٣). نسأل الله العافية.

أخفّ النّار عذابًا هؤلاء الّذين ينعّلون من النّار، نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك: ترك الصّلاة سهوًا تكاسلًا..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: من جملة الكفرة على الصّحيح.

(من السّائل): ما تلحقه الشفاعة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما تلحقه الشّفاعة؛ لأنه من الكفرة، هذا الصّحيح؛ لأنّ الرّسول يقول ﷺ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْك وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاة**»(٤). ويقول ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاة؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَد كَفَرَ**»(٥). ويقول ﷺ:

---

(١) أخرجه مسلم من حديث العباس في كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه برقم (٣٥٨) (٢٠٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب برقم (٣٨٨٥).

(٣) أخرجه مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا برقم (٣٦٢) (٢١٢).

(٤) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة برقم (٨٢).

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في ترك الصلاة برقم (٢٦٢١)، وقال الترمذي: هذا حسن صحيح، والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم في تارك الصلاة برقم (٤٦٣)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب في ترك الصلاة (١٠٧٩)، والإمام أحمد (٥/ ٣٤٦).

«**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْر فَقَد حَبِطَ عَمَلُهُ**»[١]، نسأل الله العافية والسّلامة.

● **س: أحسن الله إليك: أهل الشّرك الأصغر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الشّرك الأصغر من جنس الكبائر، لكنّه لا يغفر على الصّحيح إلّا بالتّوبة أو برُجحان الحسنات، أو يعذّب على قدر شركه، إنّما الخلود بالشّرك الأكبر، نسأل الله العافية.

● **س: إذا مات ولم يتب من الشّرك الأصغر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إمّا أن يعذّب، وإمّا أن ترجح حسناته، يختلف أمرهم، قد ترجح حسناتهم فيسلمون، وقد يعذّب على قدره، نسأل الله السّلامة.

● **س: أحسن الله إليك: ورد في الحديث القدسيّ قوله** عَزَّ وَجَلَّ: «**فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قطّ**»[٢]؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: إلّا التّوحيد؛ يعني: إلّا التّوحيد، مات على التّوحيد لكن عنده معاصٍ.

(**من السّائل**): ألا يدخل ـ حفظك الله ـ تارك الصّلاة مثلًا سهوًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا ما يدخل؛ لأنّ كفره أبطل التّوحيد، أبطل لا إله إلّا الله، كُفره بترك الصّلاة أبطل لا إله إلّا الله. لو قال: لا إله إلّا الله ويجحد وجوبها تنفعه؟ لو قال: لا إله إلّا الله ويقول: إنّ الزّنا حلالٌ تنفعه؟ لو قال لا إله إلّا الله ويسبّ الله ورسوله تنفعه؟ هذا مثله.

● **س: ما معنى: ولم يعمل خيرًا قطّ؟**

---

(١) أخرجه البخاري من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب مواقيت الصلاة، باب إثم من ترك العصر برقم (٥٥٣).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية برقم (١٨٣).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا مثله يصلّي ويصوم ويتصدّق لكنّه يسبّ الله ورسوله هل تنفعه؟ نسأل الله العافية.

إذا أتى بمكفّرٍ بطلت الأعمال، ما صار لها قيمةٌ الأعمال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقال جَلَّ: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [التّوبة: ١٧]. نسأل الله العافية.

● **س: أحسن الله إليك: يصلّي الصّلاة في البيت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يكون عاصيًا كالمنافقين، يكون عاصيًا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾ [النّساء: ١٤٢].

الواجب عليه أن يصلّي مع المسلمين، هذه معصيةٌ؛ يقول النّبيّ ﷺ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[(١)]، هذا وعيدٌ.

ولما قال له الأعمى: يا رسول الله، ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد؛ فهل لي رخصةٌ أن أصلّي في بيتي قال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قال: نعم. قال: «**فَأَجِبْ**»[(٢)]، قال ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ولقد رأيتنا وما يتخلّف عنها إلّا منافقٌ معلوم النّفاق»[(٣)]، أو مريضٌ، الإيمان قولٌ وعملٌ وعقيدةٌ، عمل القلب والجوارح.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الصلاة، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ يَسْمَعُ النِّدَاءَ فَلَا يُجِيبُ برقم (٢١٧)، وابن ماجه في كتاب الصلاة، باب التَّغْلِيظِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ برقم (٧٩٢)، والبيهقي (٢/ ١١٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء برقم (٢٥٥)، وأبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة برقم (٥٥٢)، وابن حبان في كتاب المساجد والجماعة، باب التغليظ في التخلف عن الجماعة برقم (٧٩٢)، والإمام أحمد (٣/ ٤٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنة الهدى برقم (٦٥٤).

لكن بعض العمل ردّةٌ إذا تركه، وبعض العمل نقصٌ في الإيمان، ترك الصّلاة ردَّةٌ، أمّا لو ترك الزكاة أو الصّوم يكون نقصًا في الإيمان، ما يكون ردّةً، أو ترك الحجّ ما يكون ردّةً.

• **س: أحسن الله إليك: في روايةٍ قال: «فأستأذن على ربّي في داره»(١)، هذه محفوظةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، نعم في محلّه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣](٢).

هذا مقامٌ ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم أسماء كلّ شيءٍ دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنّما قدّم هذا الفصل على ذلك لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة حين سألوه عن ذلك، فأخبرهم تعالى بأنّه يعلم ما لا يعلمون.

ولهذا، ذكر الله هذا المقام عقيب هذا ليبيّن لهم شرف آدم بما فضّل به عليهم في العلم؛ فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾، وقال السّدّيّ، عمّن حدّثه، عن ابن عبّاسٍ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ قال:

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ برقم (٧٤٤٠).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

علَّمه أسماء ولده إنسانًا إنسانًا، والدّوابّ، فقيل: هذا الحمار، هذا الجمل، هذا الفرس. وقال الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ قال: هي هذه الأسماء الّتي يتعارف بها النّاس: إنسانٌ ودابّةٌ وسماءٌ وأرضٌ وسهلٌ وبحرٌ وجمل وحمارٌ وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. وروى ابن أبي حاتمٍ وابن جريرٍ من حديث عاصم بن كليبٍ، عن سعيد بن معبد، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ قال: علّمه اسم الصّحفة والقدر؟ قال: نعم حتّى الفسوة والفَسَيّة. وقال مجاهدٌ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ قال: علّمه اسم كلّ دابّةٍ وكل طير وكل شيء.

كذلك، روي عن سعيد بن جبيرٍ وقتادة وغيرهم من السّلف أنه علّمه أسماء كلّ شيءٍ.

وقال الربيع في رواية عنه: أسماء الملائكة.

وقال حميدٌ الشّاميّ: أسماء النّجوم. وقال عبد الرّحمٰن بن زيدٍ: علّمه أسماء ذرّيّته كلّهم.

واختار ابن جريرٍ أنّه علّمه أسماء الملائكة وأسماء الذرية؛ لأنّه قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾، وهذا عبارةٌ عمّا يعقل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعنى: أن الآية على إطلاقها: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، الآية على إطلاقها، علمه أسماء ذريته إلى آخر الدهر، وعلمه الأسماء الأخرى التي يتخاطب بها الناس، وعلمه أسماء المعاني، وأسماء الأحداث وغير ذلك؛ يعني: الآية على عمومها وإطلاقها، كونه علمه أسماء كل شيء يمكن أن يحتاج إليه الناس ويحتاج إليه بنو آدم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الّذي رجّح به ليس بلازمٍ، فإنّه لا ينفي أن يدخل معهم غيرهم، ويعبّر عن الجميع بصيغة من يعقل للتّغليب؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ

﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [النُّور: ٤٥].

[وقد قرأ عبد الله بن مسعود: «ثم عرضهن»، وقرأ أُبي بن كعب: «ثم عرضها»؛ أي: السماوات].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومنهم من يمشي على رِجلين، وهذا لا يخص بني آدم؛ بل يعم بني آدم والعقلاء، ويعم غيرهم تبعًا لهم؛ فالطير يمشي على رِجلين، والنعامة على رجلين، وحيوانات كثيرة على رجلين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصّحيح أنّه علّمه أسماء الأشياء كلّها؛ ذواتها وصفاتها وأفعالها، كما قال ابن عبّاسٍ، حتّى الفسوة والفُسَيّة؛ يعني: أسماء الذّوات والأفعال المكبّر والمصغّر. ولهذا، قال البخاريّ في تفسير هذه الآية في كتاب التّفسير من صحيحه: حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن أنس بن مالكٍ، أنّ رسول الله ﷺ قال؛ وقال لي خليفة: حدّثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيدٌ عن قتادة، عن أنسٍ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي. ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ فيستحي. فَيَقُولُ ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَقُولُ: ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا كَلَّمَهُ اللهُ وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نفس فيستحي مِنْ رَبِّهِ. فَيَقُولُ: ائْتُوا عِيسَى عبد اللهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَةَ اللهِ وَرُوحَهُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ**

هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّدًا عَبْدًا غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيأذن لِي، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تُعْطَهُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ، فإذا رأيت ربي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثم أعود الثالثة، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ»، هكذا ساق البخاريّ هذا الحديث هاهنا(١).

وقد رواه مسلمٌ والنّسائيّ من حديث هشامٍ، وهو ابن أبي عبد الله الدّستوائيّ، عن قتادة، به، وأخرجه مسلمٌ والنّسائيّ وابن ماجه من حديث سعيدٍ، وهو ابن أبي عروبة، عن قتادة، ووجه إيراده هاهنا، والمقصود منه قوله عليه الصّلاة والسّلام: «فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ».

فدلّ هذا على أنّه علّمه أسماء جميع المخلوقات، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾؛ يعني: المسمّيات، كما قال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة، قال: ثمّ عرض تلك الأسماء على الملائكة، فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾.

وقال السّدّيّ في تفسيره، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، ثمّ عرض الخلق على الملائكة.

وقال ابن جريجٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾: عرض أصحاب الأسماء على الملائكة.

---

(١) سبق تخريجه في ص (٣٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: لأنه قال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾.

فدل ذلك على أن المعهود هي الحقائق المسمَّاة، آدم عُلِّم الأسماء كلها، ثم عُرِفت تلك المسمَّيات: حمار حمار، جمل جمل، صحفة صحفة، سيف سيف، سكين سكين، وهكذا، قدمت تلك المسمَّيات، وربك على كل شيء قدير؛ يعني: خلقها ووجدت صورها بينهم، ثم سألهم عن تلك الأسماء، عن أسماء هذه الأشياء: ما اسم هذا، وما اسم هذا، وما اسم هذا؟

• **س: تحديد الشفاعة بأربع مرات أو ثلاث مرات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

أربع مرات، وهذا في حق العصاة أهل الكبائر، وأما الشفاعة في أهل الموقف فمرة واحدة، يشفع للناس فيقضى بينهم الشفاعة العامة؛ لكن جاء في إحدى الروايات الأخرى أنه (. . . . .) الشفاعة وقضى بين الناس، فلما قضى بين الناس ودخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة، شفع أربع شفاعات بعد ذلك للعصاة الذين دخلوا النار، شفع أولًا فحد له حدًّا فلان وفلان وفلان على حسب ما قسم الله جَلَّ وَعَلَا، فيحد حدًّا بعلامات أو بكمية محدودة؛ مائة ألف مائتي ألف مليون شيء محدد، ثم يخرجهم الله، لأن مدتهم انتهت، مدتهم التي كتب الله عليهم، من عذاب الزنا أو العقوق أو قطيعة رحم أو ربا أو غير ذلك، ثم يشفع مرة أخرى فيشفع له من العصاة حدًّا يخرجهم، وهكذا، حتى لا يبقى إلا من حبسه القرآن؛ يعني: حتى لا يبقى إلا الكفرة، وهذا بحسب ما ظهر له عليه الصلاة والسلام حسب ما حد له، ولكن جاء في الرواية الأخرى أنه يبقى أيضًا ناس ما نالتهم الشفاعة ما أخرجتهم الشفاعة من العصاة، «**فيقول الله** جَلَّ وَعَلَا: شفعت الرسل، وشفعت الأنبياء، وشفعت الملائكة، وشفع المؤمنون ولم يبق إلا رحمة أرحم الراحمين، فيُخرج الله

أقوامًا من النار بغير شفاعة أحد؛ بل منه برحمته ﷻ **ممن مات لا يشرك بالله شيئًا، ممن يقول: لا إله إلا الله، لكن دخلوها بذنوبهم**».

● **س: العصاة مطلقًا أم خاص بعصاة أمته عليه الصلاة والسلام؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المتبادر، والله أعلم، أنهم من أمته عليه الصلاة والسلام، وأما الأمم الأخرى فلهم أنبياؤهم، هذا الظاهر؛ لأنه في بعض الروايات قال: «**أمتي أمتي، يا ربي، أمتي أمتي**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا القاسم، حدّثنا الحسين، حدّثني الحجّاج، عن جرير بن حازم ومبارك بن فضالة، عن الحسن وأبي بكرٍ، عن الحسن وقتادة، قالا: علّمه اسم كلّ شيءٍ، وجعل يسمّي كلّ شيءٍ باسمه، وعرضت عليه أمّةً أمّةً.

وبهذا الإسناد عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ إنّي لم أخلق خلقًا إلّا كنتم أعلم منه، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾: إن كنتم تعلمون أني لم أجعل في الأرض خليفةً.

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾: أنّ بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدّماء.

وقال ابن جريرٍ: وأولى الأقوال في ذلك تأويل ابن عبّاسٍ ومن قال بقوله، ومعنى ذلك: فقال أنبئوني بأسماء من عرضته عليكم أيها الملائكة القائلون: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ من غيرنا أم منّا، فنحن ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ في قيلكم إنّي إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عصاني ذريته وأفسدوا فيها

وسفكوا الدّماء، وإن جعلتكم فيها أطعتموني واتّبعتم أمري بالتّعظيم لي والتّقديس، فإذا كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الّذين عرضت عليكم وأنتم تشاهدونهم، فأنتم بما هو غير موجودٍ من الأمور الكائنة الّتي لم توجد أحرى أن تكونوا غير عالمين.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ هذا تقديسٌ وتنزيهٌ من الملائكة لله تعالى أن يحيط أحدٌ بشيءٍ من علمه إلّا بما شاء وأن يعلموا شيئًا إلّا ما علّمهم الله تعالى، ولهذا، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: العليم بكلّ شيءٍ الحكيم في خلقك وأمرك وفي تعليمك من تشاء، ومنعك من تشاء، لك الحكمة في ذلك والعدل التّامّ.

قال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبو سعيدٍ الأشجّ، حدّثنا حفص بن غياثٍ، عن حجّاجٍ، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عبّاسٍ: سبحان الله، قال: تنزيه الله نفسه عن السوء، ثمّ قال عمر لعليٍّ وأصحابه عنده: لا إله إلّا الله قد عرفناها، فما سبحان الله؟ فقال له عليٌّ: كلمةٌ أحبّها الله لنفسه ورضيها وأحبّ أن تقال.

قال: وحدّثنا أبي، حدّثنا ابن نفيلٍ، حدّثنا النّضر بن عربيٍّ، قال: سأل رجلٌ ميمون بن مهران عن سبحان الله، قال: اسمٌ يعظّم الله به، ويحاشى به من السوء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى أنه يحاشى به؛ يعني: أنه تنزيه لله، التسبيح هو التقديس والتنزيه لله عما لا يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سائر الأمور، والحمد ثناء، وهذا تنزيه.

- **س: وقول علي: كلمة أحبها لنفسه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن صحَّت عنه، فما ينافي أنها تنزيه.

* *

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾.

قال زيد بن أسلم: قال: أنت جبرائيل، أنت ميكائيل، أنت إسرافيل، حتّى عدّد الأسماء كلّها، حتّى بلغ الغراب.

وقال مجاهدٌ في قول الله: ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾؛ قال: اسم الحمامة والغراب، واسم كلّ شيءٍ.

وروي عن سعيد بن جبيرٍ والحسن وقتادة نحو ذلك.

فلمّا ظهر فضل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في سرده ما علّمه الله تعالى من أسماء الأشياء، قال الله تعالى للملائكة: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾؛ أي: ألم أتقدّم إليكم أنّي أعلم الغيب الظّاهر والخفي؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، وكما قال إخبارًا عن الهدهد أنّه قال لسليمان: ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٥، ٢٦].

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ غير ما ذكرناه، فروى الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾؛ قال يقول: أعلم السّرّ كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار.

وقال السّدّيّ، عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة، قال: قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآية، فهذا الّذي أبدوا، ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾؛ يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر.

وكذلك قال سعيد بن جبيرٍ ومجاهدٌ والسّدّيّ والضّحّاك والثّوريّ، واختار ذلك ابن جريرٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والآية عامة تعم كل شيء مما أبداه الملائكة وما كتموه، فهو لا تخفى عليه خافية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعلم السر وأخفى، يعلم ما في نفوسهم مما لم يبدوا، ويعلم ما أبدوا من باب أولى، وهكذا إبليس؛ فإنه إن كان من الملائكة فهو داخل في هذه الآية، ويعلم ما في نفسه وما أسره في نفسه من الكبر والتعاظم على آدم، وعزمه على الامتناع عن السجود، وهكذا إذا كان من غيرهم من الجن الذين هم جنس آخر، وثقل آخر، فهو يعلم هذا وهذا، فالآية عامة، يعلم سبحانه ما يبديه العباد وما يخفيه العباد، ومنهم الملائكة ومنهم إبليس وكلهم عبيد لكنهم قسمان؛ قسم أطاعوا الله وعظّموه وانقادوا لشرعه فهم عباده الصالحون وهم أولياؤه، وقسم عصوا أمره وعبدوا معه سواه وهم عباده من جهة الربوبية وإن كانوا أعداءه من جهة عدم أدائهم حقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو العالية والرّبيع بن أنسٍ والحسن وقتادة: هو قولهم: لم يخلق ربّنا خلقًا إلّا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ: ﴿وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾: فكان الذي أبدوا هو قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾، وكان الذي كتموا بينهم هو قولهم: لن يخلق ربّنا خلقًا إلّا كنّا نحن أعلم منه وأكرم، فعرفوا أنّ الله فضّل عليهم آدم في العلم والكرم.

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا يونس، حدّثنا ابن وهبٍ، عن عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم، في قصّة الملائكة وآدم، فقال الله للملائكة: كما لم تعلموا هذه الأسماء فليس لكم علمٌ، إنّما أردت أن

أجعلهم ليفسدوا فيها، هذا عندي قد علمته، ولذلك، أخفيت عنكم أنّي أجعل فيها من يعصيني ومن يطيعني، قال: وقد سبق من الله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]؛ قال: ولم تعلم الملائكة ذلك ولم يدروه، فقال: فلما رأوا ما أعطى الله آدم من العلم أقرّوا له بالفضل.

وقال ابن جريرٍ: وأولى الأقوال في ذلك قول ابن عبّاسٍ، وهو أنّ معنى قوله تعالى: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾: وأعلم مع علمي غيب السموات والأرض، ما تظهرونه بألسنتكم وما كنتم تخفون في أنفسكم، فلا يخفى عليَّ أي شيء سواءٌ عندي سرائركم وعلانيتكم. والّذي أظهروه بألسنتهم قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، والّذي كانوا يكتمون ما كان عليه منطويًا إبليس من الخلاف على الله في أوامره والتّكبّر عن طاعته، قال: وصحّ ذلك؛ كما تقول العرب: قتل الجيش وهزموا، وإنّما قتل الواحد أو البعض وهزم الواحد أو البعض، فيخرج الخبر عن المهزوم منه والمقتول مخرج الخبر عن جميعهم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤]، ذكر أنّ الّذي نادى إنّما كان واحدًا من بني تميمٍ، قال: وكذلك قوله: ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ٣٣﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تقدَّم أن العبرة بالعموم، وأن الآية تعم ما ذكره المفسِّرون وغيرهم، وأن هذه الأشياء مما ينقل عن بني إسرائيل فلا يعول على شيء منهم بعينه؛ بل الآية تعم هذا وتعم هذا، وتعم ما لم يذكروه أيضًا؛ لأن المفسِّرون ليسوا بمعصومين؛ بل كل واحد اجتهد فيما بلغه وذكره من التفسير، والآية في هذا وأمثاله تعم وتشمل.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤][(١)]

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه كرامةٌ عظيمةٌ من الله تعالى لآدم امتنّ بها على ذرّيّته؛ حيث أخبر أنّه تعالى أمر الملائكة بالسّجود لآدم، وقد دلّ على ذلك أحاديث أيضًا كثيرةٌ؛ منها: حديث الشّفاعة المتقدّم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث الشفاعة يقول المؤمنون يوم القيامة: «**يا آدم، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته**»، هذا من نص الحديث، المؤمنون يوم القيامة يقولون هذا لأبيهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وحديث موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**رَبِّ أَرِنِي آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ قَالَ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ له ملائكته**»، **وقال، وذكر الحديث كما سيأتي إن شاء الله**[(٢)].

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا عثمان بن سعيدٍ، حدّثنا بشر بن عمارة، عن أبي روقٍ، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ، قال: كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ، خلقوا من نار السّموم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله برقم (٦٦١٤)، ومسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ برقم (٢٦٥٢)، وهذا لفظه: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى**».

من بين الملائكة، وكان اسمه الحارث، وكان خازنًا من خزّان الجنّة، قال: وخلقت الملائكة كلّهم من نورٍ غير هذا الحيّ، قال: وخلقت الجنّ الّذين ذكروا في القرآن من مارجٍ من نارٍ، وهو لسان النّار الّذي يكون فيه طرفها إذا ألهبت. قال: وخلق الإنسان من طينٍ.

فأوّل من سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها، وسفكوا الدّماء، وقتل بعضهم بعضًا، قال: فبعث الله إليهم إبليس في جندٍ من الملائكة، وهم هذا الحيّ الّذي يقال لهم الجنّ، فقتلهم إبليس ومن معه حتّى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال، فلمّا فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه، فقال: قد صنعت شيئًا لم يصنعه أحدٌ، قال: فاطّلع الله على ذلك من قلبه ولم تطّلع عليه الملائكة الّذين كانوا معه، فقال الله للملائكة الذين كانوا معه: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة ٣٠]، فقالت الملائكة مجيبين له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة ٣٠]، كما أفسدت الجنّ وسفكت الدّماء، وإنّما بعثتنا عليهم لذلك؟ فقال الله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٣٠]؛ يقول: إنّي قد اطّلعت من قلب إبليس على ما لم تطّلعوا عليه؛ من كبره واغتراره، قال: ثمّ أمر بتربة آدم فرُفعت، فخلق الله آدم من طين لازب، واللازب: اللزج الصّلب من حمإٍ مسنونٍ منتنٍ، وإنّما كان حمأً مسنونًا بعد التّراب، فخلق منه آدم بيده، قال: فمكث أربعين ليلةً جسدًا ملقًى، وكان إبليس يأتيه فيضربه برجله فيصلصل؛ أي: فيصوّت، فهو قول الله تعالى: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤]؛ يقول: كالشّيء المنفرج الّذي ليس بمصمَتٍ.

قال: ثمّ يدخل في فيه ويخرج من دبره، ويدخل من دبره ويخرج من فيه، ثمّ يقول: لست شيئًا للصّلصلة ولشيءٍ ما خُلِقت، ولئن سلّطت عليك لأهلكنّك، ولئن سلّطت عليّ لأعصينّك؛ قال: فلمّا نفخ الله فيه من روحه أتت النّفخة من قبل رأسه، فجعل لا يجري شيءٌ منها في

جسده إلّا صار لحمًا ودمًا، فلمّا انتهت النّفخة إلى سرّته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من جسده، فذهب لينهض فلم يقدر، فهو قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]؛ قال: ضجرًا لا صبر له على سرّاء ولا ضرّاء؛ قال: فلمّا تمّت النّفخة في جسده عطس، فقال: الحمد لله ربّ العالمين؛ بإلهام الله، فقال الله له: يرحمك الله يا آدم.

قال: ثم قال تعالى للملائكة الّذين كانوا مع إبليس خاصّةً دون الملائكة الذين في السموات: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ فسجدوا كلهم أجمعون ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾؛ لما كان حدّث نفسه من الكبر والاغترار، فقال: لا أسجد له، وأنا خيرٌ منه وأكبر سنًّا وأقوى خلقًا، ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ يقول: إنّ النّار أقوى من الطّين، قال: فلمّا أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله؛ أي: آيسه من الخير كلّه وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبةً لمعصيته، ثمّ علّم آدم الأسماء كلّها، وهي هذه الأسماء الّتي يتعارف بها النّاس: إنسانٌ ودابّةٌ وأرضٌ وسهلٌ وبحرٌ وجبلٌ وحمارٌ وأشباه ذلك من الأمم وغيرها. ثمّ عرض هذه الأسماء على أولئك الملائكة؛ يعني: الملائكة الّذين كانوا مع إبليس الّذين خلقوا من نار السّموم، وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾. [البقرة ٣١]؛ أي يقول: أخبروني بأسماء هؤلاء، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾: إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة، قال: فلمّا علمت الملائكة (مؤاخذة) الله عليهم فيما تكلّموا به من علم الغيب الّذي لا يعلمه غيره الّذي ليس لهم به علمٌ، ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ [البقرة: ٣٢] تنزيهًا لله من أن يكون أحدٌ يعلم الغيب غيره، تُبنا إليك، ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢] تبرّيًا منهم من علم الغيب إلّا ما علّمتنا كما علّمت آدم، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ يقول: أخبرهم بأسمائهم، ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم﴾ [البقرة: ٣٣]؛ يقول: أخبرهم، ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٣٣] أيتها الملائكة خاصة، ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾

[البقرة: ٣٣] ولا يعلم غيري، ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ يقول: ما تظهرون، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] يقول: أعلم السّرّ كما أعلم العلانية؛ يعني: ما كتم إبليس في نفسه من الكبر والاغترار. هذا سياقٌ غريبٌ وفيه أشياء فيها نظرٌ يطول مناقشتها. وهذا الإسناد إلى ابن عبّاسٍ يروى به تفسيرٌ مشهورٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: في سنده ضعف، فالضحاك قيل أنه لم يسمع من ابن عباس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال السّدّيّ في تفسيره، عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالحٍ، عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة، عن ابن مسعودٍ، وعن أناسٍ من أصحاب النّبيّ ﷺ: لمّا فرغ الله من خلق ما أحبّ استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك السّماء الدّنيا، وكان من قبيلةٍ من الملائكة يقال لهم الجنّ، وإنّما سمّوا الجنّ؛ لأنّهم خزّان الجنّة، وكان إبليس مع ملكه خازنًا، فوقع في صدره الكبر وقال: ما أعطاني الله هذا إلا لميزة لي على الملائكة، فلمّا وقع ذلك الكبر في نفسه اطّلع الله على ذلك منه، فقال الله للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٣]؛ فقالوا: ربّنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرّيّةٌ يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضًا، قالوا: ربّنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]؛ يعني: من شأن إبليس.

فبعث الله جبريل إلى الأرض ليأتيه بطينٍ منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تقبض منّي أو تشينني، فرجع ولم يأخذ، وقال: يا رب، إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فرجع فقال كما قال جبريل، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفّذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من

مكانٍ واحدٍ وأخذ من تربةٍ حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك، خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبلّ التّراب حتّى عاد طينًا لازبًا، واللّازب هو الّذي يلتزق بعضه ببعضٍ، ثمّ قال للملائكة: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١، ٧٢]، فخلقه الله بيده لئلّا يتكبّر إبليس عنه ليقول له: تتكبّر عمّا عملت بيدي ولم أتكبّر أنا عنه؟ فخلقه بشرًا، فكان جسدًا من طينٍ أربعين سنةً من مقدار يوم الجمعة، فمرّت به الملائكة ففزعوا منه لمّا رأوه، وكان أشدّهم فزعًا منه إبليس، فكان يمرّ به فيضربه فيصوّت الجسد كما يصوّت الفخّار وتكون له صلصلةٌ، فذلك حين يقول: ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ﴾ [الرحمٰن: ١٤]؛ يقول: لأمر ما خُلِقت، ودخل من فيه وخرج من دُبره، وقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا، فإنّ ربّكم صمدٌ وهذا أجوف، لئن سلّطت عليه لأهلكنّه.

فلمّا بلغ الحين الّذي يريد الله ﷻ أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له.

فلمّا نفخ فيه الرّوح فدخل الرّوح في رأسه عطس، فقالت الملائكة: قل: الحمد لله، فقال: الحمد لله، فقال له الرب: رحمك ربّك، فلمّا دخلت الرّوح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل الروح في جوفه اشتهى الطّعام، فوثب قبل أن تبلغ الرّوح رجليه عجلان إلى ثمار الجنّة، فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، ﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١]، ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾؛ قال الله له: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك لما خلقت بيدي؟ قال: أنا خيرٌ منه، لم أكن لأسجد لبشر خلقته من طين. قال الله له: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣]؛ يعني: ما ينبغي لك، ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، والصّغار هو الذّلّ.

قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، ثمّ عرض الخلق على الملائكة، ﴿فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] أنّ بني آدم يفسدون في الأرض ويسفكون الدّماء، فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾، قال الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

قال: قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾، فهذا الّذي أبدوا ﴿وَأَعْلَمُ﴾ [البقرة: ٣٣] مَا كنتم ﴿تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣]؛ يعني: ما أسرّ إبليس في نفسه من الكبر.

فهذا الإسناد إلى هؤلاء الصّحابة مشهورٌ في تفسير السّدّيّ ويقع فيه إسرائيليّاتٌ كثيرةٌ، فلعلّ بعضها مدرجٌ ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدّمة، والله أعلم.

والحاكم يروي في مستدركه بهذا الإسناد بعينه، ويقول أشياء، ويقول: على شرط البخاريّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مثلما قال المؤلف عن السند المشهور: السدي عن مرة عن أبي صالح عن ابن عباس، لكنه مما يستقيه من بعض أخبار بني إسرائيل فلا تقوم به الحجة، والحجة إنما تثبت وتقوم بما قاله الله ورسوله، أما أخبار بني إسرائيل، فمثلما قال النبي ﷺ فيها الكذب والصدق، حتى قال: «**فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم**»، فالحاصل أن أخبار بني إسرائيل ليس مما يعتمد عليه لا في التفسير ولا في غيره، وإلا، فهي تُحكى وتُذكر للعبرة: «**حدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»، ويكفي ما دل عليه كتاب الله. والحمد لله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

والغرض أنّ الله تعالى لمّا أمر الملائكة بالسّجود لآدم، دخل

إبليس في خطابهم؛ لأنّه وإن لم يكن من عنصرهم إلّا أنّه كان قد تشبّه بهم وتوسّم بأفعالهم، فلهذا، دخل في الخطاب لهم وذمّ في مخالفة الأمر، وسنبسط المسألة إنّ شاء الله تعالى عند قوله: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]

ولهذا، قال محمّد بن إسحاق، عن خلّادٍ، عن عطاءٍ، عن طاوسٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: كان إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة، اسمه: عزازيل، وكان من سكّان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهادًا، وأكثرهم علمًا، فذلك دعاه إلى الكبر، وكان من حيٍّ يسمونه جنًّا.

وفي روايةٍ عن خلّادٍ، عن عطاءٍ، عن طاوسٍ أو مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ أو غيره، بنحوه.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا عبّادٌ؛ يعني: ابن العوّام، عن سفيان بن حسينٍ، عن يعلى بن مسلمٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: كان إبليس اسمه عزازيل، وكان من أشرف الملائكة من ذوي الأجنحة الأربعة، ثمّ أبلس بعد.

وقال سنيدٌ، عن حجّاجٍ، عن ابن جريجٍ، قال: قال ابن عبّاسٍ: كان إبليس من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلةً، وكان خازنًا على الجنان، وكان له سلطان سماء الدّنيا، وكان له سلطان الأرض، وهكذا روى الضّحّاك وغيره عن ابن عبّاسٍ سواءً

وقال صالحٌ مولى التوأمة: عن ابن عبّاسٍ: إنّ من الملائكة قبيلًا يقال لهم: الجنّ، وكان إبليس منهم، وكان يسوس ما بين السّماء والأرض، فعصى، فمسخه الله شيطانًا رجيمًا. رواه ابن جريرٍ.

وقال قتادة، عن سعد بن المسيّب: كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدّنيا.

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا عديّ بن أبي عديٍّ، عن عوفٍ، عن الحسن، قال: ما كان إبليس من الملائكة طرفة عينٍ قطّ، وإنّه لأصل الجنّ كما أنّ آدم أصل الإنس.

وهذا الإسناد صحيحٌ عن الحسن. وهكذا قال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم سواءً.

وقال شهر بن حوشبٍ: كان إبليس من الجنّ الّذين طردتهم الملائكة، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السّماء. رواه ابن جريرٍ.

وقال سنيد بن داود: حدّثنا هشيمٌ، أنبأنا عبد الرّحمٰن بن يحيى، عن موسى بن نميرٍ، وعثمان بن سعيد بن كاملٍ، عن سعد بن مسعودٍ، قال: كانت الملائكة تقاتل الجنّ فسبي إبليس وكان صغيرًا، فكان مع الملائكة يتعبد معها، فلمّا أمروا بالسّجود لآدم سجدوا، فأبى إبليس، فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الكهف: ٥٠]

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن القزّاز، حدّثنا أبو عاصمٍ، عن شريكٍ، عن رجلٍ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، قال: إنّ الله خلق خلقًا، فقال اسجدوا لآدم، فقالوا: لا نفعل، فبعث الله عليهم نارًا فأحرقتهم، ثمّ خلق خلقًا آخر، فقال: إنّي خالقٌ بشرًا من طينٍ، اسجدوا لآدم؛ قال: فأبوا، فبعث الله عليهم نارًا فأحرقتهم، ثمّ خلق هؤلاء، فقال: اسجدوا لآدم، قالوا: نعم، وكان إبليس من هؤلاء الّذين أبوا أن يسجدوا لآدم.

وهذا غريبٌ، ولا يكاد يصحّ إسناده، فإنّ فيه رجلًا مبهمًا، ومثله لا يحتجّ به، والله أعلم.

الطالب[1]: محمد بن سنان بن يزيد القزاز، أبو بكر البصري، نزيل بغداد، ضعيف، من الحادية عشرة، مات سنة. «٢٧١ تمييز».

محمد بن سنان الباهلي، أبو بكر البصري، العوقي بفتح المهملة

---

(١) يقرأ الطالب من كتاب تقريب التقريب للحافظ ابن حجر.

والواو بعدها قاف، ثقة، ثبت، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين البخاري، وأبو داود وابن ماجه والترمذي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾، فكانت الطّاعة لله والسجدة لآدم، أكرم الله آدم بها أن أسجد له ملائكته.

وقال بعض الناس: كان هذا سجود تحية وسلام وإكرام؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، **وقد كان هذا مشروعًا في الأمم الماضية، ولكنه نسخ في ملّتنا**، قال معاذٌ: قدمت الشّام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول الله أحقّ أن يسجد لك، فقال: «**لَا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا بَشَرًا أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا**»(١)، ورجّحه الرّازيّ.

وقال بعضهم: بل كانت السّجدة لله وآدم قبلةٌ فيها؛ كما قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وفي هذا التّنظير نظرٌ، والأظهر أنّ القول الأوّل أولى، والسّجدة لآدم إكرامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعةٌ لله ﷻ؛ لأنّها امتثالٌ لأمره تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السجود لآدم، فما نحتاج للتأويل!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قوّاه الرّازيّ في تفسيره وضعّف ما عداه من القولين الآخرين، وهما كونه جعل قبلةً؛ إذ لا يظهر فيه شرفٌ، والآخر أنّ المراد بالسّجود الخضوع لا الانحناء ووضع الجبهة على الأرض، وهو ضعيفٌ كما قال.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة برقم (١١٥٩)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة برقم (١٨٥٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٢٧).

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ حسد عدوّ الله إبليس آدم عليه السلام ما أعطاه من الكرامة، وقال: أنا ناريٌّ وهذا طينيٌّ، وكان بدء الذّنوب الكبر، استكبر عدوّ الله أن يسجد لآدم عليه السلام.

قلت: وقد ثبت في الصّحيح: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذرة من كبر**»[1]، وقد كان في قلب إبليس من الكبر والكفر والعناد ما اقتضى طرده وإبعاده عن جناب الرّحمة وحضرة القدس.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو سعيدٍ الأشجّ، حدّثنا أبو أسامة، حدّثنا صالح بن حيّان، حدّثنا عبد الله بن بريدة، في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾ من الّذين أبوا فأحرقتهم النار.

وقال أبو جعفر رضي الله عنه، عن الرّبيع، عن أبي العالية ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾؛ يعني: من العاصين.

وقال السّدّيّ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٤﴾: الّذين لم يخلقهم الله يومئذٍ، يكونون بعد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

المقصود من هذا كله أن الله جل وعلا أمر الملائكة بالسجود لآدم إظهارًا لفضله وتقدمه في هذا العلم العظيم، فامتثل الملائكة وسجدوا إلا إبليس، حمله الكبر والبغي والخيلاء على الامتناع، وصارت هذه السجدة إكرامًا لآدم واحترامًا له وبيانًا لفضله ومنزلته، وكان هذا من الله عز وجل وهو سبحانه يأمر بما يشاء ويحكم بما يشاء ويخلق ما يشاء سبحانه وتعالى، وكان هذا جاهلًا في حكمه سبحانه وتعالى ذلك الوقت بآدم، كما أجاز سبحانه لأبوي يوسف وإخوته أن يسجدوا ليوسف تحية وإكرامًا وتعظيمًا وتقديرًا، وكان هذا

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (١٤٧).

جائزًا في شرع الأنبياء في وقت يوسف؛ لأن يوسف وأباه وجده وكذلك أبو جده إبراهيم، كلهم أنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثم شرع الله في شريعة محمد ﷺ الامتناع عن ذلك، فكانت هذه الشريعة شريعة محمد أكمل الشرائع وأتمها وأكثرها عناية بتحقيق مقام التوحيد وسد ذرائع الشرك، فحرَّم الله في الشريعة المحمدية السجود لغير الله ﷻ مطلقًا؛ لا تحية ولا عبادة، فهي محرمة عبادة لا شك حتى في الأول، وإنما شُرِعت تحية وإكرامًا لآدم ويوسف، وحُرِّمت في شريعة محمد ﷺ سدًّا لأنواع الشرك وحماية لجناب التوحيد، ولكن إبليس حمله الكبر والبغي والعنصر الخبيث الطيش على الامتناع والإيذاء، ومن أخص صفات الكفار الكبر، نعوذ بالله، ولهذا، جُعلت جهنم دار المتكبرين، ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، نعوذ بالله، فالكفرة لم يحملهم الجهل ولا الإعراض ولا الدنيا ولكن حملهم الكبر والتعاظم والعُجب بالنفس حتى امتنعوا من الحق واستكبروا عن اتباعه، نسأل الله العافية.

ومعنى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: وصار من الكافرين، كان بمعنى صار؛ أي: صار من الكافرين؛ لامتناعه وتكبره عن طاعة الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال محمد بن كعب القرظي: ابتدأ الله خلق إبليس على الكفر والضّلالة، وعمل بعمل الملائكة، فصيَّره الله إلى ما أبدى عليه خلقه على الكفر، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لعلها بدأ؛ يعني: سبق في علم الله أنه يكون كافرًا؛ يعني: بعد الحدث هذا، كما سبق في علم الله ردة المرتدين.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال محمد بن نصر المروزي: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عمرو بن رافع البجلي، حدثنا كنانة بن جبلة، عن سهيل بن أبي حزم، عن ثابت، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أمر آدم بالسجود، فسجد، فقال: لك الجنة، ولمن سجد من ولدك، وأمر إبليس بالسجود، فأبى أن يسجد، فقال: لك النار، ولمن أبى من ولدك أن يسجد**»[1].

قال بعض المعربين: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾؛ أي: وصار من الكافرين بسبب امتناعه؛ كما قال تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [هُودٍ: ٤٣]، وَقَالَ: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال الشاعر:

بتيهاء قفرٌ والمطيّ كأنّها قطا الحزن قد كانت فراخًا بيوضها

أي: قد صارت.

وقال ابن فورك: تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين.

ورجّحه القرطبيّ. وذكر هاهنا مسألةً، فقال: قال علماؤنا: من أظهر الله على يديه ممّن ليس بنبيٍّ كراماتٍ وخوارق للعادات، فليس ذلك دالًّا على ولايته؛ خلافًا لبعض الصّوفيّة والرّافضة، وهذا لفظه. ثمّ استدلّ على ما قال بقوله: ولما اتفقنا على أننا بأنّا لا نقطع بهذا الّذي جرى الخارق على يديه أن يوافي الله بالإيمان، وهو لا يقطع لنفسه بذلك؛ يعني: والولي الذي يقطع له بذلك في نفس الأمر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا منافاة، كونه في علم الله من الكافرين، لا منافاة، صار من الكافرين؛ لأن الذي سبق علم الله بأنه يكون كذلك، فإن كل شيء بقدر، وصار من الكافرين بفعله القبيح، فرجع إلى علم الله فيه أنه يكون من الكافرين.

---

(١) في كتاب الصلاة (٣١٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قلت: وقد استدلّ بعضهم على أنّ الخارق قد يكون على يدي غير الوليّ؛ بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضًا؛ بما ثبت عن ابن صيّادٍ أنّه قال: هو الدّخّ، حين خبّأ له رسول الله ﷺ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾، وبما كان يصدر عنه أنّه كان يملأ الطّريق إذا غضب، حتّى ضربه عبد الله بن عمر، وبما ثبت به الأحاديث عن الدّجّال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من أنّه يأمر السّماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب، وأنّه يقتل ذلك الشّابّ ثمّ يحييه، إلى غير ذلك من الأمور المهولة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والقاعدة عند أهل السُّنَّة أن ظهور الخوارق على يد الإنسان لا تقتضي ولايته؛ بل ينظر فيه، فإن ظهر من حاله الاستقامة على دين الله والوقوف عند حدود الله كان وليًّا لله، وإن لم تظهر عليه الخوارق، فالعبرة في أعماله وما هو عليه، فمن استقام على الحق فهو من أولياء الله ومن المؤمنين؛ سواء ظهرت عليه الخوارق أم لم تظهر عليه الخوارق، ومن لم يستقم؛ بل انحرف عن الهدى في أعماله أو أقواله أو فيهما جميعًا، فهو ليس من أولياء الله؛ بل من أولياء الشيطان، وإن ظهر عليه من خوارقه كالسحرة والفجرة. ولهذا قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]، وأفضل الأولياء وأعظمهم منزلة هم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، وأكثرهم ليس له خوارق، فليست الخوارق علامة على الإيمان ولا عدم الإيمان، ولكن العلامة الاستقامة على طاعة الله ورسوله، فهذه علامة واضحة على الإيمان وعدمه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصّدفيّ: قلت للشّافعيّ: كان

اللّيث بن سعدٍ يقول: إذا رأيتم الرّجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغترّوا به حتّى تعرضوا أمره على الكتاب والسّنّة، فقال الشّافعيّ: قصر اللّيث رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بل: إذا رأيتم الرّجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغترّوا به حتّى تعرضوا أمره على الكتاب والسّنّة.

[وقد تكلم كثير من المفسرين عند هذه الآية، وهي الأمر بسجود الملائكة لآدم، على مسألة تفضيل البشر على الملك أو العكس، وقد بسط الكلام فخر الدين الرازي في تفسيره، وحكى عن أكثر أهل السُّنَّة أن الأنبياء أفضل من الملائكة، إلا أن أبا بكر الباقلاني، وأبا عبد الله الحليمي، فإنهما ذهبا إلى تفضيل الملائكة على الأنبياء، ثم شرع بذكر دلائل كل قول من الأقوال، وهذه المسألة مقررة في علم الأصول، وفيها أقوال كثيرة منتشرة، ولم يتكلم كثير من السلف فيها، فرأينا الإضراب عن بسط الكلام فيها هاهنا. والله أعلم بالصواب][(1)].

وقد حكى الرازي وغيره قولين للعلماء: هل المأمور بالسّجود لآدم خاص بملائكة الأرض أو عام في ملائكة السموات والأرض، وقد رجّح كلًّا من القولين طائفةٌ، وظاهر الآية الكريمة العموم: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾. فهذه أربعة أوجهٍ مقوّيةٌ للعموم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا هو الحق، أن الأمر لجميع الملائكة، ولهذا، أكَّد سبحانه: ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [الحجر: ٣٠] تأكيدان: كلهم، وأجمعون، مع ظاهر الآية؛ يعني: إطلاق الملائكة هذا واحد، وكلهم اثنين، وأجمعون ثلاثة، ثم إلا إبليس استثناء، فالاستثناء لا يؤيد العموم.

*

(١) ما بين المعكوفين سقط عندي، وقد وجدته في بعض النسخ مثبتة، فانتبه أيها القاري رعاك الله.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٣٥، ٣٦][١].

يقول الله تعالى إخبارًا عمّا أكرم به آدم: أنه أمر الملائكة بالسّجود له فسجدوا إلّا إبليس، وأنه أباح له الجنّة يسكن منها حيث يشاء ويأكل منها ما شاء رغدًا؛ أي: هنيئًا واسعًا طيّبًا.

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث محمّد بن عيسى الدّامغانيّ: حدّثنا سلمة بن الفضل، عن ميكائيل، عن ليثٍ، عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه، عن أبي ذرٍّ، قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت آدم، أنبيًّا كان؟ قال: «**نعَمْ، نَبِيًّا رَسُولًا كَلَّمَهُ الله قبلًا**»[٢]، فقال: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾.

وقد اختلف في الجنّة الّتي أسكنها آدم أهي في السّماء أم في الأرض؟ والأكثرون على الأوّل، وحكى القرطبيّ عن المعتزلة والقدريّة القول بأنّها في الأرض، وسيأتي تقرير ذلك في سورة الأعراف إن شاء الله تعالى. وسياق الآية يقتضي أنّ حوّاء خلقت قبل دخول آدم الجنّة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والصواب أنها في السماء، وأنها جنة معلومة، هذا الذي عليه جماهير أهل العلم، وهو الحق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد صرّح بذلك محمّد بن إسحاق حيث قال: لمّا فرغ الله من معاتبة إبليس أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلّها، فقال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣]، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٢٥٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر القرآن أنه نبي مرسل عليه الصلاة والسلام، لكن سمي نوح أول رسول؛ لأنه أرسل إلى أهل الأرض بعدما وقع الشرك، فهو أول رسول إلى أهل الأرض بعدما وقع الشرك، أما آدم فكان قبل ذلك كان رسولًا إلى نفسه وإلى ذريته حتى بعث الله نوحًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: ثمّ ألقيت السِّنة على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التّوراة وغيرهم من أهل العلم، عن ابن عبّاسٍ وغيره، ثمّ أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقّه الأيسر ولَأَمَ مكانه لحمًا، وآدم نائمٌ لم يهبّ من نومه حتّى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حوّاء، فسوّاها امرأةً ليسكن إليها، فلمّا كشف عنه السِّنة وهبّ من نومه رآها إلى جنبه فقال ـ فيما يزعمون والله أعلم ـ: «لحمي ودمي وروحي»، فسكن إليها، فلمّا زوّجه الله وجعل له سكنًا من نفسه، قال له قبلًا: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٣٥﴾.

ويقال: إنّ خلق حواء كان بعد دخوله الجنة، كما قال السّدّيّ في تفسيره، ذكره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: أخرج إبليس من الجنّة وأسكن آدم الجنّة فكان يمشي فيها وحشًا ليس له زوجٌ يسكن إليه، فنام نومةً فاستيقظ وعند رأسه امرأةٌ قاعدةٌ خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنت؟ قالت: امرأةٌ، قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إليّ. قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم، قال: حوّاء، قالوا: ولم سمّيت حوّاء؟ قال: لأنها خلقت من شيءٍ حيٍّ. قال الله: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وظاهر القرآن الكريم أنها خلقت قبل دخوله الجنة، فلهذا قيل:

﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، وعندما أسجد الله له الملائكة خلق له زوجة يسكن إليها وأمرهما بسكنى الجنة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأمّا قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾، فهو اختبارٌ من الله تعالى وامتحانٌ لآدم.

وقد اختلف في هذه الشّجرة ما هي، فقال السّدّيّ، عمّن حدّثه، عن ابن عبّاسٍ: الشّجرة الّتي نهي عنها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي الكرم. وكذا قال سعيد بن جبيرٍ والسّدّيّ والشّعبيّ وجعدة بن هبيرة ومحمّد بن قيسٍ.

وقال السّدّيّ أيضًا في خبرٍ ذكره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ هي الكرم. وتزعم يهود أنّها الحنطة.

وقال ابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ: حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسيّ، حدّثنا أبو يحيى الحمّانيّ، حدّثنا النّضر أبو عمر الخرّاز، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، قال: الشّجرة الّتي نهي عنها آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي السّنبلة.

وقال عبد الرّزّاق: أنبأنا ابن عيينة وابن المبارك، عن الحسن بن عمارة، عن المنهال بن عمرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: هي السّنبلة.

وقال محمّد بن إسحاق، عن رجلٍ من أهل العلم، عن حجّاجٍ، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: هي البرّ.

وقال ابن جريرٍ: وحدّثني المثنّى بن إبراهيم، حدّثنا مسلم بن إبراهيم، حدّثنا القاسم حدّثني رجلٌ من بني تميم، أنّ ابن عبّاسٍ كتب إلى أبي الجلد يسأله عن الشّجرة الّتي أكل منها آدم والشّجرة الّتي تاب عندها آدم، فكتب إليه أبو الجلد: سألتني عن الشّجرة الّتي نهي عنها آدم وهي السّنبلة، وسألتني عن الشّجرة الّتي تاب عندها آدم وهي الزّيتونة.

وكذلك فسّره الحسن البصريّ ووهب بن منبّهٍ وعطيّة العوفيّ وأبو مالكٍ ومحارب بن دثارٍ وعبد الرّحمٰن بن أبي ليلى

وقال محمّد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبّهٍ، أنّه كان يقول: هي البرّ، ولكنّ الحبّة منها في الجنة ككلى البقر وألين من الزّبد وأحلى من العسل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

على كل حال، هذه الأقوال لا قيمة لها، أقوال كلها تُتَلقى من بني إسرائيل، فالله ﷻ لم يسمها لنا لعدم الحاجة إلى تسميتها، المهم أنها شجرة نُهيا عنها؛ فأكلا منها وحصل، ما حصل ولا يضرنا أن نجهلها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال سفيان الثّوريّ، عن حصينٍ، عن أبي مالكٍ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ قال: النّخلة.

وقال ابن جريرٍ، عن مجاهدٍ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾؛ قال: التينة. وبه قال قتادة وابن جريجٍ.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية: كانت شجرة من أكل منها أحدث، ولا ينبغي أن يكون في الجنّة حدثٌ.

وقال عبد الرّزّاق: حدثنا عمر بن عبد الرحمٰن بن مهران، قال: سمعت وهب بن منبّهٍ يقول: لمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة ونهاه عن أكل الشّجرة، وكانت شجرةً غصونها متشعبٌ بعضها من بعضٍ، وكان لها ثمرٌ تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الشّجرة الّتي نهى الله عنها آدم وزوجته.

فهذه أقوالٌ ستّةٌ في تفسير هذه الشّجرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: قيل: إنها السنبلة، وقيل إنها النخلة، وقيل: إنها العنب، وقيل: إنها التين وقيل شجرة لم يعرفوا اسمها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال الإمام العلامة أبو جعفر بن جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: والصّواب في ذلك أن يقال: إنّ الله عَزَّ وَجَلَّ ثناؤه نهى آدم وزوجته عن أكل شجرةٍ بعينها من أشجار الجنّة دون سائر أشجارها، فأكلا منها، ولا علم عندنا بأيّ شجرةٍ كانت على التّعيين؛ لأنّ الله لم يضع لعباده دليلًا على ذلك في القرآن ولا من السّنّة الصّحيحة، وقد قيل: كانت شجرة البرّ، وقيل: كانت شجرة العنب وقيل كانت شجرة التّين، وجائزٌ أن تكون واحدةً منها، وذلك علم إذا عُلِمَ لم ينفع العالم به علمه، وإن جهله جاهلٌ لم يضرّه جهله به، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾؛ يصحّ أن يكون الضّمير في قوله ﴿عَنۡهَا﴾ عائدًا إلى الجنّة، فيكون معنى الكلام كما قرأ عاصم بن بهدلة، وهو ابن أبي النّجود: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾؛ أي: فنحّاهما.

ويصحّ أن يكون عائدًا على أقرب المذكورين، وهو الشّجرة، فيكون معنى الكلام كما قال الحسن وقتادة: فأزلهما؛ أي: من قبل الزّلل، فعلى هذا، يكون تقدير الكلام ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾؛ أي: بسببها، كما قال تعالى: ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ [الذّاريات: ٩]؛ أي: يصرف بسببه من هو مأفوكٌ، ولهذا، قال تعالى: ﴿فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾؛ أي: من اللّباس والمنزل الرّحب والرّزق الهنيء والرّاحة.

قوله: ﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾؛ أي: قرارٌ وأرزاقٌ وآجالٌ ﴿إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾؛ أي: إلى وقت مؤقت ومقدارٍ معيّنٍ ثمّ تقوم القيامة.

وقد ذكر المفسّرون من السّلف كالسّدّيّ بأسانيده وأبي العالية ووهب بن منبّهٍ وغيرهم هاهنا أخبارًا إسرائيليّةً عن قصّة الحيّة وإبليس، وكيف جرى من دخول إبليس إلى الجنّة ووسوسته، وسنبسط ذلك إن

شاء الله في سورة الأعراف، فهناك القصّة أبسط منها هاهنا، والله الموفّق.

وقد قال ابن أبي حاتمٍ هاهنا: حدّثنا عليّ بن الحسن بن إشكاب، حدّثنا عليّ بن عاصمٍ، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبيّ بن كعبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ رَجُلًا طِوَالًا كَثِيرَ شَعْرِ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ نَخْلَةٌ سَحُوقٌ، فَلَمَّا ذَاقَ الشَّجَرَةَ سَقَطَ عَنْهُ لِبَاسُهُ، فَأَوَّلُ مَا بَدَا مِنْهُ عَوْرَتُهُ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى عَوْرَتِهِ جَعَلَ يَشْتَدُّ فِي الْجَنَّةِ، فَأَخَذَتْ شَعْرَهُ شَجَرَةٌ فَنَازَعَهَا فَنَادَاهُ الرَّحْمٰنُ: يَا آدَمُ، مِنِّي تَفِرُّ؟ فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الرَّحْمٰنِ قَالَ: يَا رَبِّ لَا، وَلَكِنِ اسْتِحْيَاءً»**.

قال: وحدّثني جعفر بن أحمد بن الحكم القرشي سنة أربع وخمسين ومائتين، حدثنا سليمان بن منصور بن عمّارٍ، حدّثنا عليّ بن عاصم، عن سعيدٍ، عن قتادة، عن أبيّ بن كعبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَمَّا ذَاقَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ فَرَّ هَارِبًا، فَتَعَلَّقَتْ شَجَرَةٌ بِشَعْرِهِ، فَنُودِيَ: يَا آدَمُ، أَفِرَارًا مِنِّي؟ قَالَ: بَلْ حَيَاءً مِنْكَ، قَالَ: يَا آدَمُ، اخْرُجْ مِنْ جِوَارِي، فَبِعِزَّتِي لَا يُسَاكِنُنِي فِيهَا مَنْ عَصَانِي، وَلَوْ خَلَقْتُ مِثْلَكَ مِلْءَ الْأَرْضِ خَلْقًا ثُمَّ عَصَوْنِي لَأَسْكَنْتُهُمْ دَارَ الْعَاصِينَ»**

هذا حديثٌ غريبٌ، وفيه انقطاعٌ؛ بل إعضالٌ، بين قتادة وأبيّ بن كعب رضي الله عنهما.

وقال الحاكم(١): حدّثنا أبو بكر بن بالويه، عن محمّد بن أحمد بن النّضر، عن معاوية بن عمرٍو، عن زائدة، عن عمار بن أبي معاوية البجليّ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: ما أسكن آدم الجنّة إلّا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشّمس، ثمّ قال: صحيحٌ على شرط الشّيخين ولم يخرجاه.

وقال عبد بن حميدٍ في تفسيره: حدّثنا روحٌ، عن هشامٍ، عن

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥/ ٤٠٤٢) قال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه.

الحسن، قال: لبث آدم في الجنّة ساعةً من نهارٍ، تلك السّاعة ثلاثون ومائة سنةٍ من أيّام الدّنيا.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، قال: خرج آدم من الجنّة للسّاعة التّاسعة أو العاشرة، فأخرج آدم معه غصنًا من شجر الجنّة، على رأسه تاجٌ من شجر الجنّة وهو الإكليل من ورق الجنّة.

وقال السّدّيّ: قال الله تعالى: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٨]، فهبطوا ونزل آدم بالهند ونزل معه الحجر الأسود وقبضةٌ من ورق الجنّة، فبثّه بالهند فنبتت شجرة الطّيب، فإنّما أصل ما يجاء به من الهند من الطيب من قبضة الورق الّتي هبط بها آدم، وإنّما قبضها آدم أسفًا على الجنّة حين أخرج منها.

وقال عمران بن عيينة، عن عطاء بن السّائب، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: أهبط آدم من الجنة بدحنا أرض بالهند.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، حدّثنا جريرٌ، عن عطاءٍ، عن سعيدٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: أهبط آدم عليه السلام إلى أرضٍ يقال لها: دحنا، بين مكّة والطّائف.

وعن الحسن البصريّ، قال: أهبط آدم بالهند، وحوّاء بجُدّة، وإبليس بدستميسان من البصرة على أميالٍ، وأهبطت الحيّة بأصبهان. رواه ابن أبي حاتمٍ.

وقال محمّد بن أبي حاتمٍ: حدّثنا محمّد بن عمّار بن الحارث حدثنا محمد بن سعيد بن سابقٍ، حدثنا عمر بن أبي قيس، عن ابن عديٍّ، عن ابن عمر، قال: أُهبط آدم بالصّفا وحوّاء بالمروة.

وقال رجاء بن سلمة: أُهبط آدم عليه السلام يداه على ركبتيه مطأطئًا رأسه، وأهبط إبليس مشبّكًا بين أصابعه رافعًا رأسه إلى السّماء.

وقال عبد الرّزّاق: قال معمرٌ: أخبرني عوفٌ، عن قسامة بن زهيرٍ، عن أبي موسى، قال: إنّ الله حين أهبط آدم من الجنّة إلى الأرض، علّمه

صنعة كلّ شيءٍ وزوّده من ثمار الجنّة، فثماركم هذه من ثمار الجنّة، غير أنّ هذه تتغيّر وتلك لا تتغيّر.

وقال الزّهريّ، عن عبد الرّحمٰن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»** رواه مسلم(١)، والنسائي.

وقال الرازي: أعلم أن في هذه الآية تهديدًا عظيمًا عن كلّ المعاصي من وجوهٍ [أحدها] أنّ من تصوّر ما جرى على آدم بسبب إقدامه على هذه الزّلّة الصّغيرة كان على وجلٍ شديدٍ من المعاصي، قال الشّاعر:

يا ناظرًا يرنو بعيني راقدٍ ... ومشاهدًا للأمر غير مشاهد
تصل الذّنوب إلى الذّنوب وترتجي ... درج الجنان ونيل فوز العابد
أنسيت ربّك حين أخرج آدمًا ... منها إلى الدّنيا بذنبٍ واحد

وقال ابن القيم:

ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

قال الرازي عن فتحٍ الموصليّ أنّه قال: كنّا قومًا من أهل الجنّة فسبانا إبليس إلى الدّنيا، فليس لنا إلّا الهمّ والحزن حتّى نردّ إلى الدّار الّتي أخرجنا منها.

فإن قيل: فإذا كانت جنة آدم التي أخرج منها في السّماء كما يقوله الجمهور من العلماء، فكيف تمكّن إبليس من دخول الجنّة، وقد طرد من هنالك طردًا قدريًّا، والقدريّ لا يخالف ولا يمانع؟

فالجواب: أنّ هذا بعينه استدلّ به من يقول: إنّ الجنّة الّتي كان فيها آدم في الأرض لا في السماء، كما قد بسطنا هذا في أوّل كتابنا «البداية والنّهاية»، وأجاب الجمهور بأجوبةٍ؛ أحدها: أنّه منع من دخول

---

(١) أخرجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة برقم (٨٥٤).

الجنة مكرمًا، فأما على وجه السرقة والإهانة، فلا يمتنع، ولهذا، قال بعضهم: يحتمل أنّه وسوس لهما وهو في الأرض، وهما في السّماء، ذكرها الزّمخشريّ وغيره. وقد أورد القرطبيّ هاهنا أحاديث في الحيّات وقتلهنّ وبيان حكم ذلك، فأجاد وأفاد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال، مسألة الوسوسة، الله ﷻ على كل شيء قدير، ممكن أن يتمكن من الوسوسة وهو بعيد كما هو الآن، الشياطين قد تتمكن من الوسوسة في كل مكان. فهو سبحانه له القدرة التامة.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ [البقرة: ٣٧][١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قيل: إنّ هذه الكلمات مفسّرةٌ بقوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، وروي هذا عن مجاهدٍ وسعيد بن جبيرٍ وأبي العالية والرّبيع بن أنسٍ والحسن وقتادة ومحمّد بن كعبٍ القرظيّ وخالد بن معدان وعطاءٍ الخراسانيّ وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم. وقال أبو إسحاق السّبيعيّ، عن رجلٍ من بني تميم، قال: أتيت ابن عبّاسٍ فسألته ما الكلمات الّتي تلقّى آدم من ربّه؟ قال: علم شأن الحجّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والأظهر في هذا مثلما تقدم، أن الله ﷻ لما قدَّر عليه ما قدَّر من المعصية من أكل الشجرة هو وزوجته حواء وأُهبطا من الجنة إلى

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

الأرض، أصاب آدم وحواء ما أصابهما من الندم العظيم والمشقة العظيمة، ففتح الله عليهما وألزم عليهما كلمات يتوجَّهان بها إلى الله ﷻ توبة واستغفارًا وندمًا وإقلاعًا، وكان من تلك الكلمات التي منَّ الله عليهما بها: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]؛ تضرَّعا إلى الله وتابا إليه واستغفراه فتاب عليهما سبحانه وتعالى ومنَّ عليهما بالتوبة العظيمة؛ كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، وهذا فضله وإحسانه؛ الأول: قدره وعدله، والثاني: فضله وإحسانه؛ فمن بادر بالتوبة والإصلاح وجاهد نفسه لله وصدق في التوبة تاب الله عليه وإن عظمت الذنوب، فكيف إذا كانت معصية في الأكل من شجرة، وربنا يتوب على التائبين من الشرك الأكبر والعظائم إذا صدقوا في التوبة، فآدم عليه الصلاة والسلام وزوجته ابتُليا بهذه المعصية التي هي الأكل من الشجرة، ومَنَّ الله عليهما بعد ذلك بالتوبة العظيمة والرجوع إليه سبحانه وتعالى والضراعة إليه والاستغفار فتاب عليهما سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال سفيان الثّوريّ، عن عبد العزيز بن رفيعٍ، أخبرني من سمع عبيد بن عميرٍ، وفي روايةٍ، قال: أخبرني مجاهدٌ، عن عبيد بن عميرٍ، أنّه قال: قال آدم: يا ربّ خطيئتي الّتي أخطأت شيءٌ كتبته عليَّ قبل أن تخلقني أو شيءٌ ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل شيءٌ كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: فكما كتبته عليّ فاغفر لي، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾.

وقال السّدّيّ، عمّن حدّثه، عن ابن عبّاسٍ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾، قال: قال آدم عليه السلام: يا ربّ، ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى، ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له: بلى، وعطست فقلت: يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى، وكتبت عليّ أن

أعمل هذا؟ قيل له: بلى، قال: أرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنّة؟ قال: نعم. وهكذا رواه العوفيّ وسعيد بن جبيرٍ وسعيد بن معبد عن ابن عبّاسٍ بنحوه، ورواه الحاكم في مستدركه من حديث سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، وهكذا فسّره السّدّيّ وعطيّة العوفيّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكل هذه الآثار متلقاة من بني إسرائيل، ليس فيها ما يثبت عنه عليه الصلاة والسلام، فأصح ما في ذلك وأظهر ما فيه ما بيَّنه القرآن: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، والخلاصة أن الله مَنَّ عليه بكلمات عظيمة توجه بها إلى ربه تائبًا نادمًا فتاب عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روى ابن أبي حاتمٍ هاهنا حديثًا شبيهًا بهذا، فقال: حدّثنا عليّ بن الحسين بن إشكاب، حدّثنا عليّ بن عاصمٍ، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن أبيّ بن كعبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **أَرَأَيْتَ يَا رَبِّ إِنْ تُبْتُ وَرَجَعْتُ أَعَائِدِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ**»، فذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾، وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه وفيه انقطاعٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لأن الحسن لم يلق أُبيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولم يسمع منه، فهو ضعيف من جهة الانقطاع بين الحسن وبين أُبَي.

ومن جهة عنعنة قتادة وعدم التصريح بالسماع من الحسن.

والمقصود أن هذه الآثار عن بعض السلف من الصحابة ومن بعدهم متلقاة من بني إسرائيل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ قال: إنّ آدم لمّا

أصاب الخطيئة، قال: أرأيت يا رب إن تبت وأصلحت؟ قال الله: إذًا أرجعك إلى الجنة.

فهي الكلمات، ومن الكلمات أيضًا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ أنّه كان يقول في قول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ قال: كلمات: اللّهمّ لا إلٰه إلّا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّك خير الغافرين، اللّهمّ لا إلٰه إلّا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إنّي ظلمت نفسي فارحمني إنّك خير الرّاحمين، اللّهمّ لا إلٰه إلّا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إنّي ظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التّوّاب الرّحيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾؛ أي: إنّه يتوب على من تاب إليه وأناب؛ كقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [التّوبة: ١٠٤]، وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وقوله: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٧١]، وغير ذلك من الآيات الدّالّة على أنّه تعالى يغفر الذّنوب، ويتوب على من يتوب، وهذا من لطفه بخلقه ورحمته بعبيده، لا إلٰه إلا هو التواب الرحيم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والتوبة من الله على عباده من أعظم نعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فإن العبد خطَّاء، فلو كانت ذنوبه تبقى عليه ولا حيلة له في الخلاص منها لكان الأمر عظيمًا وخطيرًا، ولقَلَّ الناجون وعظم الهالكون فكثروا، ولكن من لطف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن قبل التوبة إذا تاب العبد وصدق في التوبة، من لطفه سبحانه ومن إحسانه إلى عباده ومن جوده وكرمه أن تقبَّل من عبيده التوبة، ولهذا، في الحديث: «**كل بني آدم خطَّاء وخير الخطَّائين التوابون**». وهو سبحانه حثهم على هذا، فقال: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، وقال: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]؛ فعلّق فلاحهم بتوبتهم، وهذا من لطفه سبحانه، أن شرع لنا التوبة بعدما كتب في سابق علمه أنه يقع منا الذنوب والخطايا، وأن ما جبلنا عليه وما خلقنا عليه يدعو إلّا هذه الأشياء إلى من لطف الله به ورحم، ومن لطفه سبحانه أنه قدر المعاصي وقدر التوبة ويسَّر لعباده أسبابها حتى لا تبقى عليهم هذه التبعات العظيمة والأخطار الكبيرة إذا أنابوا إليه ﷻ؛ فالدواء للذنوب هو التوبة الصادقة النصوح التي ليس بعدها رجعة؛ بل توبة مستمر عليها مستقيم عليها مواظب عليها ملازم لها.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ **[البقرة: ٣٨ ـ ٣٩]**(١).

يقول تعالى مخبرًا عمّا أنذر به آدم وزوجته وإبليس حين أهبطهم من الجنّة، والمراد الذّرّيّة، أنّه سيُنزل الكتب ويبعث الأنبياء والرّسل؛ كما قال أبو العالية: الهدى: الأنبياء والرسل والبينات والبيان.

وقال مقاتل بن حيّان: الهدى: محمّدٌ ﷺ، وقال الحسن: الهدى: القرآن، وهذان القولان صحيحان. وقول أبي العالية أعمّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والصواب أنها عامة للرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام؛ فإن الله لما أهبط آدم وحواء وإبليس انتشرت لهم الذرية في الأرض وصارت

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير ابن كثير رحمه الله.

سكنًا لهم، فأرسل لهم الرسل وأنزل الكتب لإقامة الحجة لقطع المعذرة، وبيان طريق النجاة ليسلكوه وبيان طريق الهلاك ليحذروه، فأقام الحجة سبحانه وقطع المعذرة عليهم بما بعث من الهدى؛ فالهدى كل ما جاءت به الرسل، فهو الهدى، ومحمد خاتمهم وأفضلهم عليه الصلاة والسلام؛ فما جاء به من القرآن والسُّنَّة والهدى من أعرض عنه هلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ﴾؛ أي: من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرّسل، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ على ما فاتهم من أمور الدّنيا؛ كما قال في سورة طه: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]؛ قال ابن عبّاسٍ: فلا يضلّ في الدّنيا ولا يشقى في الآخرة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]، كما قال هاهنا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي: مخلّدون؛ أي: مخلدون فيها لا محيد لهم عنها ولا محيص.

وقد أورد ابن جرير هاهنا حديثًا ساقه من طريقين: عن أبي مسلمة سعيد بن يزيد، عن أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة، عن أبي سعيدٍ واسمه سعد بن مالك بن سنانٍ الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ، وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ** - أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ - **فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ؛ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ**

السَّيْلِ»[١]. وقد رواه مسلمٌ من حديث شعبة، عن أبي سلمة، به. وذكر هذا الإهباط الثّاني لما تعلّق به ما بعده من المعنى المغاير للأوّل، وزعم بعضهم: أنه تأكيد وتكرير؛ كما يقال: قم قم، وقال آخرون: بل الإهباط الأوّل من الجنّة إلى السّماء الدّنيا، والثّاني: من سماء الدّنيا إلى الأرض، والصّحيح الأوّل، والله أعلم.

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [٤٠][٢].

فهذه الآية الكريمة وما جاء في معناها كلها تدل على وجوب الخوف من الله، والخوف من عذابه وغضبه، ووجوب الاستعداد للقائه، وتذكر يوم القيامة وأهواله، حتى يعد العُدة لذلك اليوم العظيم، والله ﷻ كرر في كتابه الكريم الآيات التي توجب الخوف من الله والخوف من عقابه؛ ليستعد طالب النجاة، وليحذر من شهوات نفسه المحرمة، وما يزينه الشيطان من أسباب غضب الله؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢] يعني: أخذه وعقابه ﷻ، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]،

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد في كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار برقم (٣٠٦).

(٢) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ١١٤).

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ [البقرة: ٤٠ ـ ٤١][1].

يقول تعالى آمرًا بني إسرائيل بالدّخول في الإسلام، ومتابعة محمّدٍ عليه من الله أفضل الصّلاة والسّلام، ومهيّجًا لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبيّ الله يعقوب عليه السلام، وتقديره: يا بني العبد الصّالح المطيع لله، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحقّ، كما تقول: يا ابن الكريم افعل كذا، يا ابن الشّجاع بارز الأبطال، يا ابن العالم اطلب العلم، ونحو ذلك. ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. فإسرائيل هو يعقوب بدليل ما رواه أبو داود الطّيالسيّ: حدّثنا عبد الحميد بن بهرامٍ، عن شهر بن حوشبٍ، قال: حدّثني عبد الله بن عبّاسٍ، قال: حضرت عصابةٌ من اليهود نبيّ الله ﷺ، فقال لهم: «**هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ؟**» قالوا: اللّهمّ نعم، فقال النّبيّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»[2].

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٧٨)، وأبو داود الطيالسي في مسنده برقم (٢٧٣١).

وقال الأعمش، عن إسماعيل بن رجاءٍ، عن عميرٍ مولى ابن عبّاسٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ: أنّ إسرائيل كقولك: عبد الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أنه لقب بذلك إسرائيل؛ بمعنى: عبد الله، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهو والد يوسف عليهم الصلاة والسلام جميعًا، وبنو إسرائيل ينتسبون إليه، ولهذا، يقول ﷻ: يا بني إسرائيل، يا بني العبد الصالح النبي الكريم، افعلوا كذا، امتثلوا في كذا وافعلوا كذا واتبعوا هذا النبي العظيم محمدًا عليه الصلاة والسلام، ولهذا، قال: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ فإنه أنعم على بني إسرائيل نعمًا عظيمة، فأنجاهم من فرعون وخلصهم من فرعون، وخلصهم من البحر وخلصهم من بلاوٍ كثيرة، فالواجب على الذرية أن يتأسوا بالآباء الصالحين، وأن يسيروا على نهجهم الصالح، وأن يحذروا أسباب الهلاك، وذلك في مخالفة الأنبياء واتباع الهوى.

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾؛ فالنعم التي أنعم بها على آبائهم كثيرة، وأعظمها وأهمها وأكبرها أنه وفقهم لمتابعة موسى عليه الصلاة والسلام، ويسَّر لهم الاستقامة على دينه، وأنجاهم من فرعون، أغرقه في البحر وأنجاهم من شرِّه، فعليهم أن يتابعوا هذا النبي العظيم الذي بعثه الله بما بعث به الأنبياء الماضين، وبشريعة أكمل من تلك الشرائع، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾؛ أي: بديني، عَهْده الذي عَهِدَ إلى عباده هو دينه، وهو الإسلام، وهو ما بعث به الأنبياء من الشرائع القويمة والأحكام العادلة، فهذا عهده الذي عهده إلى عباده، وعلى كل أتباع النبي أن يلتزموا وأن يسيروا على هذا العهد الذي عهده إلى الأنبياء، وبذلك، يستحقون فضله وكرامته ونجاته وسلامته من غضبه، ولهذا، قال: ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾، والذي عهده لهم أن ينجيهم من النار وأن يدخلهم الجنة إذا أوفوا بحقه؛ فمن وفَّى وُفِّي، فمن أوفى بعهد الله أوفى الله له بالعهد بإدخاله الجنة والنجاة من النار وتخليصه من كل بلاء.

﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ۝٤٠﴾؛ يعني: فإياي فخافونِ واحذرونِ بالوقوف عند حدودي والحذر من أسباب غضبي والاستقامة على طاعتي هذه هي الطرق التي شرعها الله ﷻ لعباده وأوجب عليهم أن يرهبوه بالاستقامة عليها والثبات عليها والسير عليها والموالاة عليها والمعاداة عليها، إلى آخره.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ قال مجاهدٌ: نعمة الله الّتي أنعم بها عليهم فيما سمّى، وفيما سوى ذلك أن فجّر لهم الحجر وأنزل عليهم المنّ والسّلوى ونجّاهم من عبوديّة آل فرعون.

وقال أبو العالية: نعمته أن جعل منهم الأنبياء والرّسل، وأنزل عليهم الكتب.

قلت: وهذا كقول موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]؛ يعني: في زمانهم.

وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: بلائي عندكم وعند آبائكم لما كان نجّاكم من فرعون وقومه، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾؛ قال: بعهدي الّذي أخذت في أعناقكم للنّبيّ ﷺ إذا جاءكم، أنجز لكم ما وعدتكم عليه من تصديقه واتّباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال الّتي كانت في أعناقكم بذنوبكم الّتي كانت من إحداثكم.

وقال الحسن البصريّ: هو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [المائدة: ١٢].

وقال آخرون: هو الذي أخذ الله عليهم في التّوراة أنّه سيبعث من بني إسماعيل نبيًّا عظيمًا يطيعه جميع الشّعوب، والمراد به محمّدٌ ﷺ؛ فمن اتبعه غفر الله له ذنبه وأدخله الجنة وجعل له أجرين. وقد أورد الرازي بشارات كثيرة عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بمحمد ﷺ.

وقال أبو العالية: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ﴾؛ قال عهده إلى عباده دين الإسلام وأن يتّبعوه، وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾؛ قال: أرض عنكم وأدخلكم الجنّة. وكذا قال السّدّيّ والضّحّاك وأبو العالية والرّبيع بن أنس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه كلها لا تتخالف، ولا تتعارض والمجموع هو ما بيَّنه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن عهده إليهم أن يقيموا دينه وأن يحفظوا ما جاء به أنبياؤه وأن يستقيموا بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الحقوق وإقراضه القرض الحسن بالأعمال الصالحات وترك ما حرم عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾؛ أي: فاخشون، قاله أبو العالية والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ وقتادة، وقال ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾؛ أي: إن نزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النّقمات الّتي قد عرفتم من المسخ وغيره.

وهذا انتقالٌ من التّرغيب إلى التّرهيب، فدعاهم إليه بالرّغبة والرّهبة لعلّهم يرجعون إلى الحقّ واتّباع الرسول ﷺ والاتّعاظ بالقرآن وزواجره وامتثال أوامره وتصديق أخباره، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾، ولهذا، قال: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ﴾؛ يعني به القرآن الذي أنزل على محمّدٍ ﷺ النّبيّ الأمّيّ العربيّ بشيرًا ونذيرًا وسراجًا منيرًا، مشتملًا على الحقّ من الله تعالى، مصدّقًا لما بين يديه من التّوراة والإنجيل.

قال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾؛ يقول: يا معشر أهل الكتاب، ﴿آمنوا بما أنزلت مصدِّقًا لما معكم﴾؛ يقول؛ لأنّهم يجدون محمّدًا ﷺ مكتوبًا عندهم في التّوراة والإنجيل، وروي عن مجاهدٍ والرّبيع بن أنسٍ وقتادة نحو ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهو عام، فهو مصدق ما عندهم من الأحكام والأوامر والنواهي وأخبار الأنبياء وأخبار يوم القيامة؛ فالقرآن مصدق لما مضى قبله من الكتب وما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من أخبارهم عن الجنة وعن النار وعن يوم القيامة وعن الشرائع التي أمر بها وعن الحدود التي نهى عنها، فهو مصدق لذلك كما أنه مصدق لما بشروا به النبي محمد ﷺ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾؛ قال بعض المعرِّبين: أول فريق كافر به أو نحو ذَلِكَ.

قال ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾، وعندكم فيه من العلم ما ليس عند غيركم.

قال أبو العالية: يقول: ولا تكونوا أوّل من كفر بمحمّدٍ ﷺ؛ يعني: من جنسكم أهل الكتاب بعد سماعكم بمبعثه، وكذا قال الحسن والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ، واختار ابن جريرٍ أنّ الضّمير في قوله: ﴿بِهِۦ﴾ عائدٌ على القرآن الّذي تقدّم ذكره في قوله: ﴿بِمَآ أَنزَلْتُ﴾، وكلا القولين صحيحٌ؛ لأنّهما متلازمان؛ لأنّ من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمّدٍ ﷺ، فقد كفر بالقرآن.

وأمّا ﴿أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾، فيعني به: أوّل من كفر به من بني إسرائيل؛ لأنّه قد تقدّمهم من كفّار قريشٍ وغيرهم من العرب بشرٌ كثيرٌ، وإنّما المراد: أوّل من كفر به من بني إسرائيل مباشرةً، فإنّ يهود المدينة أوّل بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن، فكُفرهم به يستلزم أنّهم أوّل من كفر به من جنسهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا لأنهم في المدينة يسمعون كلام الرسول ﷺ ودعوته ويسمعون القرآن، فلما كفروا به صاروا أول كافر به من غيرهم، قبل كفار اليهود في الشام أو في مصر أو في الجهات الأخرى البعيدة؛ لأنهم إنما تأتيهم الأخبار بعدهم، فيكون كفار اليهود من المدينة سابقين لغيرهم في الكفر، بخلاف كفار العرب فإن أول من كفر بهم هم أهل مكة؛ لأنهم أول من بلّغ أمر الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾؛ يقول: لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدّنيا وشهواتها، فإنّها قليلةٌ فانيةٌ، كما قال عبد الله بن المبارك: أنبأنا عبد الرّحمٰن بن يزيد بن جابر، عن هارون بن يزيد، قال: سئل الحسن؛ يعني: البصريّ، عن قوله تعالى: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ قال: الثّمن القليل: الدّنيا بحذافيرها.

قال ابن لهيعة: حدّثني عطاء بن دينارٍ، عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: إن آياته كتابه الّذي أنزله إليهم، وإنّ الثّمن القليل الدّنيا وشهواتها. وقال السّدّيّ: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ يقول: لا تأخذوا طمعًا قليلًا، ولا تكتموا اسم الله، فذلك الطمع هو الثّمن.

وقال أبو جعفرٍ عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ يقول: لا تأخذوا عليه أجرًا، قال: وهو مكتوبٌ عندهم في الكتاب الأوّل: يا ابن آدم، علّم مجانًا كما عُلِّمت مجّانًا. وقيل: معناه لا تعتاضوا عن البيان والإيضاح ونشر العلم النافع بالكتمان واللبس لتستمروا على رئاستكم في الدّنيا القليلة الحقيرة الزّائلة عن قريبٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمقصود من هذا تحذيرهم أن يرضوا بأطماعهم ومآكلهم التي عند قومهم، أن يرضوا بها بدلًا من تصديق كتاب الله وبدلًا من اتباع محمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنهم خافوا إذا آمنوا انتهت رئاستهم عند جماعتهم، فأمرهم الله أن يؤمنوا بالحق وأن يتَّبعوه وألا يؤثروا عليه المآكل والمشارب والأطماع التي كلها تزول وتفنى ولا قيمة لها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وفي سنن أبي داود، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ **«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا يفيد الحذر من تعلُّم العلم للدنيا، وفي لفظ للحديث: «**لم يجد عرف الجنة**» والعرف هو الريح، والمعنى: التحذير من تعلم العلم لا لله؛ بل للطمع والحظ العاجل؛ فالواجب على طلبة العلم أن يتعلَّموه لله؛ ليعرفوا دينهم وليتقوا ربهم وليبلغوا رسالات الله، فهذا هو الواجب، فمن تعلمه للدنيا فهذا وعيده، لكن قد يتعلمه للدنيا وقد يغره الشيطان ثم يهتدي وينتبه؛ كما قال بعض السلف: تعلمنا للدنيا فأبى أن يكون إلا لله، فالله ﷻ قد يلقي في قلبه من الانتباه واليقظة إلى ما يجب عليه فيتوب مما سلف منه ويستقبل طاعة الله ورسوله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

فأما تعليم العلم بأجرةٍ، فإن كان قد تعيّن عليه فلا يجوز أن يأخذ

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى برقم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة، باب الوصاة بطلبة العلم برقم (٢٥٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٨).

عليه أجرةً، ويجوز أن يتناول من بيت المال ما يقوم به حاله وعياله بأجرة، فإن لم يحصل له منه شيءٌ وقطعه التّعليم عن التّكسّب، فهو كما لم يتعيّن عليه، وإذا لم يتعيّن عليه فإنّه يجوز أن يأخذ عليه أجرةً عند مالكٍ والشّافعيّ وأحمد وجمهور العلماء كما في «صحيح البخاريّ» عن أبي سعيدٍ في قصّة اللّديغ: «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ**»(١)، وقوله في قصّة المخطوبة: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»(٢).

فأمّا حديث عبادة بن الصّامت، أنّه علّم رجلًا من أهل الصّفّة شيئًا من القرآن فأهدى له قوسًا فسأل عنه رسول الله ﷺ فقال: «**إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا**»، رواه أبو داود(٣). وروي مثله عن أُبَي بن كعبٍ مرفوعًا؛ فإن صحّ إسناده فهو محمولٌ عند كثيرٍ من العلماء، منهم: أبو عمر بن عبد البرّ، على أنّه لمّا علّمه لله لم يجز بعد هذا أن يعتاض عن ثواب الله بذلك القوس، فأمّا إذا كان من أوّل الأمر على التّعليم بالأجرة، فإنّه يصحّ؛ كما في حديث اللّديغ وحديث سهلٍ في المخطوبة، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: والحديث ضعيف؛ حديث عبادة وحديث أُبَي ليس بصحيح، ولكن لو صح يكون على هذا على أنه إذا علَّمه لله يبتغي الثواب فلا يأخذ منه شيئًا، وإذا أخذ من باب المكافأة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الشروط في الرقية بقطيع من الغنم برقم (٥٧٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه برقم (٥٠٢٩)، ومسلم في كتاب النكاح، باب الصداق... برقم (١٤٢٥).

(٣) أخرجه أبو داود من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه في كتاب الإجارة، باب في كسب المعلم برقم (٣٤١٦)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب الأجر على تعليم القرآن برقم (٢١٥٧).

ومن باب العوض وتطييبًا لخاطر من أعطاه فليس داخلًا في هذا. ولهذا، أمر النبي ﷺ الرجل الذي خطب المرأة أن يعلِّمها من القرآن ما يكون مهرًا له، وهو في الصحيح، وهكذا حديث أبي سعيد رضي الله عنه الذي رواه البخاري في الصحيح أنه مَرَّ جماعة من الصحابة على طائفة من العرب وعندهم سيد لهم لديغ قد عملوا كل شيء له فلم ينفعه، فقالوا: هل فيكم من راقٍ؟ قالوا: نعم، ولكنا نزلنا عندكم فلم تضيفونا، فلا بدّ من جعل، فاتفقوا معهم على قطيع من الغنم، فرقاه بعض الصحابة بالفاتحة فقام كأنه نشط من عقال، وعافاه الله وأعطاهم قطيعًا من الغنم، فقالوا: لا نفعل شيئًا حتى نصل إلى الرسول ﷺ، فلما قدموا إليه وأخبروه قال: «**أحسنتم، واضربوا لي معكم بسهم**»[1]؛ تطييبًا لنفوسهم، وهكذا ما جاء في معناه؛ فالمقصود أن المعلم لا بأس أن يأخذ، معلم القرآن، إن تيسَّر من بيت المال فهو أولى، وإن لم يتيسر من بيت المال جاز أن يأخذ من أهل القرية أو أهل البلد، يجمعون له شيئًا حتى يتفرغ لتعليم أولادهم، ولا حرج عليه في ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾؛ قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو عمر الدّوريّ، حدّثنا أبو إسماعيل المؤدّب عن عاصم الأحول، عن أبي العالية، عن طلق بن حبيب، قال: «**التَّقْوَى أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللهِ رَجَاءَ رَحْمَةِ اللهِ عَلَى نُورٍ من اللهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ اللهِ عَلَى نُورٍ من الله تخاف عقاب الله**»، ومعنى قول: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾ أنّه تعالى يتوعّدهم فيما يتعمّدونه من كتمان الحقّ وإظهار خلافه ومخالفتهم الرّسول صلوات الله وسلامه عليه.

*

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب النفث في الرقية برقم (٥٧٤٩)، ومسلم في كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار برقم (٢٢٠١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ **إلى قوله ـ تعالى ـ:** ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [٤٠ ـ ٤٤][(١)].

يذكر سبحانه في هذه الآيات بما فعله مع بني إسرائيل من النعم العظيمة، والخير الكثير، والنصر على العدو، ويذكِّر أحفادهم الذين كانوا بالمدينة ـ وهم يهود المدينة ـ بما أنعم به على أسلافهم لعلهم ينتبهون، ولعلهم يشكرون، ولعلهم يتوبون من جحدهم وكفرهم وضلالهم، ويُقرُّون بنبوة محمد ﷺ وينقادون لما جاء به من الهدى، وهم يعلمون ذلك، وهو موجود في كتابهم (التوراة) ـ العهد القديم ـ فيعدد عليهم النعم العظيمة.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وإسرائيل: هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وإسرائيل معناه: عبد الله، فيذكِّرهم بهذا العبد الصالح وبأولاده، وأن الواجب عليهم أن يتبعوا ما كان من الهدى.

ومن الهدى: الإقرار بالحق، والإقرار بالرسل، فكلما بُعث رسول عليهم أن يتبعوه، وأن ينقادوا لما جاء به.

وخاتم الرسل: هو محمد عليه الصلاة والسلام كما هي مبيَّنة صفاته عندهم في (العهد القديم)، وأن عليهم أن يؤمنوا به ويصدِّقوه؛ ولكن القوم استمروا في الجهل والضلال والعياذ بالله.

والتذكير بالنعم دعوة إلى شكرها، وإلى السير على منهاجها وعدم الجَحد والكفر بها؛ ولكن القوم أكثرهم في ضلال وعماء، وقسوة في قلوبهم وإعراض عن الحق وإيثار للدنيا على الآخرة، والعياذ بالله.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٧).

ويبيِّن ﷻ في هذه الآيات، النعم الكثيرة التي أسداها إلى أسلافهم؛ لينتبهوا وليذكروا هذا الخير، وليبادروا بالشكر لله ﷻ.

والمقصود من ذلك أيضًا: تذكيرنا نحن ـ أمة محمد ﷺ ـ، وأن علينا أن نحذر ما فعله اليهود، وأن لا نكون مثلهم في إنكار النعم وعدم شكرها، وعدم الخضوع للمنعم ﷻ بطاعة أمره وترك نهيه. وقد قال بعض السلف في هذا: مضى القوم ولم يُعْنَ به سواكم؛ يعني: لم يُعْنَ به إلا أنتم؛ لتستقيموا ولتشكروا الله على نعمه، ولتحذروا غضبه ﷻ.

﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ﴾ يعني: بالقرآن وبمحمدٍ عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا أن اليهود هم الذين في المدينة، وهم الذين يسمعون دعوة محمد مباشرةً، وقبل من كان في مصر أو الشام أو اليمن أو غير ذلك، فإذا كفروا به وأنكروا ما جاء به صاروا بهذا أول من كفر به من هذه الحيثية، وإلا فقد كفر به قبلهم أهل مكة؛ ولكن المقصود هنا: بنو إسرائيل.

﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ وفي هذا أيضًا توبيخ لهم على أعمالهم القبيحة التي جاؤوا بها، والتي منها: أمرهم الناس بالبر ونسيانهم أنفسهم، فهم موبَّخون لنسيانهم أنفسهم لا على أمرهم بالبر، فأمرهم بالبر مطلوب، والعاصي له أن يأمر وينهى، بل عليه أن يأمر وينهى؛ ولكن عيبه والذي يؤخذ عليه أن يأمر ولا يفعل وأن ينهى ويفعل.

فالمطلوب من كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وإن كان عنده معاص، فلو لم يأمر إلا من كان كاملًا لتعطل هذا الواجب العظيم؛ ولكن على الآمر أو الناهي أن يتقي الله، ولا يتشبه باليهود الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم، قال بعض السلف في هذا: إنهم

كانوا يأمرون أصدقاءهم وأولياءهم بمتابعة محمد ﷺ، فيقولون لهم: تابعوا محمدًا، ويبيِّنون لهم أوصافه ويرشدونهم إليه، وينصحونهم، وهم مع ذلك لا يتَّبعون محمدًا عليه الصلاة والسلام. وقال بعضهم: ذلك أنهم يأمرون عامَّتهم من أهل الكتاب باتِّباع التوراة والتمسك بها، وهم أنفسهم يخالفونها ويحيدون عنها ويجحدون كثيرًا منها بأهوائهم.

وفي كل حال هم ملومون على كفرهم، وعصيانهم ما أمروا به غيرهم، سواء كان أمرهم لهم باتِّباع محمد أو باتِّباع التوراة فهم ملومون على كل حال.

والمقصود من هذا كله أن تتنبه هذه الأمة، وألا تكون مثل أولئك اليهود الضالين والمغضوب عليهم، الذين يعرفون الحق ويعلمونه في قرارة قلوبهم؛ ولكن يحملهم الحسد والبغي وإيثار العاجلة على ترك الحق، نسأل الله السلامة.

❊

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٢ ـ ٤٣][(١)].

يقول تعالى ناهيًا لليهود عمّا كانوا يتعمّدونه من تلبيس الحقّ بالباطل، وتمويهه به، وكتمانهم الحقّ، وإظهارهم الباطل: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ فنهاهم عن الشّيئين معًا، وأمرهم بإظهار الحقّ والتّصريح به، ولهذا، قال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: لا تخلطوا الحقّ بالباطل، والصّدق بالكذب. وقال أبو العالية: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾؛ يقول: ولا تخلطوا الحقّ بالباطل، وأدّوا النّصيحة لعباد الله من أمّة محمّدٍ ﷺ.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مقصوده من هذا: أن يلتبس الأمر حتى لا يختلط بالحق، فالله أوجب عليهم أن يوضحوا الحق على حِدة والباطل على حِدة، وألا يلبسوا هذا بهذا ولا يخلطوا هذا بهذا، بل يبينون أن هذا حق وهذا باطل؛ حتى يكون تابعوهم ومتعلِّموهم على بصيرة، وإذا لبَّسوا وغيروا صار الآخذ عنهم على غير بصيرة، فإنه يلتبس عليه الأمر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويروى عن سعيد بن جبيرٍ والرّبيع بن أنسٍ نحوه، وقال قتادة: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ أن دين الله الإسلام، وأن اليهودية والنّصرانيّة بدعةٌ ليست من الله. وروي عن الحسن البصريّ نحو ذلك.

وقال محمّد بن إسحاق: حدّثني محمّد بن أبي محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به وأنتم تجدونه مكتوبًا عندكم فيما تعلمون من الكتب الّتي بأيديكم. وروي عن أبي العالية نحو ذلك.

وقال مجاهدٌ والسّدّيّ وقتادة والرّبيع بن أنسٍ ﴿وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾؛ يعني: محمّدًا ﷺ.

(قلت): ﴿وَتَكْتُمُوا﴾ يحتمل أن يكون مجزومًا، ويحتمل أن يكون منصوبًا؛ أي: لا تجمعوا بين هذا وهذا؛ كما يقال: لا تأكل السّمك وتشرب اللّبن.

قال الزّمخشريّ: وفي مصحف ابن مسعودٍ: ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾؛ أي: في حال كتمانكم الحقّ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ حالٌ أيضًا، ومعناه وأنتم تعلمون الحقّ، ويجوز أن يكون المعنى: وأنتم تعلمون ما في ذلك من الضّرر العظيم على النّاس من إضلالهم عن الهدى المفضي بهم إلى النّار

إلى أن سلكوا ما تبدونه لهم من الباطل المشوب بنوعٍ من الحقّ لتروّجوه عليهم، والبيان: الإيضاح، وعكسه الكتمان وخلط الحقّ بالباطل.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ [٤٣][(١)].

هذه الآية تتعلق بالزكاة، تقدم فيما يتعلق بالصلاة وهي عمود الإسلام الأعظم بعد الشهادتين، وهذه تتعلق بالزكاة، الله ﷻ بعث الأنبياء بالإسلام وجعل لهم شرائع ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]، وبعث خاتمهم محمدًا ﷺ وهو أفضلهم وهو إمامهم وخاتمهم بعثه بالإسلام، وبشريعة خاصة هي أكمل الشرائع وأتمها، بعثه بالتوحيد والإخلاص لله والإيمان به سبحانه، وأنه رب العالمين، وأنه الإلـه الحق الذي لا يستحق العبادة سواه، والإيمان برسوله محمد عليه الصلاة والسلام مع الإيمان بالصلاة، وأنها فرض، وأنها خمس صلوات في اليوم والليلة، وهكذا الزكاة فرضها الله على عباده وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهي حق المال في أموال معدودة مخصوصة؛ كالنقود من الذهب والفضة وما يقوم مقامه من العمل، وفي الحبوب والثمار، وفي بهيمة الأنعام من الإبل والغنم والبقر والغنم السائمة الراعية، كلٌّ هذه فيها الزكاة، وفي عروض التجارة الأموال المُعدة للبيع، الله جعل فيها الزكاة ركنًا من أركان الإسلام الخمسة، والرابع من أركان الإسلام صيام رمضان، والخامس حج بيت الله الحرام، فالإسلام بُني على هذه الخمس: «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيْتِ**»، والله يقول سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٥٣٨).

تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، قال سبحانه: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾ [التوبة: ٥]، ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ [البينة: ٥].

نبّه على هذه الأمور الثلاثة؛ لأنها أعظم الأمور: توحيد الله والإيمان برسوله ﷺ، ثم الصلاة، ثم الزكاة. هذه أهم الأركان الخمس أعظمها ومتى قام العبد بهذه الأركان قام بالبقية، متى قام بالتوحيد والإخلاص لله والإيمان برسوله ﷺ وأقام الصلاة وأدى الزكاة فإنه يؤدي البقية؛ لأن إيمانه بالله ورسوله وإيمانه بما فرض الله من الصلاة والزكاة يدعوه إلى أن يؤدي البقية؛ ولهذا جاء في النصوص الكثيرة الاقتصار على الشهادتين والصلاة والزكاة؛ لأن الإيمان بهذه الثلاث إيمان بالجميع يدعو صاحبه إلى أن يؤمن بكل ما شرع الله وبكل ما أمر الله به ورسوله، ويقول ﷻ: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، والزكاة طُهرة لهم ولأموالهم وزكاة لهم ولأموالهم وطعمة لإخوانهم الفقراء والمحاويج، ويقول النبي ﷺ في حديث ابن عمر: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**»؛ يعني: على خمس دعائم «**شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ البَيْتِ**»(١). هذه دعائم أركان الإسلام الخمسة، ويلحق بذلك جميع الأوامر والنواهي، كل الأوامر والنواهي ملحقة بهذه الخمس، فعلى المؤمن أن يطيع أوامر الله وينتهي عن نواهي الله كلها؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

---

(١) سبق تخريجه في (ص١٧١).

فعلى كل مسلم أن يستقيم على ما أمر الله به وأن يؤديه عن إخلاص وصدق، وهكذا ينتهي عما حرم الله عليه، وفي حديث طَلْحَةَ بْن عُبَيْدِ اللهِ التيمي رضي الله عنه: أن أعرابيًّا جاء يسأل النبي ﷺ عن الإسلام عن الدين فأخبره عن الصلاة وأنها خمس صلوات في اليوم والليلة، وأخبر عن الزكاة، فقال الأعرابي: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا، إلا أن تطوع»**، وأخبره بشرائع الإسلام، كما في الرواية الأخرى، أخبره عن الصيام وعن الحج، قال: هل عليَّ غيرها؟ قال: **«لا، إلا أن تطوع»**[(١)].

فدلَّ ذلك على أن الواجب على المؤمن أن يؤدي هذه الفرائض وأن النافلة تطوع، الصدقة تطوع، الصيام غير رمضان تطوع، الحج غير الفريضة تطوع، الواجب الصلوات الخمس وزكاة المال، الواجب صيام رمضان حج بيت الله الحرام، ما زاد على هذا من الصلوات؛ كصلاة الضحى، التهجد بالليل، النوافل الأخرى، كلها نوافل صدقة التطوع، إلا ما وجب من الكفارات والنذور هذه لها أدلتها، وهكذا زكاة الفطر لها أدلتها، وهكذا ما شرع الله من صلاة الكسوف، صلاة الاستسقاء، صلاة الجنائز، كلها لها أدلتها الخاصة.

وهكذا ما شرع الله من تحريم النواهي، يجب على المؤمن أن يلتزم بذلك، وأن ينتهي عما نهى الله عنه من جميع المحارم، من الربا، والزنى، والسرقة، والظلم، والغيبة، والنميمة، وغيرها مما نهى الله عنه من سائر المعاصي، فالمسلم ينقاد لأمر الله بفعل الأوامر وترك النواهي عملًا بالأدلة كلها، والنصوص كلها، فلا يرتكب ما حرم الله ولا يدع ما أوجب الله، بل يلتزم بما أوجب الله وينتهي عما حرم الله ويقف عند

---

(١) متفق عليه من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام برقم (٤٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام برقم (١١).

حدود الله، ثم إذا زاد على هذا من التطوعات وصدقات النوافل صلاة النافلة صوم النافلة حج النافلة، هذا كله خير إلى خير، وهكذا الأذكار والتسبيح والتهليل والتحميد والاستغفار خير إلى خير.

فالمؤمن يتزود من كل خير، ويسابق إلى الخيرات، ويسارع إلى أنواع الخير حتى يزداد فضله وأجره وحتى ترتفع منزلته في الآخرة في دار الكرامة، كلما زاد العبد في الخير زاد الله له في الأجر ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فالتزود من التقوى فيه الخير العظيم: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة][1].

صلاة الجماعة فريضة، والواجب على من سمع النداء أن يجيب المؤذن، وليس له أن يصلي وحده ولا في البيت ولو جماعة في البيت ليس لهم ذلك، بل الواجب أن يصلوا مع المسلمين في بيوت الله ﷻ؛ كما قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**»[2]. وسأله عليه الصلاة والسلام رجلٌ أعمى فقال: يا رسول الله إنّه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد. فسأل رسول الله ﷺ، أن يرخّص له فيصلّي في بيته فرخّص له فلمّا ولّى دعاه فقال: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ**»؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَأَجِبْ**». خرّجه مسلم في

---

(١) من برنامج نور على الدرب، رقم الحلقة (١٨٠/٨).

(٢) سبق تخريجه في (ص٣٥٨).

«الصحيح»[١]. وفي الرواية الأخرى: **«لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً»**[٢].

وثبت في «الصحيحين» عنه عليه الصلاة والسلام أنه أَمَرَ أن يحرَّق على المتخلفين بيوتهم[٣]، فدل ذلك على أن أداءها في المساجد مع المسلمين أمرٌ مفترض ليس له أن يصلي وحده، ولا في بيته، بل عليه أن يشارك إخوانه المسلمين وأن يجيب المنادي، ومن ترك ذلك فقد أشبه المنافقين في هذا العمل، وقد اختلف العلماء رحمة الله عليهم: هل تصح صلاته على قولين؟ فالأكثرون على أنها تصح مع الإثم، وقال بعض أهل العلم: إنها لا تصح، كونه يصلي وحده ويدع الجماعة، فالواجب على المؤمن أن يحذر التخلف، وأن يصلي مع إخوانه المسلمين، وأن يبتعد عن مشابهة المنافقين، والله المستعان.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[٤].

قال مقاتلٌ: قوله تعالى لأهل الكتاب: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أمرهم أن يصلّوا مع النّبيّ ﷺ، ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أمرهم أن يؤتوا الزّكاة؛ أي:

---

(١) سبق تخريجه في (ص٣٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة برقم (٥٥٢).

(٣) يشير بذلك للحديث المتفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة برقم (٦٤٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها برقم (٦٥١) ولفظه: والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلًا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقًا سمينًا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء».

(٤) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يدفعونها إلى النّبيّ ﷺ، ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ أمرهم أن يركعوا مع الرّاكعين من أمّة محمّدٍ ﷺ؛ يقول: كونوا معهم ومنهم.

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: يعني بالزّكاة: طاعة الله والإخلاص، وقال وكيعٌ، عن أبي جنابٍ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ في قوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ قال: ما يوجب الزّكاة؛ قال: مائتان فصاعدًا.

وقال مبارك بن فضالة، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ قال: فريضةٌ واجبةٌ، لا تنفع الأعمال إلّا بها، وبالصّلاة.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبو زرعة، حدّثنا عثمان بن أبي شيبة، عن جريرٍ، عن أبي حيّانٍ التيمي، عن الحارث العكلي في قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ قال: صدقة الفطر.

وقوله تعالى: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾؛ أي: وكونوا مع المؤمنين في أحسن أعمالهم، ومن أخصّ ذلك وأكمله الصّلاة.

وقد استدلّ كثيرٌ من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة، وأبسط ذلك في كتاب «الأحكام الكبير» إن شاء الله تعالى، وقد تكلّم القرطبيّ على مسائل الجماعة والإمامة فأجاد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ دلَّ ذلك على وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ثم قال: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾؛ فدلَّ ذلك على أن المراد بذلك صلُّوا معهم؛ يعني: أقيموها وصلُّوا مع المصلِّين، ولا تتأخروا عن ذلك؛ أي: واركعوا مع الراكعين غير وأقيموا الصلاة، فأمر بإقامتها وهذا معناه. . . . . . الاستقامة عليه، ثم قال: ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾؛ أي: كونوا معهم في مساجدهم، ولا تتخلفوا كأهل النفاق.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤][١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون النّاس بالبرّ، وهو جماع الخير، أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمرون بما تأمرون النّاس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصّر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رقدتكم، وتتبصّروا من عمايتكم؟

وهذا كما قال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة في قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾؛ قال: كان بنو إسرائيل يأمرون النّاس بطاعة الله وبتقواه وبالبرّ، ويخالفون، فعيّرهم الله ﷻ. وكذلك قال السّدّيّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا وإن كان خطابًا لبني إسرائيل، والمراد من ذلك تحذير هذه الأمة أن تكون مثلهم في ذلك، فالواجب على أهل العلم والإيمان وعلى كل مسلم أن يمتثل ما يدعو الناس إليه من الخير والهدى، وأن يبتعد عما نهى الناس عنه، وأن يكون قدوة في الخير والعمل الصالح، وألا يتتبع أولئك الذين غفلوا وضلوا عن سواء السبيل فأمروا بالمعروف وتركوه ونهوا عن المنكر وارتكبوه، فهؤلاء الذين ذمهم الله وعابهم حتى لعنهم بعد ذلك، قال ﷻ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩]، والله يقول ﷻ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ﴾؛

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يعني: التوراة، وهكذا الإنجيل، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾؛ يعني: أين العقل، أين البصيرة، أين الحياء، أتأمرون الناس بالخير والهدى وتنهونهم عن الباطل والردى ثم أنتم ترتكبون الباطل وتكتمون الحق؟ هذا هو العمى، هذا هو الضلال، هذا هو خلاف العقل، فلا يليق بأمة محمد عليه الصلاة والسلام أن تتشبَّه بهؤلاء، وأن تكون مثلهم في أعمالهم الخبيثة، فالله عيَّرهم بهذا ليحذر غيرهم من المؤمنين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون النّاس بالصّوم والصّلاة ويدعون العمل بما يأمرون به النّاس، فعيّرهم الله بذلك؛ فمن أمر بخيرٍ فليكن أشدّ النّاس فيه مسارعةً.

وقال محمّد بن إسحاق، عن محمّدٍ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾؛ أي: تتركون أنفسكم.

﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾؛ أي: تنهون النّاس عن الكفر بما عندكم من النّبوّة والعهد من التّوراة وتتركون أنفسكم؛ أي: وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي وتنقضون ميثاقي وتجحدون ما تعلمون من كتابي.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: في هذه الآية يقول: أتأمرون النّاس بالدّخول في دين محمّدٍ ﷺ وغير ذلك ممّا أمرتم به من إقام الصّلاة، وتنسون أنفسكم.

وقال أبو جعفر بن جريرٍ: حدّثني عليّ بن الحسن، حدّثنا مسلمٌ الجرميّ، حدّثنا مخلد بن الحسين، عن أيّوب السّختيانيّ، عن أبي قلابة في قول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾؛ قال: قال أبو الدّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عنه: لا يفقه الرّجل كلّ الفقه حتّى يمقت النّاس في ذات الله، ثمّ يرجع إلى نفسه فيكون لها أشدّ مقتًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى كلام أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هذا: معناه أنه يحاسب نفسه أشد مما يحاسب الناس، ويمقتها على جرائمها أكثر حتى يستقيم، فلا يكون ماقتًا للناس على جرائمهم وناسيًا لنفسه، ولكنه يمقت نفسه على جرائمها وأعمالها السيئة ويحاسبها حتى تستقيم، حتى تعتدل، ثم كذلك يقوم مع الناس ويأمرهم وينهاهم، ويبغض في الله ويحب في الله، بعد جهاده لنفسه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم في هذه الآية: هؤلاء اليهود إذا جاء الرجل يسألهم عن الشّيء ليس فيه حقٌّ ولا رشوةٌ أمروه بالحقّ، فقال الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

والغرض: أنّ الله تعالى ذمّهم على هذا الصّنيع، ونبّههم على خطئهم في حقّ أنفسهم؛ حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمّهم على أمرهم بالبرّ مع تركهم له؛ بل على تركهم له، فإنّ الأمر بالمعروف معروفٌ، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلّف عنهم كما قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هُودٍ: ٨٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى أن الذم توجه إليهم؛ لأنهم ضيعوا ما أمروا به وارتكبوا ما نهوا عنه، لا لأنهم أمروا ونهوا، فالإنسان مأمور بأن يأمر وينهى، وإن خالف قوله فعله، ولكن يضل على خلافه أو على خلاف قوله فعله، ولهذا، جاء في الحديث الصحيح أنه: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه**»؛ يعني: أمعاؤه، **فيجتمع عليه أهل النار ويقولون: ما لك يا فلان، ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟**

فيقول: بلى، ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه.....»، كونه يخالف، أما كونه يأمر وينهى هذا عمل طيب، عمل صالح، فيجب على العاصي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ألا يتأخر؛ بل يجب أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع إلى هذا الخير، لكن مثلما قال أبو الدرداء، يحاسب نفسه أن يجاهدها حتى يمتثل ما يأمر به من المعروف وحتى ينتهي عما ينهى عنه، فلا تكون أفعاله وأقواله متناقضة، يجب أن تكون أفعاله وأقواله متطابقة.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكلٌّ من الأمر بالمعروف وفعله واجبٌ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر، على أصحّ قولي العلماء من السّلف والخلف.

وذهب بعضهم إلى أنّ مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها، وهذا ضعيفٌ، وأضعف منه تمسّكهم بهذه الآية، فإنّه لا حجّة لهم فيها، والصّحيح: أنّ العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه، قال مالكٌ عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتّى لا يكون فيه شيءٌ ما أمر أحدٌ بمعروفٍ ولا نهى عن منكر. قال مالكٌ: وصدق، من ذا الّذي ليس فيه شيء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا يجمع بين الشرَّين؛ لا ينهى عن المنكر ويفعل المنكر، ويترك المعروف ولا يأمر به، لا؛ بل عليه أن يفعل الخير مهما أمكن، وينهى عن الشر مهما أمكن، ويأمر بالخير مهما أمكن، هذا هو الواجب عليه، وإن كان عنده تقصير، لو كان لا يأمر ولا ينهى إلا من كان كاملًا تعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن عليه أن يجاهد، عليه أن يلزم نفسه بامتثاله للمعروف وابتعاده عن المنكر، أما كونه يأمر بالمعروف

وينهى عن المنكر فهذا شيء حق، ولكن ليس له أن يتساهل في ذلك حتى يدع المعروف وحتى يرتكب المنكر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت): ولكنه والحالة هذه مذمومٌ على ترك الطّاعة وفعله المعصية؛ لعلمه بها ومخالفته على بصيرةٍ، فإنّه ليس من يعلم كمن لا يعلم، ولهذا، جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك؛ كما قال الإمام أبو القاسم الطّبرانيّ في معجمه الكبير: حدّثنا أحمد بن المعلّى الدّمشقيّ، والحسن بن علي المعمري، قالا: حدّثنا هشام بن عمّارٍ، حدّثنا عليّ بن سليمان الكلبيّ، حدّثنا الأعمش، عن أبي تميمة الهجيميّ عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»

هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه(١).

حديثٌ آخر: قال الإمام أحمد بن حنبلٍ في مسنده: حدّثنا وكيعٌ، حدّثنا حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيدٍ (هو ابن جدعان)، عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ**» قال: «**قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟**»(٢). ورواه عبد بن حميدٍ في مسنده وتفسيره عن الحسن بن موسى، عن حمّاد بن سلمة، به، ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث يونس بن محمّدٍ المؤدّب، والحجّاج بن منهالٍ؛ كلاهما عن

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٦٥)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٥): رجاله موثقون.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٢٠ و١٨٠).

حمّاد بن سلمة، به، وكذا رواه يزيد بن هارون، عن حمّاد بن سلمة، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا فيه وعيد شديد وتحذير للخطباء والوعاظ والمذكرين أن يتساهلوا وأن يعظوا الناس ويذكروهم ثم يخالفون؛ فإن هذا خطر عظيم ومنكر كبير وعاقبته وخيمة، وسند هذا الحديث وإن كان فيه علي بن زيد وهو مضعف عند أهل العلم، لكن صححه الترمذي رَحِمَهُ اللهُ، وهو مقارب، وهذا من أحاديث الوعيد، فينبغي الحذر، ولا حول ولا قوة إلا بالله! والآية الكريمة واضحة في ذلك مع آية المائدة، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

والأدلة في هذا عظيمة وكثيرة غير هذين الحديثين الضعيفين.

ثمّ قال ابن مردويه: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن إبراهيم، حدّثنا موسى بن هارون، حدّثنا إسحاق بن إبراهيم التّستريّ ببلخٍ، حدّثنا مكّيّ بن إبراهيم، حدّثنا عمر بن قيسٍ، عن عليّ بن زيدٍ، عن ثمامة، عن أنسٍ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى أُنَاسٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ**».

وأخرجه ابن حبّان في صحيحه، وابن أبي حاتمٍ وابن مردويه أيضًا من حديث هشامٍ الدّستوائيّ، عن المغيرة؛ يعني: ابن حبيبٍ ختن مالك بن دينارٍ، عن مالك بن دينارٍ، عن ثمامة، عن أنس بن مالكٍ، قال: لمّا عرج برسول الله ﷺ مرّ بقومٍ تقرض شفاههم، فقال: «**يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟**».

حديثٌ آخر ـ قال الإمام أحمد: حدّثنا يعلى بن عبيدٍ، حدّثنا الأعمش، عن أبي وائلٍ، قال: قيل لأسامة وأنا رديفه: ألا تكلّم عثمان؟ فقال: إنّكم ترون أنّي لا أكلمه، ألا أسمعكم، إني لأكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرًا لا أحبّ أن أكون أوّل من افتتحه، والله لا أقول لرجلٍ: إنّك خير النّاس، وإن كان عليّ أميرًا، بعد إذ سمعت رسول الله ﷺ يقول. قالوا: وما سمعته يقول؟ قال: سمعته يقول: «**يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ بِهِ أَقْتَابُهُ، فَيَدُورُ بِهَا فِي النَّارِ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا أَصَابَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**». رواه البخاريّ ومسلمٌ من حديث سليمان بن مهران الأعمش، به، نحوه(١).

وقال أحمد: حدّثنا سيّار بن حاتمٍ، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُعَافِي الْأُمِّيِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا لَا يُعَافِي الْعُلَمَاءَ**»

وقد ورد في بعض الآثار: أنّه يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرّةً واحدةً، ليس من يعلم كمن لا يعلم.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزّمر: ٩]

وروى ابن عساكر في ترجمة الوليد بن عقبة عن النّبيّ ﷺ، قال: «**إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطَّلِعُونَ عَلَى أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيقولون: بم**

---

(١) متفق عليه، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة أبواب النار وأنها مخلوقة برقم (٣٢٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله برقم (٢٩٨٩).

دخلتم النار؟ فوالله مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ، فيقولون: إنا كنا نقول ولا نفعل».

ورواه ابن جرير الطبري، عن أحمد بن يحيى الخباز الرملي، عن زهير بن عبّادٍ الرّواسيّ، عن أبي بكر الزهري عبد الله بن حكيمٍ، عن إسماعيل بن أبي خالدٍ، عن الشّعبيّ، عن الوليد بن عقبة، فذكره.

الطالب: قال في الحاشية: صوابه الزاهري، والحديث ضعيف، في سنده: عبد الله بن حكيم أبو بكر الزاهري، وقد قال الحافظ الذهبي في «الميزان»: قال أحمد: ليس بشيء!

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: إنّه جاءه رجلٌ، فقال: يا ابن عبّاسٍ، إن أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آياتٍ من كتاب الله فافعل، قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾، أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثّاني؟ قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصّف: ٢، ٣] أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثّالث؟ قال: قول العبد الصّالح شعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ﴾ [هودٍ: ٨٨]، أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك، رواه ابن مردويه في تفسيره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يريد ابن عباس في هذا الحث على أن الآمر والناهي يجتهد في إصلاح نفسه حتى لا يوصف بهذه الآيات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الطّبرانيّ: حدّثنا عبدان بن أحمد، حدّثنا زيد بن الحارث،

حدّثنا عبد الله بن خراشٍ، عن العوّام بن حوشب، عن المسيّب بن رافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ وَلَمْ يَعْمَلْ هُوَ بِهِ لَمْ يَزَلْ فِي ظِلِّ سُخْطِ اللهِ حَتَّى يَكُفَّ أَوْ يَعْمَلَ مَا قَالَ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ**»، إسناده فيه ضعف[1].

وقال إبراهيم النخعي: إني لأكره القصص لثلاث آياتٍ: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقوله: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٤٤][2].

هذه الآية الكريمة فيها التحذير والترهيب من كون المؤمن يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، يجب على المؤمن أن تطابق أقواله أعماله في الحق، وألا يقول قولًا ثم يخالف بأفعاله كفعل من غضب الله عليهم من اليهود وغيرهم، الواجب على المؤمن أن يكون قوّالًا فعّالًا يقول الحق ويفعله، وينهى عن الباطل ويجتنبه، هكذا يكون المؤمن، ولهذا حذّر الله عباده من صفات الضالين الذين يقولون ما لا يفعلون، قال ﷻ رادًّا على أهل الكتاب ومنكرًا عليهم من اليهود: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، يلومهم ويعيبهم بهذا، ويوبخهم على

---

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (١/ ١٦٨)، قال الهيثمي: فيه عبيد الله بن خراش وثقه ابن حبان وقال: يخطئ، وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات.

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

عملهم السيئ، أن يأمروا الناس بالحق ثم يخالفوا ويتركوا الحق ويستجيبوا لداعي الهوى والشيطان، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: أنتم تقرؤون كتاب الله الذي يأمركم بالحق واتباعه ولزومه وترك الباطل واجتنابه؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

يعني: إذا كان ما هناك وازع إيماني فأين العقل الذي يحجز أصحابه عما يكون فيه سُبة وشناعة على صاحبه؛ لأن الإنسان إذا فعل خلاف قوله كانت شناعة يُسب عليه، أن ينهى الناس عن الزنى والفواحش، ثم يرتكب ذلك، ويأمرهم بالصلاة والزكاة ويتجنب ذلك هذه شناعة ومنكر عظيم؛ ولهذا عابهم الله في ذلك، وهكذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]. هذا يدل على أن الله يُبغض هذا من عباده ولا يرضاه منهم، وأنه كبير عنده أن يقول الإنسان الحق ثم يحيد عنه، فيأمر الناس بما أوجب الله عليهم ويتخلف، وينهى الناس عما نهى الله عنه وما حرم عليهم ثم يرتكب ذلك، نسأل الله السلامة والعافية. وهذا ما ذكر سبحانه عن شعيب النبي عليه الصلاة والسلام لما قال لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ليس من صفة الأنبياء ولا من شيم الأنبياء أن يخالفوا أقوامهم فيما ينهونهم عنه ولا فيما أمروهم به، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. هكذا يقول لهم شعيب عليه الصلاة والسلام، والمقصود من هذا حثهم على أن يمتثلوا وأن يستقيموا وأنه إنما دعاهم لما فيه نجاتهم، وأنه ليس يقصد خلافهم، وإنما يُريد نجاتهم وسعادتهم، وهو معهم في هذا الشيء، معهم فيما أمرهم به، ومعهم في ترك ما نهاهم عنه.

وفي الصحيحين عن أُسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه وعن أبيه أنه سمع النبيَّ يقول عليه الصلاة والسلام: «**يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى**

في النَّارِ، **فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ**»؛ يعني: أمعاءه، تظهر بين الناس في النار بين أهل النار «**فَيدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ في الرَّحَى**»، يسحب أمعاءه، «**فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهَى عَنِ المُنْكَرِ؟**»؛ يعني: في الدنيا، (**فَيقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ**)(١). هذه الفضيحة من أهل النار، أعوذ بالله مع ما هو فيه من العذاب، فضيحة بين الناس، الذي كان يأمرهم وينهاهم، فهذه رؤية من الرسول ﷺ للأمة ليحذروا هذا الخُلق الذميم، ويكون المؤمن داعيًا للخير، آمرًا بالخير، مسارعًا إليه، محذرًا من الشر ناهيًا عنه، مُتباعدًا عنه، هكذا ينبغي للمؤمن والمؤمنة كل من دعا إلى الخير المشروع له أن يبادر ويُسارع إلى ما دعا إليه، فإذا كان واجبًا بادر إليه، وأن ينهى عن الشر ويبادر إلى تركه، حتى يكون قدوة صالحة في قوله وعمله.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة](٢).

على ظاهرها، الرب جل وعلا يأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة في أمور الدنيا والدين، وكان النبي ﷺ إذا حزبه شيء فزع إلى الصلاة، والصلاة من أعظم الأسباب على تيسير الأمور وحل المشاكل، فإذا همَّه شيء دَينٌ أو ظالم أو شبه ذلك صلَّى ودعا ربه واستغاث به، أن يقضي دينه، وأن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، برقم (٣٢٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله، برقم (٢٩٨٩).

(٢) من فتاوى نور على الدرب، (١٨/٢٧).

يكفيه شر الظالم، وأن يعينه على ذكره وشكره، ويصبر أيضًا على المشاق في طلب الرزق، وفي طاعة الله، وترك معصيته يصبر، يخالف هواه، ويستعين بالله على ذلك، ويؤدي ما أوجب الله عليه، من الصلاة في الجماعة من بر والديه، من صلة أرحامه، ومن قضاء الدين، من غير هذا مما أمر الله به، يصبر ولا يتبرم ولا يكسل ولا يضعف، بل يصبر على أداء الواجبات وعلى ترك المحرَّمات، ويستعين بالله في ذلك، ويؤدي الصلاة كما أمر الله، الفرض والنفل، ويستعين بها؛ يعني: بفعلها على طاعة الله وعلى أداء الحقوق.

فإن الصلاة نِعْمَ العون، يصلي ويذكر الله ويدعوه ويستعين به في سجوده وبين السجدتين وفي آخر الصلاة يرفع يديه ويدعو ربه ويقول: اللَّهُمَّ يسِّر لي كذا، اللَّهُمَّ أعطني كذا، بعدما يسلم، أو في أي وقت، يرفع يديه ويدعو ربه، ويستجير به، ويسأله أن يعينه على قضاء الدَّين، وأن يعينه على سلامته من الظالم، أن يعينه على أداء الحج، أن يعينه على بر الوالدين إلى غير ذلك، يضرع إلى الله، ويسأله، والصلاة تعينه على ذلك، فإنها عبادة عظيمة، فإذا صلى وسأل ربه وضرع إليه أن يعينه على مهماته كان ذلك حسنًا طيبًا نافعًا، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾؛ يعني: شاقة، فالصلاة تشق على الكسالى وضعاف الإيمان، لكن الخاشعين المؤمنين الصادقين ميسَّرة عليهم، سهلة عليهم، لمعرفتهم بفضلها وعظيم الأجر فيها، فهم يبادرون لها ويسارعون إليها بنشاط، وقوة ورغبة؛ لأنهم عرفوا قدرها وعرفوا شأنها، فهي لا تشق عليهم، ولكنها تشق على الكسالى وضعفاء الإيمان الذين ليس عندهم بصيرة بشأن الصلاة وعِظَمها، والله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾ [البقرة][1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾: على المؤمنين حقًّا: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾؛ يعني: أهل الإيمان الخلّص.

فالصّلاة شاقّةٌ على أكثر الخلق؛ لأنّها تكرر كلّ يومٍ وليلةٍ خمس مرّاتٍ، فليس كلّ أحدٍ يصبر عليها إلّا أهل الإيمان والتّقوى؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾. إلّا على الّذين صدقوا في إيمانهم وخشعوا لله، وذلّوا واستكانوا حتّى آثروا حقّه وسارعوا إلى مراضيه، وأكثر الخلق لا يصبر ولا يحافظ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

• **س: كيف يوجّه تأويل ابن حجرٍ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في بعض التّأويلات؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منها تبع الأشعريّة، هو أشعريٌّ في كثيرٍ من المسائل، الله يعفو عنّا وعنه.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦][2].

يقول تعالى آمرًا عبيده فيما يؤمّلون من خير الدّنيا والآخرة بالاستعانة بالصّبر والصّلاة، كما قال مقاتل بن حيّان في تفسير هذه

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الآية: استعينوا على طلب الآخرة بالصّبر على الفرائض والصّلاة، فأمّا الصّبر فقيل: إنّه الصّيام، نصّ عليه مجاهدٌ.

قال القرطبيّ وغيره: ولهذا، يسمى رمضان شهر الصّبر؛ كما نطق به الحديث[(١)]

وقال سفيان الثّوريّ، عن أبي إسحاق، عن جريّ بن كليب، عن رجلٍ من بني سليمٍ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ**»[(٢)].

وقيل: المراد بالصّبر الكفّ عن المعاصي، ولهذا، قرنه بأداء العبادات، وأعلاها فعل الصّلاة.

قال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا عبيد الله بن حمزة بن إسماعيل، حدّثنا إسحاق بن سليمان، عن أبي سنانٍ، عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه، قال: الصّبر صبران: صبرٌ عند المصيبة حسنٌ، وأحسن منه الصّبر عن محارم الله.

قال: وروي عن الحسن البصريّ نحو قول عمر.

وقال ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن مالك بن دينارٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، قال: الصّبر اعتراف العبد لله بما أصيب فيه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرّجل وهو يتجلّد لا يرى منه إلّا الصّبر.

وقال أبو العالية في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، قال: على مرضاة الله، واعلموا أنهما مِنْ طَاعَةِ اللهِ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الذي قاله هؤلاء الجماعة؛ كل واحد فسَّر الصبر بشيء من معناه؛ فالصوم من الصبر، والصلاة من الصبر، والصبر على المصائب من الصبر، والصبر على الطاعات من الصبر، والصبر عن المعاصي من

---

(١) في تفسيره (١/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، باب الصوم لرؤية الهلال (٢/ ١٥٤).

الصبر، فالله أطلق الصبر، والمعنى الاستعانة في حبس النفس عما لا ينبغي في طاعة الله ﷻ، فيعم هذا كله؛ يعم الصوم ويعم الصبر عند المصائب ويعم الصبر على الطاعات ويعم الصبر عن المعاصي، ويعم الصبر في حاجات الإنسان الدنيوية ومكاسبه وأنه يتعاطاها بصبر وثبات وعدم جزع وعدم يأس، فهو مأمور بالصبر في جميع أمور الدنيا والآخرة. والصبر أعم في هذا كله، والمعنى: أن الله يأمر الناس بجميع أحوالهم بالصبر وعدم الملل وعدم الجزع، ويكون في أموره كلها على صبر وعلى ثبات، ويؤدي الصلوات ويؤدي الصيام ويؤدي الحج ويؤدي جميع ما أوجب الله عليه بصبر وثبات وإخلاص لله وحسن عمل، وكذلك، يبتعد عن المحارم بصبر وثبات حتى لا يقع فيها، وهكذا عند المصائب، عندما يصاب بشيء يكرهه من فقر أو تلف مال أو تلف ولد أو زوجة أو أي محبوب، يتلقى هذا بالصبر والثبات وعدم الجزع وعدم فعل ما لا ينبغي مما يفعله الجاهلية، هكذا المؤمن في جميع الأحوال صبور، فلا يختص الصبر بنوع من هذا؛ بل يعم.

وهكذا في طلب الرزق، وفي تجارته، قد يصاب بشيء في مزرعته، في صنعته، في أي شيء، يكون عنده صبر كامل وقلب قوي، ويعلم أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فيتصبر ويثبت ولا يجزع، ويكون قلبه منشرحًا فيما قسم الله له ﷻ، وبهذا، يستريح في هذه الدار ويؤدي الأمور على خير وجه، بخلاف الجزوع، فإنه في أمل وفي تعب وفي نكد عيش في جميع الأحوال؛ لجزعه وعدم صبره وسوء ظنه بربه، ونحو ذلك مما يفعله أهل الجزع.

وقد يجزع الإنسان ويتظاهر بالجلد من جهة قلبه، ولكن قلبه جزوع ومتسخط لقضاء الله، يقول: يا ربي لم فعلت بي كذا؟! فهو بينه وبين ربه جزوع، وإن أظهر تجلده عند الناس، وعدم إظهار شيء مما يكره من لطم خد أو شق ثوب أو غير هذا، لكنه في قلبه جزوع في داخله،

والمؤمن هكذا يكون صبورًا بقلبه الداخلي، منشرح مطمئن القلب، راضٍ عن الله محتسب، يعلم أن ربه ﷻ له الحكمة البالغة فيما يقضيه؛ من فقر أو موت ولد أو تلف ماشية أو تلف في مزرعته أو مصنعته أو في غير هذا، لله الحكمة البالغة!

وعليه أن يعود إلى نفسه فينظر؛ يعني: قد يكون فرَّط في معصية، فرَّط في أمر فيه صلاح المزرعة، فيه صلاح الصنعة، هو الذي فرط فيه حتى حصل ما حصل، فعليه أن يرجع إلى نفسه باللائمة وعدم سوء ظنه بالله ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأمّا قوله: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾، فإنّ الصّلاة من أكبر العون على الثّبات في الأمر كما قال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال الإمام أحمد: حدّثنا خلف بن الوليد، حدّثنا يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، عن عكرمة بن عمّارٍ، عن محمّد بن عبد الله الدّؤليّ، قال: قال عبد العزيز أخو حذيفة: قال حذيفة؛ يعني: ابن اليمان رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا حَزَبه أمرٌ صلّى»(١). ورواه أبو داود عن محمّد بن عيسى، عن يحيى بن زكريّا، عن عكرمة بن عمّارٍ، كما سيأتي.

وقد رواه ابن جريرٍ من حديث ابن جريجٍ، عن عكرمة بن عمّارٍ، عن محمّد بن عبيد بن أبي قدامة، عن عبد العزيز بن اليمان، عن حذيفة، قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ**».

ورواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، ويقال: أخي حذيفة، مرسلًا عن النّبيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل برقم (١٣١٩)، والإمام أحمد (٥/ ٣٨٨).

وقال محمّد بن نصرٍ المروزيّ في «كتاب الصّلاة»: حدّثنا سهل بن عثمان العسكريّ، حدّثنا يحيى بن زكريّا بن أبي زائدة، قال: قال عكرمة بن عمّارٍ: قال محمّد بن عبد الله الدّؤليّ: قال عبد العزيز: قال حذيفة: رجعت إلى النّبيّ ﷺ، ليلة الأحزاب، وهو مشتملٌ في شملةٍ يصلّي، وكان إذا حزبه أمرٌ صلى(١)

حدثنا عبيد الله بن معاذٍ، حدّثنا أبي، حدّثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع حارثة بن مضرّبٍ، سمع عليًّا رضي الله عنه يقول: «لقد رأيتنا ليلة بدرٍ وما فينا إلّا نائمٌ، غير رسول الله ﷺ يصلّي ويدعو حتّى أصبح»(٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا لكمال علمه بربه وتعظيمه له عليه الصلاة والسلام، الناس نيام وهو قائم يصلي ليلة بدر يسأل ربه النصر على عدوه وأن ينجز له ما وعده، فأنجز الله له وعده.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال ابن جريرٍ: وروي عنه عليه الصّلاة والسّلام أنّه مرّ بأبي هريرة وهو منبطحٌ على بطنه فقال له: «**أشكم درد**»، ومعناه: أيوجعك بطنك؟ قال: نعم، قال: «**قُمْ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ شفاء**»(٣).

قال ابن جريرٍ: وقد حدّثنا محمّد بن الفضل ويعقوب بن إبراهيم، قالا: حدّثنا ابن عليّة، حدّثنا عيينة بن عبد الرّحمٰن، عن أبيه: أن ابن عباس نعي إليه أخوه قسم وهو في سفرٍ، فاسترجع ثمّ تنحّى عن الطّريق فأناخ، فصلّى ركعتين أطال فيهما الجلوس، ثمّ قام يمشي إلى راحلته وهو يقول: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾.

(١) في كتاب تعظيم قدر الصلاة (٢١٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٣٨).
(٣) في تفسيره (٨٥١)، والإمام أحمد (٢/ ٣٩٠ و٤٠٣).

وقال سنيدٌ، عن حجّاجٍ، عن ابن جريجٍ: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾؛ قال: إنّهما معونتان على رحمة الله.

والضمير في قوله: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ عائدٌ إلى الصّلاة، نصّ عليه مجاهدٌ، واختاره ابن جريرٍ. ويحتمل أن يكون عائدًا على ما يدلّ عليه الكلام، وهو الوصيّة بذلك؛ كقوله تعالى في قصّة قارون: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصّلت: ٣٤، ٣٥]؛ أي: وما يلقّى هذه الوصيّة إلّا الّذين صبروا، وما يلقّاها؛ أي: يؤتاها ويلهمها إلّا ذو حظٍّ عظيمٍ.

وعلى كلّ تقديرٍ، فقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾؛ أي: مشقّةٌ ثقيلةٌ، ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾؛ قال ابن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ: يعني: المصدّقين بما أنزل الله، وقال مجاهدٌ: المؤمنين حقًّا، وقال أبو العالية: ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾: الخائفين، وقال مقاتل بن حيان: إلا الخاشعين؛ يعني به: المتواضعين. وقال الضّحّاك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾، قال: إنّها لثقيلةٌ إلّا على الخاضعين لطاعته الخائفين سطوته المصدّقين بوعده ووعيده.

وهذا يشبه ما جاء في الحديث: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الوصية ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

الطالب: في تعليق، قول ابن جرير: حدثنا محمد بن الفضل، يقول الشيخ مقبل: وصوابه محمد بن العلاء؛ كما في تفسير ابن جرير في

الطبعة الحلبية، والتي خرَّج أحاديثها أحمد شاكر، والأثر صحيح ورجاله ثقات، وأبو عيينة هو عبد الرحمٰن الجوشني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: معنى الآية: واستعينوا أيّها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله، وبإقامة الصّلاة المانعة من الفحشاء والمنكر المقرّبة من رضا الله، العظيمة إقامتها ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: المتواضعين المستكنّين لطاعته المتذلّلين من مخافته. هكذا قال.

والظّاهر أنّ الآية وإن كانت خطابًا في سياق إنذار بني إسرائيل، فإنهم لم يقصدوا على سبيل التّخصيص، وإنّما هي عامّةٌ لهم ولغيرهم، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا جميع النصوص إن جاءت لأسباب تتعلق بأهل الكتاب أو غير أهل الكتاب فالمقصود العموم، المقصود تحذير البقية وألا يكونوا مثل أولئك، فكما أنهم مأمورون بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر وألا يتخلفوا عن ذلك فهكذا غيرهم، وهكذا الاستعانة بالصبر والصلاة فهم مأمورون بها وغيرهم كذلك، وهي شاقة ثقيلة إلا على أهل الإيمان والتقوى والخشوع لله والتذلل لعظمته، فإنها سهلة عليهم محببة إليهم ميسَّرة لهم؛ لإيمانهم وتقواهم وعلمهم بما فيها من الخير العظيم، ولهذا يؤدونها بنشاط وإخلاص وصدق ورغبة، بخلاف ضعفاء الإيمان، فإنها تثقل عليهم، ولهذا، يتخلفون عنها كثيرًا ويكسلون عنها كثيرًا تشبهًا بالمنافقين، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ هذا من تمام الكلام الّذي قبله؛ أي: وإنّ الصّلاة أو الوصاة لثقيلةٌ إلّا على الخاشعين الّذين يظنّون أنّهم ملاقو ربّهم؛ أي: يعلمون أنّهم

محشورون إليه يوم القيامة معروضون عليه، ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: أمورهم راجعةٌ إلى مشيئته، يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهذا، لمّا أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطّاعات وترك المنكرات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أو الوصاة على القول بها فإنها؛ أي: الصلاة أو وإنها؛ أي: الوصاة؛ يعني: الوصية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فأما قوله: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؛ قال ابن جريرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: العرب قد تسمّي اليقين ظنًّا، والشّكّ ظنًّا، نظير تسميتهم الظّلمة سدفةً، والضّياء سدفةً، والمغيث صارخًا، والمستغيث صارخًا، وما أشبه ذلك من الأسماء الّتي يسمّى بها الشّيء وضدّه؛ كما قال دريد بن الصمة:

فقلت لهم ظنّوا بألفي مدجّجٍ سراتهم في الفارسيّ المسرّد

يعني بذلك: تيقّنوا بألفي مدجّجٍ يأتيكم، وقال عميرة بن طارق:

فإن يعبروا قومي وأقعد فيكم وأجعل منّي الظّنّ غيبًا مرجّما

يعني: وأجعل مني اليقين غيبًا مرجّمًا.

قال: والشّواهد من أشعار العرب وكلامها على أنّ الظّنّ في معنى اليقين أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا لمن وفّق لفهمه كفايةٌ، ومنه قول الله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]. ثمّ قال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا أبو عاصمٍ، حدّثنا سفيان، عن جابر، عن مجاهد: كلّ ظنٍّ في القرآن يقينٌ؛ أيٍ: ظننت وظنّوا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا فيه جابر، وليس بشيء، والمقصود هنا أن الظن يقع بمعنى الشك ويقع بمعنى اليقين، وهنا: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؛ يعني:

موقنون ويعلمون أنهم ملاقو ربهم، ومثله قوله ﷻ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]؛ يعني: أيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه. ويقع في الشيء الراجح كما في مواقع كثيرة؛ فالظن يقع هكذا ويقع هكذا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وحدّثني المثنّى، حدّثنا إسحاق، حدّثنا أبو داود الحفريّ، عن سفيان، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: كلّ ظنٍّ في القرآن فهو علمٌ. وهذا سندٌ صحيحٌ.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾؛ قال: الظّنّ هاهنا يقينٌ.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن مجاهدٍ والسّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ وقتادة نحو قول أبي العالية.

وقال سنيدٌ، عن حجّاجٍ، عن ابن جريجٍ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾: علموا أنهم ملاقوا ربّهم؛ كقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾؛ يقول: علمت. وكذا قال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم.

(قلت): وفي الصّحيح: أنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: «**أَلَمْ أُزَوِّجْكَ؟ أَلَمْ أُكْرِمْكَ؟ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرَبَّعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ الله تعالى: أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي**»[(١)].

وسيأتي مبسوطًا عند قوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾، إن شاء الله تعالى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تربع بالباء الموحدة؛ يعني: تربع قومك وترأسهم.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٦٨).

الطالب: قال: يقول: والقوم أخذ ربع أموالهم، والجيش أخذ منهم ربع الغنيمة.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ يذكّرهم تعالى بسالف نعمه إلى آبائهم وأسلافهم، وما كان فضّلهم به من إرسال الرّسل منهم وإنزال الكتب عليهم وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدّخان: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠].

قال أبو جعفر الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ قال: بما أعطوا من الملك والرّسل والكتب على عالم من كان في ذلك الزّمان؛ فإنّ لكلّ زمانٍ عالمًا.

وروي عن مجاهدٍ والرّبيع بن أنسٍ وقتادة وإسماعيل بن أبي خالدٍ نحو ذلك، ويجب الحمل على هذا؛ لأنّ هذه الأمّة أفضل منهم؛ لقوله تعالى خطابًا لهذه الأمّة: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي المسانيد والسّنن عن معاوية بن حيدة القشيريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتعالى**»(١).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ تذكر عند قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى في هذا: أن قوله سبحانه في بني إسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ يعني: أهل زمانهم، وبنو إسرائيل هم بنو يعقوب نبي الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم نبي الله الخليل عليهم الصلاة والسلام، فالله أعطاهم نعمًا عظيمة وخيرًا كثيرًا وجعل منهم أنبياء وجعلهم ملوكًا وخلَّصهم من فرعون وأهلكه وأنجاهم، وأنزل إليهم التوراة وأنزل إليهم الإنجيل وأرسل إليهم رسلًا كثيرة وأنبياء كثيرين؛ لكن ليسوا أفضل من هذه الأمة؛ فهذه الأمة هي خير الأمم وأكرمها، ولهذا، قال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١١٠]؛ فأفضل الأمم أمة محمد عليه الصلاة والسلام؛ لما أعطاهم الله من العلم العظيم والإيمان الصادق والجهاد في سبيل الله ونشر العلم في العالم كله، فالله فضَّلهم بذلك على بقية الأمم، كما فضَّل نبيهم على بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومحمد أفضل الرسل وأمته خير الأمم وكتابه القرآن أفضل الكتب، فالله جمع لهذه الأمة فضائل عظيمة من جهة نبيِّها وكتابها ونفسها وما شرع لها من الشرائع، وجعل شريعتها عامة للناس كلهم؛ الحضر والبدو والعجم والعرب والأغنياء والفقراء والملوك والعامة، لكل أحد، شريعة عامة لأهل الأرض؛ جنِّهم وإنسهم إلا ما خص الله به الجن مما لا نعلم.

فالحاصل أن الله جعل شريعة محمد شريعة عامة للجن والإنس والعرب والعجم وغيرهم إلا ما خص الله به الجن بشيء لا نعرفه، فالمقصود أنها شريعة عامة، وأن هذه الأمة هي خير الأمم وأفضلها وأنها اختصَّت بأشياء كثيرة امتازت بها، بأسباب ما أعطى الله نبيَّها من الفضل والخواص عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: المراد: تفضيلٌ بنوعٍ ما من الفضل على سائر النّاس، ولا يلزم تفضيلهم مطلقًا، حكاه الرّازيّ وفيه نظرٌ. وقيل: إنّهم فضّلوا على سائر الأمم لاشتمال أمّتهم على الأنبياء منهم، حكاه القرطبيّ في تفسيره، وفيه نظرٌ؛ لأنّ العالمين عامٌّ يشمل مَن قبلهم ومَن بعدهم من الأنبياء، فإبراهيم الخليل قبلهم وهو أفضل من سائر أنبيائهم، ومحمّدٌ بعدهم وهو أفضل من جميع الخلق وسيّد ولد آدم في الدنيا والآخرة، صلوات الله وسلامه عليه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [البقرة: ٤٨](1).

لمّا ذكّرهم تعالى بنعمه أوّلًا، عطف على ذلك التّحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة، فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾؛ يعني: يوم القيامة، ﴿لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾؛ أي: لا يغني أحدٌ عن أحدٍ؛ كما قال: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، فهذا أبلغ المقامات، أنّ كلًّا من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على عظم الأمر، وأن الأمر عظيم، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. والأنبياء وهم أفضل الخلق كل واحد يقول: نفسي نفسي، فهو أمر عظيم، فينبغي للعاقل أن يتقي هذا اليوم، وألا يقول: أبي أو جدي

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

أو فلان أو فلان، فليس لكل واحد إلا عمله الذي قدَّمه من خير وشر، فينبغي للعاقل أن ينتبه، ولهذا، قال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾؛ أي: يوم القيامة، ﴿لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾؛ فالمقصود أن العمال يوم القيامة يجازون بأعمالهم؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١]، وليس هناك صلة بين الناس أعظم من صلة الوالد وولده، أعظم الصلات بين بني آدم صلة الوالد وولده، والله يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٦]؛ صاحبته: زوجته؛ لا أب، ولا أم، ولا زوجة، ولا بنين، فغيرهم من باب أولى، ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧]؛ يعني: يكون مشغولًا به، فإذا كان هكذا، فالواجب على كل إنسان أن يعمل لنفسه وأن يجتهد، فكل ما قدم من خير فهو لنفسه؛ ما قدم في الإحسان لأبيه أو لأمه أو لأقاربه أو للمسلمين فهو لنفسه كما أن ما قدم من صالح أعمال (........) من العبادات كذلك لنفسه، كل عمله لنفسه؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: ٤٦]، فإذا كانت أعمالك لك وسيئاتك عليك فجدير بك أن تعمل ما ينفعك وأن تحذر ما يضرك ما دمت في دار المهلة، ما دمت في دار العمل، أما بعد الموت فقد انتهى الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾؛ يعني: من الكافرين؛ كما قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، وكما قال عن أهل النّار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١]، وقوله تعالى:

﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾؛ أي: لا يقبل منها فداءٌ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحديد: ١٥]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد يحمل على العموم: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؛ يعني: إلا الشفاعة التي ارتضاها الله، فتعم الكافر والمسلم، فلا أحد يشفع إلا بإذن الله، ولا تقبل الشفاعة إلا برضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالكفار لا شفاعة لهم: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وهكذا في المسلمين، إنما تقبل الشفاعة بعد إذن الله: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فهو سبحانه يشفع من شاء من عباده لمن يرضاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا تنفع الإنسان شفاعة إلا بعد إذن الله وبعد رضا الله، وقد يؤدي عملًا يرضاه الله: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فأخبر تعالى أنّهم إن لم يؤمنوا برسوله ويتابعوه على ما بعثه به ووافوا الله يوم القيامة على ما هم عليه، فإنّه لا ينفعهم قرابة قريبٍ ولا شفاعة ذي جاهٍ، ولا يقبل منهم فداءٌ ولو بملء الأرض ذهبًا؛ كما قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

قال سنيدٌ: حدّثني حجّاجٌ، حدّثني ابن جريجٍ، قال: قال مجاهدٌ: قال ابن عبّاسٍ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾؛ قال: بدلٌ، والبدل: الفدية.

وقال السدي: أما عدل فيعدلها، من العدل؛ يقول: لو جاءت بملء الأرض ذهبًا تفتدي به ما تقبّل منها.

وكذا قال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

مثلما قال في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية في قوله: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾؛ يعني: فِدَاءٌ.

قال ابن أبي حاتمٍ: وروي عن أبي مالكٍ والحسن وسعيد بن جبيرٍ وقتادة والرّبيع بن أنسٍ نحو ذلك.

وقال عبد الرّزّاق: أنبأنا الثّوريّ، عن الأعمش، عن إبراهيم التّيميّ، عن أبيه، عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثٍ طويلٍ، قال: والصّرف والعدل: التّطوّع والفريضة.

وكذا قال الوليد بن مسلمٍ، عن عثمان بن أبي العاتكة، عن عمير بن هانئٍ، وهذا القول غريب هاهنا.

والقول الأوّل أظهر في تفسير هذه الآية. وقد ورد حديثٌ يقوّيه وهو ما قال ابن جريرٍ: حدّثني نجيح بن إبراهيم، حدّثنا عليّ بن حكيمٍ، حدّثنا حميد بن عبد الرّحمٰن، عن أبيه، عن عمرو بن قيسٍ الملائيّ، عن رجلٍ من بني أميّة، من أهل الشّام، أحسن عليه الثّناء، قال: قيل: يا رسول الله، ما العدل؟ قال: «**الْفِدْيَةُ**».

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾؛ أي: ولا أحد يغضب لهم فينصرهم وينقذهم من عذاب الله، كما تقدّم من أنّه لا يعطف عليهم ذو قرابةٍ ولا ذو جاهٍ، ولا يقبل منهم فداءٌ، هذا كلّه من جانب التّلطّف، ولا لهم

ناصرٌ من أنفسهم ولا من غيرهم؛ كما قال: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطَّارِق: ١٠]؛ أي: إنّه تعالى لا يقبل فيمن كفر به فديةً ولا شفاعةً ولا ينقذ أحدًا من عذابه منقذ، ولا يخلص منه أحد، ولا يجير منه أحدٌ؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦]، وقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٥، ٢٦]، وقال: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٨].

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ [الصافات: ٢٥]: ما لكم اليوم لا تمانعون منّا، هيهات، ليس ذلك لكم اليوم.

قال ابن جريرٍ: وتأويل قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ يعني: إنّهم يومئذٍ لا ينصرهم ناصرٌ، كما لا يشفع لهم شافعٌ، ولا يقبل منهم عدلٌ ولا فديةٌ، بطلت هنالك المحاباة، واضمحلّت الرّشا والشّفاعات، وارتفع من القوم التناصر والتعاون، وصار الحكم إلى الجبار العدل الّذي لا ينفع لديه الشّفعاء والنّصراء، فيجزي بالسّيّئة مثلها، وبالحسنة أضعافها، وذلك نظير قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ [الصافات: ٢٤ ـ ٢٦].

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ **[البقرة: ٤٩ ـ ٥٠]**[1].

يقول تعالى: اذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم، ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: خلّصتكم منهم، وأنقذتكم من أيديهم صحبة موسى ﷺ، وقد كانوا يسومونكم؛ أي: يوردونكم ويذيقونكم ويولّونكم سوء العذاب، وذلك أنّ فرعون لعنه الله كان قد رأى رؤيا هالته، رأى نارًا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر إلّا بيوت بني إسرائيل، مضمونها أنّ زوال ملكه يكون على يدي رجل من بني إسرائيل، ويقال بعد: تحدّث سمّاره عنده بأنّ بني إسرائيل يتوقّعون خروج رجلٍ منهم يكون لهم به دولةٌ ورفعةٌ.

وهكذا جاء في حديث الفتون، كما سيأتي في موضعه في سورة طه إن شاء الله تعالى، فعند ذلك، أمر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكرٍ يولد بعد ذلك من بني إسرائيل وأن تترك البنات، وأمر باستعمال بني إسرائيل في مشاق الأعمال وأرذلها.

وهاهنا فسّر العذاب بذبح الأبناء، وفي سورة إبراهيم عطفٌ عليه كما قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾، وسيأتي تفسير ذلك في أوّل سورة القصص إن شاء الله تعالى، به الثقة والمعونة والتأييد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من ظلم فرعون وخوفه أن يزول ملكه على أيديهم، لما رأى الرؤيا التي تدل على أن ملكه يزول على يد بني إسرائيل، أو على ما تحدَّث به سمَّاره من أنهم بلغهم أن ذلك يكون مما بلغهم من أخبار الأنبياء.

والحاصل: أن عدوَّ الله خاف من هذا الأمر، وأن يخرج فيهم من يكون فيه قوة ودولة فيحصل بذلك زوال ملكه على يديه، فلهذا، أمر بأن يُقتل الأبناء ويُستحيى النساء ويكون ما هناك من الشيوخ والكبار يستعملون في بعض الأعمال من التشميس والطباخة وأشباه ذلك مما يقومون به من قبيل الأعمال حتى لا يكون لهم قوة ولا يكون لهم شهرة، ولكن هذا الذي أراد لم يغن عن قدر الله شيئًا، فقد تم أمر الله وصار ما صار وتغير اجتهاده وصار يقتل أبناءهم سنة ويحيي أبناءهم سنة لما قيل

له إن بني إسرائيل كادوا ينقرضون، فصار هارون ممن ولد في السنة التي ليس فيها قتل، وموسى ولد في السنة التي فيها قتل ابتلاء وامتحان فجرى ما جرى من القصة من أمر الله لأمه أن تلقيه بالتابوت وتلقيه في البحر، وسيَّر الله ذلك التابوت إلى بيت فرعون وتربى في بيت فرعون وتعطف عليه زوجته، إلى غير هذا مما بيَّن الله ﷻ، حتى تم الأمر، وحتى خرج موسى ومعه بنو إسرائيل مغاضبًا لفرعون من مصر إلى بيت المقدس وجرى ما جرى من خروج فرعون على إثره للقتال مع جنده العظيم، ثم حكم الله ما حكم بأن أنجى بني إسرائيل وفتح لهم البحر وجعل لهم طرقًا عظيمة (. . . . .)، ثم دخله فرعون وجنوده فهلكوا فيه وانطبق عليهم فغرقوا جميعًا، فهذه الآيات العظيمة، وكان فرعون قد فعل كل ما يستطيع ليسلم من هذا الأمر، ولكن ما قدره الله وقضاه نازل لا محالة فيه، ولهذا، قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾؛ أي: يعذبون بني إسرائيل بأنواع العذاب؛ من التقتيل والتعذيب واستخدامهم في أرذل الأعمال واستهانتهم وإذلاله لهم إلى غير هذا مما فعله لعنه الله، وأكبر ما فعل تقتيل الذكور واستحياء البنات، ولهذا، في سورة البقرة: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾؛ يعني: أمر عظيم فظيع، ولهذا، فسَّره به قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾، وفي سورة إبراهيم قال: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، فجعل التذبيح جزءًا من سوم العذاب.

والحاصل أن ما فعله فرعون لم يخلصه مما خافه؛ بل وقع فيما خافه وأمر الله نافذ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾: يولّونكم، قاله أبو عبيدة، كما يقال: سامه خطّة خسفٍ، إذا أولاه إيّاها، قال عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سام النّاس خسفًا أبينا أن نقرّ الخسف فينا

وقيل معناه: يديمون عذابكم؛ كما يقال: سائمة الغنم، من إدامتها الرّعي، نقله القرطبيّ. وإنّما قال هاهنا: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ ليكون ذلك تفسيرًا للنّعمة عليهم في قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ ثمّ فسّره بهذا لقوله هاهنا: ﴿ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، وأمّا في سورة إبراهيم فلمّا قال: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]؛ أي: بأياديه ونعمه عليهم، فناسب أن يقول هناك: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، فعطف عليه الذّبح ليدلّ على تعدّد النّعم والأيادي على بني إسرائيل.

وفرعون عَلَمٌ على كلّ من ملك مصر كافرًا من العماليق وغيرهم، كما أنّ قيصر عَلَمٌ على كلّ من ملك الرّوم مع الشام كافرًا، وكسرى لمن ملك الفرس، وتبّعٌ لمن ملك اليمن كافرًا، والنّجاشيّ لمن ملك الحبشة، وبطليموس لمن ملك الهند.

ويقال: كان اسم فرعون الّذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الرّيّان، وقيل مصعب بن الرّيّان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وكل هذه ألقاب لهؤلاء؛ ففرعون اسم لمن ملك مصر وهو كافر، يقال له كافر؛ سواء كان من العماليق أو غيرهم، واسم النجاشي لمن ملك الحبشة، واسم تبّع لمن ملك اليمن وهو كافر، واسم قيصر لمن ملك الروم، لمن ملك الشام يقال له قيصر، ويسمى من ملك الفرس كسرى؛ ألقاب لهم.

فكان من سلالة عمليق بن الأود بن إرم بن سام بن نوحٍ، وكنيته أبو مرة، وأصله فارسي من اصطخر، وأيًّا ما كان فعليه لعنة الله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾؛ قال ابن

جريرٍ: وفي الّذي فعلنا بكم من إنجائنا آباءكم ممّا كنتم فيه من عذاب آل فرعون بلاءٌ لكم من ربّكم عظيمٌ؛ أي: نعمةٌ عظيمةٌ عليكم في ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بلاء؛ يعني: ابتلاء بالنعم؛ لأن البلاء بَلَاءان؛ بلاء بالنعم يحتاج إلى شكر، وبلاء بالمصائب والأمراض والفقر ونحو ذلك يحتاج إلى صبر، فعدَّد عليهم سبحانه النعم العظيمة التي أنعم بها عليهم؛ إذ أنجاهم من آل فرعون وخلصهم من شرِّهم، وقال إن هذا لبلاء عظيم؛ يعني: نعم عليكم قد ابتليتم بها لتشكروا وتستقيموا وتعرفوا قدر نعمة الله عليكم فتبادروا إلى طاعته وتقفوا عند حدوده وتبتعدوا عن مساخطه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويقال: لفلان بلاء في الجهاد؛ يعني: يقال: له نشاط في الجهاد وقوة في الجهاد وعمل مشكور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: قوله تعالى: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾؛ قال: نعمةٌ. وقال مجاهدٌ: ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾؛ قال: نعمةٌ من ربّكم عظيمة. وكذا قال أبو العالية وأبو مالكٍ والسّدّيّ وغيرهم.

وأصل البلاء: الاختبار، وقد يكون بالخير والشّرّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨]؛ قال ابن جريرٍ: وأكثر ما يقال في الشّرّ: بلوته أبلوه بلاءً، وفي الخير أبليه إبلاءً وبلاءً، قال زهير بن أبي سلمى:

جزى اللّه بالإحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الّذي يبلو

قال: فجمع بين اللّغتين؛ لأنّه أراد: فأنعم الله عليهما خير النّعم الّتي يختبر بها عباده.

وقيل: المراد بقوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ﴾ إشارةٌ إلى ما كانوا فيه من العذاب المهين من ذبح الأبناء واستحياء النّساء. قال القرطبيّ: وهذا قول الجمهور، ولفظه بعدما حكى القول الأوّل، ثمّ قال: وقال الجمهور: الإشارة إلى الذّبح ونحوه، والبلاء هاهنا في الشر، والمعنى: في الذبح مكروهٌ وامتحانٌ.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ **[البقرة: ٥٠]**[١].

معناه: وبعد أن أنقذناكم من آل فرعون وخرجتم مع موسى عليه السلام، خرج فرعون في طلبكم، ففرقنا بكم البحر، كما أخبر تعالى عن ذلك مفصّلًا كما سيأتي في مواضعه، ومن أبسطها ما في سورة الشّعراء إن شاء الله.

﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾؛ أي: خلّصناكم منهم، وحجزنا بينكم وبينهم، وأغرقناهم وأنتم تنظرون، ليكون ذلك أشفى لصدوركم وأبلغ في إهانة عدوّكم.

قال عبد الرّزّاق: أنبأنا معمرٌ، عن أبي إسحاق الهمدانيّ، عن عمرو بن ميمونٍ الأوديّ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾؛ قال: لمّا خرج موسى ببني إسرائيل، بلغ ذلك فرعون، فقال: لا تتّبعوهم حتّى تصيح الديكة، قال: فوالله ما صاح ليلتئذٍ ديكٌ حتّى أصبحوا، فدعا بشاةٍ فذُبحت، ثمّ قال: لا أفرغ من كبدها حتّى يجتمع إليّ ستّمائة ألفٍ من القبط، فلم يفرغ من كبدها حتّى

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

اجتمع إليه ستمائة ألف من القبط، فلمّا أتى موسى البحر قال له رجلٌ من أصحابه يقال له يوشع بن نونٍ: أين أمرك ربّك؟ قال: أمامك، يشير إلى البحر، فاقتحم يوشع فرسه في البحر حتّى بلغ الغمر، فذهب به الغمر، ثمّ رجع، فقال: أين أمر ربك يا موسى؟ فوالله ما كذبت ولا كذّبت، فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: **يعني**: ما أخبرت أنت بالكذب ولا أخبرك الله بالكذب، كله صدق، أنت صادق وربك صادق.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثمّ أوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر، فضربه فانفلق، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾؛ يقول: مثل الجبل - ثمّ سار موسى ومن معه، وأتبعهم فرعون في طريقهم حتّى إذا تتامّوا فيه أطبقه الله عليهم، فلذلك، قال: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾. وكذلك قال غير واحدٍ من السّلف كما سيأتي بيانه في موضعه.

وقد ورد أنّ هذا اليوم كان يوم عاشوراء، كما قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا عبد الوارث، حدّثنا أيّوب، عن عبد الله بن سعيد بن جبيرٍ، عن أبيه، عن ابن عبّاسٍ، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال: «**مَا هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَصُومُونَ؟**»، قالوا: هذا يومٌ صالحٌ، هذا يومٌ نجّى الله ﷻ فيه بني إسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أَحَقُّ وأولى بِمُوسَى مِنْكُمْ**»، فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه[1]. وروى هذا

---

(١) متفق عليه، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء برقم (٢٠٠٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء برقم (١١٣٠).

الحديث البخاريّ ومسلمٌ والنّسائيّ وابن ماجه من طرقٍ عن أيّوب السّختيانيّ، به، نحو ما تقدّم.

وقال أبو يعلى الموصليّ: حدّثنا أبو الرّبيع، حدّثنا سلّامٌ؛ يعني: ابن سليم، عن زيدٍ العمّيّ، عن يزيد الرّقاشيّ، عن أنسٍ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**فَلَقَ اللهُ الْبَحْرَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ يَوْمَ عاشوراء**»، وهذا ضعيف من هذا الوجه، فإنّ زيدًا العمّيّ فيه ضعفٌ، وشيخه يزيد الرقاشي أضعف منه.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: ٥١ ـ ٥٣][1].

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في عفوي عنكم، لمّا عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربّه عند انقضاء أمد المواعدة، وكانت أربعين يومًا، وهي المذكورة في الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢]، قيل: إنّها: ذو القعدة بكماله وعشرٌ من ذي الحجّة، وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾؛ يعني: التّوراة، ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾، وهو ما يفرق بين الحقّ والباطل والهدى والضلالة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾، وكان ذلك أيضًا بعد خروجهم من البحر، كما دلّ عليه سياق الكلام في سورة الأعراف، ولقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القصص: ٤٣].

وقيل: الواو زائدةٌ، والمعنى: ولقد آتينا موسى الكتاب الفرقان، وهذا غريبٌ، وقيل: عطف عليه وإن كان المعنى واحدًا؛ كما في قول الشاعر:

وقدمت الأديم لراقشيه فألفى قولها كذبًا ومينا

وقال الآخر:

ألا حبّذا هندٌ وأرضٌ بها هند وهندٌ أتى من دونها النّأي والبعد

فالكذب هو المين، والنأي: هو البعد.

وقال عنترة:

حيّيت من طل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أمّ الهيثم

فعطف الإقفار على الإقواء، وهو هو.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمقصود من هذا التذكير بنعم الله، فهو سبحانه يذكر بني إسرائيل من بني يعقوب ومن التحق بهم بنعمه جَلَّ وَعَلَا على أسلافهم الذين أنجاهم الله مع موسى وهارون؛ فإن النعم على الأسلاف نعم على الأخلاف والذرية، فالمعنى: قد أحسنا إلى آبائكم وأسلافكم وأنجيناهم من عدوهم وأعطيناهم كذا وكذا، فاشكروا الله وامشوا على نهجهم الصالح، وصدقوا الحق واتركوا الباطل، والله عَزَّ وَجَلَّ أنجاهم من فرعون ثم وقعوا في عبادة العجل، ثم هداهم وتاب عليهم وعفا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وأعطاهم الكتاب كتاب موسى، التوراة التي فيها الأحكام والشرائع والأوامر والنواهي وبيان ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وما لهم عند الله من الخير والهدى إذا استقاموا، إلى غير هذا مما في التوراة، فالتوراة كتاب عظيم من أعظم الكتب وأهمها بعد القرآن، ثم عفا عنهم أشياء وكتب عليهم أشياء بما أنزل من الإنجيل.

ومعنى الفرقان؛ يعني: ما يفرق بين الحق والباطل، فالتوراة كتاب عظيم جعل الله فيه من الهدى والفرقان ما فيه، فأعطى موسى الكتاب وأعطاه نورًا وهدًى وحقًّا يفرق به بين الحق والباطل من كتاب الله التوراة ومما أوحاه إليه ﷺ من الوحي، ومن هذا قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]؛ يعني: يجعل لكم نورًا وهدى؛ أي: بصيرة، يحصل به التفريق بين الحق والباطل والهدى والضلالة، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، والفرقان هو القرآن، سمي فرقانًا؛ لأنه فرق بين الحق والباطل والهدى والضلالة والمؤمن والكافر، فهكذا التوراة، وهكذا ما أوحى الله إلى موسى مع التوراة، كله نور وفرقان يفرق الله به بين الحق والباطل والهدى والضلالة لمن عقل، لمن تدبر، لهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾؛ يعني: آتى موسى الكتاب، وهو التوراة، وأعطاه الله الفرقان والوحي العظيم لتهتدوا أيها العباد وتسلكوا الطريق السوي وتبتعدوا عما نهاكم الله عنه؛ فمن الناس من قبل، وهم الأقلون، ومنهم من حاد عن هذا الطريق وتابع الشيطان والهوى فصار مع الهالكين، وهكذا في أمة محمد ﷺ، أعطاهم الله الكتاب والفرقان والنور العظيم والوحي المبين على يد محمد ﷺ، فآمن من آمن وكفر من كفر، فهذه سنة الله في عباده من عهد نوح إلى آخر رسول محمد عليه الصلاة والسلام، لهذا، لما ذكر قصص الأنبياء قال بعد كل قصة في سورة الشعراء: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٧، ٦٨]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ولو حرصت يا محمد، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة: ٥٤][(١)].

هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل.

قال الحسن البصريّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾، فقال: ذلك حين وقع في قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع، حتى قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]؛ قال: فذلك حين يقول موسى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾.

وقال أبو العالية وسعيد بن جبيرٍ والرّبيع بن أنسٍ ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾؛ أي: إلى خالقكم.

قلت: وفي قوله هاهنا ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ تنبيهٌ على عظم جرمهم؛ أي: فتوبوا إلى الّذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره.

وقد روى النّسائيّ وابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ من حديث يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيدٍ الورّاق، عن القاسم بن أبي أيّوب، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: فقال الله تعالى: إنّ توبتهم أن يقتل كلّ واحد منهم من لقي من والدٍ وولدٍ فيقتله بالسّيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن، فتاب أولئك الّذين كانوا خفي على موسى وهارون ما اطلع الله على ذنوبهم، فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل والمقتول.

وهذا قطعة من حديث الفتون، وسيأتي في سورة طه بكماله إن شاء الله.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال ابن جريرٍ: حدّثني عبد الكريم بن الهيثم، حدّثنا إبراهيم بن بشّارٍ، حدّثنا سفيان بن عيينة، قال: قال أبو سعيدٍ، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ، قال: قال موسى لقومه: ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ قال: أمر موسى قومه عن أمر ربّه ﷻ أن يقتلوا أنفسهم، قال: فأخبر الّذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الّذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة، فجعل يقتل بعضهم بعضًا، فانجلت الظلمة عنهم وقد أجلوا عن سبعين ألف قتيلٍ، كلّ من قتل منهم كانت له توبةٌ، وكلّ من بقي كانت له توبةٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لعله ابن جريج؛ لأن القاسم لم يدركه ابن جرير، فليس من مشايخه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جرير: أخبرني القاسم بن أبي بزّة، أنّه سمع سعيد بن جبيرٍ ومجاهدًا يقولان في قوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾؛ قالا: قام بعضهم إلى بعض بالخناجر يقتل بعضهم بعضًا، لا يحنو رجلٌ على قريبٍ ولا بعيدٍ، حتّى ألوى موسى بثوبه فطرحوا ما بأيديهم، فتكشّف عن سبعين ألف قتيلٍ، وإنّ الله أوحى إلى موسى أن حسبي فقد اكتفيت، فذلك حين ألوى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بثوبه، وروي عن عليٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ نحو ذلك.

وقال قتادة: أمر القوم بشديدٍ من الأمر فقاموا يتناحرون بالشّفار، يقتل بعضهم بعضًا، حتّى بلغ الله فيهم نقمته، فسقطت الشّفار من أيديهم، فأمسك عنهم القتل فجعل لحيّهم توبةً، وللمقتول شهادةً.

وقال الحسن البصريّ: أصابتهم ظلمة حندسٍ، فقتل بعضهم بعضًا، ثمّ انكشف عنهم فجعل توبتهم في ذلك.

وقال السّدّيّ في قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾؛ قال: فاجتلد الّذين عبدوه

والّذين لم يعبدوه بالسّيوف، فكان من قتل من الفريقين شهيدًا، حتّى كثر القتل، حتّى كادوا أن يهلكوا، حتّى قتل منهم سبعون ألفًا، وحتّى دعا موسى وهارون: ربّنا أهلكت بني إسرائيل، ربّنا البقيّة البقيّة، فأمرهم أن يضعوا السّلاح، وتاب عليهم، فكان من قتل منهم من الفريقين شهيدًا، ومن بقي مُكَفَّرًا عنه، فذلك قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

وقال الزّهريّ: لمّا أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها، برزوا ومعهم موسى، فاضطربوا بالسّيوف وتطاعنوا بالخناجر، وموسى رافعٌ يديه، حتّى إذا فتر بعضهم، قالوا: يا نبيّ الله، ادع الله لنا، وأخذوا بعضديه يسندون يديه، فلم يزل أمرهم على ذلك، حتّى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم عن بعضٍ، فألقوا السّلاح.

وحزن موسى وبنو إسرائيل للّذي كان من القتل فيهم، فأوحى الله جلّ ثناؤه إلى موسى: ما يحزنك، أمّا من قتل منهم فحيٌّ عندي يرزقون، وأمّا من بقي فقد قبلت توبته، فسرّ بذلك موسى وبنو إسرائيل، رواه ابن جريرٍ بإسنادٍ جيّدٍ عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود من هذا أن هذه مصيبة عظيمة، وهذه من الآصار العظيمة التي ابتلوا بها لما عبدوا العجل، بنو إسرائيل كلِّفوا بآصار شديدة، والله وضعها عن هذه الأمة، من فضله وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فكانت توبتهم من عبادة العجل بقتل بعضهم بعضًا، وذلك أن موسى لما ذهب إلى ربه للقائه (. . . . .) وقعوا في عبادة العجل، وابتلوا بهذا البلاء العظيم، وكانت توبتهم أن قتل بعضهم بعضًا، نسأل الله العافية، حتى صارت المقتلة كبيرة، وقيل: أن المقتولين بلغ عددهم سبعين ألفًا، ثم رفع الله عنهم ذلك، قيل: أن الله رفعه بذهاب الظلمة التي كانت عليهم، وقيل: لأن موسى أشار إليهم بثوبه بأمر الله حتى انكفوا، وصارت توبة للجميع؛

فالمقتول شهيد والقاتل رفع عنه وتاب الله عليه، وهذه من الآصار العظيمة التي ابتلوا بها بسبب ذنوبهم وأعمالهم القبيحة، بسبب تخلفهم على أنبيائه، ابتلوا بهذه البلية، نسأل الله العافية، لكن الله جعلها توبة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن إسحاق: لمّا رجع موسى إلى قومه وأحرق العجل وذرّاه في اليمّ، خرج إلى ربّه بمن اختار من قومه، فأخذتهم الصّاعقة، ثمّ بُعثوا، فسأل موسى ربّه التّوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا، إلّا أن يقتلوا أنفسهم، قال: فبلغني أنّهم قالوا لموسى: نصبر لأمر الله، فأمر موسى من لم يكن عَبَدَ العجل أن يقتل من عَبَده، فجلسوا بالأفنية، وأصلَتَ عليهم القوم السّيوف، فجعلوا يقتلونهم، فهش موسى، فبكى إليه النّساء والصّبيان يطلبون العفو عنهم، فتاب الله عليهم وعفا عنهم، وأمر موسى أن ترفع عنهم السّيوف.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: لما رجع موسى إلى قومه وكانوا سبعين رجلًا قد اعتزلوا مع هارون العجل لم يعبدوه، فقال لهم موسى: انطلقوا إلى موعد ربكم، فقالوا: يا موسى، أما من توبةٍ؟ قال: بلى؛ ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ ـ الآية: فاخترطوا السّيوف والجرزة والخناجر والسّكاكين.

قال: وبعث عليهم ضبابةً، قال: فجعلوا يتلامسون بالأيدي ويقتل بعضهم بعضًا، قال: ويلقى الرّجل أباه وأخاه فيقتله وهو لا يدري. قال: ويتنادون فيها: رحم الله عبدًا صبّر نفسه حتّى يبلغ الله رضاه، قال: فقتلاهم شهداء، وتيب على أحيائهم، ثمّ قرأ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦][1].

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذ سألتم رؤيتي جهرةً عيانًا ممّا لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم؛ كما قال ابن جريج، قال ابن عبّاسٍ في هذه الآية: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ قال: علانيةً.

وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عبّاد بن إسحاق عن أبي الحويرث عن ابن عبّاسٍ، أنّه قال في قول الله تعالى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ أي: علانيةً؛ أي: حتّى نرى الله.

وقال قتادة والرّبيع بن أنسٍ: ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ أي: عيانًا.

وقال أبو جعفرٍ، عن الرّبيع بن أنسٍ: هم السّبعون الّذين اختارهم موسى فساروا معه، قال: فسمعوا كلامًا، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ قال: فسمعوا صوتًا فصعقوا؛ يقول: ماتوا.

وقال مروان بن الحكم، فيما خطب به على منبر مكّة: الصّاعقة: صيحةٌ من السّماء. وقال السّدّيّ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾؛ الصّاعقة: نارٌ.

وقال عروة بن رويم في قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾؛ قال: صعق بعضهم وبعضٌ ينظرون، ثمّ بعث هؤلاء وصعق هؤلاء.

وقال السّدّيّ: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾، فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله، ويقول: ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[الأعراف: ١٥٥]؛ فأوحى الله إلى موسى أنّ هؤلاء السّبعين ممّن اتّخذوا العجل. ثمّ إنّ الله أحياهم فقاموا وعاشوا رجلٌ رجلٌ، ينظر بعضهم إلى بعضٍ كيف يحيون؟ قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وقال الرّبيع بن أنسٍ: كان موتهم عقوبةً لهم، فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم، وكذا قال قتادة.

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن حميدٍ، حدّثنا سلمة بن الفضل، عن محمّد بن إسحاق، قال: لمّا رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسّامريّ ما قال، وحرّق العجل وذرّاه في اليمّ، اختار موسى منهم سبعين رجلًا الخيّر فالخيّر، وقال: انطلقوا إلى الله وتوبوا إلى الله ممّا صنعتم، واسألوه التّوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتطهّروا وطهّروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقاتٍ وقّته له ربّه، وكان لا يأتيه إلّا بإذنٍ منه وعلمٍ، فقال له السّبعون ـ فيما ذكر لي ـ حين صنعوا ما أمروا به، وخرجوا للقاء الله، قالوا: يا موسى، اطلب لنا إلى ربّك نسمع كلام ربّنا، فقال: أفعل.

فلمّا دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتّى تغشّى الجبل كلّه، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا، وكان موسى إذا كلّمه الله وقع على جبهته نورٌ ساطعٌ لا يستطيع أحدٌ من بني آدم أن ينظر إليه، فضرب دونهم بالحجاب، ودنا القوم حتّى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودًا فسمعوه وهو يكلّم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل، فلمّا فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام، فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، فأخذتهم الرّجفة وهي الصّاعقة، فماتوا جميعًا.

وقام موسى يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]، قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما فعل السّفهاء منّا؟ أي: إنّ هذا لهم هلاكٌ واخترت منهم سبعين رجلًا الخيّر فالخيّر، أرجع إليهم وليس معي منهم رجلٌ واحدٌ، فما الّذي يصدّقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ فلم يزل موسى يناشد ربّه ﷻ ويطلب إليه حتّى ردّ إليهم أرواحهم، وطلب إليه التّوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا، إلّا أن يقتلوا أنفسهم.

ـ هذا سياق محمّد بن إسحاق.

وقال إسماعيل بن عبد الرّحمٰن السّدّيّ الكبير: لمّا تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل، وتاب الله عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم الله به، أمر الله موسى أن يأتيه في كلّ أناسٍ من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، وواعدهم موسى، فاختار موسى سبعين رجلًا على عينه، ثمّ ذهب بهم ليعتذروا. وساق البقيّة.

وهذا السّياق يقتضي أنّ الخطاب توجّه إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، والمراد: السّبعون المختارون منهم، ولم يحك كثيرٌ من المفسّرين سواه.

وقد أغرب الرّازيّ في تفسيره حين حكى في قصّة هؤلاء السّبعين: أنّهم بعد إحيائهم قالوا: يا موسى، إنّك لا تطلب من الله شيئًا إلّا أعطاك، فادعه أن يجعلنا أنبياء، فدعا بذلك فأجاب الله دعوته.

وهذا غريبٌ جدًّا؛ إذ لا يعرف في زمان موسى نبيٌّ سوى هارون ثمّ يوشع بن نونٍ، وقد غلط أهل الكتاب أيضًا في دعواهم أنّ هؤلاء رأوا الله ﷻ، فإنّ موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك فمنع منه، فكيف يناله

القول الثّاني في الآية: قال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الآية: قال لهم موسى لمّا رجع من عند ربّه بالألواح قد كتب فيها التّوراة فوجدهم يعبدون العجل، فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا، فتاب الله عليهم، فقال: إنّ هذه الألواح فيها كتاب الله، فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الّذي نهاكم عنه. فقالوا: ومن يأخذه بقولك أنت؟ لا والله، حتّى نرى الله جهرةً، حتّى يطّلع الله علينا فيقول: هذا كتابي فخذوه، فما له لا يكلّمنا كما يكلّمك أنت يا موسى، وقرأ قول الله: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾؛ قال: فجاءت غضبةٌ من الله فجاءتهم صاعقةٌ بعد التّوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون.

قال: ثمّ أحياهم الله من بعد موتهم، وقرأ قول الله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾، فقال لهم موسى: خذوا كتاب الله، فقالوا: لا، فقال: أيّ شيءٍ أصابكم؟ فقالوا: أصابنا أنا متنا ثم أحيينا، قال: خذوا كتاب الله، قالوا: لا، فبعث الله ملائكةً فنتقت الجبل فوقهم.

وهذا السّياق يدلّ على أنّهم كلّفوا بعدما أحيوا.

وقد حكى الماورديّ في ذلك قولين:

أحدهما: أنّه سقط التّكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرةً، حتّى صاروا مضطرّين إلى التّصديق.

والثّاني: أنّهم مكلّفون، لئلّا يخلو عاقلٌ من تكليفٍ.

قال القرطبيّ: وهذا هو الصّحيح؛ لأنّ معاينتهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم؛ لأنّ بني إسرائيل قد شاهدوا أمورًا عظامًا من خوارق العادات، وهم في ذلك مكلّفون، وهذا واضحٌ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الحق الذي لا ريب فيه مكلفون قبله وبعده، فالحادثة لا تمنعهم من التكليف، فهم مكلفون أولًا وآخرًا.

هؤلاء السّبعون؟

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا أن الرؤيا لا تحصل لأحد في الدنيا، رؤية الله ﷻ هي أعلى نعيم أهل الجنة، فلا تكون إلا في الآخرة، ولهذا، ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**واعلموا أنه لن يرى أحد ربه حتى يموت**». خرَّجه مسلم في الصحيح، وقد سئل ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنَّى أراه**»، وفي اللفظ الثاني: «**رأيت نورًا**». رواه مسلم أيضًا من حديث أبي ذر. فالرؤيا لم تكن لأحد في هذه الدار؛ لا لموسى ولا لمحمد، وهو أفضل من موسى، ولا لغيرهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن باب أولى بني إسرائيل، أنهم لم يروا ربهم؛ بل عوقبوا لما طالبوا هذا الطلب عوقبوا لأنهم تشددوا وتعنتوا وتنطعوا، وقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ وهذا تعنت وسوء أدب؛ فلهذا عوقبوا فيما أصابهم من الصعقة، وهذه الصاعقة صيحة عظيمة معها نار، ولهذا ماتوا، ثم بعثهم الله.

وقد ذكر الله في البقرة خمس قصص كلها فيها الحياة بعد الموت، وذلك مما يذكر بالآخرة، وأن الآخرة حق، وأن البعث بعد الموت حق، فالذي أحيا من يشاء في هذه الدار بعد الموت، هو القادر العظيم على أن يعيد الناس يوم القيامة ويبعثهم بعد موتهم، في قصة القتيل، أحياه الله حتى اعترف بمن قتله: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]، وقصة هؤلاء من بني إسرائيل لما طلبوا رؤية الله أخذتهم الصاعقة فماتوا، وهكذا قصة: ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ﴾، والرابعة: قصة الطيور مع إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أخذها وذبحها ثم أعادها الله، وهكذا الخامسة قصة: ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾، وهكذا حماره،

هذه القصص كلها في سورة البقرة فيها الحياة بعد الموت، وهذه من الآيات العظيمة وقدرته الكاملة ﷻ، وهي نموذج من الحياة بعد الموت تدل على الحق بما أخبرت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من البعث بعد الموت، وهذا من العقائد العظيمة التي جاءت بها الرسل جميعًا، أن الله يبعث الناس بعد موتهم ويجازيهم بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

فمن جحد هذا الأمر وأنكره فهو من أكفر الناس وأضلهم. نسأل الله العافية. ولهذا، لما أنكر ذلك جهال العرب والمشركين، أنكروا هذه الأشياء، طغوا وبغوا واتبعوا أهواءهم؛ لأنهم لا يخشون معادًا ولا نارًا ولا جنة، فلهذا، تابعوا أهواءهم وعصوا مولاهم وارتكبوا ما شاؤوا من المحارم؛ لعدم إيمانهم بالآخرة، وهذا هو حال الأكثرين، حال الأكثرين لما أنكروا البعث والنشور اتبعوا ما تتلوه الشياطين وما تأمرهم به الشياطين وما تأمرهم به نفوسهم، وخسروا الدنيا والآخرة، وباؤوا بسوء المصير. نعوذ بالله.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ **[البقرة: ٥٧]**(١).

وقال مجاهدٌ: المنّ صمغةٌ، والسّلوى الطّير.

حدّثنا أبو نعيمٍ، حدّثنا سفيان، عن عبد الملك، عن عمرو بن حريثٍ، عن سعيد بن زيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ**

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: من المنّ الّذي أعطاه الله بني إسرائيل، وهو شيءٌ ينزل من السّماء على الشّجر، حلوى يأكلونها طيبةٌ جدًّا، والسّلوى طائرٌ يقال له: السُّمان، يستمتعون بها ويذبحونها، ويأكلونها حال وجودهم في التّيه، الله أكبر.

قوله: **(وقال مجاهدٌ: المنّ: صمغةٌ، والسّلوى: الطّير)**.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: كأنّه قصده أنه يعني طعام يشبه الصّمغ يعني ليّن يشبه الفقع لين؛ يعني: حلوًا لينًا. و**(السّلوى)**: الطير. هذا الطّعام لهم حلوٌ وهو **(المنّ)** ينزله الله لهم على الشّجر، يأخذونه ويأكلونه هكذا لينًا طيبًا كالكمأة، وفي الحديث الصّحيح: **(الكمأة من المنّ، وماؤها شفاءٌ للعين)**؛ يعني: أنّها طعام طيبٌ ليّنٌ ما يحتاج طبخًا، ولا يحتاج نارًا.

• **س: الكمأ من المن يعني شيء منها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنّها. المقام هنا داخلٌ فيها، المنّ والسّلوى كأنّهم يحصل لهم كمأةٌ في وقت وجودهم في التّيه، الله أخرج لهم الكمأة، وأنّها من المنّ الّذي أعطوه.

ويحتمل أنّ المراد من المنّ: يعني من جملة المنّ الّذي يسمّى بهذا الاسم، فهو من جملة الّذي يمنّ الله به على العباد من دون تعبٍ ولا مشقّةٍ ولا غرسٍ ولا بذرٍ ولا سقي؛ لأنّ الكمأة ينبتها الله على إثر السّيل من دون غرسٍ لها ولا بذرٍ لها ولا سقي لها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال عليه الشّارح؟ أو قال يأتي في الطب؟

---

(١) متفق عليه من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ برقم (٤٤٧٨)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها برقم (٢٠٤٩).

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ١٦٤)]: «وقال مجاهدٌ: المنّ صمغةٌ؛ أي: بفتح الصّاد المهملة وسكون الميم، ثمّ غينٍ معجمةٍ. والسّلوى: الطّير.

وصله الفريابيّ، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ مثله. وكذا قال عبد بن حميدٍ، عن شبابة عن ورقاء.

وروى ابن أبي حاتمٍ من طريق عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان المنّ ينزل على الشّجر فيأكلون منه ما شاءوا».

ومن طريق عكرمة قال: كان مثل الرُّبّ الغليظ؛ أي: بضمّ الرّاء بعدها موحّدةٌ. ومن طريق السّدّيّ قال: كان مثل الترنجبيل. ومن طريق سعيد بن بشيرٍ، عن قتادة قال: كان المنّ يسقط عليهم سقوط الثّلج أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل. وهذه الأقوال كلّها لا تنافي فيها.

ومن طريق وهب بن منبّهٍ قال: المنّ خبز الرّقاق. وهذا مغايرٌ لجميع ما تقدم، والله أعلم.

وروى ابن أبي حاتمٍ أيضًا من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاسٍ قال: السّلوى طائرٌ يشبه السّماني. ومن طريق وهب بن منبّهٍ قال: هو السّماني. وعنه قال: هو طيرٌ سمينٌ مثل الحمام. ومن طريق عكرمة قال: طيرٌ أكبر من العصفور.

ثمّ ذكر المصنّف حديث سعيد بن زيدٍ في الكمأة من المنّ، وسيأتي شرحه في كتاب الطّبّ.

ووقع في رواية ابن عيينة، عن عبد الملك بن عميرٍ في حديث الباب: «من المنّ الّذي أنزل على بني إسرائيل». وبه تظهر مناسبة ذكره في التّفسير والرّدّ على الخطّابيّ حيث قال: لا وجه لإدخال هذا الحديث هنا.

قال: لأنّه ليس المراد في الحديث أنّها نوعٌ من المنّ المنزّل على بني إسرائيل؛ فإنّ ذاك شيءٌ كان يسقط عليهم كالترنجبيل، والمراد أنّها شجرةٌ تنبت بنفسها من غير استنباتٍ ولا مؤنةٍ. انتهى.

وقد عرف وجه إدخاله هنا، ولو كان المراد ما ذكره الخطابيّ، والله أعلم». [انتهى كلامه].

[قال في «القاموس» (١٢٠٦)]: والسّمانى؛ كحبارى: طائرٌ، للواحد والجمع، أو الواحدة: سماناةٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: والمقدّم هو القول الأول، أنه للذكر والأنثى.

● **س: الكمأة فاكهةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

● **س: أحسن الله إليك: بدأ المؤلّف** رَحِمَهُ اللَّهُ **في باب قوله تعالى:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] **ثمّ بعده باب:** ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] **مع أنّ هذه الآية قبلها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الأمر واسعٌ، قد يكون تصرّفٌ من بعض الرّواة، سهلٌ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ **[البقرة: ٥٧]**[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

لمّا ذكر تعالى ما دفعه عنهم من النّقم، شرع يذكّرهم أيضًا بما أسبغ عليهم من النّعم، فقال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾، وهو جمع غمامةٍ، سمّي بذلك؛ لأنّه يغمّ السّماء؛ أي: يواريها ويسترها، وهو السّحاب الأبيض،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

ظلّلوا به في التّيه ليقيهم حرّ الشّمس، كما رواه النّسائيّ وغيره عن ابن عبّاسٍ في حديث الفتون، قال: ثمّ ظل عليهم في التّيه بالغمام.

قال ابن أبي حاتمٍ: وروي عن ابن عمر والرّبيع بن أنسٍ وأبي مجلزٍ والضّحاك والسّدّيّ نحو قول ابن عبّاسٍ.

وقال الحسن وقتادة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: كان هذا في البرّيّة، ظلّل عليهم الغمام من الشّمس.

وقال ابن جريرٍ: قال آخرون: وهو غمامٌ أبرد من هذا وأطيب. وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا شبلٌ عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾؛ قال: ليس بالسّحاب، هو الغمام الّذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن إلّا لهم.

وهكذا رواه ابن جريرٍ، عن المثنّى بن إبراهيم، عن أبي حذيفة، وكذا رواه الثّوريّ وغيره عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، وكأنّه يريد، والله أعلم، أنه ليس من زيّ هذا السّحاب؛ بل أحسن منه وأطيب وأبهى منظرًا، كما قال سنيدٌ في تفسيره، عن حجّاج بن محمّدٍ، عن ابن جريجٍ، قال: قال ابن عبّاسٍ: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾؛ قال: غمامٌ أبرد من هذا وأطيب، وهو الّذي يأتي الله فيه في قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وهو الّذي جاءت فيه الملائكة يوم بدرٍ. قال ابن عبّاسٍ: وكان معهم في التيه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ظاهر إطلاق الآية أن المراد به الغمام المعروف الذي يعرفه الناس، يعرفه العرب المخاطبون، وأن الله جَلَّ وَعَلَا ظلل عليهم الغمام لما كانوا في التيه يقيهم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حر الشمس، فالغيم في وقت الظهيرة وقت الشمس من نعم الله العظيمة، ومن رحمته لعباده، فكانوا تحت حرِّ الشمس، فظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى، بعدما بعثهم من موتهم، الموت الذي عاقبهم به، أعطاهم هذه النعم، ظلل عليهم الغمام، وهو غمام يقيهم حر الشمس، يحصل لهم به

النفع لا يحصل لهم به الضرر؛ بل يحصل لهم به النفع، غمام فيه حماية لهم من حر الشمس ووهجها، وأعطاهم معه المن والسلوى حتى يعيشوا في هذه الأرض المدة التي كتب الله عليهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ﴾؛ اختلفت عبارات المفسّرين في المنّ ما هو؟ فقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: كان المنّ ينزل عليهم على الأشجار، فيغدون إليه، فيأكلون منه ما شاؤوا.

وقال مجاهدٌ: المنّ: صمغةٌ، وقال عكرمة: المنّ: شيءٌ أنزله الله عليهم مثل الطّلّ شبه الرُّبّ الغليظ.

وقال السّدّيّ: قالوا: يا موسى، كيف لنا بما هاهنا؛ أي: الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان يسقط على شجرة الزّنجبيل.

وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم في محلهم سقوط الثّلج أشدّ بياضًا من اللّبن وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، يأخذ الرّجل منهم قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدّى ذلك فسد ولم يبق، حتى كان يوم سادسه يوم جمعته، أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنّه كان يوم عيدٍ لا يشخص فيه لأمر معيشته ولا يطلبه لشيءٍ، وهذا كلّه في البرّيّة.

وقال الرّبيع بن أنسٍ: المنّ شرابٌ كان ينزل عليهم مثل العسل، فيمزجونه بالماء ثمّ يشربونه.

وقال وهب بن منبه وسئل عن المن فقال: خبز رقاق مثل الذّرة أو مثل النّقيّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الحديث الصحيح: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**»(١)، هذا يفيد أن المن شيء لطيف يتغذون به طعامهم لهم ومعهم لحم وهو

---

(١) سبق تخريجه في ص (٤٦٤).

السلوى، وهو شيء لطيف يشبه الشحم أو يشبه الحلوى الغليظة يأكلون منه ويتغذون منه ومعه اللحم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو جعفر بن جريرٍ: حدّثني محمّد بن إسحاق، حدّثنا أبو أحمد، حدّثنا إسرائيل، عن جابرٍ، عن عامرٍ، وهو الشّعبيّ، قال: عسلكم هذا جزءٌ من سبعين جزءًا من المنّ، وكذا قال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: إنّه العسل، ووقع في شعر أمية بن أبي الصلت، حيث قال:

فرأى اللّه أنّهم بمضيعٍ لا بذي مزرعٍ ولا مثمورا
فسناها عليهم غادياتٍ وترى مُزنهم خلايا وخورا
عسلًا ناطفًا وماءً فراتًا وحليبًا ذا بهجة مزمورا

فالناطف هو السائل، والحليب المزمور: الصّافي منه.

والغرض: أنّ عبارات المفسرين متقاربةٌ في شرح المنّ؛ فمنهم من فسّره بالطّعام، ومنهم من فسّره بالشّراب، والظّاهر، والله أعلم، أنّه كلّ ما امتنّ الله به عليهم من طعامٍ وشرابٍ وغير ذلك ممّا ليس لهم فيه عملٌ ولا كدٌّ، فالمنّ المشهور إن أكل وحده كان طعامًا وحلاوةً، وإن مزج مع الماء صار شرابًا طيّبًا، وإن ركب مع غيره صار نوعًا آخر، ولكن ليس هو المراد من الآية وحده.

والدّليل على ذلك قول البخاريّ: حدّثنا أبو نعيمٍ، حدّثنا سفيان، عن عبد الملك، عن عمرو بن حريثٍ، عن سعيد بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النّبيّ ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**»[(١)].

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، عن سفيان بن عيينة، عن

(١) سبق تخريجه (٤٦٤).

عبد الملك، وهو ابن عميرٍ، به، وأخرجه الجماعة في كتبهم، إلّا أبا داود، من طرقٍ عن عبد الملك، وهو ابن عميرٍ، به، وقال التّرمذيّ: حسنٌ صحيحٌ، ورواه البخاري ومسلم من رواية الحكم، عن الحسن العرنيّ، عن عمرو بن حريثٍ، به.

وقال التّرمذيّ: حدّثنا أبو عبيدة بن أبي السّفر ومحمود بن غيلان، قالا: حدّثنا سعيد بن عامرٍ، عن محمّد بن عمرٍو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ، وَالْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»**.

تفرّد بإخراجه التّرمذيّ، ثمّ قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلّا من حديث محمّد بن عمرٍو، وإلّا من حديث سعيد بن عامرٍ عنه[1].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: والعجوة التمر، وقد قال الله ﷻ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمٰن: ٦٨]؛ فالنخل من أشجار الجنة، وهكذا الرمان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وفي الباب عن سعيد بن زيدٍ وأبي سعيدٍ وجابرٍ ـ كذا قال.

وقد رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من طريقٍ آخر، عن أبي هريرة، فقال: حدّثنا أحمد بن الحسن بن أحمد البصريّ، حدّثنا أسلم بن سهلٍ، حدّثنا القاسم بن عيسى، حدّثنا طلحة بن عبد الرّحمٰن، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»**، وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، وطلحة بن عبد الرحمٰن هذا السلمي الواسطي يكنّى بأبي محمّدٍ، وقيل: أبو سليمان المؤدّب، قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عديٍّ: روى عن قتادة أشياء لا يتابع عليها.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الطب، باب ما جاء في الكمأة والعجوة برقم (٢٠٦٦)، والإمام أحمد (٢/ ٣٥٦، و٤٩٠).

ثمّ قال التّرمذيّ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا معاذ بن هشام، حدّثنا أبي، عن قتادة، عن شهر بن حوشبٍ، عن أبي هريرة: أنّ ناسًا من أصحاب النّبيّ ﷺ قالوا: الكمأة جدريّ الأرض، فقال نبيّ الله ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ**».

وهذا الحديث قد رواه النّسائيّ، عن محمّد بن بشّارٍ، به، وعنه، عن غندرٍ، عن شعبة، عن أبي بشرٍ جعفر بن إياسٍ، عن شهر بن حوشبٍ، عن أبي هريرة، به، وعن محمّد بن بشّارٍ، عن عبد الأعلى، عن خالدٍ الحذّاء، عن شهر بن حوشبٍ، بقصّة الكمأة فقط. وروى النّسائيّ أيضًا وابن ماجه من حديث محمّد بن بشّارٍ، عن أبي عبد الصّمد عبد العزيز بن عبد الصّمد، عن مطرٍ الورّاق، عن شهرٍ: بقصّة العجوة عند النّسائيّ، وبالقصّتين عند ابن ماجه، وهذه الطّريق منقطعةٌ بين شهر بن حوشبٍ وأبي هريرة، فإنه لم يسمع منه؛ بدليل ما رواه النّسائيّ في الوليمة من سننه عن علي بن الحسين الدّرهميّ، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن شهر بن حوشبٍ، عن عبد الرّحمٰن بن غنمٍ، عن أبي هريرة، قال: خرج رسول الله ﷺ وهم يذكرون الكمأة وبعضهم يقول: جدريّ الأرض، فقال: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**»، وروي عن شهر بن حوشبٍ، عن أبي سعيدٍ وجابرٍ؛ كما قال الإمام أحمد: حدّثنا أسباط بن محمّدٍ، حدّثنا الأعمش، عن جعفر بن إياسٍ، عن شهر بن حوشب، عن جابر بن عبد الله وأبي سعيدٍ الخدريّ، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الجنة، وهي شفاء من السم**».

وقال النّسائيّ في الوليمة أيضًا: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، حدّثنا شعبة، عن أبي بشرٍ جعفر بن إياسٍ، عن شهر بن حوشبٍ، عن أبي سعيدٍ وجابرٍ رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**».

ثمّ رواه أيضًا وابن ماجه من طرق عن الأعمش، عن أبي بشرٍ، عن شهرٍ، عنهما، به، وقد روياه؛ أعني: النسائي من حديث جرير وابن ماجه من حديث سعيد ابن أبي سلمة؛ كلاهما عن الأعمش، عن جعفر بن إياسٍ، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، رواه النّسائيّ، وحديث جابرٍ، عن النّبيّ ﷺ قال: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**».

ورواه ابن مردويه عن أحمد بن عثمان، عن عبّاسٍ الدّوريّ، عن لاحق بن صواب، عن عمار بن زريق، عن الأعمش؛ كابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لعلها: ورواه النسائي من حديث جابر.

*

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن مردويه أيضًا: حدّثنا أحمد بن عثمان، حدّثنا عبّاسٌ الدّوريّ، حدّثنا الحسن بن الرّبيع، حدّثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرٍو، عن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى، عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كمآتٌ، فقال: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**».

وأخرجه النّسائيّ عن عمرو بن منصورٍ، عن الحسن بن الربيع به.

ثم ابن مردويه رواه أيضًا عن عبد الله بن إسحاق، عن الحسن بن سلامٍ، عن عبيد الله بن موسى، عن شيبان، عن الأعمش، به.

وكذا رواه النّسائيّ عن أحمد بن عثمان بن حكيمٍ، عن عبيد الله بن موسى.

وقد روي من حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ كما قال ابن مردويه: حدّثنا محمّد بن عبد الله بن إبراهيم، حدّثنا حمدون بن أحمد، حدّثنا حوثرة بن أشرس، حدّثنا حمّادٌ، عن شعيب بن الحبحاب، عن أنسٍ: أنّ

أصحاب رسول الله ﷺ تدارؤوا في الشّجرة الّتي اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرارٍ، فقال بعضهم: نحسبه الكمأة، فقال رسول الله ﷺ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ**».

وهذا الحديث محفوظٌ أصله من رواية حمّاد بن سلمة.

وقد روى التّرمذيّ والنّسائيّ من طريقه شيئًا من هذا، والله أعلم.

وروي عن شهرٍ، عن ابن عبّاسٍ؛ كما رواه النّسائيّ أيضًا في الوليمة عن أبي بكرٍ أحمد بن عليّ بن سعيدٍ، عن عبد الله بن عونٍ الخرّاز، عن أبي عبيدة الحدّاد، عن عبد الجليل بن عطيّة، عن شهرٍ، عن عبد الله بن عبّاسٍ، عن النّبيّ ﷺ، قال: «**الْكَمْأَةُ من المن، وماؤها شفاء للعين**».

وقد اختلف كما ترى فيه على شهر بن حوشبٍ.

ويحتمل عندي أنّه حفظه ورواه من هذه الطّرق كلّها، وقد سمعه من بعض الصّحابة وبلّغه عن بعضهم، فإنّ الأسانيد إليه جيّدةٌ، وهو لا يتعمّد الكذب، وأصل الحديث محفوظٌ عن رسول الله ﷺ؛ كما تقدّم من رواية سعيد بن زيد رضي الله عنه.

وأمّا السّلوى، فقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: السلوى: طائر شبه بالسّمانى، كانوا يأكلون منه.

وقال السّدّيّ في خبرٍ، ذكره عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عن ابن عبّاسٍ، وعن مرّة عن ابن مسعودٍ، وعن ناسٍ من الصّحابة: السّلوى: طائرٌ يشبه السّمانى.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا الحسن بن محمّد بن الصّبّاح، حدّثنا عبد الصمد بن الوارث، حدّثنا قرّة بن خالدٍ، عن جهضمٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: السّلوى: هو السُّمانى.

وكذا قال مجاهدٌ والشّعبيّ والضّحّاك والحسن وعكرمة والربيع بن

أنس رحمهم الله تعالى. وعن عكرمة: أمّا السّلوى فطيرٌ كطيرٍ يكون بالجنّة، أكبر من العصفور أو نحو ذلك.

وقال قتادة: السلوى كان من طير أقرب إلى الحمرة، تحشرها عليهم الرّيح الجنوب، وكان الرّجل يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإذا تعدّى فسد ولم يبق عنده، حتّى إذا كان يوم سادسه ليوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه؛ لأنّه كان يوم عبادةٍ لا يشخص فيه لشيءٍ ولا يطلبه.

وقال وهب بن منبّهٍ: السلوى: طير سمين مثل الحمامة، كان يأتيهم فيأخذون منه من سبتٍ إلى سبتٍ. وفي روايةٍ عن وهبٍ، قال: سألت بنو إسرائيل موسى عليه السلام لحمًا، فقال الله: لأطعمنّهم من أقلّ لحمٍ يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحًا فأذرت عند مساكنهم السّلوى، وهو السّمانى، مثل ميلٍ في ميل قِيد رمح إلى السماء، فخبأوا للغد، فنتن اللّحم وخنز الخبز، وقال السّدّيّ: لمّا دخل بنو إسرائيل التّيه قالوا لموسى عليه السلام: كيف لنا بما هاهنا؟ أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن، فكان ينزل على شجر الزنجبيل، والسلوى، وهو طائر يشبه السّمانى، أكبر منه، فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطّير، فإن كان سمينًا ذبحه، وإلّا أرسله، فإذا سمن أتاه، فقالوا: هذا الطّعام. فأين الشّراب؟ فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ فشرب كلّ سبطٍ من عينٍ، فقالوا: هذا الشّراب، فأين الظّلّ؟ فظلّل عليهم الغمام، فقالوا: هذا الظّلّ، فأين اللّباس؟ فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصّبيان ولا يتخرّق لهم ثوبٌ، فذلك قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ﴾ [البقرة: ٦٠].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذه من آيات الله جل وعلا، من آيات الله العظيمة وقدرته الباهرة سبحانه وتعالى،

فهؤلاء الجماعة، وهم خلق كثير وأمة عظيمة، ضلوا في التيه أربعين سنة، وجعل الله لهم هذا الرزق من الحلوى والمن وظلل عليهم الغمام، كل هذا من رحمته وإحسانه، حتى خلصهم الله من هذا المحك، فجاءتهم هذه الطيور يذبحون منها حاجتهم، وأنزل عليهم المن ﷻ حلوى مع اللحم، وساق إليهم الماء من هذا الحجر، ينقله أين ما شاء هذا الحجر، يتفجر ماء، هذه من آيات الله العظيمة، وهو الذي يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروي عن وهب بن منبّهٍ وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم نحو ما قاله السّدّيّ، وقال سنيدٌ، عن حجّاجٍ، عن ابن جريجٍ، قال: قال ابن عبّاسٍ: خلق لهم في التّيه ثيابٌ لا تخرق ولا تدرن.

قال ابن جريجٍ: فكان الرّجل إذا أخذ من المنّ والسّلوى فوق طعام يومٍ فسد، إلّا أنّهم كانوا يأخذون في يوم الجمعة طعام يوم السّبت فلا يصبح فاسدًا.

قال ابن عطيّة: السّلوى: طيرٌ؛ بإجماع المفسّرين، وقد غلط الهذليّ في قوله: إنّه العسل، وأنشد في ذلك مستشهدًا:

وقاسمها بالله جهدًا لأنتم ... ألذّ من السّلوى إذا ما أشورها

قال: فظنّ أنّ السّلوى عسلًا، قال القرطبيّ: دعوى الإجماع لا تصحّ؛ لأنّ المؤرّج أحد علماء اللّغة والتّفسير قال: إنّه العسل، واستدلّ ببيت الهذليّ هذا، وذكر أنّه كذلك في لغة كنانة؛ لأنّه يسلّى به، ومنه عين سلوان.

وقال الجوهريّ: السّلوى: العسل، واستشهد ببيت الهذليّ أيضًا، والسّلوانة بالضّمّ: خرزةٌ، كانوا يقولون إذا صبّ عليها ماء المطر فشربها العاشق سلا، قال الشاعر:

شربت على سلوانةٍ ماء مزنةٍ فلا وجديد العيش يا ميّ ما أسلو

واسم ذلك الماء: السّلوان.

وقال بعضهم: السّلوان: دواءٌ يشفي الحزين فيسلو، والأطبّاء يسمّونه (مفرّجٌ).

قالوا: والسّلوى جمعٌ بلفظ الواحد أيضًا؛ كما يقال: سمانى للمفرد والجمع، ودفلى كذلك، وقال الخليل: واحده سلواةٌ، وأنشد:

وإنّي لتعروني لذكراك هزّةٌ كما انتفض السّلواة من بلل القطر

وقال الكسائيّ: السّلوى واحدةٌ وجمعه سلاوي، نقله كلّه القرطبيّ.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أمر إباحةٍ وإرشاد وامتنان.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾؛ أي: أمرناهم بالأكل ممّا رزقناهم وأن يعبدوا؛ كما قال: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُۥ﴾ [سبأ: ١٥]، فخالفوا وكفروا، فظلموا أنفسهم، هذا مع ما شاهدوه من الآيات البيّنات والمعجزات القاطعات، وخوارق العادات، ومن هاهنا، تتبيّن فضيلة أصحاب محمّدٍ ﷺ ورضي الله عنهم على سائر أصحاب الأنبياء في صبرهم وثباتهم وعدم تعنتهم، مع ما كانوا معه في أسفاره وغزواته؛ منها: عام تبوك، في ذلك القيظ والحرّ الشّديد والجهد، لم يسألوا خرق عادةٍ ولا إيجاد أمرٍ، مع أن ذلك كان سهلًا على النبي ﷺ، ولكن لمّا أجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم، فجمعوا ما معهم، فجاء قدر مبرك الشّاة فدعا الله فيه وأمرهم، فملؤوا كلّ وعاءٍ معهم، وكذا لمّا احتاجوا إلى الماء سأل الله تعالى فجاءتهم سحابة فأمطرتهم فشربوا وسقوا الإبل وملؤوا أسقيتهم، ثمّ نظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر.

فهذا هو الأكمل في اتباع الشيء مع قدر الله مع متابعة الرّسول ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا كما قال المؤلف، بنو إسرائيل جاءتهم آيات وجاءتهم

معجزات، ومع هذا، جرى منهم ما جرى مع موسى من الأذى والتعنت فعاقبهم الله بأنواع العقوبات؛ منها: الآصار والأغلال التي كانت عليهم، ومن ذلك: مما ابتلوا به من أمر فرعون، حتى خلصهم الله منه، إلى غير ذلك، المقصود: أن الله ﷻ ابتلاهم بأشياء بسبب تعنتهم، وأما أصحاب محمد ﷺ، فقد كانوا بحمد الله في غاية من الانقياد والطاعة والامتثال لما ظهر لهم الحق وعرفوا يقينًا ما جاء به عليه الصلاة والسلام، وانقادوا للحق، وساروا على درب الحق، وصبروا على الشدة في غزواتهم وفي المدينة وفي كل مكان، حتى نصرهم الله وأظهرهم، وكان إذا اشتد بهم الأمر في الشراب يسر الله أمرهم، فتارة يدعو القليب فتنبع المياه منها، وتارة يضع يده في الإناء فينبع الماء من بين أصابعه، فيشربون ويستقون، وهكذا الطعام، يدعو لهم فيه بالبركة فيحصل لهم به الخير العظيم ويكون هذا القليل شيئًا كثيرًا. ولهذا، لما جرى في تبوك من الشدة جمعوا طعامهم، وكان شيئًا قليلًا، فدعا فيه بالبركة ثم قال: «**خذوا**»، فأخذوا حاجاتهم وأكلوا من هذا الطعام القليل الذي جعله الله شيئًا عظيمًا.

وهكذا، لما أنزل الله المطر عند الحاجة إليه لما دعاه النبي ﷺ؛ فالآيات عظيمة والمعجزات كثيرة، ولكن إنما يعقلها ويفهمها من أراد الله له الهداية.

* * *

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [البقرة: ٥٨][(١)].

رغدًا: واسعٌ كثيرٌ.

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

حدّثني محمّدٌ، حدّثنا عبد الرّحمن بن مهديٍّ، عن ابن المبارك، عن معمرٍ، عن همّام بن منبّهٍ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ ﷺ قال: **«قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»**(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا نمطٌ من نمط مخالفاتهم ـ نسأل الله السّلامة، الله أكبر ـ الله أمرهم أن يدخلوا سجدًا؛ يعني: خاضعين متواضعين خاشعين لله، يسألونه أن يحطّ عنهم الذّنوب، ويغفر لهم الخطايا؛ فغيّروا، وهذا من تحريفهم للمعاني، كما حرّفوا الكلمات، نسأل الله السّلامة.

هذا من تبديلهم وتحريفهم، قيل لهم: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾: يعني: حطّ عنّا ذنوبنا، واغفر لنا.

وادخلوا ﴿سُجَّدًا﴾: يعني: خاضعين خاشعين لله جل وعلا. فخالفوا ودخلوا يزحفون على أستاههم ـ على مقاعدهم ـ وقالوا: حبّةٌ في شعرةٍ، أو في شعيرةٍ. تحريفٌ.

ومعنى ﴿حِطَّةٌ﴾: يعني: حطّ عنا ذنوبنا. وهذا يدلّنا على قبح ما فعلت بنو إسرائيل، يعني: من ضلّ منهم وخالف الهدى، لهم قبائح ولهم منكراتٌ، لمن ضلّ منهم الطّريق.

ومعلومٌ أنّ منهم الجمّ الغفير الّذين هداهم الله واستقاموا؛ فيأتي يوم القيامة ومعه الجمّ الغفير حتّى يظنّ النّبيّ ﷺ أنّهم أمّته من كثرة من

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ برقم (٤٤٧٩)، ومسلم في كتاب التفسير، برقم (٣٠١٥).

مع موسى عليه الصلاة والسلام من المؤمنين، لكن فيهم من خالف الطّريق وحاد عن السّبيل وكابر؛ فضلّ وأضل. نسأل الله العافية، كما في هذه الأمّة من حاد عن السّبيل وهم الأكثرون.

● **س: المراد عفا الله عنك: بقوله ﷻ: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ [يونس: ٨٣]؛ أي: فِي عهده؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: جماعةٌ من قومه.

(من السّائل): أي: في عهده؟

في عهده وبعده؛ يعني: بالنّسبة للأكثرين؛ لأنّ قوله: ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ هذا يدلّ على أنّهم في عهده يخافون، ولهذا قلّ المؤمنون، ولكن بعد ذلك بعد ما قتل الله فرعون دخل الجمّ الغفير وعرفوا الحقّ.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [٥٨ ـ ٥٩][(١)].

هذه الآيات كالتي قبلها فيها عظة وذكرى وبيان لما وقع لبني إسرائيل من العقوبات، وما ساق الله لهم من النعم، وأنه سبحانه ابتلاهم بالنعم الكثيرة، وابتلاهم بالمخالفة لكثير من أوامره، وبسبب

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور عبد السلام السليمان حفظه الله (١٢/٤).

ما فعلوه من قتلهم الأنبياء، والاعتداء عليهم، فمن أجل ذلك فرض الله عليهم الذلة والمسكنة، وباؤوا بغضب من الله ـ نعوذ بالله ـ لأن الله ساق لهم نعمًا كثيرة وأرزاقًا متنوعة، وأمرهم بأوامر ونهاهم عن نواهٍ؛ ولكنهم كثيرًا ما يرتكبون النواهي ويعصون الأوامر، قيل لهم: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ فدخلوا يزحفون على أستاهِهم وقالوا: حنطة في شعيرة، وغيَّروا وبدَّلوا. وقد جعل الله طاعتهم حِطَّةً لذنوبهم؛ ولكنهم لم يمتثلوا، وإنما غيَّروا وبدَّلوا، فصار ذلك من أسباب عذابهم ونكالهم.

والله ﷻ يغفر للمحسنين ويزيدهم من فضله، فاذا امتثل العبد أمره وابتعد عن نهيه، غفر الله له سبحانه وتعالى وزاده من فضله، ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

ولكن إذا أبى العبد إلا العصيان والتباعد عن أمره وارتكاب نهيه، فإنه بهذا متعرِّضٌ لغضب الله وعقابه كما تَعرَّضت اليهود، فصاروا إلى ما صاروا إليه من غضب الله ونكاله، وقسوة قلوبهم وعصيانهم للرسل، واستدبارهم عن الحق إلى يومنا هذا.

ولقد بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فاستكبروا عن طاعته واستمروا في عصيانه وعدم تصديقه ﷺ كما فعلوا بموسى وهارون ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وكما فعلوا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كذبوه ورموه بالعظائم وقالوا: إنه ولد بغي ـ فجرائمهم كثيرة وشرُّهم متلوِّن، نعوذ بالله من هذا، والسر في ذلك استكبارهم عن الحق وإيثارهم العاجلة وعدم شكرهم للنعم؛ لذا فيجب على كل من له أدنى بصيرة أن يتنبه لهذا لأمر، وأن يحذر من التشبه بأولئك الأعداء؛ فالله قصَّ علينا قصصهم لنحذر ولنأخذ العبرة، وأن من ارتكب محارم الله، وتباعد عن أمره سبحانه وتعالى، استحق العقوبة واستحق الغضب ـ وإن كان من كان ـ فقد فضَّلهم الله عن العالمين في زمانهم، وأعطاهم خيرًا كثيرًا

وأرسل لهم الرسل الكثيرة ومع ذلك لما عصوا واستكبروا أصابهم ما أصابهم من غضب الله وعقابه، وحلَّ بهم ما حل من أنواع العقوبات حتى مُسخ بعضهم قردة وبعضهم خنازير ـ نعوذ بالله ـ بسبب عصيانهم وكفرهم بالله واستكبارهم عن الحق. فلنا معشر أمة محمد ﷺ في هذا عظة وذكرى حتى نحذر معاصي الله، ونقف عند حدوده وحتى نتباعد عن مناهيه، ونسارع إلى أوامر الله ﷻ.

ومن تأمل قصة بني إسرائيل في كل مكان رأى فيها العظة، ففي سورة البقرة وفي سورة الأعراف وغيرهما، يُرى منهم من العصيان والاستكبار والمخالفة للأنبياء ما يدل على مرض القلوب وقسوتها وكِبْرِها وحسدها وعدم مُبالاتها بأمر الله، يتوبون ثم ينقضون، ويعملون الصالحات ثم يعودون للسيئات، والعياذ بالله.

فالمقصود من هذا كله أن ينتبه العاقل، وألا يكون مثل هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم فاستحقوا العقاب من الله، وأن يَعلَم أن الله ﷻ يبتلي بالنعم والنقم، ويبتلي بالسراء والضراء.

فالواجب أن تُقابَل السَّراءُ بشكر الله والقيام بحقه، وأن تُقابلَ الضراء بالصبر والاحتساب حتى يُفرج الله، مع تعاطي الأسباب التي شرعها سبحانه لعلاج ما يقع من الضراء، فعلاج الذنوب بالتوبة النصوح، وعلاج النعم التي يسرها ﷻ بشكره والقيام بحقه والاستعانة بها على طاعته ﷻ، وعلاج الأمراض وغير ذلك من الأشياء بالأسباب التي شرعها الله مع سؤاله العافية، والشفاء إلى غير ذلك، فما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء، وأعظم الداء الكفر ثم سائر الذنوب، والله تعالى جعل لها دواءً وهو التوبة، فمن تاب تاب الله عليه، فنسأل الله العافية والتوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾ [البقرة: ٥٨ ـ ٥٩][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى لائمًا لهم على نكولهم عن الجهاد ودخولهم الأرض المقدّسة لمّا قدموا من بلاد مصر صحبة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأمروا بدخول الأرض المقدّسة الّتي هي ميراثٌ لهم عن أبيهم إسرائيل وقتال من فيها من العماليق الكفرة، فنكلوا عن قتالهم وضعفوا واستحسروا، فرماهم الله في التّيه عقوبةً لهم؛ كما ذكره تعالى في سورة المائدة، ولهذا، كان أصحّ القولين أنّ هذه البلدة هي بيت المقدس؛ كما نصّ على ذلك السّدّيّ والرّبيع بن أنسٍ وقتادة وأبو مسلم الأصفهانيّ وغير واحدٍ، وقد قال الله تعالى حاكيًا عن موسى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟﴾ [المائدة: ٢١].

وقال آخرون: هي أريحاء، ويحكى عن ابن عبّاسٍ وعبد الرّحمٰن بن زيدٍ، وهذا بعيدٌ؛ لأنّها ليست على طريقهم، وهم قاصدون بيت المقدس لا أريحاء، وأبعد من ذلك قول من ذهب إلى أنها مصر، حكاه الرازي في تفسيره، والصحيح الأول، أنها بيت المقدس.

وكان هذا لمّا خرجوا من التّيه بعد أربعين سنةً مع يوشع بن نونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفتحها الله عليهم عشيّة جمعةٍ، وقد حبست لهم الشّمس يومئذٍ قليلًا حتى أمكن الفتح.

ولمّا فتحوها أمروا أن يدخلوا الباب باب البلد سجّدًا؛ أي:

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

شكرًا لله تعالى على ما أنعم به عليهم من الفتح والنّصر، ورد بلدهم عليهم، وإنقاذهم من التّيه والضّلال.

قال العوفيّ في تفسيره عن ابن عبّاسٍ أنّه كان يقول في قوله تعالى: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ أي: ركّعًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لأن السجود يطلق على الركوع، ولهذا، قال: (صلى ركعتين)؛ يعني: سجدتين، ركعتين بسجودهما، ولأن الساجد لا يستطيع أن يمشي ويدخل وإنما يدخلها واقفًا، ولهذا قال: ﴿سُجَّدًا﴾ يعني: خاضعين ذليلين لربكم الذي مَنَّ عليكم بالدخول وأنجاكم من التيه وخلصكم من آل فرعون، إلى غير ذلك من النعم، فأمرهم أن يدخلوا بيت المقدس، بيت الأنبياء، محل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومحل جدهم إبراهيم، أن يدخلوها خاضعين خاشعين، يقال له: خاشع راكع لذله واستكانته وانكساره، ولكنهم ـ والعياذ بالله ـ أبوا ودخلوا يزحفون على أستاههم معاندة ومخالفة لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فلهذا، أصابهم ما أصابهم من التفرق والاختلاف وقسوة القلوب. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن بشّارٍ، حدّثنا أبو أحمد الزّبيريّ، حدّثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرٍو، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، في قوله: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ قال: ركّعًا، من بابٍ صغيرٍ.

ورواه الحاكم من حديث سفيان، به، ورواه ابن أبي حاتمٍ من حديث سفيان، وهو الثّوريّ، به، وزاد: فدخلوا من قِبَل أستاههم.

وقال الحسن البصريّ: أمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخلوهم، واستبعده الرّازيّ.

وحكى عن بعضهم أنّ المراد هاهنا بالسجود: الخضوع؛ لتعذّر حمله على حقيقته.

وقال خصيفٌ: قال عكرمة: قال ابن عبّاسٍ: كان الباب قبل القبلة، وقال ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ والسّدّيّ وقتادة والضحاك: هو باب الحطة من باب إيلياء بيت المقدس. وحكى الرازي عن بعضهم: أنه عني بالباب جهة من جهات القبلة.

وقال خصيفٌ: قال عكرمة: قال ابن عبّاسٍ: فدخلوا على شقٍّ.

وقال السّدّيّ، عن أبي سعيدٍ الأزديّ، عن أبي الكنود، عن عبد الله بن مسعود: قيل لهم: ادخلوا الباب سجّدًا، فدخلوا مقنعي رؤوسهم؛ أي: رافعي رؤوسهم، خلاف ما أمروا.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾؛ قال الثّوريّ، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾؛ قال: مغفرةٌ، استغفروا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحطة؛ يعني: حَطَّ عنا يا ربنا خطايانا، ادخلوا خاضعين خاشعين، واسألوا الله المغفرة والعفو عما سبق منكم من التقصير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وروي عن عطاءٍ والحسن وقتادة والرّبيع بن أنسٍ نحوه.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾؛ قال: قولوا: هذا الأمر حقٌّ، كما قيل لكم.

وقال عكرمة: قولوا: لا إلٰه إلّا الله.

وقال الأوزاعيّ: كتب ابن عبّاسٍ إلى رجل قد سماه، فسأله عن قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾، فكتب إليه: أن أقرّوا بالذّنب.

وقال الحسن وقتادة؛ أي: احطط عنّا خطايانا، ﴿نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٨﴾، وقال: هذا جواب الأمر؛ أي: إذا فعلتم ما أمرناكم غفرنا لكم الخطيئات وضاعفنا لكم الحسنات.

وحاصل الأمر أنّهم أمروا أن يخضعوا لله تعالى عند الفتح بالفعل والقول وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها والشّكر على النّعمة عندها والمبادرة إلى ذلك من المحبوب عند الله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ فسّره بعض الصّحابة بكثرة الذّكر والاستغفار عند الفتح والنّصر، وفسّره ابن عبّاسٍ بأنّه نعي إلى رسول الله ﷺ أجله فيها وأقره على ذلك عمر رضي الله عنه ولا منافاة بين أن يكون قد أمر بذلك عند ذلك، ونعى إليه روحه الكريمة أيضًا، ولهذا، كان عليه الصلاة والسلام يظهر عليه الخضوع جدًّا عند النّصر؛ كما روي أنّه كان يوم الفتح، فتح مكّة، داخلًا إليها من الثنية العليا، وأنه لخاضع لربّه، حتّى إنّ عثنونه ليمسّ مورك رحله؛ شكرًا لله على ذلك، ثمّ لمّا دخل البلد اغتسل وصلّى ثماني ركعاتٍ، وذلك ضحًى، فقال بعضهم: هذه صلاة الضّحى، وقال آخرون: بل هي صلاة الفتح، فاستحبّوا للإمام وللأمير إذا فتح بلدًا أن يصلّي فيه ثماني ركعاتٍ عند أوّل دخوله؛ كما فعل سعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه لمّا دخل إيوان كسرى، صلّى فيه ثماني ركعاتٍ، والصّحيح: أنّه يفصل بين كلّ ركعتين بتسليمٍ، وقيل: يصلّيها كلّها بتسليمٍ واحدٍ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والصواب الأول، أن كل ركعتين بتسليم، وجاء عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح، قال ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَثْنَى مَثْنَى**»(١).

ولا مانع من أن تكون صلاة الضحى، وأن تكون صلاة الفتح، فإنه كان يصلي الضحى بعض الأحيان عليه الصلاة والسلام ويتركها تارة؛

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث ابن عمر في كتاب الصلاة، باب في صلاة النهار برقم (١٢٩٥)، والترمذي في كتاب الصلاة باب ما جاء في الأربع قبل الظهر برقم (٤٢٤).
وأصله في الصحيحين بلفظ: «صلاة الليل مثنى مثنى» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ليعلم الناس عدم وجوبها، وقد أوصى بها عليه الصلاة والسلام أبا الدرداء وأبا هريرة، أوصاهم بصلاة الضحى، وقال عليه الصلاة والسلام لمَّا ذكر الصدقات عن السُّلاميات، قال: «**وَيُجْزِي عَنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ تَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»[١]، فدل ذلك على تأكدها وعلى أنها سنة مؤكدة في كل يوم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾؛ قال البخاريّ: حدّثني محمّدٌ، حدّثنا عبد الرّحمٰن بن مهديٍّ، عن ابن المبارك، عن معمرٍ، عن همّام بن منبّهٍ، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عنه عن النّبيّ ﷺ، قال: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُولُوا حِطَّةٌ، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وقالوا: حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بدل حطة: حنطة حبة في شعرة، وكله معاندة للحق ويزحفون على أستاههم؛ يعني: على المقاعد، على مقعدته، أليته، دخلوا يزحفون على المقاعد جلوسًا. نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه النّسائيّ عن محمّد بن إسماعيل، بن إبراهيم، عن عبد الرّحمٰن، به، موقوفًا، وعن محمّد بن عبيد بن محمّدٍ، عن ابن المبارك، ببعضه مسندًا، في قوله تعالى: ﴿حِطَّةٌ﴾؛ قال: فبدلوا وقالوا: حبّةٌ.

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتان وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست والحث على المحافظة عليها برقم (٧٢٠)

(٢) سبق تخريجه في ص (٤٧٨).

وقال عبد الرّزّاق: أنبأنا معمرٌ، عن همّام بن منبّهٍ، أنّه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ**»، فبدّلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، فقالوا: حبّةٌ في شعيرةٍ.

وهذا حديثٌ صحيحٌ، رواه البخاريّ عن إسحاق بن نصرٍ، ومسلمٌ عن محمّد بن رافعٍ، والتّرمذيّ عن عبد بن حميدٍ؛ كلّهم عن عبد الرّزّاق، به.

وقال التّرمذيّ: حسنٌ صحيحٌ.

وقال محمّد بن إسحاق: كان تبديلهم كما حدّثني صالح بن كيسان، عن صالحٍ مولى التّوأمة، عن أبي هريرة وعمّن لا أتّهم، عن ابن عبّاسٍ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**دَخَلُوا الْبَابَ** ـ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ سُجَّدًا ـ **يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَهُمْ يَقُولُونَ حِنْطَةٌ فِي شُعَيْرَةٍ**».

وقال أبو داود: حدّثنا أحمد بن صالحٍ، وحدّثنا سليمان بن داود، حدّثنا عبد الله بن وهبٍ، حدّثنا هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ: «**قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ**»، ثمّ قال أبو داود: حدّثنا أحمد بن مسافرٍ، حدّثنا ابن أبي فديكٍ، عن هشام، بمثله.

هكذا رواه منفردًا به في كتاب الحروف مختصرًا.

وقال ابن مردويه: حدّثنا عبد الله بن جعفرٍ، حدّثنا إبراهيم بن مهديٍّ، حدّثنا أحمد بن المنذر القزّاز، حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن أبي فديكٍ، عن هشام بن سعدٍ، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريّ، قال: سرنا مع رسول الله ﷺ، حتّى إذا كان من آخر اللّيل أجزنا في ثنيّةٍ يقال لها: ذات الحنظل، فقال رسول الله ﷺ: «**ما مَثَلُ هَذِهِ الثَّنِيَّةِ اللَّيْلَةَ إِلَّا كَمَثَلِ الْبَابِ الَّذِي قَالَ اللهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ**».

وقال سفيان الثّوريّ، عن أبي إسحاق، عن البراء: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٢]؛ قال: اليهود؛ قيل لهم: ادخلوا الباب سجّدًا؛ قال: ركّعًا، وقولوا حطّةٌ؛ أي: مغفرةٌ، فدخلوا على أستاههم وجعلوا يقولون: حنطةٌ حمراء فيها شعيرةٌ، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثّوريّ، عن السّدّيّ، عن أبي سعيدٍ الأزديّ، عن أبي الكنود، عن ابن مسعودٍ: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾؛ فقالوا: حنطةٌ، حبّةٌ حمراء فيها شعيرةٌ، فأنزل الله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.. وقال أسباطٌ، عن السّدّيّ، عن مرّة، عن ابن مسعودٍ، أنّه قال: إنّهم قالوا: هطا سمعاتا أزبة مزبا، فهي بالعربيّة: حبّة حنطةٍ حمراء مثقوبة فيها شعرةٌ سوداء، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وقال الثّوريّ، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾؛ قال: ركّعًا من بابٍ صغيرٍ، فدخلوا من قبل أستاههم، وقالوا: حنطة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾.

وهكذا روي عن عطاءٍ ومجاهدٍ وعكرمة والضّحّاك والحسن وقتادة والرّبيع بن أنسٍ ويحيى بن رافعٍ.

وحاصل ما ذكره المفسرون، وما دل عليه السياق: أنّهم بدّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل؛ فأمروا أن يدخلوا سجّدًا فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطّةٌ؛ أي: احطط عنا ذنوبنا وخطايانا، فاستهزؤوا فقالوا: حنطة في شعيرة، وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة، ولهذا، أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته.

ولهذا، قال: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝٥٩﴾، وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: كلّ شيءٍ في كتاب الله من الرّجز؛ يعني به: العذاب.

وهكذا روي عن مجاهدٍ وأبي مالكٍ والسّدّيّ والحسن وقتادة، أنّه العذاب.

وقال أبو العالية: الرّجز: الغضب.

وقال الشّعبيّ: الرّجز؛ إمّا الطّاعون، وإمّا البرد.

وقال سعيد بن جبيرٍ: هو الطّاعون.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبو سعيدٍ الأشجّ، حدّثنا وكيعٌ، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابتٍ، عن إبراهيم بن سعدٍ؛ يعني: ابن أبي وقّاصٍ، عن سعد بن مالكٍ وأسامة بن زيدٍ وخزيمة بن ثابتٍ رضي الله عنهم، قالوا: قال رسول الله ﷺ: **«الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»**(١)

وهكذا رواه النّسائيّ من حديث سفيان الثّوريّ، به.

وأصل الحديث في الصّحيحين من حديث حبيب بن أبي ثابتٍ: **«إذا سمعتم الطاعون بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا»**(٢)، الحديث.

وقال ابن جريرٍ: أخبرني يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهبٍ،

---

(١) متفق عليه من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٤٧٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٨).

(٢) متفق عليه من حديث أسامة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون برقم (٥٧٢٨)، ومسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها برقم (٢٢١٨).

عن يونس، عن الزّهريّ، قال: أخبرني عامر بن سعد بن أبي وقّاصٍ، عن أسامة بن زيدٍ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أو السقم رِجْزٌ عُذِّبَ بِهِ بَعْضُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**»(١).

وهذا الحديث أصله مخرّجٌ في الصّحيحين من حديث الزهري ومن حديث مالك، عن محمد بن المنكدر وسالم بن أبي النّضر، عن عامر بن سعدٍ، بنحوه. والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ولا مانع، فإن الرِّجْز يكون نتيجة غضب، فعاقبهم الله بما فعلوه من الاستهزاء والتكذيب بغضبه ونزول عذابه. نسأل الله العافية.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة: ٦٠](٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيّكم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حجرٍ معكم، وتفجيري الماء لكم منه من اثنتي عشرة عينًا؛ لكلّ سبطٍ من أسباطكم عينٌ قد عرفوها، فكلوا من المنّ والسّلوى، واشربوا من هذا الماء الّذي أنبعته لكم بلا سعيٍ منكم ولا كدٍّ، واعبدوا الّذي سخّر لكم ذلك، ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾، ولا تقابلوا النّعم بالعصيان فتسلبوها.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطاعون والطيرة... برقم (٢٢١٨).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

وقد بسطه المفسّرون في كلامهم؛ كما قال ابن عبّاسٍ رضي الله عنه: وجعل بين ظهرانيهم حجرٌ مربّعٌ، وأمر موسى عليه السلام فضربه بعصاه، ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾، في كلّ ناحيةٍ منه ثلاث عيونٍ، وأعلم كلّ سبطٍ عينهم يشربون منها، لا يرتحلون من منقلةٍ إلّا وجدوا ذلك معهم بالمكان الّذي كان منهم بالمنزل الأوّل.

وهذا قطعةٌ من الحديث الّذي رواه النّسائيّ وابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ، وهو حديث الفتون الطّويل.

وقال عطيّة العوفيّ: وجعل لهم حجرًا مثل رأس الثّور يحمل على ثورٍ، فإذا نزلوا منزلًا وضعوه فضربه موسى عليه السلام بعصاه ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾، فإذا ساروا حملوه على ثورٍ فاستمسك الماء.

وقال عثمان بن عطاءٍ الخراسانيّ، عن أبيه: كان لبني إسرائيل حجرٌ، فكان يضعه هارون ويضربه موسى بالعصا.

وقال قتادة: كان حجرًا طوريًّا من الطّور يحملونه معهم، حتّى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه.

وقال الزّمخشريّ: وقيل: كان من الرخام وكان ذراعًا في ذراعٍ، وقيل: مثل رأس الإنسان، وقيل: كان من الجنّة طوله عشرة أذرعٍ على طول موسى، وله شعبتان تتّقدان في الظّلمة، وكان يحمل على حمارٍ.

قال: وقيل: أهبطه آدم من الجنّة فتوارثوه حتّى وقع إلى شعيبٍ فدفعه إليه مع العصا.

وقيل: هو الحجر الّذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل، فقال له جبريل: ارفع هذا الحجر، فإنّ فيه قدرةً، ولك فيه معجزةً، فحمله في مخلاته.

قال الزّمخشريّ: ويحتمل أن تكون اللّام للجنس لا للعهد؛ أي: اضرب الشّيء الّذي يقال له: الحجر.

وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرًا بعينه.

قال: وهذا أظهر في المعجزة وأبين في القدرة، فكان يضرب

الحجر بعصاه فينفجر ثمّ يضربه فييبس، فقالوا: إن فقد موسى هذا الحجر عطشنا، فأوحى الله إليه أن يكلّم الحجر فتنفجر ولا يمسّها بالعصا لعلهم يقرون، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المقصود أن هذا من الآيات العظام والمعجزات الباهرة، والله على كل شيء قدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو القادر على كل شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]، فالله أعطى موسى آيات كثيرات؛ منها: العصا، ومنها اليد التي جعلها الله له معجزة، والعصا تكون ثعبانًا، إذا ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا حتى التقمت عصيهم وحبالهم، وخرَّ أولئك السحرة لله سُجَّدًا وأسلموا بأسباب ذلك، وهذه اليد التي يخرجها بيضاء من غير آفة؛ فالآيتان جعلهما الله له، ثم جعل له آيات أخرى كثيرة، وما أصابهم لما عصوا واستكبروا فجعل الله لهم آيات كثيرة؛ منها: ما حصل لهم من الجراد والقمَّل والضفادع والدم، إلى غير ذلك، ثم هذا الحجر الذي معه جعله الله لهم سقيا، أينما نزلوا انفجرت هذه العيون اثنتا عشر لكل سبط من أسباطهم؛ أي: كل قبيلة من قبائلهم لها عين، لا يزاحمها فيها غيرهم، هذه من آيات الله، حجر يابس يفجر إذا أراد الله وييبس إذا أراد الله ويأخذونه معهم حيث شاؤوا، فهذه من آيات الله العظيمة، وله جَلَّ وَعَلَا القدرة البالغة والحكمة البالغة والآيات العظيمة الدالة على أنه سبحانه رب العالمين، وأنه مستحق لأن يعبد جَلَّ وَعَلَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال يحيى بن النّضر: قلت لجويبرٍ: كيف علم كلّ أناسٍ مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر، ويقوم من كلّ سبطٍ رجلٌ، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينًا، فينضح من كلّ عينٍ على رجلٍ، فيدعو ذلك الرّجل سبطه إلى تلك العين.

وقال الضّحّاك: قال ابن عبّاسٍ: لمّا كان بنو إسرائيل في التّيه، شقّ لهم من الحجر أنهارًا، وقال الثّوريّ، عن أبي سعيدٍ، عن عكرمة،

عن ابن عبّاسٍ، قال: ذلك في التّيه، ضرب لهم موسى الحجر فصار منه اثنتا عشرة عينًا من ماءٍ؛ لكلّ سبطٍ منهم عينٌ يشربون منها.

وقال مجاهدٌ نحو قول ابن عبّاسٍ.

وهذه القصّة شبيهةٌ بالقصّة التي في سورة الأعراف، ولكنّ تلك مكّيّةٌ، فلذلك، كان الإخبار عنهم بضمير الغائب؛ لأنّ الله تعالى يقص على رسوله ﷺ ما فعل بهم.

وأمّا في هذه السّورة ـ وهي البقرة ـ فهي مدنيّةٌ، فلهذا، كان الخطاب فيها متوجّهًا إليهم. وأخبر هناك بقوله: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، وهو أوّل الانفجار، وأخبر هاهنا بما آل إليه الحال آخرًا، وهو الانفجار فناسب ذكر الانفجار، هاهنا وذاك هناك، والله أعلم، وبين السّياقين تباينٌ من عشرة أوجهٍ لفظيّةٍ ومعنويّةٍ قد سئل عنها الزمخشري في تفسيره وأجاب عنها بما عنده، والأمر في ذلك قريب. والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾ [البقرة: ٦١](١).

يقول تعالى: واذكروا نعمتي عليكم في إنزالي عليكم المنّ والسّلوى طعامًا طيّبًا نافعًا هنيئًا سهلًا، واذكروا دبركم وضجركم مما رزقناكم، وسؤالكم موسى استبدال ذلك بالأطعمة الدنيئة من البقول ونحوها مما سألتم.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الحسن البصري: فبطروا ذلك ولم يصبروا عليه، وذكروا عيشهم الّذي كانوا فيه، وكانوا قومًا أهل أعداسٍ وبصل وبقول وفوم، فقالوا: ﴿يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾، وإنما قالوا: على طعام واحد، وهم يأكلون المنّ والسّلوى؛ لأنّه لا يتبدّل ولا يتغير كل يوم، فهو مأكل واحدٌ؛ فالبقول والقثّاء والعدس والبصل كلّها معروفةٌ.

وأمّا الفوم، فقد اختلف السّلف في معناه، فوقع في قراءة ابن مسعودٍ: وثومها، بالثّاء، وكذا فسّره مجاهدٌ في رواية ليث بن أبي سليمٍ عنه: بالثّوم. وكذا الرّبيع بن أنسٍ وسعيد بن جبيرٍ.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا عمرو بن رافعٍ، حدّثنا أبو عمارة يعقوب بن إسحاقَ البصريّ، عن يونس، عن الحسنِ، في قوله: ﴿وَفُومِهَا﴾؛ قال: قال ابن عباس: الثوم. قال: وفي اللّغة القديمة: فوّموا لنا؛ بمعنى: اختبزوا.

قال ابن جريرٍ: فإن كان ذلك صحيحًا، فإنّه من الحروف المبدلة؛ كقولهم: وقعوا في عاثور شرٍّ وعافور شرٍّ، وأثافيّ وأثاثيّ، ومغافير ومغاثير، وأشباه ذلك ممّا تقلب الفاء ثاءً والثّاء فاءً؛ لتقارب مخرجيهما، والله أعلم.

وقال آخرون: الفوم: الحنطة، وهو البرّ الّذي يعمل منه الخبز.

قال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى قراءةً، أنبأنا ابن وهبٍ قراءةً، حدّثني نافعُ بن أبي نعيمٍ، أنّ ابن عبّاسٍ سئل عن قول الله: ﴿وَفُومِهَا﴾: ما فومها؟ قال: الحنطةً. قال ابن عبّاسٍ: أما سمعت قول أحيحة بن الجلاح، وهو يقول:

قد كنت أغنى النّاس شخصًا واحدًا ... ورد المدينة عن زراعة فوم

قال ابن جريرٍ: حدثنا علي بن الحسن، حدثنا مسلم الجهني، حدثنا عيسى بن يونس، عن رشدين بن كريبٍ، عن أبيه، عن ابن عبّاسٍ،

في قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾؛ قال: الفوم: الحنطة؛ بلسان بني هاشمٍ.

وكذا قال عليّ بن أبي طلحة والضّحّاك وعكرمة، عن ابن عبّاسٍ: أنّ الفوم الحنطة.

وقال سفيان الثّوريّ، عن ابن جريجٍ، عن مجاهدٍ وعطاءٍ: ﴿وَفُومِهَا﴾؛ قالا: وخبزها.

وقال هشيم، عن يونس، عن الحسين وحصينٍ، عن أبي مالكٍ: ﴿وَفُومِهَا﴾؛ قال: الحنطة، وهو قول عكرمة والسّدّيّ والحسن البصريّ وقتادة وعبد الرحمٰن بن يزيد بن أسلم وغيرهم، فالله أعلم.

وقال الجوهريّ: الفوم: الحنطة، وقال ابن دريدٍ: الفوم: السّنبلة، وحكى القرطبيّ عن عطاءٍ وقتادة: أنّ الفوم كلّ حبٍّ يختبز. قال: وقال بعضهم: هو الحمّص، لغةٌ شاميّةٌ، ومنه يقال لبائعه: فامي، مغير عن فومي.

قال البخاريّ: وقال بعضهم: الحبوب الّتي تؤكل كلّها فومٌ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأمر واسع في هذا؛ سواء قيل: أنه الثوم، أو: أنه الحنطة أو أنه جميع الحبوب التي تخبز فهم ملوا الأكل من السمانى ومن المن، وطلبوا طعامهم السابق، ما كانوا عليه سابقًا، فهم طلبوا الأدنى، وهذا من نقص البصيرة. ولهذا، قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾؛ يعني: تعتاضون هذا الشيء الأدنى بما هو خير لكم وأفضل وأنفع لكم من المن والسلوى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]؛ فيه تقريعٌ لهم وتوبيخٌ على ما سألوا من هذه الأطعمة الدنيئة، مع ما هم فيه من العيش الرّغيد والطعام الهنيء الطيب النافع.

وقوله تعالى: ﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾؛ هكذا هو منوّنٌ مصروفٌ، مكتوبٌ بالألف في المصاحف الأئمّة العثمانيّة، وهو قراءة الجمهور بالصرف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم؛ مصرًا يعني: مصر من الأمصار؛ دمشق أو القاهرة التي سميت مصر المعروفة، أو أي بلد فيها حضارة، تجد فيها مطلبهم هذا ميسر، وأما مصر بغير مصرف فهي البلاد المعروفة، والمراد هنا يعني: أي مصر من الأمصار، تجدون هذه الأشياء التي أنتم تطلبونها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جريرٍ: ولا أستجيز القراءة بغير ذلك؛ لإجماع المصاحف على ذلك. وقال ابن عبّاسٍ ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا﴾؛ قال: مصر من الأمصار، رواه ابن أبي حاتمٍ من حديث أبي سعيدٍ البقّال سعيد بن المرزبان، عن عكرمة، عنه، قالً: وروي عن السّدّيّ وقتادة والرّبيع بن أنسٍ نحو ذلك.

وقال ابن جريرٍ: وقع في قراءة أبيّ بن كعب وابن مسعود: (اهبطوا مصرا)، من غير إجراءٍ؛ يعني: من غير صرفٍ، ثمّ روى عن أبي العالية والرّبيع بن أنسٍ أنّهما فسّرا ذلك بمصر فرعون، وكذا رواه ابن أبي حاتمٍ عن أبي العالية والربيع، وعن الأعمش أيضًا.

وقال ابن جريرٍ: ويحتمل أن يكون المراد: مصر فرعون على قراءة الإجراء أيضًا. ويكون ذلك من باب الاتّباع لكتابة المصحف؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَوَارِيرَا﴾ ﴿قَوَارِيرَا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

ثمّ توقّف في المراد ما هو: أمصر فرعون أم مصرٌ من الأمصار؟ وهذا الّذي قاله فيه نظرٌ، والحقّ أنّ المراد: مصرٌ من الأمصار؛ كما روي عن ابن عبّاسٍ وغيره، والمعنى على ذلك؛ لأنّ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لهم: هذا الّذي سألتم ليس بأمرٍ عزيزٍ؛ بل هو كثيرٌ، في أي بلد دخلتموها وجدتموه، فليس يساوي مع دناءته وكثرته في الأمصار أن أسأل الله فيه.

ولهذا، قال: ﴿أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾؛ أي: ما طلبتم، ولمّا كان سؤالهم هذا من باب البطر والأشر ولا ضرورة فيه، لم يجابوا إليه. والله أعلم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٦١][1].

يقول تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾؛ أي: وضعت عليهم وألزموا بها شرعًا وقدرًا؛ أي: لا يزالون مستذلّين، من وجدهم استذلّهم وأهانهم وضرب عليهم الصّغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون.

قال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾؛ قال: هم أصحاب القبالات؛ يعني: الجزية.

وقال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن الحسن وقتادة في قوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾؛ قال: يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وقال الضحاك: ﴿وضربت عليه الذِّلَّةُ﴾؛ قال: الذّلّ.

وقال الحسن: أذلّهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين، ولقد أدركتهم هذه الأمّة، وإنّ المجوس لتجبيهم الجزية.

وقال أبو العالية والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ: المسكنة: الفاقة، وقال عطيّة العوفيّ: الخراج، وقال الضّحّاك: الجزية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمسكنة؛ يعني: الفقر أيضًا، ذلتهم مع فقر؛ لأنهم وإن كانت عندهم أموالهم فهم أفقر الناس قلوبًا، وأكثرهم شرهًا وطمعًا في المال، فهم فقراء القلوب وإن وجدوا الأموال، ولهذا، قال في الحديث الصحيح: «**ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس**»[2].

---

(١) من تعليقات سماحته على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم (١٠٥١).

فاليهود أفقر الناس قلوبًا وأحرصهم على المال، فهم مع ذلك أذلاء أينما كانوا، في بلد، في دولة، فهم مستذلون وهم الآن في فلسطين، في ذلة وهوان ومعذبون، وإنما تجمعوا بسبب إمداد أمريكا لهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ قال الضّحّاك: استحقّوا الغضب من الله، وقال الرّبيع بن أنسٍ: فحدث عليهم غضبٌ من الله.

وقال سعيد بن جبير: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ يقول: استوجبوا سخطًا.

وقال ابن جرير: يعني بقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: باء إلّا موصولًا؛ إمّا بخيرٍ وإمّا بشرٍّ، يقال منه: باء فلانٌ بذنبه، يبوء به بوءًا وبواءً، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ [المائدة: ٢٩]؛ يعني: تنصرف متحمّلهما وترجع بهما قد صارا عليك دوني. فمعنى الكلام: إذا رجعوا منصرفين متحمّلين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضبٌ، ووجب عليهم من الله سخطٌ.

قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾؛ يقول تعالى: هذا الّذي جازيناهم من الذّلّة والمسكنة، وإحلال الغضب بهم من الذلة، بسبب استكبارهم عن اتّباع الحقّ وكفرهم بآيات الله، وإهانتهم حملة الشّرع، وهم الأنبياء وأتباعهم، فانتقصوهم إلى أن أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كفر أعظم من هذا، إنّهم كفروا بآيات الله، وقتلوا أنبياء الله بغير الحقّ؛ ولهذا، جاء في الحديث المتّفق على صحّته: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»[1].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: حدّثنا إسماعيل، عن ابن عونٍ، عن عمرو بن سعيدٍ، عن حميد بن عبد الرّحمٰن، قال: قال ابن مسعودٍ: كنت

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر برقم (٩١).

لا أحجب عن النّجوى، ولا عن كذا ولا عن كذا، فأتيت رسول الله ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرّهاويّ، فأدركته من آخر حديثه وهو يقول: يا رسول الله، قد قسم لي من الجمال ما ترى، فما أحبّ أنّ أحدًا من النّاس فضلني بشراكين فما فوقهما، أفليس ذلك هو البغي؟ فقال: «**لَا، لَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الْبَغْيِ، وَلَكِنَّ الْبَغْيَ مَنْ بَطَرَ**»، أَوْ قَالَ: «**سَفِهَ الْحَقَّ وَغَمِطَ النَّاسَ**»(١)؛ يعني: ردّ الحقّ، وانتقاص النّاس، والازدراء بهم، والتّعاظم عليهم.

ولهذا، لمّا ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله، وقتلهم أنبياءه، أحلّ الله بهم بأسه الّذي لا يردّ، وكساهم ذلًّا في الدّنيا موصولًا بذلّ الآخرة، جزاءً وفاقًا.

قال أبو داود الطّيالسيّ: حدّثنا شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمرٍ، عن عبد الله بن مسعودٍ، قال: كانت بنو إسرائيل في اليوم تقتل ثلاثمائة نبي، ثم يقيمون سوق بقلهم من آخر النّهار.

وقد قال الإمام أحمد: حدّثنا عبد الصّمد، حدّثنا أبان، حدّثنا عاصمٌ، عن أبي وائلٍ، عن عبد الله؛ يعني: ابن مسعودٍ، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ قَتَلَ نَبِيًّا، وَإِمَامُ ضَلَالَةٍ، وَمُمَثِّلٌ مِنَ الْمُمَثِّلِينَ**»(٢).

● **س: معنى ممثل من الممثلين؟**

○ **الجواب**: يعني: التصوير.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾: وهذه علّةٌ أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به، أنّهم كانوا يعصون ويعتدون؛ فالعصيان: فعل المناهي، والاعتداء: المجاوزة في حد المأذون فيه والمأمور به، والله أعلم.

* *

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٨٥). (٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٠٧).

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة: ٦٢](١).

لما بيّن تعالى حال من خالف أوامره وارتكب زواجره وتعدّى في فعل ما لا إذن فيه وانتهك المحارم وما أحلّ بهم من النّكال، نبّه تعالى على أنّ من أحسن من الأمم السّالفة وأطاع فإنّ له جزاء الحسنى، وكذلك الأمر إلى قيام السّاعة، كلّ من اتّبع الرّسول النّبيّ الأمّيّ فله السّعادة الأبديّة، ولا خوفٌ عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يتركونه ويخلّفونه؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٠]؛ قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا عمر بن أبي عمر العدنيّ، حدّثنا سفيان، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: قال سلمان رضي الله عنه: سألت النّبيّ ﷺ عن أهل دينٍ كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إلى آخر الآية، وقال السّدّيّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية، نزلت في أصحاب سلمان الفارسيّ، بينا هو يحدّث النّبيّ ﷺ، إذ ذكر أصحابه فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصلون ويصومون ويؤمنون لك ويشهدون أنّك ستبعث نبيًّا،

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

فلّما فرغ سلمان من ثنائه عليهم، قال له نبيّ الله ﷺ: «**يَا سَلْمَانُ هُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، فاشتدّ ذلك على سلمان، فأنزل الله هذه الآية. فكان إيمان اليهود أنّه من تمسّك بالتّوراة وسنّة موسى عليه السلام حتى جاء عيسى، فلما جاء كان من تمسّك بالتّوراة وأخذ بسنّة موسى فلم يدعها ولم يتبع عيسى كان هالكًا، وإيمان النّصارى أنّ من تمسّك بالإنجيل منهم وشرائع عيسى كان مؤمنًا مقبولًا منه حتّى جاء محمّدٌ ﷺ، فمن لم يتبع محمّدًا ﷺ منهم ويدع ما كان عليه من سنّة عيسى والإنجيل كان هالكًا. قال ابن أبي حاتمٍ: وروي عن سعيد بن جبيرٍ نحو هذا.

قلت: وهذا لا ينافي ما روى عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عبّاسٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ الآية ـ قال: ـ فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾، فإنّ هذا الّذي قاله ابن عبّاسٍ إخبارٌ عن أنّه لا يقبل من أحدٍ طريقةً ولا عملًا إلّا ما كان موافقًا لشريعة محمّدٍ ﷺ بعد أن بعثه بما بعثه به، فأمّا قبل ذلك، فكلّ من اتّبع الرّسول في زمانه فهو على هدًى وسبيلٍ ونجاةٍ، فاليهود أتباع موسى عليه السلام الّذين كانوا يتحاكمون إلى التّوراة في زمانهم. واليهود من الهوادة وهي المودّة، أو التّهوّد وهي التّوبة؛ كقول موسى عليه السلام: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]؛ أي: تبنا، فكأنّهم سمّوا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودّتهم في بعضهم لبعض، وقيل: لنسبتهم إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب، وقال أبو عمرو بن العلاء: لأنّهم يتهوّدون؛ أي: يتحرّكون عند قراءة التّوراة، فلمّا بعث عيسى ﷺ، وجب على بني إسرائيل اتّباعه والانقياد له، فأصحابه وأهل دينه هم النصارى، سموا بذلك لتناصرهم فيما بينهم، وقد يقال لهم: أنصارٌ أيضًا؛ كما قال عيسى عليه السلام: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾، وقيل: إنّهم إنّما سمّوا

بذلك من أجل أنّهم نزلوا أرضًا يقال لها: ناصرةٌ، قاله قتادة وابن جريجٍ، وروي عن ابن عبّاسٍ أيضًا، والله أعلم. والنّصارى جمع نصرانٍ، كنشاوى جمع نشوان، وسكارى جمع سكران، ويقال للمرأة: نصرانة، وقال الشاعر:

نصرانةٌ لم تحنّف

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمراد بهذا أن سنة الله في عباده ماضية، وأن من خالف رسله واتبع هواه فهو في عذاب في العاجلة والآجلة، والخزي في الدنيا والآخرة، ومن تابع الهدى واستقام على ما جاءت به الرسل من أي جنس كان؛ من العرب، العجم، اليهود، النصارى، المجوس، الصابئة، هؤلاء لهم السعادة ولهم النجاة في الدنيا والآخرة، فليس الاعتبار بأجناسهم ولا بألوانهم ولا بأموالهم، وإنما الاعتبار بأعمالهم وإيمانهم، فإن استقام على الإيمان فهو ولي الله، وله السعادة في الدنيا والآخرة سواء كان من العرب أو من العجم، من اليهود أو من النصارى أو من المجوس أو غيرهم، ولهذا، قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾؛ لا فرق بين ذكر وأنثى وغني وفقير وعرب وعجم كلهم آمنوا بالله ربًّا فلا ينبغي لأحد أن يفخر على أحد أو يزعم أنه بنسبه أو ماله أو وظيفة أو غير هذا من شؤون الناس مقرب إلى الله، وإنما يقربه إيمانه (....). ولهذا، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]، وهكذا قوله جَلَّ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣]، وهي نصرة في الحياة الدنيا

وفي الآخرة لما معهم من الإيمان والتقوى، ومن حاد عن سبيل الله ولو كان من أولاد الأنبياء. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

● **س: حديث النبي ﷺ: كل نسب وسبب منقطع إلا سببي ونسبي يوم القيامة، كيف يوجه يا شيخ؟**

○ **الجواب**: ما أدري عن صحته، ولو صح يحمل على الطريق السوي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فلمّا بعث الله محمّدًا ﷺ خاتمًا للنّبيّين، ورسولًا إلى بني آدم على الإطلاق، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانكفاف عمّا عنه زجر، وهؤلاء هم المؤمنون حقًّا، وسمّيت أمّة محمّدٍ ﷺ مؤمنين لكثرة إيمانهم، وشدّة إيقانهم، ولأنّهم يؤمنون بجميع الأنبياء الماضية والغيوب الآتية.

وأمّا الصّابئون، فقد اختلف فيهم، فقال سفيان الثّوريّ، عن ليث بن أبي سليمٍ، عن مجاهدٍ، قال: الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى وليس لهم دينٌ، وكذا رواه ابن أبي نجيحٍ عنه، وروي عن عطاءٍ وسعيد بن جبيرٍ نحو ذلك.

وقال أبو العالية والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ وأبو الشّعثاء، جابر بن زيدٍ، والضّحّاك وإسحاق بن راهويه: الصّابئون فرقةٌ من أهل الكتاب يقرؤون الزّبور، ولهذا، قال أبو حنيفة وإسحاق: لا بأس بذبائحهم ومناكحتهم، وقال هشيمٌ، عن مطرّفٍ: كنا عند الحكم بن عتيبة، فحدّثه رجلٌ من أهل البصرة عن الحسن أنّه كان يقول في الصّابئين: إنّهم كالمجوس، فقال الحكم: ألم أخبركم بذلك؟ وقال عبد الرّحمٰن بن مهديٍّ، عن معاوية بن عبد الكريم: سمعت الحسن ذكر الصّابئين، فقال: هم قوم يعبدون الملائكة.

وقال ابن جريرٍ: حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى، حدّثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، عن الحسن، قال: أخبر زيادٌ أنّ الصّابئين يصلّون إلى القبلة، ويصلّون الخمس، قال: فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال: فخبّر بعد أنّهم يعبدون الملائكة.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ: بلغني أنّ الصّابئين قومٌ يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور، ويصلون للقبلة، وكذا قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهبٍ، أخبرني ابن أبي الزّناد، عن أبيه، قال: الصّابئون قومٌ ممّا يلي العراق، وهم بكوثى، وهم يؤمنون بالنّبيّين كلّهم ويصومون من كلّ سنةٍ ثلاثين يومًا، ويصلّون إلى اليمن كلّ يومٍ خمس صلواتٍ.

وسئل وهب بن منبّهٍ عن الصّابئين، فقال: الّذي يعرف الله وحده وليست له شريعةٌ يعمل بها، ولم يحدث كفرًا.

وقال عبد الله بن وهبٍ: قال عبد الرّحمٰن بن زيدٍ: الصّابئون أهل دينٍ من الأديان، كانوا بجزيرة الموصل، يقولون: لا إلٰه إلّا الله، وليس لهم عملٌ ولا كتابٌ ولا نبيٌّ إلّا قول لا إلٰه إلّا الله، قال: ولم يؤمنوا برسولٍ، فمن أجل ذلك كان المشركون يقولون للنّبيّ ﷺ وأصحابه: هؤلاء الصّابئون، يشبّهونهم بهم؛ يعني: في قول لا إلٰه إلّا الله، وقال الخليل: هم قومٌ يشبه دينهم دين النّصارى، إلّا أنّ قبلتهم نحو مهبّ الجنوب، يزعمون أنّهم على دين نوحٍ عليه السلام.

وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن وابن نجيحٍ، أنّهم قومٌ تركّب دينهم بين اليهود والمجوس، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نساؤهم، قال القرطبيّ: والّذي تحصّل من مذهبهم فيما ذكره بعض العلماء أنّهم موحّدون ويعتقدون تأثير النّجوم، وأنّها فاعلةٌ، ولهذا،

أفتى أبو سعيدٍ الإصطخريّ بكفرهم للقادر بالله حين سأله عنهم.

واختار الرّازيّ أنّ الصّابئين قومٌ يعبدون الكواكب؛ بمعنى: أنّ الله جعلها قبلةً للعبادة والدّعاء، أو بمعنى: أنّ الله فوّض تدبير أمر هذا العالم إليها، قال: وهذا القول هو المنسوب إلى الكشرانيين الذين جاءهم إبراهيم عليه السلام رادًّا عليهم ومبطلًا لقولهم.

وأظهر الأقوال، والله أعلم، قول مجاهدٍ ومتابعيه ووهب بن منبّهٍ: أنّهم قومٌ ليسوا على دين اليهود ولا النّصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم باقون على فطرتهم ولا دين مقرّرٌ لهم يتبعونه ويقتنونه، ولهذا، كان المشركون ينبزون من أسلم بالصابئ؛ أي: أنّه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك. وقال بعض العلماء: الصّابئون الّذين لم تبلغهم دعوة نبيٍّ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

تقدم أن الصابئة طائفة مستقلة، وهم مشركون، وأنهم مثل ما قال وهيب رحمه الله وجماعة، وهو الذي ذكره أبو العباس وتلميذه أنهم كانوا يتلقون بالنجوم؛ يعني: أنهم عباد كواكب، ولهذا.

والحاصل: أنهم طائفة من المشركين وطائفة من الكفار، من آمن منهم بالله ودخل في دين الإسلام وتابع محمدًا ﷺ كان من المؤمنين؛ كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، فالباب واحد، فمن ترك دينه الباطل واتبع محمدًا ﷺ من اليهود أو النصارى أو الصابئة أو المجوس أو غيرهم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [البقرة: ٦٢]؛ المعنى: أن هؤلاء وأشباههم، إذا آمنوا دخلوا في دين الله، وكان لهم الأجر الكبير والجنة والسعادة.

وهكذا في آية الحج: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ

وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧]؛ جعلهم طوائف متعددة.

❊

❒ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٦٤][(١)].

يقول تعالى مذكرًا بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له، واتّباع رسله، وأخبر تعالى أنّه لمّا أخذ عليهم الميثاق، رفع الجبل فوق رؤوسهم ليقرّوا بما عوهدوا عليه، ويأخذوه بقوّةٍ وحزم وامتثالٍ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ فالطور هو الجبل كما فسَّره به في الأعراف، ونصّ على ذلك ابن عبّاسٍ ومجاهدٌ وعطاءٌ وعكرمة والحسن والضّحّاك والرّبيع بن أنسٍ وغير واحدٍ، وهذا ظاهرٌ.

وفي روايةٍ عن ابن عبّاسٍ: الطّور: ما أنبت من الجبال، وما لم ينبت فليس بطورٍ.

وفي حديث الفتون، عن ابن عبّاسٍ: أنّهم لمّا امتنعوا عن الطاعة رفع عليهم الجبل ليسمعوا.

وقال السّدّيّ: فلمّا أبوا أن يسجدوا، أمر الله الجبل أن يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشيهم، فسقطوا سجّدًا، فسجدوا على شقٍّ، ونظروا بالشّقّ الآخر، فرحمهم الله فكشفه عنهم، فقالوا: والله، ما سجدةٌ أحبّ إلى الله من سجدةٍ كشف بها العذاب عنهم، فهم يسجدون كذلك، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقال الحسن في قوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾؛ يعني: التّوراة. وقال أبو العالية والرّبيع بن أنسٍ: ﴿بِقُوَّةٍ﴾؛ أي: بطاعة، وقال مجاهد: ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بعمل ما فِيهِ، وقال قتادة: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: الجدّ، وإلّا قذفته عليكم، قال: فأقرّوا بذلك، أنهم يأخذون ما أوتوا به بقوّةٍ، ومعنى قوله: وإلّا قذفته عليكم؛ أي: أسقطته عليكم؛ يعني: الجبل.

وقال أبو العالية والربيع: ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾؛ يقول: اقرءوا ما في التّوراة واعملوا به، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى: ثمّ بعد هذا الميثاق المؤكّد العظيم تولّيتم عنه وانثنيتم ونقضتموه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾؛ أي: بتوبته عليكم وإرساله النّبيّين والمرسلين إليكم ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾؛ بنقضكم ذلك الميثاق في الدّنيا والآخرة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦][١].

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ﴾ يا معشر اليهود، ما أحل من البأس بأهل القرية الّتي عصت أمر الله وخالفوا عهده وميثاقه فيما أخذه عليهم من تعظيم السّبت والقيام بأمره، إذ كان مشروعًا لهم، فتحيّلوا على اصطياد الحيتان في يوم السبت بما وضعوا لها من الشّصوص والحبائل والبرك قبل يوم السّبت، فلمّا جاءت يوم السّبت على عادتها في الكثرة، نشبت بتلك الحبائل والحيل، فلم تخلص منها يومها ذلك، فلمّا كان

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

اللّيل أخذوها بعد انقضاء السّبت، فلمّا فعلوا ذلك، مسخهم الله إلى صورة القردة، وهي أشبه شيءٍ بالأناسيّ في الشّكل الظّاهر، وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم لمّا كانت مشابهةً للحقّ في الظّاهر ومخالفةً له في الباطن، كان جزاؤهم من جنس عملهم، وهذه القصّة مبسوطةٌ في سورة الأعراف، حيث يقول تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣]؛ القصّة بكمالها.

وقال السّدّيّ: أهل هذه القرية هم أهل أيلة، وكذا قال قتادة، وسنورد أقوال المفسّرين هناك مبسوطةً إن شاء الله، وبه الثقة.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ قال ابن أبي حاتم: حدّثنا أبي، حدّثنا أبو حذيفة، حدّثنا شبلٌ، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ قال: مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردةً. وإنّما هو مثلٌ ضربه الله، ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥]. ورواه ابن جريرٍ عن المثنّى، عن أبي حذيفة وعن محمد بن عمر الباهلي وعن أبي عاصمٍ، عن عيسى، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ، به، وهذا سندٌ جيّدٌ عن مجاهدٍ، وقولٌ غريبٌ خلاف الظّاهر من السّياق في هذا المقام وفي غيره.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ﴾ [المائدة: ٦٠]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا القول الذي قاله مجاهد ليس بشيء؛ بل مسخت أجسامهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال العوفيّ في تفسيره عن ابن عبّاسٍ: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً

خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ فجعل الله منهم القردة والخنازير؛ فزعم أنّ شباب القوم صاروا قردة، وأن المشيخة صاروا خنازير.

وقال شيبان النّحويّ، عن قتادة: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ فصار القوم قردة تعاوى، لها أذنابٌ، بعدما كانوا رجالًا ونساءً.

وقال عطاءٌ الخراسانيّ: نودوا: يا أهل القرية، كونوا قردةً خاسئين، فجعل الّذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان، ألم ننهكم؟ فيقولون برءوسهم؛ أي: بلى.

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصيّة، حدّثنا محمّد بن مسلم؛ يعني: الطّائفيّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: إنّما كان الّذين اعتدوا في السّبت فجعلوا قردةً فواقًا، ثمّ هلكوا ما كان للمسخ نسلٌ.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: فمسخهم الله قردةً بمعصيتهم، يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلّا ثلاثة أيّامٍ، قال: ولم يعش مسخٌ قطّ فوق ثلاثة أيّام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا ثبت في الصحيح، أن النبي ﷺ أخبر أن المسخ لا يعيش أكثر من ثلاثة أيام، فالذين مُسخوا قردة وخنازير لم يعيشوا؛ بل ماتوا، بقوا ثلاثة أيام عبرة ثم هلكوا. نسأل الله العافية. والقردة والخنازير أمَّتان قديمتان قبل المسخ، لكن مُسِخوا على صورهم[1].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدّثنا عليّ بن الحسين، حدّثنا عبد الله بن محمد بن ربيعة بالمصيصيّة، حدّثنا محمّد بن مسلم؛ يعني: الطّائفيّ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: إنّما كان الّذين اعتدوا في السّبت فجعلوا قردةً فواقًا، ثمّ هلكوا ما كان للمسخ نسلٌ.

---

(١) انظر: تهذيب الآثار للطبري.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: فمسخهم الله قردةً بمعصيتهم؛ يقول: إذ لا يحيون في الأرض إلّا ثلاثة أيّامٍ، قال: ولم يعش مسخٌ قطّ فوق ثلاثة أيّامٍ، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل، وقد خلق الله القردة والخنازير وسائر الخلق في السّتّة الأيّام الّتي ذكرها الله في كتابه، فمسخ هؤلاء القوم في صورة القردة، وكذلك يفعل بمن يشاء كما يشاء، ويحوله كما يشاء.

وقال أبو جعفرٍ، عن الرّبيع، عن أبي العالية في قوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾؛ قال: يعني: أذلّةً صاغرين. وروي عن مجاهدٍ وقتادة والرّبيع وأبي مالكٍ نحوه.

وقال محمّد بن إسحاق، عن داود بن أبي الحصين، عن عكرمة، قال: قال ابن عبّاسٍ: إنّ الله إنّما افترض على بني إسرائيل اليوم الّذي افترض عليكم في عيدكم يوم الجمعة، فخالفوا إلى السّبت فعظّموه وتركوا ما أمروا به، فلمّا أبوا إلّا لزوم السّبت ابتلاهم الله فيه، فحرّم عليهم ما أحلّ لهم في غيره، وكانوا في قريةٍ بين أيلة والطّور؛ يقال لها: مدين، فحرّم الله عليهم في السّبت الحيتان صيدها وأكلها، وكانوا إذا كان يوم السّبت، أقبلت إليهم شرّعًا إلى ساحل بحرهم، حتّى إذا ذهب السّبت ذهبن فلم يروا حوتًا صغيرًا ولا كبيرًا، حتّى إذا كان يوم السّبت أتين شرّعًا، حتّى إذا ذهب السّبت ذهبن، فكانوا كذلك، حتّى إذا طال عليهم الأمد وقرموا إلى الحيتان، عمد رجلٌ منهم فأخذ حوتًا سرًّا يوم السبت فحزمه بخيطٍ ثمّ أرسله في الماء وأوتد له وتدًا في الساحل فأوثقه ثم تركه، حتّى إذا كان الغد جاء فأخذه؛ أي: إنّي لم آخذه في يوم السّبت، فانطلق به فأكله، حتّى إذا كان يوم السّبت الآخر عاد لمثل ذلك، ووجد النّاس ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله، لقد وجدنا ريح الحيتان، ثمّ عثروا على صنيع ذلك الرّجل، قال: ففعلوا كما فعل، وصنعوا سرًّا زمانًا طويلًا لم يعجّل الله عليهم العقوبة حتى صادوها علانية وباعوها في الأسواق، فقالت طائفةٌ منهم من أهل البقيّة: ويحكم،

اتقوا الله، ونهوهم عما كانوا يصنعون، فقالت طائفةٌ أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تنه القوم عمّا صنعوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، لسخطنا أعمالهم، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]. قال ابن عبّاسٍ: فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقيّة في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلم يروهم؛ قال: فقال بعضهم لبعض: إن للناس شأنًا، فانظروا ما هو، فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقةً عليهم، قد دخلوها ليلًا فغلّقوها على أنفسهم كما يغلق النّاس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردةً، وإنّهم ليعرفون الرّجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة وإنّها لقردةٌ، والصّبيّ بعينه وإنّه لقردٌ؛ قال: قال ابن عبّاسٍ: فلولا ما ذكر الله أنّه نجى الذين نهوا عن السوء لقلنا: أهلك الله الجميع منهم، قال: وهي القرية الّتي قال جلّ ثناؤه لمحمّدٍ ﷺ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الْأَعْرَافِ: ١٦٣]. وَرَوَى الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوًا من هذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الذي فعله الواعظون هو الواجب على الجميع، فإن الواجب على أهل الحق أن ينكروا على أهل الباطل وأن يعظوهم وينصحوهم ويردوهم إلى الله لعلهم يتقون، أو بعضهم، فالذي فعلوه هو الواجب عليهم، وهو الحق، وإن لم ينفع، فلا ينبغِ للعاقل أن يُسيءَ الظن ويقول أنهم لا يتعظون ولا ينتفعون؛ بل يرجو، وعلى الأقل يؤدي الواجب، والله يقول ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ولهذا، قال بعدها: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥ ـ ١٦٦]؛ فأنجى الله الذين ينهون عن السوء

بسبب نهيهم عن السوء، وسكت عن الباقين فلم يذكر هلاكهم، وذكر هلاك الذين ظلموا بفعل المنكر بالحيلة على الصيد؛ سواء كانت حيلتهم بنصب الشباك يوم الجمعة وأكل الصيد يوم الأحد، أو كانت حيلتهم مثلما فعل بعضهم من مسك الحوت يوم السبت وربطه في أوتاد في حبال، فإذا كان يوم الأحد أخذوه، وهذا كله حيلة على ما حرم الله. ولهذا، أمهلهم الله لعلهم يرجعون، لعلهم يتوبون، فلما استمروا في الطغيان والحيلة الباطلة أخذهم الله. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال السّدّيّ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾؛ قال: هم أهل أيلة، وهي القرية الّتي كانت حاضرة البحر، فكانت الحيتان إذا كان يوم السّبت، وقد حرّم الله على اليهود أن يعملوا في السبت شيئًا، فلم يبق في البحر حوتٌ إلّا خرج، حتّى يخرجن خراطيمهنّ من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزمن سفل البحر فلم ير منهنّ شيءٌ حتّى يكون يوم السبت، فذلك قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾، فاشتهى بعضهم السّمك، فجعل الرّجل يحفر الحفيرة ويجعل لها نهرًا إلى البحر، فإذا كان يوم السّبت فتح النّهر فأقبل الموج بالحيتان يضربها حتّى يلقيها في الحفيرة، فيريد الحوت أن يخرج فلا يطيق من أجل قلّة ماء النهر، فيمكث فيها، فإذا كان يوم الأحد، جاء فأخذه، فجعل الرجل يشوي السمك، فيجد جاره روائحه، فيسأله فيخبره، فيصنع مثل ما صنع جاره، حتّى فشا فيهم أكل السّمك، فقال لهم علماؤهم: ويحكم، إنّما تصطادون يوم السّبت وهو لا يحلّ لكم، فقالوا: إنّما صدناه يوم الأحد حين أخذناه، قال الفقهاء: لا، ولكنكم صدتموه يوم فتحتم له الماء فدخل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا ابتلاء وامتحان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: وغلبوا أن ينتهوا. فقال بعض الّذين نهوهم لبعضٍ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾؛ يقول: لم تعظونهم، وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم؟ فقال بعضهم: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، فلمّا أبوا، قال المسلمون: والله، لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجدار وفتح المسلمون بابًا، والمعتدون في السّبت بابًا ولعنهم داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجعل المسلمون يخرجون من بابهم، والكفّار من بابهم، فخرج المسلمون ذات يوم ولم يفتح الكفار بابهم، فلما أبطؤوا عليهم، تسوّر المسلمون عليهم الحائط، فإذا هم قردةٌ يثب بعضهم على بعضٍ، ففتحوا عنهم فذهبوا في الأرض، فذلك قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨]، فهم القردة.

(قلت): والغرض من هذا السّياق عن هؤلاء الأئمّة، بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهدٌ رَحِمَهُ اللَّهُ، من أنّ مسخهم إنّما كان معنويًّا لا صوريًّا؛ بل الصحيح أنه معنوي وصوري، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذا، تنوع الحيلة، ما ذكره العلماء عنهم، فيه تنوع الحيلة، وتنوع الحيل لا ينجي من عذاب الله، ولا يخلص من عذاب الله فإنهم تنوعت حيلهم، قوم نصبوا الشباك يوم الجمعة حتى تمسك لهم الحوت، فإذا كان يوم الأحد أخذوه، وقوم ضربوا أوتادًا وجعلوا فيها حبالًا وربطوا فيها السمك يوم السبت، فإذا جاء يوم الأحد أخذوه، وقوم

حفروا حفرًا عميقة، فإذا جاء يوم السبت فتحوا عليها النهر حتى يأتي السمك فيقع في هذه الحفر، فإذا انسحب البحر وجزر لم يستطع الحوت أن يخرج من هذه الحفر، فصادوه يوم الأحد، فهذه أنواع من الحيل، وكلها باطلة، وكلها لم تخلصهم من عذاب الله: نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ قال بعضهم: الضّمير في ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ عائدٌ على القردة، وقيل: على الحيتان، وقيل: على العقوبة وقيل على القرية، حكاها ابن جريرٍ. والصّحيح أنّ الضّمير عائدٌ على القرية؛ أي: فجعل الله هذه القرية، والمراد أهلها، بسبب اعتدائهم في سبتهم ﴿نَكَالًا﴾؛ أي: عاقبناهم عقوبةً فجعلناها عبرةً؛ كما قال الله عن فرعون: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النّازعات: ٢٥]. وقوله تعالى: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ أي: من القرى، قال ابن عبّاسٍ: يعني: جعلناها بما أحللنا بها من العقوبة عبرةً لما حولها من القرى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد: ٤١]، على أحد الأقوال، فالمراد: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، في المكان؛ كما قال محمّد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: من القرى، وما خلفها من القرى، وكذا قال سعيد بن جبيرٍ: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾، قال: من بحضرتها من النّاس يومئذٍ.

وروي عن إسماعيل بن أبي خالدٍ وقتادة وعطيّة العوفي: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾؛ قال: ما قبلها من الماضين في شأن السّبت.

وقال أبو العالية والرّبيع وعطيّة: ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ لما بقي بعدهم من النّاس من بني إسرائيل، أن يعملوا مثل عملهم، وكان هؤلاء يقولون: المراد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ في الزّمان.

وهذا مستقيمٌ بالنّسبة إلى من يأتي بعدهم من النّاس، أن يكون أهل تلك القرية عبرةً لهم، وأمّا بالنّسبة إلى من سلف قبلهم من النّاس، فكيف يصحّ هذا الكلام أن تفسّر الآية به، وهو أن يكون عبرةً لمن سبقهم؟

وهذا لعلّ أحدًا من النّاس لا يقوله بعد تصوّره، فتعيّن أنّ المراد بما بين يديها وما خلفها في المكان، وهو ما حولها من القرى؛ كما قاله ابن عبّاسٍ وسعيد بن جبيرٍ، والله أعلم.

وقال أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع بن أنسٍ، عن أبي العالية ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ أي: عقوبةً لما خلا من ذنوبهم.

وقال ابن أبي حاتم: وروي عن عكرمة ومجاهدٍ والسّدّيّ والفرّاء وابن عطيّة: ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من ذنوب القوم ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾؛ لمن يعمل بعدها مثل تلك الذنوب.

وحكى الرازي ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنّ المراد بما بين يديها وما خلفها: من تقدّمها من القرى بما عندهم من العلم بخبرها بالكتب المتقدّمة ومن بعدها.

والثاني: المراد بذلك: من بحضرتها من القرى والأمم.

والثالث: أنه تعالى جعلها عقوبةً لجميع ما ارتكبوه من قبل هذا الفعل وما بعده، وهو قول الحسن.

(قلت): وأرجح الأقوال: المراد بما بين يديها وما خلفها: من بحضرتها من القرى، يبلغهم خبرها وما حلّ بها؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: ٤١]؛ فجعلهم عبرة ونكالًا لمن في زمانهم، وموعظة لمن يأتي بعدهم بالخبر المتواتر عنهم، ولهذا، قال: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾، قال محمّد بن إسحاق، عن داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عبّاسٍ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾: الّذين من بعدهم إلى يوم القيامة، وقال الحسن وقتادة: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ بعدهم، فيتّقون نقمة الله ويحذرونها، وقال السّدّيّ وعطيّة العوفيّ: ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾؛ قال: أمّة محمّدٍ ﷺ.

(قلت): المراد بالموعظة هاهنا: الزّاجر؛ أي: جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنّكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله، وما تحيّلوا به من الحيل، فليحذر المتّقون صنيعهم لئلّا يصيبهم ما أصابهم، كما قال الإمام أبو عبد الله بن بطّة: حدّثنا أحمد بن محمّد بن مسلمٍ، حدّثنا الحسن بن محمّد بن الصّبّاح الزّعفرانيّ، حدّثنا يزيد بن هارونَ، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُود، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ الله بِأَدْنَى الْحِيَل**»[1]. وهذا إسنادٌ جيّدٌ، وأحمد بن محمّد بن مسلمٍ هذا، وثقه الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديّ، وباقي رجاله مشهورونَ على شرط الصّحيح، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ولكن كان هذا تحذير من عمل اليهود، ولهذا، قال: «**لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُود فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ الله بِأَدْنَى الْحِيَل**» نسأل الله العافية، وهذا يقع في المعاملات وفي الأنكحة وفي الطلاق وفي غير ذلك، فالواجب على أهل الإسلام أن يأتوا الأمور من وجهها، وأن يحذروا التحيل عليها بطرق تخالف شرع الله، فيصيبهم ما أصاب أعداء الله اليهود. نسأل الله العافية.

* *

(١) أنظر: تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٢/ ٤٦٣)، ط. عالم الفوائد.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

يقول تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة، وبيان القاتل من هو بسببها، وإحياء الله المقتول، ونصّه على من قتله منهم.

[**مسألة**]:

الإبل تنحر، والغنم تذبح، [واختلفوا في البقر؛ فقيل: تذبح، وقيل: تنحر، والذبح أولى لنص القرآن، ولقرب منحرها من مذبحها].

قال ابن المنذر: ولا أعلم خلافًا في حل ما ذبح مما ينحر، أو نحر ما يذبح، غير أن مالكًا كره ذلك، وقد يكره الإنسان ما لا يحرمه.

قال أبو عبد الله: وكان نزول قصة البقرة على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أمر القتيل قبل نزول القسامة في التوراة.

❐ **[ذكر بسط القصة].**

قال ابن أبي حاتم: حدّثنا الحسن بن محمّد بن الصّبّاح، حدّثنا يزيد بن هارون، أنبأنا هشام بن حسّان، عن محمّد بن سيرين، عن عبيدة السّلمانيّ، قال: كان رجلٌ من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له، وكان له مالٌ كثيرٌ، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثمّ احتمله ليلًا، فوضعه على باب رجلٍ منهم، ثمّ أصبح يدّعيه عليهم حتى تسلّحوا وركب بعضهم على بعضٍ.

فقال ذوو الرّأي منهم والنُّهى: علام يقتل بعضكم بعضًا، وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فذكروا ذلك له، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ

أَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾؛ قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرةٍ، ولكنّهم شدّدوا، فشدّد عليهم، حتّى انتهوا إلى البقرة الّتي أمروا بذبحها، فوجدوها عند رجلٍ ليس له بقرةٌ غيرها، فقال: والله، لا أنقصها من ملء جلدها ذهبًا.

فأخذوها بملء جلدها ذهبًا، فذبحوها، فضربوه ببعضها، فقام فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا ـ لابن أخيه، ثمّ مال ميّتًا، فلم يعط من ماله شيئًا، فلم يورّث قاتلٌ بعد.

ورواه ابن جريرٍ الطبري من حديث أيّوب، عن محمّد بن سيرين، عن عبيدة بنحوٍ من ذلك، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا إسناد صحيح عن عَبيْدة السلماني، وهو تابعي جليل من أصحاب عبد الله بن مسعود، ولعله تلقاه عن بني إسرائيل، والقصة معروفة، والقرآن واضح في ذلك، لكن تفصيلها بهذا التفصيل تلقاه عبيدة عن بعض بني إسرائيل، وهو سند جيد عن عبيدة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه عبد بن حميدٍ في تفسيره: أنبأنا يزيد بن هارون، به.

ورواه آدم بن أبي إياسٍ في تفسيره، عن أبي جعفرٍ هو الرّازيّ، عن هشام بن حسّان، به، وقال آدم بن أبي إياس في تفسيره: أنبأنا أبو جعفرٍ الرّازيّ، عن الرّبيع، عن أبي العالية في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾؛ قال: وكان رجلٌ من بني إسرائيل، وكان غنيًّا، ولم يكن له ولدٌ، وكان له قريبٌ، وكان وراثه، فقتله ليرثه، ثمّ ألقاه على مجمع الطّريق، وأتى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال له: إنّ قريبي قتل وإنّي إلى أمرٍ عظيمٍ، وإنّي لا أجد أحدًا يبيّن لي من قتله غيرك يا نبي الله، قال: فنادى موسى في النّاس، فقال: أنشد الله من كان عنده من هذا علم إلا يبينه لنا، فلم يكن عندهم علمٌ، فأقبل القاتل على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال له: أنت

نبيّ الله، فسل لنا ربّك أن يبيّن لنا، فسأل ربّه، فأوحى الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾، فعجبوا من ذلك، فقالوا: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾، ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾؛ يعني: لا هرمةٌ، ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾؛ يعني: ولا صغيرةٌ، ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾؛ أي: نصفٌ بين البكر والهرمة، ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾؛ أيْ: صافٍ لَونُها، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾؛ تعجب النّاظرين ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾. ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾؛ أي: لم يذللها العمل، ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾؛ يعني: وليست بذلولٍ، تثير الأرض، ﴿وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ﴾؛ يعني: ولا تعمل في الحرث ﴿مُسَلَّمَةٞ﴾؛ يعني: مسلّمةٌ من العيوب ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾؛ يقول: لا بياض فيها، ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾؛ قال: ولو أنّ القوم حين أمروا بذبح بقرةً، استعرضوا بقرةً من البقر فذبحوها لكانت إياها، ولكن شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: إنا ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾، لَمَا هُدُوا إِلَيْهَا أَبَدًا.

فبلغنا أنّهم لم يجدوا البقرة الّتي نعتت لهم إلا عند عجوز وعندها يتامى، وهي القيّمة عليهم، فلمّا علمت أنّه لا يزكو لهم غيرها، أضعفت عليهم الثّمن، فأتوا موسى فأخبروه أنّهم لم يجدوا هذا النعت إلا عند فلانة، وأنها سألت أضعاف ثمنها، فقال موسى: إن الله قد خفّف عليكم، فشدّدتم على أنفسكم، فأعطوها رضاها وحكمها. ففعلوا واشتروها، فذبحوها، فأمرهم موسى عليه السلام أن يأخذوا عظمًا منها فيضربوا به القتيل، ففعلوا، فرجع إليه روحه، فسمّى لهم قاتله، ثمّ عاد ميّتًا كما كان، فأخذ قاتله، وهو الذي كان أتى موسى عليه السلام، فشكا إليه، فقتله الله على أسوأ عمله.

وقال محمّد بن جرير: حدثني محمد بن سعيد، حدّثني أبي، حدّثني عمّي، حدّثني أبي، عن أبيه، عن ابن عبّاسٍ، في قوله في شأن البقرة، وذكر أنّ شيخًا من بني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام كان مكثرًا من المال، وكان بنو أخيه فقراء لا مال لهم، وكان الشّيخ لا ولد له، وكان بنو أخيه ورثته، فقالوا: ليت عمّنا قد مات فورثنا ماله، وإنّه لمّا تطاول عليهم ألّا يموت عمّهم، أتاهم الشّيطان فقال لهم: هل لكم إلى أن تقتلوا عمّكم فترثوا ماله، وتغرموا أهل المدينة الّتي لستم بها ديته؟ وذلك أنّهما كانتا مدينتين كانوا في إحداهما، وكان القتيل إذا قتل وطرح بين المدينتين، قيس ما بين القتيل والقريتين، فأيتهما كانت أقرب إليه، غرمت الدّية، وأنّهم لمّا سول لهم الشيطان ذلك، وتطاول عليهم أن لا يموت عمّهم، عمدوا إليه فقتلوه، ثمّ عمدوا فطرحوه على باب المدينة الّتي ليسوا فيها.

فلمّا أصبح أهل المدينة، جاء بنو أخي الشّيخ فقالوا: عمّنا قتل على باب مدينتكم، فوالله لتغرمنّ لنا دية عمّنا.

قال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلنا ولا علمنا قاتلًا ولا فتحنا باب مدينتنا منذ أغلق حتّى أصبحنا، وإنّهم عمدوا إلى موسى عليه السلام.

فلمّا أتوه، قال بنو أخي الشّيخ: عمّنا وجدناه مقتولًا على باب مدينتهم، وقال أهل المدينة: نقسم بالله ما قتلناه ولا فتحنا باب المدينة من حين أغلقناه حتّى أصبحنا، وإن جبرائيل جاء بأمر السّميع العليم إلى موسى عليه السلام، فقال: قل لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾، فتضربوه ببعضها.

وقال السّدّيّ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ﴾؛ قال: كان رجلٌ من بني إسرائيل مكثرًا من المال، فكانت له ابنةٌ، وكان له ابن أخٍ محتاجٌ، فخطب إليه ابن أخيه ابنته، فأبى أن يزوّجه،

فغضب الفتى وقال: والله، لأقتلنّ عمّي ولآخذنّ ماله، ولأنكحنّ ابنته، ولآكلنّ ديته، فأتاه الفتى وقد قدم تجّارٌ في بعض أسباط بني إسرائيل، فقال: يا عمّ، انطلق معي فخذ لي من تجارة هؤلاء القوم لعلّي أن أصيب منها، فإنّهم إذا رأوك معي أعطوني.

فخرج العمّ مع الفتى ليلًا، فلمّا بلغ الشّيخ ذلك السّبط قتله الفتى، ثمّ رجع إلى أهله، فلمّا أصبح جاء كأنّه يطلب عمّه، كأنّه لا يدري أين هو، فلم يجده، فانطلق نحوه، فإذا هو بذلك السّبط مجتمعين عليه، فأخذهم وقال: قتلتم عمّي، فأدّوا إليّ ديته، فجعل يبكي ويحثو التّراب على رأسه وينادي: واعمّاه، فرفعهم إلى موسى فقضى عليهم بالدّية، فقالوا له: يا رسول الله، ادع لنا ربك حتّى يبيّن لنا من صاحبه فيؤخذ صاحب القضية، فوالله إن ديته علينا لهينة، ولكن نستحي أن نعير به، فذلك حين يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٧٢]، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾؛ قالوا: نسألك عن القتيل وعمّن قتله، وتقول: اذبحوا بقرةً، أتهزأ بنا، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

قال ابن عبّاسٍ: فلو اعترضوا بقرةً فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شدّدوا وتعنّتوا على موسى، فشدّد الله عليهم، فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾، والفارض: الهرمة التي لا تولد، والبكر: الّتي لم تلد إلّا ولدًا واحدًا، والعوان: النّصف الّتي بين ذلك الّتي قد ولدت وولد ولدها.

﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ [البقرة: ٦٨، ٦٩]؛ قال: نقيٌّ لونها، ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ [البقرة: ٦٩]؛ قال: تعجب النّاظرين ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾؛

من بياضٍ ولا سوادٍ ولا حمرةٍ، ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٔـٰنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [البقرة: ٧١]، فطلبوها فلم يقدروا عليها.

وكان رجل من بني إسرائيل من أبرّ النّاس بأبيه، وإنّ رجلًا مرّ به معه لؤلؤٌ يبيعه، وكان أبوه نائمًا تحت رأسه المفتاح، فقال له الرّجل: تشتري منّي هذا اللّؤلؤ بسبعين ألفًا؟ فقال له الفتى: كما أنت حتّى يستيقظ أبي فآخذه منك بثمانين ألفًا.

قال الآخر: أيقظ أباك وهو لك بستّين ألفًا، فجعل التّاجر يحطّ له حتّى بلغ ثلاثين ألفًا، وزاد الآخر على أن ينتظر أباه حتى يستيقظ حتى بلغ مائة ألفٍ، فلمّا أكثر عليه قال: والله، لا أشتريه منك بشيءٍ أبدًا، وأبى أن يوقظ أباه، فعوّضه الله من ذلك اللّؤلؤ أن جعل له تلك البقرة، فمرّت به بنو إسرائيل يطلبون البقرة، وأبصروا البقرة عنده فسألوه أن يبيعهم إيّاها بقرةً ببقرةٍ، فأبى، فأعطوه اثنتين فأبى، فزادوه حتى بلغوا عشرًا، فقالوا: والله لا نتركك حتّى نأخذها منك.

فانطلقوا به إلى موسى عليه السلام، فقالوا: يا نبيّ الله، إنّا وجدناها عند هذا وأبى أن يعطيناها وقد أعطيناه ثمنًا، فقال له موسى: أعطهم بقرتك، فقال: يا رسول الله، أنا أحقّ بمالي، فقال: صدقت، وقال للقوم: أرضوا صاحبكم، فأعطوه وزنها ذهبًا، فأبى، فأضعفوه له حتّى أعطوه وزنها عشر مرّاتٍ ذهبًا، فباعهم إياها وأخذ ثمنها، فقال: اذبحوها، فذبحوها.

قال: اضربوه ببعضها، فضربوه بالبضعة الّتي بين الكتفين، فعاش، فسألوه: من قتلك؟ فقال لهم: ابن أخي، قال: أقتله فآخذ ماله وأنكح ابنته. فأخذوا الغلام فقتلوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمقصود من هذا كله أن القصة بيَّنها الكتاب العزيز، بيَّنها الله سبحانه وتعالى وابتلى بني إسرائيل بهذه البلية التي وقعت عندهم، نسأل الله العافية،

وهي: أن شخصًا قتل مورثه ليأخذ ماله لما طال عليه الأمد، فالله ﷻ فضحه وبيَّن أمره وأخزاه على رؤوس الأشهاد بهذه الآية العظيمة. وهذه الآية إحدى الآيات التي فيها بيان الحياة بعد الموت، وهي خمسة مواضع في سورة البقرة: هذا الموضع: ضربوا الميت ببعض البقرة فردَّ الله عليه روحه وتكلم، وقال: قتلني فلان، فبرأ المتهمين وصارت فضيحة لهذا القاتل الخبيث، نسأل الله العافية، ولهذا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣]، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فجعل لهم عبرة في هذه القضية، وفضح هذا القاتل، وبين لهم سبحانه أنه قادر على إحياء الموتى في الدنيا قبل الآخرة، فالذي يحييهم في الدنيا ويخرجهم من العدم وينشئهم من العدم هو القادر على أن يحييهم يوم القيامة ويجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها.

وهكذا قصة بني إسرائيل لما طلبوا أن يروا الله جهرة، فجاءتهم الصاعقة فماتوا ثم أحياهم الله، وهكذا قصة الذين ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾، وهكذا قصة الطيور التي أحياها الله لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقصة ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ فأحياها الله ﷻ، كل هذه القصص فيها الدلالة على الحياة بعد موتها في هذه العاجلة، في هذه الدنيا قبل الآخرة، فهو سبحانه على كل شيء قدير. ولكن لما شدد هؤلاء ولم يرضوا بأي بقرة شدد عليهم حتى صار ما صار، أما تفصيلها، كون البقرة كذا، وكونه أنه يضرب بكذا، فهذا من أخبار بني إسرائيل التي لا تصدق ولا تكذب، المهم أن الله أمرهم أن يضربوه ببعضها، يحتمل أنه اللسان كما قال قوم، أو بعظم من عظامها، أو غير ذلك من أجزائها، فلما ضربوه رد الله عليه روحه وقال: قتلني فلان، وانتهت المشكلة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال سنيدٌ: حدّثنا حجّاجٌ هو ابن محمّدٍ، عن ابن جريجٍ، عن مجاهدٍ وحجّاجٍ، عن أبي معشرٍ، عن محمّد بن كعبٍ القرظيّ ومحمّد بن قيسٍ ـ دخل حديث بعضهم في حديث بعضٍ ـ، قالوا: إنّ سبطًا من بني إسرائيل لمّا رأوا كثرة شرور النّاس، بنوا مدينةً فاعتزلوا شرور النّاس، فكانوا إذا أمسوا لم يتركوا أحدًا منهم خارجًا إلا أدخلوه، وإذا أصبحوا قام رئيسهم فنظر وأشرف، فإذا لم ير شيئًا فتح المدينة، فكانوا مع النّاس حتّى يمسوا.

قال: وكان رجلٌ من بني إسرائيل له مالٌ كثيرٌ، ولم يكن له وارثٌ غير أخيه، فطال عليه حياته، فقتله ليرثه، ثمّ حمله فوضعه على باب المدينة، ثمّ كمن في مكانٍ هو وأصحابه، قال: فأشرف رئيس المدينة فنظر، فلم ير شيئًا ففتح الباب، فلمّا رأى القتيل ردّ الباب، فناداه أخو المقتول وأصحابه: هيهات، قتلتموه ثمّ تردّون الباب.

وكان موسى لمّا رأى القتل كثيرًا في بني إسرائيل كان إذا رأى القتيل بين ظهراني القوم أخذهم، فكاد يكون بين أخي المقتول وبين أهل المدينة قتالٌ، حتّى لبس الفريقان السّلاح، ثمّ كفّ بعضهم عن بعضٍ، فأتوا موسى، فذكروا له شأنهم، قالوا: يا موسى، إنّ هؤلاء قتلوا قتيلًا ثمّ ردّوا الباب، قال أهل المدينة: يا رسول الله، قد عرفت اعتزالنا الشّرور، وبنينا مدينةً كما رأيت نعتزل شرور النّاس، والله، ما قتلنا ولا علمنا قاتلًا، فأوحى الله تعالى إليه أن يذبحوا بقرةً، فقال لهم موسى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗ﴾، وهذه السياقات عن عبيدة وأبي العالية والسّدّيّ وغيرهم، فيها اختلافٌ ما، والظّاهر أنّها مأخوذةٌ من كتب بني إسرائيل، وهي ممّا يجوز نقلها، ولكن لا تصدق ولا تكذب، فلهذا، لا يعتمد عليها إلّا ما وافق الحقّ عندنا، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، وتقدم هذا للمؤلف غير مرة الذي ذكره في أول التفسير، وهو أن أقوال بني إسرائيل وأشباههم على أقسام ثلاثة؛ كأقوال المنجمين والحسابين وأشباههم:

القسم الأول: ما دل الشرع على صدقه فهذا يصدق.

والثاني: ما دل الشرع على تكذيبه فهذا يكذب.

والثالث: ما لم يرد فيه شرع بالتصديق ولا بالتكذيب، فهذا يكون موقوفًا، وينقل من أخبار بني إسرائيل؛ لقول النبي ﷺ: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»[1]، ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فقد يكون حقًّا فتكذبوه، وقد يكون باطلًا فتصدقوه.

فهذه الأخبار عن القتيل وأولياء القتيل وما جرى هي من أخبارهم، فلا يصدق منها إلا ما وافق القرآن العظيم والسُّنَّة المطهرة، وذلك أنه قتل بينهم قتيل فاختلفوا فيه، فأوحى الله ﷻ إلى نبيه موسى عليه الصلاة والسلام أن يذبحوا بقرة، ثم تعنتوا في طلب صفاتها حتى انتهوا إلى الصفة التي ذكر الله لهم، فوجدوها واشتروها وذبحوها وضربوا القتيل بجزء منها، فرد الله عليه روحه وتكلم، وقال: قتلني فلان، وهو ابن أخيه، أو أخوه، أو بعض أقاربه، فأخذ ذلك القاتل وقتل، وانتهى أمر الخلاف بين بني إسرائيل.

وهذه عبرة وعظة، فإن الإنسان قد يتعجل الحق قبل وقته فيعاقب بحرمانه، ولهذا، أجمع العلماء على أن القاتل لا يرث؛ لأنه استعجل موت قريبه، وهو متهم بقصد الإرث، فحرم من ذلك لأنه ظالم ومتعد، فحرم مما أراد، ولو زعم أنه لم يفعل ذلك لأجل الميراث.

* *

---

(١) سبق تخريجه في ص (٣٤).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾ [البقرة: ٦٨ ـ ٧١][1].

أخبر تعالى عن تعنّت بني إسرائيل وكثرة سؤالهم لرسولهم، لهذا، لما ضيقوا على أنفسهم ضيق الله عليهم، ولو أنّهم ذبحوا أيّ بقرةٍ كانت لوقعت الموقع عنهم؛ كما قال ابن عبّاسٍ وعبيدة وغير واحدٍ، ولكنّهم شدّدوا فشدّد عليهم فقالوا: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾؛ أي: ما هذه البقرة وأيّ شيءٍ صفتها؟

قال ابن جريرٍ: حدّثنا أبو كريبٍ، حدّثنا تمّام بن عليٍّ، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرٍو، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عبّاسٍ، قال: لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد عليهم ـ إسنادٌ صحيحٌ.

وقد رواه غير واحدٍ عن ابن عبّاسٍ، وكذا قال عبيدة والسّدّيّ ومجاهدٌ وعكرمة وأبو العالية وغير واحدٍ.

وقال ابن جريجٍ: قال لي عطاءٌ: لو أخذوا أدنى بقرة لكفتهم، قال ابن جريجٍ: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا أُمِرُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، ولكنهم لما شددوا شَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَايْمُ اللهِ، لَوْ أَنَّهُمْ لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لَهُمْ آخِرَ**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الْأَبَدِ»؛ قال: ﴿إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾؛ أي: لا كبيرةً هرمةً ولا صغيرةً لم يلحقها الفحل، كما قاله أبو العالية والسّدّيّ ومجاهدٌ وعكرمة وعطيّة العوفيّ وعطاءٌ الخراسانيّ ووهب بن منبّهٍ والضّحّاك والحسن وقتادة، وقاله ابن عبّاسٍ أيضًا.

وقال الضّحّاك، عن ابن عبّاسٍ: ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾؛ يقول: نصف بين الكبيرة والصّغيرة، وهي أقوى ما يكون من الدّوابّ والبقر، وأحسن ما تكون، وروي عن عكرمة ومجاهدٍ وأبي العالية والرّبيع بن أنسٍ وعطاءٍ الخراسانيّ والضّحّاك نحو ذلك، وقال السّدّيّ: العوان: النّصف الّتي بين ذلك الّتي قد ولدت وولد ولدها، وقال هشيمٌ، عن جويبرٍ، عن كثير بن زيادٍ، عن الحسن، في البقرة: كانت بقرةً وحشيّةً.

وقال ابن جريجٍ، عن عطاءٍ، عن ابن عبّاسٍ: من لبس نعلًا صفراء لم يزل في سرورٍ ما دام لابسها، وذلك قوله تعالى: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وابن جريج مدلس، والغالب على روايته عن عطاء متصلة، لكن هذا استنباط له وجهه، فإن الصفرة فيها شيء من نوع السرور؛ كما قال الله: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ۝٦٩﴾ [البقرة: ٦٩]، لكن الاستنباط هذا من قصة البقرة محل نظر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذا قال مجاهدٌ ووهب بن منبه: كانت صفراء، وقال ابن عمر: كانت صفراء الظّلف، وعن سعيد بن جبيرٍ: كانت صفراء القرن والظّلف، وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أبي، حدّثنا نصر بن عليٍّ، حدّثنا نوح بن قيسٍ، أنبأنا أبو رجاءٍ، عن الحسن في قوله تعالى: ﴿بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾؛ قال: سوداء شديدة السّواد، وهذا غريبٌ، والصّحيح الأوّل، ولهذا، أكّد صفرتها بأنّه ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾.

وقال عطيّة العوفيّ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾؛ تكاد تسودّ من صفرتها.

وقال سعيد بن جبيرٍ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾؛ قال: صافية اللّون. وروي عن أبي العالية والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ والحسن وقتادة نحوه، وقال شريكٌ، عن معمر، عن ابن عمر: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾؛ قال: صافٍ، وقال العوفيّ في تفسيره عن ابن عبّاسٍ: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ تكاد تسودّ من صفرتها، وقال سعيد بن جبير: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: صافية اللّون، وروي عن أبي العالية والرّبيع بن أنسٍ والسّدّيّ والحسن وقتادة نحوه، وقال شريك، عن معمر، عن ابن عمر: ﴿فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: شديدة الصّفرة، تكاد من صفرتها تبيضّ.

وقال السّدّيّ: ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾؛ أي: تعجب النّاظرين، وكذا قال أبو العالية وقتادة والرّبيع بن أنسٍ. وقال وهب بن منبّهٍ: إذا نظرت إلى جلدها تخيلت أن شعاع الشمس يخرج من جلدها. وفي التوراة: أنها كانت حمراء وسواد، فلعلّ هذا خطأٌ في التّعريب، أو كما قال الأوّل: إنّها كانت شديدة الصّفرة تضرب إلى حمرة وسواد، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾؛ أي: لكثرتها، فميّز لنا هذه البقرة وصفها وحلّها لنا، ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إذا بيّنتها لنا ﴿لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إليها.

وقال ابن أبي حاتمٍ: حدّثنا أحمد بن يحيى الأوديّ الصّوفيّ، حدّثنا أبو سعيدٍ أحمد بن داود الحدّاد، حدّثنا سرور بن المغيرة الواسطي ابن أخي منصور بن زاذان، عن عبّاد بن منصورٍ، عن الحسن، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ لما أُعْطُوا، أَبَدًا، وَلَوْ أَنَّهُمُ اعْتَرَضُوا بَقَرَةً مِنَ البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شَدَّدُوا، فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ**».

وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة كما تقدّم مثله على السّدّيّ، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندكم: عن معمر، عن ابن عمر؟

أحد الطلاب: عندنا عن مغراء، عن ابن عمر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عندك معمر؟

الطالب: نعم، عن شريك، عن معمر، عن ابن عمر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن مغراء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾؛ أي: إنّها ليست مذلّلةً بالحراثة ولا مُعَدَّة للسقي في الساقية؛ بل هي مكرمة، حسنة، صبيحة، مسلَّمة، صحيحة، لا عيب فيها، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾.

وقال عبد الرّزّاق، عن معمرٍ، عن قتادة: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ يقول: لا عيب فيها.

وكذا قال أبو العالية والرّبيع. وقال مجاهدٌ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من الشّية، وقال عطاءٌ الخراسانيّ: ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ القوائم والخلق ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾، قال مجاهدٌ: لا بياض ولا سواد، وقال أبو العالية والرّبيع والحسن وقتادة: ليس فيها بياضٌ، وقال عطاءٌ الخراسانيّ: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾، قال: لونها واحدٌ بهيمٌ، وروي عن عطيّة العوفيّ ووهب بن منبّهٍ وإسماعيل بن أبي خالدٍ نحو ذلك، وقال السّدّيّ: ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ لا بياضٍ ولا سوادٍ ولا حمرةٍ. وكلّ هذه الأقوال متقاربةٌ في المعنى.

وقد زعم بعضهم أنّ المعنى في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: ليست بمذلّلةٍ بالعمل، ثمّ استأنف فقال: ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: يعمل عليها بالحراثة، لكنّها لا تسقي الحرث، وهذا ضعيفٌ؛ لأنّه فسّر الذّلول الّتي لم تذلّل بالعمل بأنّها لا تثير الأرض ولا تسقي الحرث، كذا قرّره القرطبيّ وغيره.

﴿قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ﴾؛ قال قتادة: الآن بيّنت لنا.

وقال عبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: وقبل ذلك والله قد جاءهم الحقّ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾؛ قال الضحاك، عن ابن عباس: كادوا أن لا يفعلوا، ولم يكن ذلك الذي أرادوا؛ لأنّهم أرادوا أن لا يذبحوها.

يعني: أنّهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلّا بعد الجهد، وفي هذا ذمٌّ لهم، وذلك أنّه لم يكن غرضهم إلّا التّعنّت، فلهذا، ما كادوا يذبحونها.

وقال محمّد بن كعبٍ ومحمّد بن قيسٍ: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾؛ لكثرة ثمنها. وفي هذا نظر؛ لأن كثرة الثمن لم يثبت إلّا من نقل بني إسرائيل كما تقدّم من حكاية أبي العالية والسّدّيّ، ورواه العوفيّ عن ابن عبّاسٍ، وقال عبيدة ومجاهدٌ ووهب بن منبّهٍ وأبو العالية وعبد الرّحمٰن بن زيد بن أسلم: إنّهم اشتروها بمالٍ كثيرٍ، وفيه اختلافٌ، ثمّ قد قيل في ثمنها غير ذلك، وقال عبد الرّزّاق: أنبأنا ابن عيينة، أخبرني محمّد بن سوقة، عن عكرمة، قال: ما كان ثمنها إلّا ثلاثة دنانير، وهذا إسنادٌ جيّدٌ عن عكرمة، والظّاهر أنّه نقله عن أهل الكتاب أيضًا.

وقال ابن جريرٍ: وقال آخرون: لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن اطّلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه، ولم يسنده عن أحدٍ، ثمّ اختار أنّ الصّواب في ذلك أنّهم لم يكادوا يفعلوا ذلك لغلاء ثمنها وللفضيحة.

وفي هذا نظرٌ؛ بل الصّواب، والله أعلم، ما تقدّم من رواية الضّحّاك عن ابن عبّاسٍ على ما وجّهناه، وبالله التّوفيق.

[مسألةٌ]:

استدلّ بهذه الآية في حصر صفات هذه البقرة حتّى تعيّنت، أو تمّ

تقييدها بعد الإطلاق على صحّة السَّلَم في الحيوان، كما هو مذهب مالكٍ والأوزاعي والليث والشافعي وأحمد وجمهور من العلماء سلفًا وخلفًا؛ بدليل ما ثبت في الصّحيحين عن النّبيّ ﷺ: **«لَا تَنْعَتُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»**(١).

وكما وصف النّبيّ ﷺ إبل الدّية في قتل الخطأ، وشبه العمد بالصّفات المذكورة بالحديث، وقال أبو حنيفة والثّوريّ والكوفيّون: لا يصحّ السَّلَم في الحيوان؛ لأنّه لا تنضبط أحواله، وحكى مثله عن ابن مسعودٍ وحذيفة بن اليمان وعبد الرّحمٰن بن سمرة وغيرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: ما كادوا يفعلون من كثرة تعنتهم وكثرة أسئلتهم، وقد يكون حملهم على هذا خوف الفضيحة، وقد يكون حملهم شيء آخر، المقصود: أنهم ما قبلوا الأمر ويسروا وسهلوا؛ بل تشددوا وتعنتوا فشدد عليهم، أما سبب هذا التعنت وسبب هذه الأسئلة فيحتمل بذلك أنهم أرادوا أن يوقفوا على الحقيقة التي يحصل بها المقصود، ولهذا، قالوا: إنا ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾، ويحتمل أنه حملهم على هذا أشياء أخرى من جهة الفضيحة أو من جهة أخرى لم تذكر، فالحاصل وبكل حال، أنهم ما كان ينبغي لهم هذا التشدد، ينبغي لهم أنهم لما أمروا بادروا وذبحوا البقرة، ولا يتكلفوا، هذا الذي ينبغي، وهذا هو الواجب على الأمم، فإذا جاءت الأوامر من ربها من طريق رسوله عليه الصلاة والسلام أنهم يبادرون ولا يتعنَّتون، والله يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ينبغي لهم أن يقبلوا اليسر وألا يشددوا وألا يتعنتوا

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب النكاح، باب لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها بلفظ: **«لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا»** برقم (٥٢٤٠).

في الأوامر فيشق عليهم الأمر، ولكن هؤلاء تعنتوا لأسباب الله أعلم بها، قد يكون ذلك حرصًا منهم على عدم ذبحها لئلا يفتضحوا؛ كما قال ابن جرير، وقد يكون لأسباب أخرى.

والحاصل: أن الله فضح هذا القاتل وهذا المجرم وبيَّن جريمته وأحلَّ به ما يستحق بسبب كذبه وافترائه وظلمه للناس، نسأل الله العافية.



فهرس الأحاديث

طرف الحديث	الصفحة
ـ أتدري ما حق الله على عباده	٢٧٩
ـ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ	٢٧٤
ـ أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ	٣٣٧
ـ أَجَعَلْتَنِي وَاللهَ عَدْلًا	٢٨١
ـ أحسنتم واضربوا	٤٠٦
ـ أخر عني يا عمر	٢٤٩
ـ أَخْنَعُ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ	١١٦
ـ إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ	١٤٣
ـ إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ	٣٣٢
ـ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى	٤٣٢
ـ إذا دخل أحدكم الخلاء	٨٤
ـ إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ	٢٢٠
ـ إذا رأيتم الذين	١٣٩
ـ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ	١٦٤
ـ إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا	٤٨٩
ـ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ	١٤٣
ـ إذا قال الإمام غير	١٥٥
ـ إِذَا وَضَعْتَ جَنْبَكَ على الفراش	٧٩
ـ إذهب فأنت أميرهم	١٧٨
ـ أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا	٢٧٤
ـ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ	٣٥٢

طرف الحديث	الصفحة
ـ الأَرض خلقت قبل السماء	٣٣٣
ـ أعطيت آمين في الصلاة	١٤٦
ـ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ	١٥٧
ـ أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ	٨٤
ـ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاء	١٠٦
ـ أفضل ما قلت أنا	١٠٧
ـ اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُم يَعْنِي يس	١٧٣
ـ اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ	١٨٤
ـ أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ	٣١٣
ـ ألا إن أعجب الخلق	٢١٥
ـ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا	٣٤٦
ـ أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ	٣٠
ـ أَلَمْ أُزَوِّجْكَ أَلَمْ أُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ	٤٣٧
ـ أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ	٣٩٦
ـ أما بعد فإن طفيلًا	٢٨٠
ـ أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	٢٤٧
ـ إن الله أمر أدم	٣٨٠
ـ إن أحق ما أخذتم	٤٠٥
ـ إِنَّ اللهَ خَلَقَ مِائَةَ رَحْمَةٍ	١٥٠
ـ إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُم ثَلَاثًا	٣١٣
ـ أن الله رفيق يحب الرفق	١٠٦
ـ أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ	٢٧٩
ـ إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ	٣١٢
ـ أن رسول الله ﷺ قرأ	٩٥
ـ أن معاوية صلى بالمدينة «أثر»	٩٨
ـ إِنْ كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ تُطَوَّقَ طَوْقًا مِنْ نَارٍ فَاقْبَلْهَا	٤٠٥
ـ إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا	٢٣٥

طرف الحديث	الصفحة
ـ إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ أَوِ السَّقَمَ رِجْزٌ	٤٩٠
ـ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	٢٧٩
ـ إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا	١٠٠
ـ أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ	٤٥٠
ـ أَنْتَ آدَمُ الَّذِي	٣٦٩
ـ أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا	٤٣٨
ـ إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا	٧٨
ـ إِنَّمَا خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ	٢٥٠
ـ أنه يعذب في يوم كان	٤٧
ـ أنهار الجنة تفجر من تحت تلال	٣٠٨
ـ إِنَّهُمْ لَن يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا	١٤٦
ـ إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ	٢٤٩
ـ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ	٦٧
ـ إِنِّي لأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً	٩٧
ـ إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ	٨٦
ـ إني خلقتك مطهرة	٣١١
ـ أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ	٣٥٦
ـ أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ	١٦٥
ـ الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً	١٠٨
ـ بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ	٢٤
ـ الْبَقَرَةُ سَنَامُ الْقُرْآنِ	١٧٣
ـ بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ	٣٤، ٣٩
ـ بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ	١٧١
ـ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ	٣٥٦
ـ تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ	٣٠٥
ـ تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ	٢٣٤
ـ تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا	١٨١

طرف الحديث	الصفحة
- تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَءُوهُ وَأَقْرِئُوهُ	١٧٨
- تعوَّذ بالله من شياطين	٢٥٧
- التقوى عمل بطاعة الله رجاء رحمة الله	٤٠٦
- ثم أقرأ بما تيسر من القرآن	٧٦
- ثلاث من كن فيه كان	٢٧٤
- ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين	٢٢٢
- حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج	٣٤، ٣٩
- حِجَارَةٌ مِنْ كِبْرِيتٍ	٣٠٣
- حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ	٤٧٨
- الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ	٣٠
- الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي	٦١
- حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ	١٢٣
- خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ	٣٣٤
- خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ	٣٢١
- خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	٢١٤
- خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ	٣٩٠
- دحيت الأرض من مكة	٣٣٩
- دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ	٢٤٦
- رب أرني آدم الذي	٣٦٩
- زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ	١٥٨
- سمعت النبي ﷺ قرأ	١٤٢
- شَفَعَتِ الْمَلَائِكَة، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ	٣٥٣
- صَلَاةُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَثْنَى مَثْنَى	٤٨٥
- الصراط المستقيم	١٢٦
- الصوم نصف الصبر	٤٣٠
- ضرب الله مثلًا	١٢٨
- الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ	٤٨٩

طرف الحديث	الصفحة
ـ العجوة من الجنة	٤٧٠
ـ الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ	٣٥٦
ـ فاتحة الكتاب شفاء من كل سم	٦١
ـ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ	٣٥٩
ـ فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا	١٥٩
ـ فإن كان مضطر فليطعم	٢٢٠
ـ فدخلوا يزحفون على	٤٧٨
ـ فَقُولُوا آمِينَ	١٥٥
ـ فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ	٤٥٠
ـ في غير أخدود	٣٠٨
ـ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ	٣٥٧
ـ قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	٦١ ـ ٧٤، ١٢١
ـ قَالَ اللهُ تعالى قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي	٦١، ٧٤، ١٥٩
ـ قال آمين	١٤٢
ـ الْقُلُوبُ أَرْبَعَةٌ قَلْبٌ أَجْرَدُ	٢٧٥
ـ قم فصل فإن	٤٣٣
ـ كان لا يعرف فضل السورة	٩٥
ـ كَانَ يَقْرَأُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ	١٩٢
ـ كَانَتْ قراءته مَدًّا	٩٨
ـ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ	٤٩٨
ـ كل مؤذ في النار	٣٠٤
ـ الْكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ	٩٣
ـ الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ	٤٦٤
ـ الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ	١١٦
ـ لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً	٤١٥
ـ لا ألفين أحدكم يضع	١٧٦
ـ لَا تَجْزِي صَلَاةٌ	٧٦

طرف الحديث	الصفحة
ـ لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان	١٧٤
ـ لَا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَ الْيَهُود	٥١٦
ـ لا تسبقني بآمين	١٤٢
ـ لا تقولوا سورة البقرة	١٩١
ـ لا تصدقوهم ولا تكذبوهم	٣٦
ـ لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ	٧٧، ١٥٨
ـ لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ	٢٨٠
ـ لا تنعت المرأة المرأة	٥٣١
ـ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ	٧٦، ١١٩، ١٥٨
ـ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْحَمْدُ لِلَّهِ	٧٧
ـ لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ	٢٠٥
ـ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ	٣٧٨
ـ لَا يَعْرِفُ فَضْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ	٩٥
ـ لا، إلا أن تطوع	٤١٣
ـ لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ	٣٥٦
ـ لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا	١٦١
ـ لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا أحد	٤٣٣
ـ لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	١٧٤
ـ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ	١٧٤
ـ لما ذاق آدم الشجرة	٣٨٨
ـ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ	٨٥
ـ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ	٢٢
ـ اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ	٣٢
ـ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ	١٠٨
ـ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	٣١٧
ـ لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ	٣٧٧
ـ لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ	١١٣

طرف الحديث	الصفحة
ـ ليس الغنى عن كثرة	٤٩٧
ـ مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ	٣٤٥
ـ ما يمنعكم من ذلك	٢١٣
ـ مَا مِن نبي من الأَنْبيَاءِ إِلَّا قد أُعْطِيَ مِنَ	٢٩٩
ـ مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً فَمَا فَوْقَهَا	٣١٨
ـ مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ	٤٢١
ـ مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى قَوْمٍ	٤٢١
ـ مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ	٣٤٧
ـ مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَد حَبِطَ عَمَلُهُ	٣٥٧
ـ مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ	٤٠٤
ـ من جاءكم وأمركم جميع	٣٤٧
ـ من دعا الناس إلى قول	٤٢٥
ـ مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ	٣٥٨
ـ من صلى صلاة لم يقرأ	٧٣
ـ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ	٤٢
ـ مَنْ قَالَ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ	٤٣
ـ مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَإِنَّ قِرَاءَةَ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ	٧٨
ـ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ	٢٩٤
ـ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ	٢٩٤
ـ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ	٢٩٤
ـ من لم يسأل الله	١٠٦
ـ نِعْمَ الْقَوْمُ أَنْتُمْ لَوْلَا	٢٨٥
ـ نَعَمْ قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ	٢١٣
ـ نعم نبيًّا رسولًا	٣٨٣
ـ نعم وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّار، فَأَخْرَجْتُهُ	٣٥٦
ـ هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ	٣٠٥
ـ هَذِهِ سُبُلٌ: عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ	١٦٧

طرف الحديث	الصفحة
ـ هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَجِبْ»	٣٥٨
ـ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبَ	٣٩٨
ـ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ	٦٧، ١٥٢
ـ وَإِذَا قَالَ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ	١٤٤
ـ وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا	٣٠٥
ـ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ «انظر الحاشية»	٤١٥
ـ وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ	٢٨٦
ـ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ أثر ابن مسعود	٣٥٨
ـ وما يدريك أنها رقية	٧٢
ـ ولكن قولوا مَا شَاءَ اللهُ وحده	٢٨٠
ـ وهو حبل المتين	١٢٦
ـ وَيُجْزِي عَنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ تَرْكَعُهُمَا	٤٨٦
ـ يُؤْتَى بالرَّجُلِ يَوْمَ القيامَةِ فَيُلْقَى في النَّارِ	٤٢٧
ـ يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ	١٨٣
ـ يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ	٩٣
ـ يَا مُثَبِّتَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ	٢٣٤
ـ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ	٤٢٣
ـ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا	٣٥٠، ٣٦٢
ـ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ	٣٣٧
ـ يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ	٣١٣
ـ يقبض الله الأرض	١١٦
ـ يقطع الصلاة المرأة والحمار	٩٣

❐ ❐ ❐

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ **المقدمة**	٥
ـ **نبذة عن حياة سماحة الشيخ**	١١
ـ أوصافه الخَلْقية	١٦
ـ صفاته الخُلُقية	١٦
ـ زوجات سماحة الشيخ	١٧
ـ عقبه	١٨
ـ وفاته	١٨
ـ **مقدمة التفسير** (الحافظ ابن كثير)	٢١
ـ فصل	٤١
ـ **مقدمة مفيدة تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة** (الحافظ ابن كثير)	٥٣
ـ فصل (الحافظ ابن كثير)	٥٧
ـ فصل (الحافظ ابن كثير)	٥٩
ـ **سورة الفاتحة** (الحافظ ابن كثير)	٦١
ـ **ذكر ما ورد في فضل الفاتحة** (الحافظ ابن كثير)	٦٥
ـ **تفسير الاستعاذة وأحكامها** (الحافظ ابن كثير)	٨١
ـ فصل (الحافظ ابن كثير)	٩١
ـ مسألة (الحافظ ابن كثير)	١٣٨
ـ فصل (الحافظ ابن كثير)	١٤٢
ـ **شرح كتاب التفسير من صحيح البخاري** (صحيح البخاري)	١٤٩

الموضوع	الصفحة
ـ **ما جاء في فاتحة الكتاب** (الحافظ ابن كثير)	١٥١
ـ **تفسير سورة الفاتحة وحكم قراءتها في الصلاة** (دروس فتاوى لسماحته)	١٥٧
ـ ما هو الصراط المستقيم (دروس فتاوى في المسجد الحرام لسماحته)	١٦٦
ـ **تفسير سورة البقرة** (الحافظ ابن كثير)	١٧٣
ـ **ذكر ما ورد في فضل البقرة مع آل عمران** (الحافظ ابن كثير)	١٨١
ـ فصل	١٩٠
ـ تفسير الآية ١ (الحافظ ابن كثير)	١٩٢
ـ تفسير الآية ٢ (الحافظ ابن كثير)	٢٠١
ـ تفسير الآية ٣ (الحافظ ابن كثير)	٢٠٨
ـ تفسير الآية ٤ (الحافظ ابن كثير)	٢٢١
ـ تفسير الآية ٥ (الحافظ ابن كثير)	٢٢٥
ـ تفسير الآية ٦ (الحافظ ابن كثير)	٢٢٨
ـ تفسير الآية ٧ (الحافظ ابن كثير)	٢٣١
ـ تفسير الآيات ٨ ـ ٩ (الحافظ ابن كثير)	٢٣٨
ـ تفسير الآية ١٠ (الحافظ ابن كثير)	٢٤٤
ـ تفسير الآيات ١١ـ ١٢ (الحافظ ابن كثير)	٢٥٠
ـ تفسير الآية ١٣ (الحافظ ابن كثير)	٢٥٤
ـ تفسير الآيات ١٤ ـ ١٥ (الحافظ ابن كثير)	٢٥٦
ـ تفسير الآية ١٦ (الحافظ ابن كثير)	٢٦٢
ـ تفسير الآيات ١٧ ـ ١٨ (الحافظ ابن كثير)	٢٦٣
ـ ذكر أقوال المفسرين من السلف (الحافظ ابن كثير)	٢٦٦
ـ تفسير الآيات ١٩ ـ ٢٠ (الحافظ ابن كثير)	٢٦٩
ـ ذكر الحديث الوارد في ذلك (الحافظ ابن كثير)	٢٧١
ـ تفسير الآيات ٢١ ـ ٢٢ (الحافظ ابن كثير)	٢٧٧
ـ تفسير الآية ٢٢ (صحيح البخاري)	٢٩٣
ـ تفسير الآيات ٢٣ ـ ٢٤ (الحافظ ابن كثير)	٢٩٥

الموضوع	الصفحة
ـ تفسير الآية ٢٥ (الحافظ ابن كثير)	٣٠٧
ـ تفسير الآية ٢٦ (من نور على الدرب)	٣١٢
ـ تفسير الآيات ٢٦ ـ ٢٧ (الحافظ ابن كثير)	٣١٥
ـ تفسير الآية ٢٨ (الحافظ ابن كثير)	٣٢٧
ـ تفسير الآية ٢٩ (الحافظ ابن كثير)	٣٢٩
ـ تفسير الآية ٣٠ (الحافظ ابن كثير)	٣٣٥
ـ ذكر أقوال المفسرين ببسط ما ذكرناه (الحافظ ابن كثير)	٣٣٨
ـ تفسير الآية ٣٠ (من نور على الدرب)	٣٤٨
ـ تفسير الآية ٣١ (من صحيح البخاري)	٣٤٩
ـ تفسير الآيات ٣١ ـ ٣٣ (الحافظ ابن كثير)	٣٥٩
ـ تفسير الآية ٣٤ (الحافظ ابن كثير)	٣٦٩
ـ تفسير الآيات ٣٥ ـ ٣٦ (الحافظ ابن كثير)	٣٨٣
ـ تفسير الآية ٣٧ (الحافظ ابن كثير)	٣٩١
ـ تفسير الآيات ٣٨ ـ ٣٩ (الحافظ ابن كثير)	٣٩٥
ـ تفسير الآية ٤٠ (من رياض الصالحين)	٣٩٧
ـ تفسير الآيات ٤٠ ـ ٤١ (الحافظ ابن كثير)	٣٩٨
ـ تفسير الآيات ٤٠ ـ ٤٤ (الفوائد العلمية)	٤٠٧
ـ تفسير الآيات ٤٢ ـ ٤٣ (الحافظ ابن كثير)	٤٠٩
ـ تفسير الآية ٤٣ (من رياض الصالحين)	٤١١
ـ تفسير الآية ٤٣ (من نور على الدرب)	٤١٤
ـ تفسير الآية ٤٣ (الحافظ ابن كثير)	٤١٥
ـ تفسير الآية ٤٤ (الحافظ ابن كثير)	٤١٧
ـ تفسير الآية ٤٤ (من صحيح البخاري)	٤٢٥
ـ تفسير الآية ٤٥ (من نور على الدرب)	٤٢٧
ـ تفسير الآية ٤٥ (من صحيح البخاري)	٤٢٩
ـ تفسير الآيات ٤٥ ـ ٤٦ (الحافظ ابن كثير)	٤٢٩

الموضوع	الصفحة
ـ تفسير الآية ٤٨	٤٤٠
ـ تفسير الآيات ٤٩ ـ ٥٠	٤٤٤
ـ تفسير الآية ٥٠ (الحافظ ابن كثير)	٤٤٩
ـ تفسير الآيات ٥١ ـ ٥٣ (الحافظ ابن كثير)	٤٥١
ـ تفسير الآية ٥٤ (الحافظ ابن كثير)	٤٥٤
ـ تفسير الآيات ٥٥ ـ ٥٦ (الحافظ ابن كثير)	٤٥٨
ـ تفسير الآية ٥٧ (من صحيح البخاري)	٤٦٣
ـ تفسير الآية ٥٧ (الحافظ ابن كثير)	٤٦٦
ـ تفسير الآية ٥٨ (من صحيح البخاري)	٤٧٧
ـ تفسير الآيات ٥٨ ـ ٥٩ (الفوائد العلمية)	٤٧٩
ـ تفسير الآيات ٥٨ ـ ٥٩ (الحافظ ابن كثير)	٤٨٢
ـ تفسير الآية ٦٠ (الحافظ ابن كثير)	٤٩٠
ـ تفسير الآية ٦١ (الحافظ ابن كثير)	٤٩٣
ـ تفسير الآية ٦١ (الحافظ ابن كثير)	٤٩٧
ـ تفسير الآية ٦٢ (الحافظ ابن كثير)	٥٠٠
ـ تفسير الآية ٦٤ (الحافظ ابن كثير)	٥٠٦
ـ تفسير الآيات ٦٥ ـ ٦٦ (الحافظ ابن كثير)	٥٠٧
ـ تفسير الآية ٦٧ (الحافظ ابن كثير)	٥١٧
ـ ذكر بسط القصة (الحافظ ابن كثير)	٥١٧
ـ تفسير الآيات ٦٨ ـ ٧١ (الحافظ ابن كثير)	٥٢٦
ـ مسألة	٥٣٠
ـ **فهرس الأحاديث**	٥٣٣
ـ **فهرس الموضوعات**	٥٤١

❒ ❒ ❒